# المحتويات

V	مُقْكَلُّمْتًا
10	<ul> <li>الشبهة الأولى</li> </ul>
عَيْدٌ، ومخالفته لما ورد في السنة النبوية	ادعاء تناقض القرآن في مادة خلق آدم ا
Y ·	• الشبهة الثانية
	الزعدأن الله لديُكَرِّمْ آدم الطِّيحٌ ، ولم
۲۳	• الشبهة الثالثة
· ·	ادُّعاءُ طَرْدِ آدم الطِّيِّةُ من الجنة لوقوعه
۲۸	• الشبهة الرابعة
	الفهم الخاطئ لبعض الحقائق في قصة
٣٨	• الشبهة الخامسة
	إنكارنبوة آدم الطيئة
٤٧	• الشبهة السادسة
قد أشركا بالله تعالى	الزعم أن آدم وحواء عليهما السلام ـ أ
o ·	• الشبهة السابعة
بس الطيخة وقصة رفعه حيًّا إلى السماء	الزعم أن القرآن أخطأ في ذكر اسم إدرب
00	• الشبهة الثامنة
ومه بالهلاك	الفهم الخاطئ لدعاء نوح الطِّيَّةٌ على ق
71	• الشبهة التاسعة
قيقة كما ورد في القرآن	ادِّعاء أن طُوفان نوح أسطورةٌ وليس حا
٦٨	• الشبهة العاشرة
	التشكيك في أبوّة نوح الطِّيّةٌ لابنه

بيان الإسلام: الرد على الافتراءات والشبهات
<ul> <li>الشبهة الحادية عشرة</li> </ul>
ادعاء وقوع نوح في الخطأ ؛ بسؤاله المولى ﷺ أن ينجّي ابنه الكافر من الغرق
• الشبهة الثانية عشرة
الزعم أن نوحًا الطيخ لمريؤمن به أحد من قومه
• الشبهة الثالثة عشرة
التشكيك في صحة قصة نوح الطَّيِّلاً في القرآن
• الشبهة الرابعة عشرة
ادِّعاء خطأ القرآن في ذكر قصة هود الطِّيِّلام، التي لا وجود لها في التوراة
• الشبهة الخامسة عشرة
ادعاء أن ناقة صالح الطَّيْخُ خرافة تتنافى مع العقل
• الشبهة السادسة عشرة
ادُّعاء وقوع إبراهيم الطِّيخٌ في الشرك
• الشبهة السابعة عشرة
توهدأن إبراهيد الطيخة وقع في الكذب
<ul> <li>الشبهة الثامنة عشرة</li> </ul>
إنكار لقاء إبراهيم الطيخ بالنمروذ
• الشبهة التاسعة عشرة
ادِّعاء أن إبراهيم الطَّيْحٌ تزوَّج من سارة ، وهي أخته
• الشبهة العشرون
إنكار ذهاب إبراهيم الطيخ إلى الجزيرة العربية، وبنانه الكعبة
• الشبهة الحادية والعشرون
ادِّعاء تباين القرآن المدني عن الكّي بشأن إبراهيم الطّيِّيِّ ؛ استمالة لليهود
• الشبهة الثانية والعشر ون
الزعم أن إبراهيم الطَّيِّيِّ شُكُّ في قدرة الله على إحياء الموتى

	• الشبهة الثالثة والعشرون
	إنكاروجود إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام
170	• الشبهة الرابعة والعشرون
	ادعاءأن الذبيح هوإسحاق القيئة وليس إسماعيل القيئة
174	• الشبهة الخامسة والعشرون
	ادِّعاء أن إسماعيل الطِّيِّلِ ليس نبيًّا من الأنبياء
147	• الشبهة السادسة والعشرون
	ادِّعاء وجود صراع بين إسماعيل وإسحاق عليهما السلام
١٣٨	
	ادُّعاء أن النبوة مقصورة على إسحاق الطَّيْحُ وولده دون إسماعيل الطَّيْحُ
18	• الشبهة الثامنة والعشرون
	الزعمرأن لوطا الطيخ عرض على قومه إتيان الفاحشة مع بناته
188	
	التشكيك في توكُّل لوط الطِّيِّخ حق التوكُّل على الله
1 & A	• الشبهة الثلاثون
	ادعاء وقوع الفحشاء في بيت لوط الطِّيخ
١٥٨	<ul> <li>الشبهة الحادية والثلاثون</li> </ul>
	دعوى خطأ القرآن في قصة تآمر إخوة يوسف الطَّيِّيٌّ عليه والمكربه
171	<ul> <li>الشبهة الثانية والثلاثون</li> </ul>
	ادعاء كتمان يوسف الكن للحق بعدم إظهار حريته عندبيعه
177	<ul> <li>الشبهة الثالثة والثلاثون</li> </ul>
	ادعاء وقوع السرقة من يوسف النيخ
177	• الشبهة الرابعة والثلاثون
	لدِّما مخطأ القرآن في الآمام بمسفى العَلَيْنُ بالمهمِّ بالفاحشة

بيان الإسلام: الرد على الافتراءات والشبهات
• الشبهة الخامسة والثلاثون
إنكار وليمة امرأة العزيز الواردة في قصة يوسف الطيخ
• الشبهة السادسة والثلاثون
ادُّعاء أن يوسف الطَّيْخ أدان نفسه واتهمها بارتكاب الذنب
• الشبهة السابعة والثلاثون
دعوى اضطراب القرآن الكريم في حديثه عن يوسف الطيخ مع امرأة العزيز
• الشبهة الثامنة والثلاثون
ادِّعاء أنَّ استعانة يوسف الطِّيِّلاً بالساقي تخالف توكله على الله
• الشبهة التاسعة والثلاثون
ادِّعاء خطأ يوسف الطَّيْحٌ بطلبه الإمارة
• الشبهة الأربعون
ادّعاء أن يوسف الطّيِّين خان إخوته وأساء إلى أبيه بحبسه أخاه بنيامين
• الشبهة الحادية والأربعون
دعوى خطأ القرآن في ذكر عدد مرات مجيء إخوة يوسف الطِّيِّة لمصر وسجنه أخاه بنيامين
• الشبهة الثانية والأربعون
إنكار حقيقة قميص يوسف الطِّيخ، ومعجزة شفاء يعقوب الطِّيِّخ
• الشبهة الثالثة والأربعون
الفهم الخناطئ لسجود إخوة يوسف له الطِّيِّلا
• الشبهة الرابعة والأربعون
ادَّعاء أن نبي الله أيوب الطَّيْطِ كان غضوبًا
• الشبهة الخامسة والأربعون
ادَّعاءأن ذا الكفل الطَّيْلِ ليس نبيًّا
• الشبهة السادسة والأربعون
دعوي وقوع سيدنا بونس الطِّيِّيِّ في المصيدة برحيله عن قومه

شبهات حول الأنبياء والرسل (١)	
الشبهة السابعة والأربعون	•
واضطراب القرآن في مسألة نبذ يونس الطيعة بالعراء	دعوي
الشبهة الثامنة والأربعون	
ء أن القرآن أخطأ في إخباره أن من عثر على موسى الطيئة هي امرأة فرعون	
• الشبهة التاسعة والأربعون	
ء أن موسى الطَّيِّحُ قتل قبطيًا لمجرد أن رجلا من شيعته استنصر به عليه	
الشبهة الخمسون	
. » راستنجار الرجل الصالح لموسى الطيخة	
الشبهة الحادية والخمسون	ا ا
يم أن شريعة موسى الطَيِّلَا هي أولى الشرائع للبشر	
• الشبهة الثالثة والخمسون ٢٤٢	
يم أن القرآن خالف التوراة في عدد ألواح موسى	
• الشبهة الرابعة والخمسون	•
ى خطأ القرآن الكريم بشأن إيمان سحرة فرعون	دعور
• الشبهة الخامسة والخمسون	•
ي مخالفة القرآن الكريم التوراة في عدد آيات موسى	دعوو
• الشبهة السادسة والخمسون	•
اء أن موسى الطَّيِّيِّ استهان بكلام الله واعتدى على نبي الله هارون الطِّيِّيِّ	ادِّعا
• الشبهة السابعة والخمسون	•
اء أن موسى وهارون لمريكونا مؤمنَيْن، وأن موسى الطِّيَّاةُ وَصَّى قومه بسرقة المصريين	ادِّعا
• الشبهة الثامنة والخمسون	•
اء أن موسى الطِّيِّة كان وصيًّا على محمد ﷺ وأمته	ادِّعا

	بيان الإسلام: الرد على الافتراءات والشبهات ــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
٧٦٣	<ul> <li>الشبهة التاسعة والخمسون</li> </ul>
	استنكار تعلم موسى الطيقة من الخضر
٧٦٧	• الشبهة الستون
	توهم وقوع موسى الطِّيِّلَا في المعصية ، لعدم وفانه بشرطه مع الخضر
٣٧٠	• الشبهة الحادية والستون
	ادِّعاء أن موسى الطِّيِّل تعدى على ملك الموت بلطمه ، وَفَقا عينه
YVY	• الشبهة الثانية والستون
	توهُّم وقوع الخلط في القرآن بشان قصة قارون
YV0	• الشبهة الثالثة والستون
	ادِّعاء أن القرآن أخطأ في ذكر عقيدة ذي القرنين



# مُقتَلِمُّتُ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين... وبعد؛

فإن الله على ما خلق الحلق ليعتز ويتفاخر بهم، أو لينتفع منهم بقضاء حوائج وتحقيق مصالح، حاشاه الله تقدست أساؤه وتنزهت صفاته، بل هو الغني والكل إليه فقير: ﴿ يَتَأَيُّهُا النّاسُ أَنتُهُ الْفُقَرَآهُ إِلَى اللّهِ وَاللّهُ هُو الْغَنِي اللّهِ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللّهِ بِعَرْبِرِ ﴿ وَاللّهِ عَلَى اللّهِ عَبْدِهِ ﴿ وَمَا خَلَق الله عباده من الْحَية سامية هي عبادته على وأمرهم أن يكون ذلك منشودهم ووظيفتهم في الحياة، قال على: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ اَلْجُنَ أَجُل غَاية سامية هي عبادته على وأمرهم أن يكون ذلك منشودهم ووظيفتهم في الحياة، قال على: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجُنَى اللّهِ لِيعَبُدُونِ ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجُنَى اللّهِ لِيعَبُدُونِ ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجُنَى اللّهُ هُو الزّرَاقُ ذُو الْفُونَةِ الْمَتِينُ ﴿ وَالْإِنسُ إِلّا لِيعَبُدُونِ ﴿ وَاللّهُ اللّهُ وَمَا أَرْبِدُ أَن يُعْلِمِمُونِ ﴿ وَاللّهُ اللّهُ هُو الزّرَاقُ ذُو الْفُونَةِ الْمَتِينُ وَمَا اللّهُ وهم أمثال الذّر في صلب أبيهم آدم، فأشهدهم على ألوهيته وربوبيته وعبوديتهم اله، فشهدوا وأقرّوا: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرْبَتُهُمْ وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى اللّهُ اللّهُ وَمَا أَلْوالْمَالُهُ اللّهُ وَلَوْ الْمُ اللّهُ وَمَا أَلْكُن اللّهُ عَلَى اللّهُ وَلَمْ اللّهُ وَلَوْا إِنْمَ اللّهُ وَلَا المَنْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ اللّهُ الله عليه وهو في ظهر أبيه آدم؟! أي نعم ذلك ميثاق مكنون الله خلقه لعبادته وطو لا يذكر هذا الميثاق الذي أخذ عليه وهو في ظهر أبيه آدم؟! أي نعم ذلك ميثاق مكنون مَرْكوز (١٠ في أصل فطرته، ولكنه لا يذكره.

وربها أنعم الإنسان النظر فتوصل بعقله إلى وجود الخالق، ولكن كيف يعرف حقه عليه؟! وكيف يؤدي هذا الحق على الوجه الصحيح؟!

لا شك أن معرفة هذا الحق وتأديته لن تكون إلا عن طريق وسيلة تأخذ من الخالق وتخبر عن أسهائه وصفاته، وتتناسب مع الطبيعة البشرية، وليس ذلك إلا عن طريق وحي السهاء، فالعقل البشري لا يستغني عن الوحي مهما ترقَّى وتزكَّى، إذ إن للعقل البشري حدوده التي لا يتعداها، وهناك أمور لا يستطيع إدراكها؛ لأنها غير داخلة في مجاله، فلا بد فيها من الوحي الذي هو للعقل كنور الشمس أو الضوء للعين، فإذا حُجِبَ الوحي لم ينتفع الإنسان بعقله.

ويصف الإمامُ ابنُ تيميةَ الرسالاتِ الإلهيةَ في ضرورتها للعباد، بأنها روح العالم ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والدنيا مُظْلِمَةٌ ملعونة إلا إذا ما طلعت عليها شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تُشرق في قلبه شمس الرسالة فهو في ظلمة، وهو من الأموات، قال على: ﴿ أَوْمَنَ كَانَ مَيْ تَا فَأَحْيَيْنَكُ وَجَعَلْنَا لَهُونُورًا

١. المَرْكوز: متأصِّل الوجود.

يَمْشِي بِهِ وَفِ ٱلنَّاسِ كَمَن مَّنَالُهُ فِي ٱلظُّلُمَاتِ ٱلْسَ بِخَارِجِ مِنْهَا كَذَالِكَ زُيِّنَ لِلْكَنفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ اللَّهُ (الانعام).

ويوضح ابن القيم مدى حاجة الناس إلى الرسل فيقول: "فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأي ضرورة وحاجة فُرِضَتْ فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير".

وبعد ذلك نقول: لما كان العقل البشري وحده لا يكفي للتفريق بين الخير والشر، وكانت هناك الأمور الغيبية التي لا يمكن للإنسان معرفتها إلا عن طريق الوحي، وعن طريق الشرع، كالإيان بالله على وبصفاته العلية، والإيان بالله على المناس الما الله عنه والنسور... إلى غير ذلك من الأمور الغيبية، فقد اقتضت حكمة الله على ألا يدع الناس هَمْلًا (١) وألا يتركهم سُدّى (٢)؛ فأرسل إليهم ما بين حين وآخر مبلغين عنه، يهدون الناس إليه ويدلونهم عليه، ويرشدونهم إلى مراضيه، ويحذرونهم من مساخطه: ﴿ رُسُلًا مُبشِرِينَ وَمُنذِرِينَ لِتَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةُ بَعَدَ الرُسُلُ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا اللهِ والنساء).

لذلك جاء هذا العمل في جزأين، يذبُّ عن أنبياء الله ورسله الكرام تلك المحاولات البذيئة التي تَنْسِبُ إليهم مُنْكَرًا من الأفعال المشينة، وتلصق بهم قدرًا فاحشًا من الصفات الرذيلة، بهتانًا في وزورًا، للنيل من منزلتهم السامية، والحطِّ من أقدارهم، بهدف صرف الناس عن اتباع مناهجهم في الهدى والإيهان، والحينُلُولة (٥) دون تَرَسُمِ خطاهم في الخير والإحسان، فتفسد البشرية في أخلاقها وقيمها، وتضطرب الموازين في عقول الناس وأفهامهم، حين تشوه

١. الهَمْل: المتروك.

۲. سُدًى: مهمل.

٣. يَذَبُّ: يدافع.

٤. البهتان: الظلم.

٥. الحيلولة: الحجز والمنع.

القدوة في عيونهم.

ومما يدعو للأسف الشديد أن جُلَّ الافتراءات التي رُمِي بها الأنبياء والمرسلون كانت من أهل الكتاب (١) الذين استأمنهم الله على كلامه فحرفوه، واشتروا به ثمنًا قليلًا فبئس ما يشترون، وربها اتبعهم شِرْذِمة (٢) من العَلْمانيِّين (٢) والإلحاديِّين (٤) في العصر الحديث، بهدف إنكار الأديان جملة وتفصيلًا، وكلُّ يبكي على لَيْلاهُ.

فأما أهل الكتاب وخاصة اليهود فإنهم يودُّون تبرير إفسادهم في الأرض؛ فحرفوا دينهم وشوَّهوا سير الأنبياء؛ إيهامًا للناس وتزيينًا لأنفسهم أنهم يتبعون في ذلك الرسل والشرائع، وأما العلمانيون فقد وجدوا في تلك الصورة المشوهة عن الأنبياء في اليهودية والنصرانية مسوغًا للخروج من رِبْقَة (٥) الأديان، والفسوق عن ضوابط الأخلاق وقيودها؛ لذا كانت الأمة الإسلامية هي المدافعة عن الأنبياء والرسل، المُشِيدَة بمآثرهم، فهي وارثة الأنبياء المقيمة لدينهم، وهذا من فضل الله عليها، ومن شمائل أمة الإسلام على سائر الأمم.

أما عن أهم خلاصات المناقشات حول هذه الشبهات الموجَّهة للأنبياء والرسل في هذه الدراسة فهي:

• النبوة هبة ربانية وفضل إلهي، يهبها الله لمن يشاء من عباده، ويختص بها من يريد من خلقه، وهي لا تُدرك بالجد والتعب، ولا تُنال بكثرة الطاعة والعبادة، أو بطريق الرياضة النفسية والعزم والمثابرة، إنها هي بمحض الفضل

١. مما نسبه اليهود إلى الأنبياء من قبائح:

زعموا أن نبي الله هارون صنع عجلًا وعبده مع بني إسرائيل. (الخروج ٣٢: ١).

أن إبراهيم خليل الرحمن قدَّم امرأته سارة إلى فرعون حتى ينال الخير بسببها. (التكوين ١٢: ١٣).

أن لوطًا شرب الخمر حتى سكر، ثم قام على ابنتيه فزنا بهم الواحدة تلو الأخرى. (التكوين ١٩: ٣١).

أن يعقوب سرق مواشي من حميه وخرج بأهله خلسة دون أن يعلمه . (التكوين ٣١: ١٧).

أن روأبين زنى بزوجة أبيه يعقوب، وأن يعقوب علم بهذا الفعل القبيح وسكت. (التكوين ٣٥: ٢٢).

<sup>•</sup> أن داود زنى بزوجة رجل من قواد جيشه، ثم دبر حيلة لقتل الرجل، وبعدئـذ أخـذ داود الزوجـة وضـمَّها إلى نـسائه فولـدت لـه سليهان. (صموئيل الثاني ١١: ٢).

<sup>•</sup> أنَّ سليمان ارتد في آخر عمره وعبد الأصنام وبني لها المعابد. (الملوك الأولى ١١: ٤).

هذه بعض المخازي والقبائح والكبائر التي نسبها اليهود إلى الأنبياء الأطهار، وحاشاهم مما وصفوهم به، ولكنها النفوس المريضة التي تَنْسِبُ إلى خيرة الله من خلقه القبائح، ليسهل عليهم تبرير ذنوبهم ومعايبهم عندما ينكر عليهم منكر أو يعترض عليهم معترض.

أما النصارى فإضافة إلى تصديقهم التوراة المحرفة فقد نسبوا إلى الأنبياء قبائح أيضًا منها:

أن عيسى من نسل سليمان بن داود، وأن جدهم فارص الذي هو نسل الزنا من يهوذا بن يعقوب. (متى ١:١-١٦).

<sup>•</sup> أن يسوع أهان أمه أمام جمع من الناس. (يوحنا ٢: ٤).

أن يسوع شهد بأن جميع أنبياء بني إسرائيل هم سراق ولصوص. (يوحنا ١٠: ٨)، هذا فيض من غيض مما تطفح به تلك الأناجيل المحرَّفة من وصف الأنبياء والمرسلين بها هم بريئون منه.

٢. شِرْذِمة: طائفة قليلة.

٣. العَلْمانيُّون: الذين يُنسبون إلى العلمانية، وهي مذهب يخرج الاعتبارات الدينية من العلاقات المدنية والتعليم العام.

٤. الإلحاديُّون: جمع إلحادي، وهو مَنْ يُنكِر الألوهية، ويرفض أدلتها.

٥. الرِّبْقَة: العَقْد.

الإلهي: ﴿ وَأَللَّهُ يَخْنَصُ بِرَحْمَتِهِ، مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو اَلْفَضْلِ اَلْعَظِيمِ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مَن يَشَاءُ هم صفوة البشر وخِيرة الخلق.

- وظيفة الرسل هي البلاغ والإنذار، ودعوة الخلق إلى الإيان بوحدانية الله وعبادته وحده: ﴿ وَمَاۤ أَرْسَلْنَا مِن قَبُولِ إِلَّا نُوجِيۤ إِلَيْهِ أَنَّهُ وَلَا نِفَاعَبُدُونِ ۞ ﴾ (الانبياء)، وذلك لئلا يبقى لأحد حجة على الله عَلى: ﴿ رُسُلا مُبَشِرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئلاً يكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجّةُ ابْعَدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۞ ﴾ (النساء)، وكان لا بد أن يكون المبلّغ للأوامر الإلهية إلى البشر واحدًا منهم، ليمكن الأخذ عنه؛ لذا اختار الله الرسل من البشر، وقد أدى الرسل الكرام هذه الوظيفة على أكمل الوجوه فلم يتأخر واحد منهم عن تبليغ دعوة الله، وإقامة الحجة وإصلاح النفوس وتزكيتها، وتقويم الفكر المنحرف والعقائد الزائفة، وسياسة الأمم وتدبير أمورها بها يتفق مع منهج الله: ﴿ رُسُلاً مُبشِرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئلًا يكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجّةُ أَبْعَدَ الرُّسُلُ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۞ ﴾ (النساء).
- لقد اختار الله الرسل ليكونوا سفراء بينه وبين عباده؛ ولذا اقتضت حكمته العلية أن يجعلهم أكمل البشر خلقًا وأفضلَهم عليًا وأشرفَهم نسبًا وأعظمَهم أمانة، وأن يحفظهم بعنايته، ويَكُلاهم برعايته، ويربيهم على عينه، فهم قدوة للناس، وفيهم الأسوة الحسنة، فلا بد أن يمتازوا بالصدق والأمانة، والفطانة والسلامة من العيوب المنفرة في تبليغ الرسالة.
- إذا تتبعنا القرآن الكريم في حديثه عن النبوة والأنبياء نجد فيه الذكر العاطر، والثناء المجيد لهؤلاء الصفوة المختارة لحمل مشعل الهداية والإصلاح، وقيادة ركب الإنسانية إلى طريق السعادة وشاطئ الأمن والسلام، فتطالعنا صور ونهاذج لم يخلق الله أجمل منها في الكون على خلاف صورتهم القبيحة ونهاذجهم السيئة التي ترسمها لهم الكتب المحرَّفة ونرى أسلوب القرآن الكريم في الحديث عنهم أسلوبًا يتدفق بالحياة، ويَفِيض (٢) بالبشر

١. الحَول والطُّول: الحول: هو القوة والقدرة. والطول: الفضل والغني والمنَّ.

٢. يَفِيض: ينتشر منه بكثرة.

ويَنُمُّ عن (١) الحب والإيثار، فيذكرهم بالثناء الجميل، ويصفهم بأسمى الصفات والمواهب العقلية والخلقية، كل ذلك ليدل على أنهم الصفوة والقدوة والمثل العليا الكاملة للبشرية.. ﴿ أُولَلَيْكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ ٱلْكِنَبَ وَٱلْحُكُمُ وَٱلنَّبُوّةَ فَإِن يَكُفُرُ عِلَيْ لَكُمُ وَالنَّبُوّةَ فَإِن يَكُفُرُ عِلَيْ لَا المَامِلَة للبشرية.. ﴿ أُولَلَيْكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ ٱلْكِنَبَ وَٱلْحُكُمُ وَٱلنَّبُوّةَ فَإِن يَكُفُرُ عِنَا مَا المَامِلَةُ للبسرية.. ﴿ أَوْلَلَيْكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ ٱلْكِنَبَ وَٱلْحُكُمُ وَٱلنَّبُوّةَ فَإِن يَكُفُرُ عِنْ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ العليا الكاملة الله الله العليا الكاملة المؤلِّدَةُ وَلَا لَيْنَاعِهُمُ الْكِنْبَ وَاللهُ وَاللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ

- الأمة الإسلامية مجمعة على عصمة الأنبياء والرسل من الشرك والمعاصي والذنوب وقبائح العيوب، كالزنا والسرقة والمخادعة وصناعة الأصنام وعبادتها والسحر ونحو ذلك، وقد برَّأ كتاب الله وسنة رسوله أنبياء الله ورسله من افتراءات المفترين، ومما نسبه إليهم المحرِّفون لكتبهم، فإن الأنبياء قد امتازوا ببعدهم عن المعاصي وعُزُوفهم (٢) عن الشهوات، واجتنابهم لكل ما يُخِلُّ بالمروءة، أو يُهدر الكرامة، أو يَحطُّ من قدر الإنسان، فإنهم صلوات الله وسلامه عليهم أكمل الناس خُلُقًا، وأزكاهم عملًا وأطهرهم نفسًا وأعطرهم سيرة؛ لذا أمر الله بالتخلق بأخلاقهم والسير على مناهجهم في جميع شئون الحياة. ﴿ أُولَيِّكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَيِهُ دَعهُ مُ ٱقتَدِه ﴿ الأنعام ) (٢).
- لقد امتازت دعوة الأنبياء بأن مصدرها الوحي الإلهي الذي يُصْطَفَون له ويُكُرَمون به، فلا يُقاسون أبدًا على الحكياء أو الزعياء أو المصلحين، وجميع أصناف القادة الذين جربتهم البشرية، وتاريخ الإصلاح والكفاح الطويل، والذين هم نتيجة بيئتهم، وغرس حكمتهم، وصدى محيطهم، ورد فعل لما كان يجيش (2) به مجتمعهم من فساد وفوضى، قال على: ﴿ قُل لَوْ شَاءَ اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمُ مَ وَلا آذَرَكُمُ بِهِ عَقَد لَمِثْتُ فِيكُمُ عُمُراً مِن قَبْلِهِ أَفَلا قال على الله عَلَيْكُمُ الله عَلَيْكُمُ الله الله المسلم الله المنافع أن يَعْقِلُون الرسول لا يستطيع أن يحدث تغييرًا أو تبديلًا أو تحويرًا (٥) في الرسالة وأحكام الله، فهو لا يخضع لعوامل نفسية أو حوادث وقتية خارجية، ولا يدير رسالته حيث دارت الأحوال والأوضاع وشاء المجتمع: ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي آنَ أَبُدِلَهُ مِن تِلْقَآيِى نَفْسِينٌ إِنّ الله والأوضاع وشاء المجتمع: ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي آنَ أُبُدِلَهُ مِن تِلْقَآيِى نَفْسِينٌ إِنّ الله والأوضاع وشاء المجتمع: ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي آنًا أُبُدِلَهُ مِن تِلْقَآيِى نَفْسِينٌ إِنّ الله والأوضاع وشاء المجتمع: ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي آنًا أُبُدِلَهُ مُن تِلْقَآيِى نَفْسِينٌ إِنّ الله عَلَيْ الله الله الله والله والمنافع وشاء المجتمع: ﴿ وَلَا مَا يَكُونُ إِن أَنْ أُبُدِلَهُ مِن تِلْقَآيِى نَفْسِينٌ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمٍ ﴿ وَاللّهُ الله عَلَيْكُ الله عَلَيْهُ الله والمُن فَلَالَ مَنْ يَكُونُ الله الله والله والمُنْ عَمَلَيْكُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا مَا يَكُونُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا مَا يَكُونُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ واللّهُ واللّهُ واللّهُ واللّهُ واللّهُ واللّهُ واللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ واللّهُ واللّهُ اللهُ اللهُ واللّهُ واللّهُ واللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ واللّهُ واللّهُ واللّهُ واللّهُ اللهُ اللهُ
- كما امتازت دعوة الأنبياء أيضًا بأنهم لا يطلبون الأجر عليها من أحد، إنها أجرهم على الله في بساطة وعدم تكلف، فهم يسيرون مع الفطرة، ويخاطبون الناس على قدر عقولهم، إذ هي دعوة واضحة الهدف والغاية، لا تعقيد فيها ولا غموض: ﴿ قُلْ مَا أَسْتَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرِوَمَا أَنَا مِنَ أَلْتُكَلِّفِينَ ﴿ آلَ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ عَل

١. ينُمُّ عن: يدل على.

٢. عُزُوفهم: انصرافهم وبعدهم.

٣. اقتَدِه: اقتدى بهم وتأسَّى بهم.

٤. يَجِيش: يمتلئ.

٥. التَّحْوِير: النقص.

٦. تِلْقاء نفسي: من عند نفسي.

أَنَا وَمَنِ أَتَبَعَنِي وَسُبْحَنَ أَللَّهِ وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿ ﴿ ﴿ وَمِكَ اللَّهُ ﴾ (يوسف).

- أفضل الرسل هو خاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ، فهو آخر الأنبياء في البعثة وأفضلهم في المنزلة والرتبة.. ومن أعظم الدلائل على ذلك أنه لم يُبعث نبي قطُّ إلا وقد أخذ الله ﷺ عليه العهد والميثاق إن أدرك محمدًا ﷺ في حياته ليؤمنن به، وليكونن من أنصاره وأتباعه، قال ﷺ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيئَقَ النِّيتِينَ لَمَا اَتَيْتُكُم مِن كُم مِن كَنْ مُوكِم مُن كَنْ مُوكِم مُن كُم اللهُ مُعكم مُن الصارة وأتباعه، قال الله الله على الله الله على ذلك كثيرة في كتب أهل الكتاب رغم تحريفها، إلا أنه فأشهدُوا وَأَنَا مُعكم مِن الشكهدِين الله الله الله الله الله الله على الله الله على الله الله على عنها المحرفون ولم ينتبهوا إليها كها قد بقيت إشارات واضحة تبشر ببعثة أفضل الأنبياء والمرسلين وخاتمهم، غفل عنها المحرفون ولم ينتبهوا إليها كها حرّفوا النصوص الصريحة باسمه ﷺ؛ حقدًا وحسدًا: ﴿ اللّهِ الّهُ اللّهُ اللهُ ال

هذه هي أهم الخلاصات التي انتهت إليها هذه الدراسة التي دارت حول الشبهات الموجهة للأنبياء والرسل، وقد حاولنا أن تتسم معالجتنا لها بالحوار الهادئ المستنير، والمقارنة الموضوعية بين النصوص الدينية التي تتحدث عن الأنبياء والرسل في الأديان السهاوية كلها، ثم تركنا الحكم للعقل المنصف، الذي قطع جازمًا بعصمة الأنبياء المرسلين من المعاصي، ونزاهتهم من القبائح، وبراءة ساحتهم من المنكرات، وأن النصوص التي طعنت في عصمتهم ليست إلهية، وأن كلماتها ليست ربانية، وأن الكتاب المشتمل عليها ليس سهاويًا خالصًا، وذلك لأن الأنبياء والمرسلين أختيروا لهداية الناس، فلا بد أن يكونوا أسوة حسنة، وقدوة صالحة للبشر حتى تثمر توجيهاتهم، ويتقبل الناس دعوتهم؛ إذ

١. مَا قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْرُه: لم يُعَظِّمُوه حَقَّ التعظيم.

\_\_\_\_\_ شبهات حول الأنبياء والرسل (١)

كيف ينادون بالإصلاح وهم مفسدون؟! وكيف يدعون غيرهم للخير وهم عنه بعيدون؟! وبهذا قد تبيَّن الرشدُ من الغي والحقُّ من الباطل: ﴿ قُلْ يَتَأَهْلَ ٱلْكِئْبِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةِ سَوَآعٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُواۤ أَلَّا نَمْدُ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ عَسَيْنَا وَبَيْنَكُواۡ أَلَّا بَعْدُ اللّهِ عَلَىٰ اللّهُ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ عَسَيْنَا وَبَيْنَكُواْ أَلَّهُ مَنْ الباطل: ﴿ قُلْ يَتَا هُولَ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ وَلَا نَسُولُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ وَلَوْ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ



## الشبهة الأولى

# ادعاء تناقض القرآن في مادة خلق آدم الطِّيِّيِّ، ومخالفته لما ورد في السنة النبوية (\*)

### مضمون الشبهة:

يدَّعي بعض المتوهمين أن القرآن مضطرب في حديثه عن مادة خلق آدم الطَّيِّكُمْ، ويستدلون على ذلك بقوله الله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمٌّ خَلَقَكُهُ، مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿ إِلَّ اللَّهِ ﴿ إِلَّا عَمْرَانَ ﴾، وقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَنَنَ مِن سُلَالَةِ مِّن طِينِ ﴿ اللَّهُ ﴾ (المؤمنون)، وقوله ﷺ: ﴿ فَأَسْتَفْنِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خُلْقًا أَمْ مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِيبٍ ﴿ السَّا ﴾ (الصافات)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن صَلْصَالِ مِّنْ حَمَالٍ مَّسْنُونِ الحجر). وقوله رَجُلُ: ﴿ وَأَللَّهُ خَلَقَكُمُ دَآبَةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجَلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبِعُ يَغْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كَلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى (النور). ففي الموضع الأول يذكر أن مادة خلق آدم هي التراب، وفي الثاني أن مادة الخلق هي الطين، وفي الثالث أن مادة الخلق هي الطين اللازِب(١١)، وفي الرابع أن مادة الخلق هي الحَمَا (٢) المَسْنون (٣)، وفي الخامس أن مادة الخلق هي الماء، في حين أن السنة ذكرت أن الله خلق آدم على صورته.

وهم بذلك يشككون في اتساق آيات القرآن الكريم من جهة، ويزعمون مخالفتها للسنة النبوية من جهة أخرى.

### وجها إبطال الشبهة:

1) الفهم السليم لمراحل خلق آدم من: التراب اليابس والطين، والطين المتهاسك، والحمأ والصلصال، وطبيعة كل مرحلة \_يزيل هذا الادعاء الباطل بوقوع الاضطراب في القرآن.

7) سبب ورود حديث خلق آدم وتأويلات العلماء والمفسرين له يثبتان عدم التشبيه بين آدم الملكة والله كلك والله كلك علوًّا كبيرًا - والحديث خبر آحاد من المتشابه الذي يرد إلى المحكم قطعي الثبوت، وهو القرآن الكريم، وعليه فلا تعارض بين القرآن والسنة.

### التفصيل:

## أولا. الفهم الصحيح لمراحل خلق آدم يزيس هدا الادعاء:

إن حديث القرآن الكريم عن خلق آدم موزع في سور القرآن الكريم: (آل عمران، والنور، والحجر، والحصافات، وغيرها)، وهذا لا يعني تعارضًا أو اضطرابًا، فالآيات على تعددها تذكر مراحل تكون آدم، وعناصر تكوينه، فحين يذكر القرآن الكريم أن الله عنصر خلق آدم الحين من تراب فهذا حق؛ لأن التراب عنصر تكوينه الأول، قال الله من تراب فهذا حق؛ لأن التراب عنصر تكوينه الأول، قال الله من تراب فهذا حق؛ لأن التراب عند الله تكوينه الأول، قال الله من تراب فهذا حق؛ لأن التراب عنصر تكوينه الأول، قال الله من تراب فهذا حق؛ لأن التراب عند الله تكوينه الأول، قال الله من إب ثُمَّ قَالَ لَلهُ بُنُ فَيكُونُ (الله عند)، وعندما يذكر أن آدم خُلق من طين فهو حق

١. اللازب: اللاصق.

٢. الحَمَأ: الطين الأسود المنتن.

٣. المُسْنون: المتغير.

أيضًا، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَنَ مِن سُلَالَةٍ مِن طِينِ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَنَ مِن سُلَالَةٍ مِن مَا النص وسابقه؛ فإن الماء إذا صُبَّ على التراب صار طينًا، وقال الله على أيضا: ﴿ وَاللّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَتَةٍ مِن مَّاتٍ فَينَهُم مَن يَعْيى عَلَى أَيْسَى عَلَى أَيْسَى عَلَى أَرْبَعِ مِنْ مَا يَعْيى عَلَى أَرْبَعِ مَن يَعْيى عَلَى أَرْبَعِ مَن يَعْيى عَلَى أَرْبَعِ مَن يَعْيى عَلَى رَجَلَيْنِ وَمِنهُم مَن يَعْيى عَلَى أَرْبَعِ مَن يَعْيى عَلَى أَرْبَعِ مَن يَعْيى عَلَى أَرْبَعِ مَن يَعْيى عَلَى رَجَلَيْنِ وَمِنهُم مَن يَعْيى عَلَى أَرْبَعِ مَن يَعْيى عَلَى رَجَلَيْنِ وَمِنهُم مَن يَعْيى عَلَى رَجَلَيْنِ وَمِنهُم مَن يَعْيى عَلَى أَرْبَعِ مَا يَعْمَى عَلَى أَرْبَعِ مَن يَعْيى عَلَى وَعَلَيْهُم أَهُمُ أَشَدُ خَلَقًاأُم مَن عَلَى وَعَلَيْهُم أَهُمُ أَشَدُ خَلَقًاأُم مَن عَلَى اللهُ عَلَى الله عَلَى الله على الله على الله على الله على المقلى إلى الطين إذا مكث فترة صار يابسا، فكان وذاك هو الحمأ، ثم كان مسنونًا.

وذلك هو الحمأ، ثم كان مسنونًا.

قال الإمام النَّسفي: "وفي الأول كان ترابًا، فَعُجِنَ بالماء فصار طينًا، فمكث فصار حماً، فصار سلالة، فصُورً، ويَبُسَ فصار صلصالًا"؛ ومن ثم فلا تناقض بين هذه المراحل.

ثم كوَّنه تكوينًا آخر، ذكر أطواره جملة في آيات أخر، طين ثم صلصال من حماً مسنون، فقال: ﴿ وَلَقَدَّ خَلَقْنَا

ٱلإِنسَانَ مِن صَلَصَالِ مِّنْ حَمَالٍ مَسْنُونِ اللهِ الحجر)، وقال الله عَلَق: ﴿ ٱلَّذِى ٓأَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَةٌ. وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلإِنسَانِ مِنْ طِينٍ اللهِ عَلَيْ ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَانِ مِنْ طِينٍ اللهِ اللهِي

والصلصال: هو الطين اليابس، والحمأ: هو الطين الأسود، والمسنون: هو المتغير بسبب التفاعل الكيميائي، وقد شُبِّهَتْ طينةُ آدمَ في يبسها وصلصلتها بالفخار؛ لأن الفخار - كما يقول د. محمد وصفي - لا يُصنع ولا يُتكوَّنُ إلا من طين غني بالعناصر التي يتركب منها الإنسان، وينشأ منها النبات.

إذن فعدد الأطوار التي مر بها آدم الطَّيِّلا قبل نفخ الروح فيه خمسة على الجملة لا على التفصيل هي:

 طور التراب اليابس الذي لا حِراك فيه، ولا حياة.

٢. طور الطين الذي لم تتفاعل عناصره بعد.

٣. طور الطين المتهاسك الذي أشار إليه سبحانه:
 ﴿ فَأَسْتَفْنِهِمْ أَهُمْ أَشَدُ خَلْقًاأَم مَنْ خَلَقْنَا أَإِنّا خَلَقْنَهُم مِن طِينٍ
 لَازِبِ الله (الصافات).

وما لبث هذا الطين حتى اسود وتفاعلت عناصره، فكأنه حماً.

و. طور الصلصال، فقد يبس هذا الطين \_ بعد أن تفاعلت عناصره \_ يبوسة تامة، حتى صار له رنين كرنين الفخار.

وبين كل طور من هذه الأطوار أطوار لا يعلمها إلا الله. ثم سَوَّاه الله ونفخ فيه من روحه؛ أي من سره المكنون، فصار إنسانًا سويًّا مزودًا بالعقل والعلم، وبكل المؤهلات التي تجعله قادرًا بإذنه على تأدية وظيفته، التي خلقه من أجلها.

وقصة خلق آدم هي قصة خلق البشرية كلها، فهو غلوق من طين وذريته مخلوقون من طين أيضًا؛ إذ إن النطفة التي خلقوا منها هي من الطين على الحقيقة، فمن الطين كان النبات، ومن النبات كان المني، ومن المني كانت النطفة.

تلك هي مراحل خلق الإنسان الأول عبر بعض سور القرآن الكريم، توالت فيها وتتابعت وتكاملت معاني المصطلحات: التراب، الماء، الطين، الحمأ المسنون، الصلحال، دونها أية شبهة للتعارض أو التناقض، إذن فالمراحل السابقة لآدم التي بالأصالة، ولذريته بالتبعية.

# ثانيًا. سبب ورود الحديث و تأويلات العلماء لـه يثبتان عدم التشبيه والتجسيم:

إن حديث رسول الله ﷺ: "خلق الله آدم على

صورته "(۲) له سبب لم يذكره الراوي اختصارًا، ذلك أن النبي مر برجل يضرب ابنه أو عبده، في وجهه لطبًا، ويقول: قبح الله وجهك، ووجه من أشبه وجهك، فقال في: "إذا ضرب أحدكم فليتجنب الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورته "(۲). وإنها قال النبي في ذلك له؛ لأنه سمعه يقول: "قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك". بدليل أنه نهى عن ذلك بقوله: "ولا تقل قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك "(٤). وذلك سب للأنبياء، والمؤمنين، فزجره عن ذلك، وخص آدم بالذكر؛ لأنه هو الذي ابتدئت خِلْقة وجهِه على أنك قد الذي يُعتذى عليها من بعده، كأنه ينبهه على أنك قد سببت آدم، ومن وَلَدَ، مبالغة في الردع له عن مثله (٥).

وللعلماء في تأويل الحديث وجوه أخرى أشهرها وأرجحها ما تقدَّم، وفَهْمُ الحديث على أن الضمير يعود على لفظ الجلالة فَهْمٌ ضعيف إذا الضمير في "صورته" يعود إلى أقرب مذكور وهو آدم، وإن كان للعلماء مخارج

انظر: أطوار الخلق وحواس الإنسان، موسوعة ما فرطنا في الكتاب من شيء، د. أحمد شوقي إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١٤٢٣.

٢. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب بدء
 السلام (٥٨٧٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة
 نعيمها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل ... (٧٣٤٢).

٣. صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكشرين من المصحابة، مسند أبي هريرة الله (٧٣١٩)، وابن حبان في صحيحه، كتاب الحظر والإباحة (٥٠٠٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٦٢).

٤. حسن: أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة الله (٧٤١٤)، والبخاري في الأدب المفرد، كتاب الخدم والماليك، باب لا تقل قبح الله وجهه (١٧٣)، وحسنه الألباني في ظلال الجنة (٥١٩).

٥. مشكل الحديث وبيانه، ابن فورك، تحقيق: د. موسى محمد علي، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص٨٤،
 ٤٩ بتصرف يسير.

وتأويلات في ذلك بها يدفع التشبيه، والتجسيم الذي لا تقره النصوص الصريحة القاطعة في القرآن، كقوله الله المنصوص الصريحة القاطعة في القرآن، كقوله الله وَلَمْ يَكُن لَهُ, كُفُوا أَحَدُ الله الله وقوله الله الله وقوله الله الله الله وقوله الله الله وقوله الله الله وقوله الله الله والمنابق، والحديث السابق، من الآيات المحكمات قطعية الثبوت، والحديث السابق، وإن كان صحيحًا فهو خبر آحاد، وهو من المتشابه، والمتشابه يرد إلى المحكم ويفهم على ضوئه (١١).

ويعرض شيخ الإسلام ابن تيمية لهذا الحديث فيقول: "أما من يزعمون تناقض هذا الحديث مع قوله تعالى: ﴿ فَاطِرُ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضُ جَعَلَ لَكُمْ مِن الْفُسِكُمُ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضُ جَعَلَ لَكُمْ مِن الْفُسِكُمُ أَنْ فَالِم السَّمَويَةِ وَالْأَرْضُ جَعَلَ لَكُمْ مِن الْفُسِكُمُ اللهِ السَّمِيعُ الْبُصِيرُ اللهِ السَرى)، فإن يسر شَي أَنْ وَهُو السَّمِيعُ الْبَصِيرُ اللهِ السَرى)، فإن يسر الله لهم الجمع، فليجمعوا، وإن لم يتيسر؛ فليقولوا كما قال الراسخون في العلم: ﴿ ءَامَنَا بِهِ عَلَي مِن عِندِ رَبِّنَا ﴾ قال الراسخون في العلم: ﴿ ءَامَنَا بِهِ عَلَي مِن عِندِ رَبِّنَا ﴾ وعقيدتنا أن الله لا مثيل له؛ فبهذا تسلم من الزيغ والضلال.

هذا كلام الله تعالى، وهذا كلام رسوله ، والكل حق، ولا يمكن أن يكذّب بعضه بعضًا؛ لأنه كله خبر وليس حكمًا كي يُنسَخَ، فأقول: هذا نفي الماثلة وهذا إثبات الصورة؛ لأن من قال: "إن الله خلق آدم على صورته" (سول الذي قال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ عَلَى صورته " والرسول لا يمكن أن ينطق بها يُكذّب القرآن، والذي قال: "خلق آدم على صورته" هو الذي القرآن، والذي قال: "خلق آدم على صورته" هو الذي

قال: "أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر"(").

فهل يعتقد هؤلاء أن الذين يدخلون الجنة على صورة القمر من كل وجه، أم أنهم على صورة البشر، لكن في الوضاءة والحسن، والجهال، واستدارة الوجه، وما أشبه ذلك مما هو على صورة القمر، لا من كل وجه؟!

فإن قلنا بالأول؛ فمقتضاه أنهم دخلوا، وليس لهم أعين، وليس لهم أنوف وليس لهم أفواه، وإن شئنا قلنا: دخلوا وهم أحجار.

وإن قلت بالثاني؛ زال الإشكال، وتبيَّن أنه لا يلزم من كون الشيء على صورة الشيء أن يكون مماثلًا له من كل وجه.

وإن أبى هؤلاء المدّعون إلا الماثلة، فهناك جواب آخر، وهو أن الإضافة هنا من باب إضافة المخلوق إلى خالقه؛ فقوله: "على صورته"؛ مثل قوله ﷺ في آدم: ﴿ وَنَفَخَتُ فِيهِمِن رُوحِي ﴾ (ص: ٢٧)، ولا يمكن أن يكون الله ﷺ قد أعطى آدم جزءًا من روحه، بل المراد الروح التي خلقها الله ﷺ، لكن إضافتها إلى الله بخصوصها من باب التشريف؛ كما نقول: عباد الله؛ فيشمل الكافر، والمسلم، والمؤمن، والشهيد، والصديق والنبي.

لكننا لو قلنا: محمد عبد الله؛ فهذه إضافة خاصة، ليست كالعبودية السابقة. فقوله: "خلق آدم على

١. المرجع السابق، ص٥٥ بتصرف.

أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، النهى عن ضرب الوجه (٦٨٢١).

٣. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٠٧٤)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر (٧٣٢٩).

صورته"؛ يعني: صورة من الصور التي خلقها الله تعالى وصورها؛ كما قال: ﴿ وَلَقَدَّ خَلَقَنَكُمْ ثُمَّ صَوَّرَنَكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَتَهِكَةِ أَسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّا إِبْلِيسَ لَرْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّنجِدِينَ الله ١٤ (الأعراف)، والمصوَّر آدم، إذن فآدم على صورة الله؛ يعني: أن الله همو اللذي صوره عملي همذه الصورة التي تعد أحسن صورة في المخلوقات، ﴿ لَقَدُّ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ فِيَ أَحْسَنِ تَقُويهِ اللَّهِ (التين)، فإضافة الصورة إلى الله تعالى من باب التشريف، كأنه على اعتنى بهذه الصورة، ومن أجل ذلك لا تضرب الوجه؛ فتعيبه حسًّا، ولا تقبحه فتقول: قبح الله وجهـك ووجـه مـن أشبه وجهك؛ فتعيبه معنّى؛ من أجل أنه الـصورة التي صورها الله وأضافها إلى نفسه تشريفًا وتكريمًا؛ أي: لا تقبحها بعيب حسي، ولا بعيب معنوي، وهذا التأول: إضافة الصورة إلى الله تعالى إضافة تشريف له وله نظير، كما في: بيت الله، وناقة الله، وعبد الله؛ لأن هذه الصورة \_أي صورة آدم \_منفصلة بائنة من الله، وكـل شيء أضافه الله إلى نفسه وهو منفصل بائن عنه؛ فهو من المخلوقات؛ فحينئذ يزول الإشكال.

ولكن إذا قال قائل: أيها أسلم للمعنى الأول أم الشاني؟ قلنا: المعنى الأول أسلم، مادمنا نجد أن لظاهر اللفظ مستساغًا في اللغة العربية وإمكانًا في العقل؛ فالواجب حمل الكلام عليه، ونحن نجد أن الصورة لا يلزم منها مماثلة الصورة الأخرى، وحينئذ يكون الأسلم أن نحمله على ظاهره.

وإذا قالوا: ما الصورة التي تكون لله ويكون آدم عليها؟ قلنا: إن الله على له وجه، وله عين، وله يد، وله رجل الله الكن لا يلزم من أن تكون هذه الأشياء مماثلة

للإنسان؛ فهناك شيء من الشبه، لكنه ليس على سبيل الماثلة؛ كما أن الزمرة الأولى من أهل الجنة فيها شبه من القمر، لكن بدون مماثلة.

وبهذا يصدق ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة؛ من أن جميع صفات الله الله اليست مماثلة لصفات المخلوقين؛ من غير تحريف ولا تَعْطيل (١)، ومن غير تكييف (٢) ولا تمثيل (٢).

#### الخلاصة:

• الفهم الخاطئ لمراحل تكوُّن آدم، وتعدد صور خلْقِه أدَّى إلى هذا الزعم، فالمراحل التي ذكرها القرآن هي: طَوْر التراب اليابس الذي لا حِرَاك فيه ولا حياة، ثم طَوْر الطين الذي لم تتفاعل عناصره بعد، ثم طَوْر الطين اللازب، ثم طور الحمأ المسنون، ثم مرحلة التسوية، ثم نفخ الروح... هذه هي مراحل تكوُّن الخلق كها اقتضتها حكمة الله وقدرته، وإن تحدث القرآن عن تلك المراحل في سور القرآن المختلفة فلا يعني هذا تعارضًا أو اضطرابًا، إنها هي عملية مرحلية حتى وصلت إلى الصورة النهائية.

• بالرجوع إلى سبب ورود الحديث \_الذي أغفله السراوي اختصارًا \_يتضح لنا أن النبي المراد زجر الرجل؛ إذ إن سبّ الغلام وتقبيح وجهه إنها هو سب للأنبياء والصالحين، وقد خصّ النبي المراد الله الأول.

١. التَّعطيل: مذهب يُنكر صفات الله عَلاً.

٢. التّكييف: هو تعيين كُنْه الصفة؛ يقال: كيّف الشيء؛ أي:
 جعل له كيفية معلومة.

٣. شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، ابن العثيمين، دار ابن الجوزي، الرياض، ط٣، ١٠٤هـ، ج١، ص٩٠١ وما بعدها.

• الحديث خبر آحاد وَرَدَ في المتشابه، والمتشابه من خبر الآحاد يُردُ إلى قطعي الثبوت؛ أي القرآن الكريم والسنة الصحيحة، والرد إلى الآية يثبت عدم التعارض ومن ثم فلا إشكال.

# 33 EX

## الشبهة الثانية

# الزعم أن الله لم يُكَرِّمُ آدم السَّيِّ، ولم يأمر النحم أن اللائكة بالسجود له (\*)

### مضمون الشبهة:

### وجها إبطال الشبهة:

الملائكة لا تفعل شيئًا دون أمر من الله كلى،
 وسجودهم لآدم الله أمر إلهي، وهو سجود تكريم، لا سجود عبادة.

القرآن الكريم لم يذكر أن آدم الكلا كان نائهًا،
 وماذا يُجْدِي نومه من عدمه في شأن إثبات السجود

ونفيه؟! وما تذكره التوراة من ذلك؛ لتحليل الخطيئة، وارتكاب المعاصى لا دليل عليه.

### التفصيل:

ما كان للملائكة أن تفعل شيئًا لم تؤمر به، فهم بحبُّولون (١) على الطاعة، مفطورون عليها، لكن أمرهم الله بالسجود تتمة لصور التكريم التي خصَّ الله بها آدم، وهو سجود تحية وتكريم لا سجود عبادة وتعظيم، كما أننا يجب أن نعلم أن الحديث عن آدم والملائكة لا يخضع لاجتهاد عقلي، ولا لعلم تجريبي، ولا لاستقراء تاريخي، ولا طريق لمعرفته إلا النقل الصحيح من رسول موحى إليه، ولا يتحقق ذلك إلا فيها جاءنا عن رسول الله على من القرآن الكريم، المقطوع بثبوته عن رسول الله، والمنقول إلينا بالتواتر القطعي الثبوت.

والقرآن الكريم صريح في أن الله على أمر الملائكة بالسجود لآدم، وأن الملائكة استجابوا لأمر الله فسجدوا، قال على: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَيْكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَنفِينَ اللهُ فَا اللهُ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَنفِينَ اللهُ وَالله فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَنفِينَ الله فَسَجُدُوا إِلَّا الله أمرهم بالسجود، وعبادته، فقد سجدوا؛ لأن الله أمرهم بالسجود، فأطاعوا أمر الله، وهذا يتفق مع طاعة الملائكة المطلقة فأطاعوا أمر الله، وهذا يتفق مع طاعة الملائكة المطلقة فأطر ربهم؛ لأنهم: ﴿ يَخَافُونَ رَبُّهُم مِن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (النحل).

<sup>(\*)</sup> مسوجز دائسرة المعسارف الإسسلامية، فريسق بحث من المستشرقين، ترجمة نخبة من الأساتذة، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الشارقة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

١. المجبول: المطبوع.

وليس للملائكة هوى واجتهاد من قبل أنفسهم، فهذا يتناقض مع طبيعة جِبِلَّتهم وعبوديَّتهم لخالقهم، فهم ينتظرون أمر الله، فحق فيهم قول الله ﷺ: ﴿ يَئَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَيْكُمْ فَلِنَاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَيْكُمْ فَيَفَعَلُونَ عَلَيْهَا مَلَيْهِكُمْ فَيَفَعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ وَنَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفَعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ وَنَ الله مَا أَمَرَهُمْ وَيَفَعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ وَنَ اللهِ اللهِ النحريم).

والسجود في اللغة: التذلل والخضوع، ويطلق أيضًا على الانحناء من أجل التحية والتكريم كما في قوله على حكاية عن إخوة يوسف المستخد: ﴿ وَرَفَعَ أَبُولَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُواْللهُ مُسُجَّدًا ﴾ (يوسف: ١٠٠).

وسجود الملائكة لآدم السيخ ليس من باب السجود لغير الله، ولا عبادة آدم من دون الله، إنه سجود لله في الحقيقة؛ لأن الله هو الذي أمرهم أن يسجدوا لآدم، أي هو الذي كلفهم بذلك، ولو كان عبادة لغيره لما أمرهم به الله لا يأذن لأي مخلوق أن يعبد غيره، وعندما سجد الملائكة لآدم كانوا عابدين لله (۱).

ولكي نفهم معنى العبادة نقول: "إن العبادة هي

بيد أننا نوضح الأمر لمن التُيِس عليه قائلين: إن سجود الملائكة لآدم كان أمرًا إلهيًّا، وفي هذا إظهار لعلو شأنه التَّكِلُّ، كها أن فيه تكريهًا لهذا النوع البشري؛ حيث أسجد الملائكة لأبيهم آدم التَّكِلُّ، وقد خص الله آدم بأربع مزايا، هي آية الفضل وعنوان الشرف الرفيع وهي: خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسجود له، وعلمه أسهاء كل الأشياء (٣).

والسجود الذي فعلته الملائكة هو الانحناء على هيئة مخصوصة حسب طبيعة خِلقتهم، وقد أُمِرُوا به تعظيهًا له وتحية، وفي تعظيمه تشريف لذريته \_ أيضًا \_ وفيه تنبيه لأولي الألباب على وجوب شكرهم لله على هذه المنة (٤).

تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، أخبار اليـوم، القـاهرة،
 ط١، ١٩٩٩م، ج١، ص٢٥٤.

٣. النبوة والأنبياء، محمد على الصابوني، دار الصابوني، مكة، ١٢٩٠هـ ص١٢٩.

قصص القرآن، د. محمد بكر إساعيل، دار المنار، القاهرة، ط١، العلم العربة المار، القاهرة، ط١،

القرآن ونقض مطاعن الرهبان، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي،
 دار القلم، دمشق، ط۱، ۲۰۰۷م، ص۳۰۸.

ويدل هذا على أن السجود كان أمرًا إلهيًّا، ولم تفعله الملائكة من تلقاء ذاتها أو على هواها ".

# ثانيًا. لم يذكر القرآن الكريم. وهو الحق المبين. أن آدم السيخ كان نائمًا، ثم ماذا يُجْدِي نومه من عدمه ؟ إ

هذا، وقد أغفلت التوراة أمورًا حدثت بالفعل، منها: توبة آدم واستغفاره لتحليل الخطيئة، وارتكاب المعاصي. فأيها نصدق: القرآن الكريم أم التُرَّهَاتِ التوراتية؟!

فمن أخبرهم أن آدم الكل حينها أراد الملائكة أن يسجدوا له كان نائها؟ وأي فائدة في نومه أو عدم نومه؟ أكان يمنعهم نومه من أن يسجدوا له؟! ثم إنه لا عبرة بها جاء في التوراة أو غيرها من الكتب السابقة إذا خالف القرآن الكريم، أو لم يُذكر فيه، فليست هذه الكتب هي التي أنزلها الله تعالى على رسله ولا ولكنها أوهام سطّرتها أيدي البشر، وهذا بشهادة أهل هذه الكتب، واقرأ إن شئت نقد اسبينوزا للكتاب المقدس.

وكيف نؤمن بكتب لعبت بها الأيدي تبديلًا وتحريفًا فهؤلاء لم يسلم من عبثهم وافتراءاتهم (۱) أيٌّ من أنبياء الله تعالى؛ فهذا آدم عبي قد ذكر العهد القديم أنه بسبب مخالفته أمْرَ ربِّه له بالامتناع عن الأكل من الشجرة لعنت الأرض "ملعونة الأرض بسببك". (التكوين ٣: لعنت الله الأرض بسبب مخالفة آدم التي لم تقع منه وهو في الأرض، وإنها كان في الجنة، وما ذنب

الأرض في أن تصيبها لعنة بسبب معصية وقعت في غير عالمها؟!

لقد كان نزول آدم إلى الأرض وخروجه من الجنة جزاء معصيته، بِقَدَرٍ كَوْنِي سابق، فإنه عَلَىٰ ما خلق آدم ليسكن الجنة، بل خلقه ليَعْمُرَ (٢) الأرض هو وذريته؛ قال مَنْ الجنة، بل خلقه ليَعْمُرَ (١) الأرض هو وذريته؛ قال مَنْ الجنة في وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَتَ كُمْ إِنِي جَاعِلُ فِي الْمَرْضِ خَلِيفَةً ﴿ (البقرة: ٣٠) والجزاء إنها يستحقه من تقع منه المعصية دون غيره من البشر: ﴿ وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ الْمَرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةً إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَو كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنّهَا لُنذِرُ اللّهِ مَلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَو كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنّهَا لُنذِرُ اللّهِ عَلَيْهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَق كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنْهَا لُنذِرُ اللّهِ عَلَيْهَا لَا يَحْمَلُ لِنَهُ شَيْءٌ وَلِلَ اللّهِ وَأَلَى اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ (ناطر) (٣).

ثم إذا كانت اللعنة قد أصابت الأرض بسبب مخالفة آدم، ألا تستحق أن ترفع عنها اللعنة من أجل طاعات البشر، ممن عاشوا فيها من الأنبياء والصديقين والصالحين، والعلاء العاملين، وكل من أطاع الله فوقها؟!

وكيف تُلعن الأرض بسبب معصية آدم وقد اختاره الله وذريته لـسكناها وعمِارَتها دون الملائكة، وهمم يسبحون بحمده ويقدسونه ﷺ!

والتوراة التي بأيديهم لم تذكر شيئًا عن توبة آدم التَّيْلاً، واستغفاره ربَّهُ من مخالفته ومغفرة الله له، في حين أن ذلك مُوضَّحٌ في القرآن الكريم، وهو ما تقبله العقول السليمة إذ كيف تقع المخالفة من نبي ولا يندم

<sup>®</sup> في "حقيقة سجود الملائكة لآدم" طالع أيضًا: الوجه الرابع، من الشبهة الخامسة، من الجزء السابع (الإيان والتدين). وفي "دعوى أن خيرية إبليس تمنعه من السجود لآدم" طالع: الشبهة الرابعة والثلاثين، من الجزء الأول (الشبهات التي تولى القرآن الرد إليها).
١. الافتراء: الكذب والاختلاف.

٢. يَعْمُر: يعيش فيها ويسكنها.

٣. ولا تَزِر وازِرة وِزْر أخرى: لا يُؤاخذ أحد بذنب غيره.
 المُثْقَلة: النَّفْس التي أثقلتها الآثام.

عليها ولا يتوب منها؟!

ثم إنه في إغفال التوراة توبة آدم تشجيع لذريته من بعده على التهادي في عصيانهم، وعدم الرجوع بالتوبة إلى ربهم، وهل بهذا تصلح الحياة؟ كلا(١)!

نخلص مما سبق إلى أن التوراة أغفلت ما يُفيد ذكرُه وذكرت ما لا يُفيد، وهذا يدلنا على أنها من صنع البشر، فلا ينبغي أن نصدق كل ما جاء بها خاصة إذا خالف القرآن الكريم؛ لأن القرآن هو الحق من الله المصدق لما سبقه من كتب قبل تحريفها وتبديلها من قِبَلِ البشر.

### الخلاصة:

- ما كان للملائكة أن تفعل شيئًا لم تؤمر به، فهم عبولون على الطاعة: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَذِينَ مَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُو وَأَهْلِيكُو نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَتَهِكَةً غِلَاظُ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَا أَمَرهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (١) ﴾ شدادٌ لا يَعْصُونَ ٱللَّه مَا أَمَرهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (١) ﴾ (التحريم) (٢).
- لقد أمر الله الملائكة بالسجود تتويجًا لصور التكريم التي خصَّ الله بها آدم السلال فقد جعله خليفته في الأرض، ونفخ فيه من روحه، وأمر ملائكته بالسجود له إجلالًا وتعظيمًا لشأنه، ولنسله من بعده، كما علمه الأسماء كلها. والحديث عن آدم والملائكة لا يخضع لاجتهاد عقلي، ولا استقراء تاريخي، بل السبيل إلى معرفته هو النقل الصحيح من رسول موحى إليه.

• لم يذكر القرآن الكريم - وهو الحق المبين - أن آدم كان نائيًا، ثم ماذا يجدي نومه من عدمه؟! هذا وقد أغفلت التوراة أمورًا حدثت بالفعل منها: توبة آدم واستغفاره لتحليل الخطيئة وارتكاب المعاصي من قبل نسله، كها ذكرت خطأً أن الله لعن الأرض بمخالفة آدم، وهذا ظلم، ومحالٌ على الله تعالى الظلم؛ لقوله في الحديث القدسي: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا" (٣).

فأيها نصدق؛ القرآن الكريم المصون عن التحريف أم الترهات التوراتية المحرفة؟! والتي أقرَّ بتحريفها أهلها ودارسوها من أمثال اسبينوزا وغيره.

# adbe

# الشبهة الثالثة

# ادِّعاءُ طَرْدِ آدم الطِّكِّةُ من الجنة لوقوعه في الخطيئة بأكله من الشجرة (\* <sup>®</sup>

### مضمون الشبهة:

يدعي بعض المتوهمين أن آدم النفي وقع في الخطيئة بأكله من الشجرة، ويستدلون على ذلك بقول متعالى: ﴿ وَعَصَىٰ ءَادَمُ رَبَّهُ وَفَعَوْى اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ

عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، د. محمد أبو النور الحديدي، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص٧١: ١٩٩١.

٢. قُوا أنفسكم: احفظوها.

أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (٦٧٣٧).

<sup>(\*)</sup> إظهار الحق، قساوسة وعلماء مستشرقون أشهروا إسلامهم، محمد عبد الحليم عبد الفتاح، القاهرة، ٢٠٠٥م.

இ في "انتفاء وقوع الشرك من آدم وحواء" طالع: الشبهة السادسة، من هذا الجزء.

٤. غَوَى: ضلّ سبيل الرشاد.

يتوافق هذا مع عصمة الأنبياء؟

## وجها إبطال الشبهة:

استخلاف الله لآدم ونزوله إلى الأرض ظاهره العصيان، بيد أن حقيقته وقوع مراد الله على ظهر الأرض، وهذا لا يتنافى مع العصمة.

٢) ما فعله آدم بأكله من الشجرة، يعدُّ خطأً وليس خطيئة، وهو نسيان وغفلة أو فهم النهي على سبيل الإرشاد لا التحريم، وهذا لا يتنافى مع العصمة.

### التفصيل:

# أولا. الاستخلاف وانتقال آدم إلى الأرض حقيقته أن يقع مراد الله وليس بسبب عصيان آدم:

الأنبياء عليهم السلام عدم أشرف الخلق وأزكاهم، وأتقاهم لله وأخشاهم له، ومقامهم مقام الاصطفاء والاجتباء، وواجبُ الخَلْقِ نحوهم التأسي والاقتداء بهم، فالواجب أن يُحفظ لهم هذا المقام، وأن يُنزَّهُوا عن (1) مدِّ الألسن إليهم بالنقد والاتهام. غير أن نفوسًا قد غلبها الفسق، مَدَّت ألسنتها إلى الأنبياء بالعيب والتُهم، فلم تدع نبيًّا دون أن ترميه بدعوى العيب والإثم تريد بذلك انتقاصهم، والحط من أقدارهم، بل والطعن في القرآن الكريم الذي ذكر أحوالهم، فكأن الذب عن أنبياء الله على متعينًا؛ صونًا لدين الله، وحفظًا لحق أنبيائه، عليهم السلام.

والعصيان هو مخالفة الأوامر سواء أكانت صغيرة أم كبيرة، والاستشهاد بقوله عَلَّ: ﴿ وَمَن يَعْضِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ, فَإِنَّ لَهُ مُنَارَجَهَنَّمَ خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿ آَلَ اللَّهُ اللهِ المستشهاد

وهنا يُثار سؤالٌ مفاده: كيف يكون آدم نبيًّا معصومًا وقد خالف أمر ربه؟ وقال الله تعالى فيه: ﴿ فَأَكُلَا مِنْ وَرَقِ مِنْ الله عَالَى فيه: ﴿ فَأَكُلَا مِنْ وَرَقِ مِنْ الله عَلَيْ مَا وَطَفِقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ اللهُ عَلَيْ وَلَى اللهُ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ اللهُ عَلَيْ وَلَى اللهُ هناك الله عَلَيْ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ لَهُ عَرْمًا فَوَلَا الله سبحانه حيث يقول: ﴿ وَلِقَدْ عَهِدْنَا إِلَى عَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِي وَلَمْ نَجِدُ لَهُ عَرْمًا فَنَسِي وَلَمْ نَجِدُ لَهُ عَرْمًا الله وَلَا الله عَلَيْ اللهُ عَلَيْ لَهُ عَرْمًا اللهُ وَلَمْ اللهُ عَلَيْ لَهُ عَرْمًا اللهُ وَلَمْ اللهُ وَلَمْ اللهُ عَلَيْ لَهُ عَرْمًا اللهُ وَلَمْ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلْمَا اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ لَكُونِ اللهُ اللهُ عَلَيْ لَكُونَا اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ لَكُونَا اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ لَهُ اللهُ اللهُو

ولعل آدم الطَّيِّ ظن صدق إبليس في قسمه فما جرب من قبل كندبًا ولا خداعًا، أو ظن أنَّ النهي هو عن

١. يُنزُّهُوا عن: يبعدوا عن.

٢. لَم يَلْبِسُوا: لم يخلطوا.

٣. شقَّ: صَعُبَ.

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله ﷺ: ﴿ وَلَقَدْ ءَالْيَنَا لُقَدَنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ اَشَكُرٌ لِللهِ ﴾ (لقيان: ١٢)
 (٣٢٤٦)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيان، باب صدق الإيان وإخلاصه (٣٤٢).

ه. طَفِقًا يَخْصِفَانِ: جَعَلا يلصقان الورق على جسديها ليسترا عوراتها.

٦. العَزْم: التصميم.

خصوص هذه الشجرة، لا عن جنسها ونوعها، ومع ذلك فإن هذا الامتحان كان قبل أن يهبط إلى الأرض، وقبل أن يصير رسولًا مسئولًا عن رسالته، ولله في هذه التجربة حكمة يجب أن نمسك ألسنتنا عن الخوض فيها كما جاء في الحديث المتفق عليه عن محاجة موسى لآدم عليهما السلام بقوله: أنت أخرجتنا من الجنة، فكانت لآدم الكليلة الحجة والغلبة عليه (۱)، فذلك قضاء الله وترتيبه، ولولاه ما كانت هذه الحياة (۲).

## الهدف من خلق آدم النَّهِ الاستخلاف في الأرض:

من توهم أن آدم النه نزل إلى الأرض بسبب وقوعه في المعصية فقد أبطل مرادات الله من خلق آدم، فلم يقل الله إنه خلق آدم ليعيش في الجنة، بل خلقه ليعيش في الأرض، وذلك مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إِنّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة: ٣٠)، ولكن أدخله الجنة أولًا وأمره بأوامر وحذّره من الشيطان لتكون فترة تدريب عملي عما سيحدث في الأرض إذا أطاع واتّبع هذا المنهج، وما سيحدث له إذا عصاه... هذه هي الحكمة من دخوله الجنة أولًا.

ويوضح د. أبو النور الحديدي ذلك الأمر قائلًا: "أمر الله تبارك وتعالى ملائكته أن يسجدوا لآدم الليك، وذكر سبحانه أنه اختص آدم الليك بعلم الأسماء دون

فلا بد أن آدم التي قد شابه الملائكة في التخلق بخُلُقِهِم من فِعْلِ المأمورات، وتَرْكِ المحظورات، شم امتاز عليهم بعلم الأسماء دونهم؛ فلهذا كله استحق شرف إسجادهم له. وأما مخالفته التي النهي الموجه إليه من ربه بألا يأكل من الشجرة التي عينها له، فهي مخالفة من آدم تحقيقًا لقضاء الله الكوني؛ لأن الحق التي أخبر ملائكته أنه سيجعل في الأرض خليفة -آدم وذريته ملائكته أنه سيجعل في الأرض خليفة -آدم وذريته ويكون منهم من يفصل فيما بين بعضهم من المظالم، ويكون منهم من يفصل فيما بين بعضهم من المظالم، ويرد كون منهم من يفصل فيما بين بعضهم من المظالم، ويرد كون منهم من سيفسد في الأرض، ويسفك الدماء.

ولهذا سألت الملائكة ربهم تعالى سؤال استعلام فهم يعبدون الله تعالى ويسبحون بحمده، فأجابهم الحكيم الخبير على بأنه يعلم من المصلحة في استخلاف البشر ما لا يعلم الملائكة: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُكَ لِلْمَلَتَهِكَةِ إِنِي جَاعِلُ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا عَلَيْ فَالْوَا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِمَاءَ وَنَحَنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكُ قَالَ وَيَا أَعْلَمُ مَا لَا نَعْلَمُونَ اللهُ (البقرة) (البقرة)

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عندالله (٦٢٤٠)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليها السلام ـ (٦٩١٢).

المصطفون الأخيار، عطية صقر، دار مايو، القاهرة، ١٩٩٧م،
 ص٤٦، ٤٧.

٣. يَرْدَع: يزجر ويمنع.

٤. يَسْفِك الدِّماء: يقتل.

ومن ذلك: أن الإفساد في الأرض، وسفك الدماء لن يقع من جميع ذرية آدم العليلا، وإنها من بعضهم، وسيكون من خرية آدم أنبياء ورسل يهدون الناس إلى التي هي أقوم، كها سيكون منهم الصديقون، والمشهداء، والصالحون، والعلهاء العاملون، كها أن بعضًا ممن يخطئ ويفسد لا يلبث أن يعود إلى رشده فيتوب ويصلح أمره، فإذا كان من ذرية آدم العصاة، والطائعون، والخطّاءون والتوَّابون، فهم ليسوا شرًّا والطائعون، والخطّاءون والتوَّابون، فهم خير وشر، واستقامة واعوجاج، يقول البيضاوي في تفسيره: إن الحكمة تقتضي إيجاد ما يغلب خيره، فإنَّ تركك الخير الكثير لأجل الشر القليل شر كثير.

كذلك من الحكمة في استخلاف آدم وذريته في الأرض كشف دفائنها (١)، وإخراج ما اختزن بين طبقاتها، واحتوته بطون جبالها، وضمّته أعماق بحارها من خيرات لا تحصى، ونِعَمُ لا يبلغ العد منتهاها، وكنوز لا يأتيها الحصر، وثروات تفي بحاجات البشرية من مبدئها إلى منتهاها.

والبشر هم الذين تدفعهم الحاجة إلى الطعام والسشراب، وتسوقهم الصفرورة إلى اتخاذ المسكن والكساء، ويحثهم حب الراحة وكراهية الألم إلى السعي الدّائب (٢) في ربوع الأرض، وبهذا تعمر الأرض، وتزدهر فوقها الحياة، أما الملائكة فهم مستغنون عن كل ذلك، غير محتاجين إلى طعام أو مسكن أو كساء، ولذا فلن يجهدوا في الأرض طلبًا لخيراتها، وانتفاعًا بثرواتها فلن يجهدوا في الأرض طلبًا لخيراتها، وانتفاعًا بثرواتها

فلو استُخْلِفُوا فيها لبقيت كما هي يـوم خلقها الله، لا يُسْتَعْمَرُ فيها قفر، ولا يُكْشَفُ لها سر، ولا يُسْتَزْرَعُ فيها زرع.

وحكمة الحكيم الخبير تقتضي أن تُظْهَر آلاؤه، وتُكْشَفُ نعمُه، وتُرى آثارُ قدرته وعظمته، وإنها يكون ذلك بعهارة الأرض وازدهارها على أيدي المحتاجين إلى هذا وهم آدم وذريته، فإذا أُسْكِنَ آدم وزوجه الجنة فإنها هي سكن ظاعن (٣)، وإقامة راحل، حددت له غاية لا بد أن يبلغها، ومهمة لا مفر من القيام بها، وهي عهارة الأرض، وبعث الحياة في رُبُوعها (٤)؛ بعد ابتلاء محتُّوم (٥)، وامتحان مقدور، فإن سنة الله في خلقه أن ترتبط المسببات بأسبابها، وأن تؤدي إلى الغايات وسائلها؛ فليكن لانتقال آدم إلى الأرض وهو لابد منتقل إليها بسبب يستدعيه، وداع يقتضيه، ظاهره المخالفة لله، والعصيان لأمره، وحقيقته أن يقع مراد الله، ويتم مقدوره.

ولله في خلقه أسرار، فالقرآن كون مسطور ينبئ عن الكون المستور، ولكن بالقدر الذي نحتاجه في شئون ديننا ودنيانا، أما الأسرار التي لاحاجة لنا بها فقد طَواها (٦) الله عنا فلا نكلف أنفسنا مُؤْنَة (٧) البحث عنها.

ولذلك يقول بعض الصالحين ممن ذاقوا حلاوة الإيهان: "رُبَّ معصية أورثت ذلًا وانكسارًا، خيرٌ من طاعة أورثت عزَّا واستكبارًا "كأنهم عرفوا أن الخالق

١. الدَّفائن: ما هو موجود في باطن الأرض.

٢. الدَّائب: المستمر.

٣. الظَّاعن: الراحل.

٤. الرُّبوع: الأنحاء، جمع رَبْع.

٥. المحتوم: الواجب واللازم.

٦. طُوَى: أخفى.

٧. المُؤْنَة: الجُهد.

أوجد الذلة للنفس البشرية حتى يعتدل ميزانها، ولا تدخل في باب التيه بالعبادة.

ومن هنا كانت الحكمة من المعصية فهو أمرٌ قَدَرِي أراده العلي القدير من خلق آدم الني لذا لا يتوجه إلى آدم الني اللوم، فعن أبي هريرة شقال: قال رسول الله ني: "احتج آدم وموسى، فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، شم تلومني على أمر قُدِّر علي قبل أن أُخْلَق. فقال رسول الله نخج آدمُ موسى مرتين"(١)(٢).

# ثَانيًا. ما فعله آدم يعدُّ خطأً وليس خطيئة، وللعلماء في تأويل هذا الخطأ وجوه:

لم يكن الذي صدر عن آدم النفي وهو الأكل من الشجرة خطيئة كما يصور النصارى؛ فإن الخطيئة ارتكاب محظور عن إصرار وعلم بأنه محظور. وبالتالي يستلزم التكرار والفساد في الأرض مثل: القتل وسفك الدماء.... إلخ. وهذا ما لم يحدث من آدم النفية، أمّا ما وقع منه فهو عن غير تعمد وإصرار، وللعلماء في ذلك تأويلات.

## تأويلات العلماء لهذا الخطأ:

الأول: أن يكون ذلك منه على سبيل النسيان، وإنها سمي ما أتاه ناسيًا معصية وغواية؛ لأن النبي الله ليس

كأحد من الناس. فإذا نسي عُدَّ ذلك معصية في حقه، وإن كان ما صدر منه غير معصية إن صدر من غيره.

الثاني: أنه تأوَّل فيها فعل؛ إذ فُهِمَ أن الأمر والنهي ليسا جازمين بحيث يترتب على المخالفة الغضب والمجازاة، بل فَهْمُه على أنه إرشاد فقط، ونهي إرشاد، وما كان من هذا القبيل لم تَحْرُمْ مخالفته، كها حمل الفقهاء الأمرَ بكتابة الدَّيْن على أنه أمر إرشاد ولا إثم بتركه.

الثالث: أن ما حصل من الذنوب الصغيرة، وهذا لا يتأتى إلا على رَأْي من يقول: إن الأنبياء غير معصومين من الصغائر.

الرابع: أن ذلك كان قبل النبوة المستلزمة للعصمة من المعصية... ودليل ذلك قول على: ﴿ ثُمَّ آجْنَبُهُ رَبُّهُ وَ مَن المعصية... ودليل ذلك قول على الاجتباء: هو اصطفاء الله له بالرسالة، فتكون المعصية قد وقعت من آدم الليلا قبل النبوة (٢٠).

الخامس: أن آدم تأوَّل في أكله من السُجرة؛ لأن الله أراه الشجرة التي نهاه عن الأكل منها، فتأوَّل أنَّهُ نهاه عن عينها، ولم ينهه عن جنسها، فأكل من شجرة أخرى من جنسها أ.

السادس: أن الذي حدث من آدم مرة واحدة؛ فلا يجوز نعته بأنه عاصٍ أوغاوٍ؛ فإنها تطلقان على من تكررت منه المعصية والغواية.

ولا يطلق عليه عاصٍ أو غاوٍ إذا كانت المعصية قبل النبوة؛ لتشريف الله له بالنبوة والرسالة، كما لا يطلق

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب وفاة موسى الله وذكره بعد (٣٢٢٨)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليها السلام (٦٩١٥)، واللفظ للبخاري.

عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص١٤٣: ١٤٥.

٣. النبوة والأنبياء، محمد علي الصابوني، مرجع سابق، ص٦٢.

٤. قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، مكتبة التراث، القاهرة،
 ط١، ١٩٨٥م، ص ١٩، ٢٠ بتصرف.

على من أسلم بعد كفره كافر، ولا يطلق عليه ذلك إن كانت بعد النبوة؛ لأن الله قَبِل توبته.

إن كلمة عاص أوغاو تطلقان على من كثرت فيه المعصية، والغواية، وهما تطلقان بهذه الصيغة على آدم، وأطلقت عصى، وغوى، والمراد فيها حكاه القرآن عنه؛ أي: في الواقعة المذكورة فقط(11).

ومما يؤكد ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَمَا ذَافَا ﴾ (الأعراف: ٢٢)، لم يقل: "فلها أكلا من الشجرة"؛ لأن الأكل يقتضي إعادة المعصية مرات ومرات، أما مجرد التذوق فيتبين منه أنها حدثت مرة واحدة فقط، أي أن المعصية لم تتكرر (٢).

### الخلاصة:

• الاستخلاف، وانتقال آدم إلى الأرض حقيقته أن. يقع مراد الله، وتُعمَّر الأرض التي من أجلها خَلَقَ الله الخلق فتلك إرادته سبحانه قبل بدء الخليقة.. ومعصية آدم لا تتنافى مع العصمة، فلا أكثر من تبرئة الله تعالى له؛ إذ قال جل شأنه: ﴿ فَنَسِى وَلَمْ غِدَ لَهُ عَرْمًا ﴿ الله سمى فلا معصية ولا مؤاخذة مع النسيان، غير أن الله سمى فلا معصية؛ لأنها على صورتها، وآخذه بها؛ لأن مقام النبوة غير مقام عامة الناس، وللحبيب مع حبيبه منزلة لا تكون لغيره. على أن آدم وقع في هذه المعصية قبل اختصاصه بالرسالة، وقد صدَّق إبليس حين أقسم له وظنه من الناصحين، فها جرب من قبل كذبًا أو خداعًا،

ولله في ذلك حكمة يجب أن نمسك ألسنتنا عن الخوض فيها. فلله في خلقه شئون وعقولنا قاصرة عن إدراك مقتضى حكمته على الله المنافقة المنا

- كما أن الخطأ يختلف عن الخطيئة التي قال بها النصارى من ضمن عقائدهم الفاسدة؛ فالخطيئة: ارتكاب محظور، وبالتالي يستلزم التكرار والفساد في الأرض مثل القتل، وسفك الدماء. أما الخطأ: فهو ناتج عن الغفلة والنسيان، وهو ما حدث مع سيدنا آدم النيالي.
- للعلماء تأويلات في هذا الخطأ الذي وقع فيه آدم التي بأكله من الشجرة. فبعضهم قال: إن هذا الخطأ ناتج عن النسيان ونسيانه في حد ذاته معصية؛ لأن مقام الأنبياء يختلف عن غيرهم، وبعضهم قال: إن آدم ظن أن أمر الله ونهيه أمر إرشاد فقط، ونهي إرشاد فقط. وهذا لا يحرم مخالفته.. وآخرون قالوا: إن ما حصل يعد من صغائر الذنوب، وأن ذلك كان قبل النبوة المستلزمة للعصمة من المعصية.

# AND EX

### الشبهة الرابعة

الفهم الخاطئ لبعض الحقائق في قصة آدم الطَّيْلا (\*)

### مضمون الشبهة :

يدعى بعض المتوهمين أن الجنة التي نُحلق فيها

مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م، عند تفسير الآية ١٢١ من سورة طه.

تصص الأنبياء، محمد متولي الشعراوي، دار القدس،
 القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م، ص ٢٠.

<sup>(\*)</sup> استحالة تحريف الكتاب المقدس، القمص مرقص عزيز خليل، كنيسة القديسة العذراء، والشهيدة دميانة المعلقة، مصر، ٢٠٠٣م.

آدم الطَّيْكُمُ كانت في الأرض في جدة أو الهند، وأن الشجرة التي أكل منها آدم الطَّيِّمُ هي شجرة العلم والمعرفة والبصيرة، وكان الله والله قد نهاه عن الأكل منها؛ خوفًا من أن يكتسب هذه الأشياء، فلم خالف آدم الطَّيِّمُ وارتكب خطيئته وأكل من الشجرة، صار ذا علم وبصيرة ومعرفة، فغضب الله عليه. وعندما تاب لم تكن توبته صادقة؛ بدليل أنه طُرد من الجنة، ولو كانت توبته صادقة ما استحق الطرد منها. وأنه وَرَّث خطيئته تلك للبشرية من بعده، وتحملوها دون ذنب اقترفوه.

### وجوه إبطال الشبهة:

اليس هناك أي فائدة من معرفة الجنة التي خُلق فيها آدم الطّية أهي جنة الخلد أم غيرها؟ ومن تمام الإيهان السكوت عمّا سكت عنه القرآن؛ إذ لو أفاد ذكره ما سكت عنه القرآن الكريم أو الرسول على.

٢) كيف ينهى الله آدم الله الله عن الأكل من شجرة العلم على فرض صواب من قال ذلك \_ خوفًا من أن يكتسب المعرفة، وهو الذي اختصه دون الملائكة وعلمه الأسهاء كلها؟!

٣) لم يغضب الله تعالى على آدم النه الله الله عليه واجتباه، عتابًا خفيفًا استلزم توبته، فتاب الله عليه واجتباه، ونزوله إلى الأرض كان تحقيقًا لمراد الله بتعمير الأرض وليس طردًا له من الجنة.

إثبات القرآن الكريم لكل الحقائق السابقة الخاصة بآدم الكنال دون لبس أو غموض دليل قاطع على صدقه.

الخطيئة لا تورث، فالعدل الإلهي يقضي بأنه لا تزرُ وازرةٌ وزرَ أخرى.

### التفصيل:

أولا. من تمام الإيمان السكوت عماً سكت عنه القرآن الكريم؛ إذ لو أفاد ذكره ما سكت عنه القرآن الكريم أو الرسول ﷺ:

ما الذي يعود علينا، وما الفائدة التي تُرتجى إذا علمنا طبيعة الجنة التي سكنها آدم التي وزوجه هل كانت جنة الجلد أم أنها جنة من جنات الدنيا؟

فالزعم أن الجنة التي سكنها آدم السليم وزوجه في جدة أو في الهند دعوى لا دليل عليها، والتوراة نفسها على علاتها \_ لا تذكر هذا المكان المزعوم أو ذاك. فهذا كله رَجْم بالغيب، وتَخَرُّصُ (١) باطل، والقرآن لم ينصعلى طبيعة هذه الجنة أهي جنة الخلد أم جنة خاصة لآدم وزوجه، أم جنة من جنات الأرض، كل هذه احتمالات واردة، وقال بها بعض العلماء ذلك، في حين أن بعضهم توقف في شأنها، ورجح الشيخ عبد الوهاب النجار هذا التوقف والتفويض في علمها لله تعالى، فيقول: رأى الجمهور أنها جنة المأوى، آخذين بظاهر الآيات والأحاديث كقول في فيكن : ﴿ وَقُلْنَا يَتَادَمُ السَّكُنُ أَنتَ وَالْ حَدْثُ شِنْهُا رَعَدُا حَدْثُ شِنْهُا مَنْهُا رَعَدُا حَدْثُ شِنْهُا مَنْهُا رَعَدُا حَدْثُ شِنْهُا مَنْهُا رَعَدُا حَدْثُ شِنْهُا مَنْهُا مَنْهُا رَعَدُا حَدْثُ شِنْهُا مَنْهُا مَنْهُا مَنْهُا مَنْهُا رَعَدُا حَدْثُ شِنْهُا مَنْهُا مَالُونُ الْعَلَاءِ فَلْهُا مَنْهُا مَنْهُا مَنْهُا مَالْمُعُلَيْهُا مَنْهُا مَالَعُا مَالْعُلُونُ الْعَلَى الْعُلْهُ اللهُ الله الله المناه الله المناه الله المناه الله المناه الله المناه الم

وَلا نَقْرَيا هَانِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونا مِنَ ٱلظَّالِمِينَ ﴿ البقرة ) ، وحديث أبي هريرة ﴿ البقدة فيأتون آدم فيقولون: "يا المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون: "يا أبانا استفتح لنا الجنة"، فيقول: "وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم "(٢). قال ابن كثير في البداية

١. التَّخَرُّص: الكذب.

أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٥٠٣).

والنهاية: "وهذا فيه قوة جيدة ظاهرة في الدلالة على أنها جنة المأوى، وليس تخلو عن نظر، إذ لو كانت الجنة التي عاش فيها آدم السلال وزوجه، من جنات الدنيا \_كما يزعمون \_ فكيف يبحث آدم السلال عن شجرة الخلد في دار لا خلود فيها"(١)؟!

# ثانيًا. كيف ينهى الله آدم الله عن الأكل من شجرة العلم وهو الذي علمه الأسماء كلها؟!

بل كيف يخشى الله من أن يكتسب آدم الكيلا المعرفة فهل كان الله يريده جاهلا؟! أم كان يخشى الله \_ تعالى عما يقولون \_ من أن يتعلم فيضاهي علم الله تعالى؟! فهو لذلك لا يريده متعلمًا؟! ولماذا يخشى الله من علم آدم؟! وإذا كان قد منعه من الأكل من شجرة المعرفة خوفًا من أن يكتسب هذه الأشياء؟! فلهاذا علمه الأسهاء كلها؟! إن هذه الخرافة التي تزعم أن الله حرم آدم هي خرافة تتهاشى مع سائر معتقدات اليهود الفاسدة التي تصف الله بها لا يجوز من صفات النقص والعجز تعالى الله عها يقولون علوًّا كبيرًا.

وإذا سلَّمنا \_ جدلًا \_ بأن الشجرة التي أكل منها آدم الطَّيِّة هي شجرة العلم والبصيرة، فلهاذا يسعى آدم الطَّيِّة للأكل منها، وقد أعطاه الله العلم قبل أن يسكن الجنة؟

هذا فضلًا عن أن القرآن الكريم لم يذكر نوع هذه الشجرة التي نهي عنها آدم الني وزوجه، ولم يذكر أكثر من أنها أبيح لهما الأكل من كل ما في الجنة باستثناء تلك الشجرة؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَكَادَمُ

أَسَكُنْ أَنتَ وَزُوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِنْتُمَا وَلا فَقَرَبَا هَلَاهِ الشَّحْرَة فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّلِمِينَ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللّهُ الللللللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ اللّهُ اللللللّهُ اللللللللللّهُ اللللللللللللللللللللللللللللللللللل

أما زعمهم أن السجرة التي أكل منها آدم الني أكانت شجرة العلم والمعرفة والبصيرة فليس كذلك؛ كانت شجرة العلم والمعرفة والبصيرة فليس كذلك؛ لأن الله تعالى وهب العلم لآدم الني قبل أن يُوم بسكن الجنة ويُنهى عن الأكل من السجرة، قال الله وَعَلَمَ عَادَمَ الأَسْمَاءَ كُلَهَا أُمَّ عَرَضُهُمْ عَلَى الْمَلَيْكِكِ فَقَالَ أَنْبِتُونِي بِأَسْمَاءَ هَوُلاَهِ إِن كُنتُمْ صَدِقِينَ اللهَ الله (البقرة).

ومن العجيب أن تَنُصَّ التوراة على أن آدم التَّخِينِ ما كان يعلم الفرق بين الطاعة والمعصية؛ لأن السجرة التي أكل منها هي نفسها "شجرة معرفة الخير والشر"، فكيف يُعاتَبُ على شيء ما كان يعلم أنه شر؟!

ثالثًا. لم يغضب الله تعالى على آدم الله الله عاتبه عتاب خفيف استلزم توبته ، فتاب الله الله عليه واجتباه ، ونزوله إلى الأرض كان تعميرًا لها ، وليس طردا له من الجنة :

لم يذكر القرآن الكريم أن الله تبارك وتعالى غضب على آدم النفي أو أن توبته كانت غير صادقة، ولكن جاء فيه أن الله تعالى عاتبه هو وزوجه قائلًا: ﴿وَنَادَنَهُمَا رَبُّهُمَا أَلَةً أَنْهَكُما عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَكُمَا إِنَّ الشَّيَطُنَ لَكُما كُمُ مَا عَن تِلْكُما الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَكُما إِنَّ الشَّيَطُنَ لَكُما عَدُو المُعراف).

ا. قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، مرجع سابق، ص٢٢.

فتاب آدم النا عن خطئه وطلب ضارعًا (۱۱) من ربه أن يغفر له ويرحمه ومعه زوجه، قال تعالى حكاية عنهما: ﴿ قَالَارَبّنَا ظَلَمَنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَمْ تَغْفِرُ لَنَا وَرَّحَمّنَا لَنَكُونَنَ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿ الْأَعْرَافَ). فَقَبِل الله توبتهما واجتباه (۲) ربه تعالى: ﴿ فَلَلَقَى عَادَمُ مِن زَيِّهِ عَلِمِلَتٍ فَنَابَ عَلَيّهُ إِنّهُ هُو النّقَابُ أَلَرَحِيمُ ﴿ اللّهِ وَاللّهِ الله عَلَيّهُ إِنّهُ هُو اللّهَ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللهُ ال

وللحبيب مع حبيبه ما لا يكون لغيره. والقرآن صرّح أنها - آدم النّس وحواء - لم يأكلا: أي لم يستمرا في المعصية، ولكن ذاقا: ﴿ فَلَمّا ذَاقا ﴾ (الاعراف: ٢٢) أي مرة واحدة حدث التنبه بمجرد الحدوث ولم يُصِرّا على المعصية، حينئذ وقع العتاب من الله تعالى.. كما في الآية السابقة بالاستفهام المنفي حتى يكون الجواب من أفواههما: نعم يارب نهيتنا.

هنا وقف آدم وحواء عليها السلام - أمام الله تعالى مُقِرَّين بالخطأ والمخالفة، معترفين بالذنب، متيقنين أن الله تعالى حق، وقوله حق، وأنها لم يستطيعا حمل نفسيها على اتباع المنهج فظلها نفسيها، ثم طلبا من الله تعالى المغفرة والرحمة في ذل وانكسار لئلا يكونا من الخاسرين.

فقد صدَّقا كلام إبليس وظنوه من الناصحين حين أقسم لهما؛ فلم يجربا من قبل كذبًا أو خداعًا. والله تعالى جعل التوبة، لكنه يقبلها بشروط منها: الإخلاص،

والصدق والإنابة، والندم على ما فات من ذنب، والعزم على عدم العودة للذنب ثانية. وهو ما تحقق حيال (٣) آدم الكالة وزوجه (٤).

وقد سبق أن أوضحنا أن هبوط آدم الله إلى الأرض ليس بسبب معصيته أو غضب الله عليه، بل هو مراد الله من خلق آدم الله من قبل أن يخلقه، قال تعالى: ﴿ إِنِّى جَاعِلُ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة: ٣٠)، ولسيس نزوله إلى الأرض طردًا من الجنة كما يدعي المتوهمون، بل هو قضاء كَوْني سابق، وقبول التوبة يدل على عدم الغضب.

فقد ذكر الله تعالى \_ أنه قَبِلَ توبه آدم الطَّيْلاً وزوجته عندما رجعا إلى الله تعالى \_ ومن أصدق من الله قيلا. ﴿ فَنَلَقَىٰ ءَادَمُ مِن رَبِهِ عَلَمَاتٍ فَنَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ, هُو النَّوَّابُ الرَّحِمُ ﴿ فَنَلَقَیٰ ءَادَمُ مِن رَبِهِ عَلَمَاتٍ فَنَابَ عَلَیْهِ إِنَّهُ, هُو النَّوَابُ الرَّحِمُ ﴿ فَنَاكَ عَلَیْهُ إِنَّهُ, هُو النَّوَابُ الرَّحِمُ ﴿ وَلَمَا مَن وَرَقِ وَمَهَا فَنَا مَن وَرَقِ مِنْهَا فَبُدَتْ هُمُما سَوْءَ تُهُما وَطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِن وَرَقِ لِمُنْهَا فَبُدَتْ هُمُا سَوْءَ تُهُما وَطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِن وَرَقِ لَلْهَا فَبُدَتْ فَعَلَىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَصَىٰ عَادَمُ رَبَّهُ وَعَلَىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ وَهُمَا مَن وَرَقِ اللهُ اللهُ

# رابعًا. إثبات القرآن الكريم لكل الحقائق السابقة الخاصة بآدم النصي دون لَبس أو غموض:

إن آدم الكلات تنفيذًا لحكمة الله السابقة على وجوده. خروجه من الجنة تنفيذًا لحكمة الله السابقة على وجوده. فهو لم يُطْرد، وإنها خرج من الجنة، وهبط إلى

١. الضَّارع: الذَّليل.

٢. اجتباه: قرَّبه واصطفاه.

٣. حِيال: تجاه.

قصص الأنبياء، محمد متولي الشعراوي، مرجع سابق، ص ۲۱: ۲۲.

இ في "سبب خروج آدم من الجنة ونزوله إلى الأرض" طالع أيضًا: الوجه الأول، من الشبهة الثالثة، من هذا الجزء.

إذن فالحكمة من معصية آدم الطّي أن الله تعالى درَّبه الطّي قبل أن يباشر مهمة الاستخلاف في الأرض تدريبًا يؤهله لمسئولية الاستخلاف في الكون، وكان الله التدريب في مكان يَكْفُل (١) الراحة والأمن، وما كان الله تعالى ليزج (١) بآدم الطّي في ذلك الكون الواسع دون أن يدربه أولًا على مهمته.

أوضح الله له الأوامر، وأَجْلَى (٣) له النواهي، وحذره من الشيطان.. ولم يكتف الخالق الرحيم بذلك، بل قدَّم لاَدم الطَّيِّة الفرصة للتوبة إن أصابته الغفلة، وأَعْلَمَنَا الحَـقُّ كيف أن السشيطان قد ثأر لنفسه من آدم الطَّيِّة بإيقاعه في الخطيئة، وكذلك سيفعل مع أبنائه؛ لينبهنا الله عَلَى لعداوة إبليس، ومن ثَمَّ اجتنابه، شم حذَّرنا الله تعالى من عدونا إبليس ومن خطواته التي يتبعها ليوقع الإنسان في دَرَكِ المعصية.

إذن فخروج آدم الطَّيِّلِمُ من الجنة وهبوطه إلى الأرض قدر الله الذي لا رادَّ له، وحكمته التي لا مُعَقِّبَ لها... فقد أسكنه الجنة وهو يعلم أنه سيخرج منها بسبب

الأكل من الشجرة ليعمر الأرض، ويصلحها هو وذريته، ويعبدوه فيها طوعًا وكرهًا، وقد جرت سنة الله تعالى أن يقرن الأسباب بمسبباتها؛ لليعلم الإنسان أن كل شيء قد خلقه الله بِقَدَرٍ، وليعرف أن النَّصَبَ (٤) بعده الراحة (٥).

وقال الله على عداً وابني آدم من عداوة إبليس لهم: ﴿ يَنَنِى َ اَدَمَ لَا يَفْنِنَنَكُمُ الشَّيَطَنُ كُمَا أَخْرَجَ أَبُونِيكُم مِنَ الْجَنَّةِ يَنزعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيهُمَا سَوْءَ بِهِما أَ إِنَهُ يَرَسَكُمْ هُو وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا فَرُوْنَهُمُ إِنَّا جَمَلْنَا الشَّيَطِينَ أَوْلِيلَةً لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اللهِ اللهِ الاعراف).

وطاعة آدم التَّنِينَ اختيار، وانكسار، واعتذار، ورغبة في أن يقبل الله توبته. لماذا؟ محبة منه في الله الخالق.. ويعد هذا تقعيدًا لمبدأ نوراني مهم في حياة الجاعة، فطكَبُ آدم التَّنِينَ للتوبة، وقبول الله لتوبته، إنها وضع أساسًا هامًا لمسيرة الإنسان، وهو أن مرتكب الذنب سوف يجد باب التوبة مفتوحًا، فيقبل على الله بانكسار، ولا يتهادى في معصيته.

والله تعالى تاب على آدم الطّينا واجتباه، وجعله نبيًا حكما أسلفنا \_ ووفَّه لعمارة الأرض، وإصلاحها بكلمات الله وهدايته، فاستحق الجزاء الأخروي من الله تعالى، بدخول الجنة، فكانت الجنة دار جزاء، وليست تركة تُورَّث بحق وبغير حق كما يفهمها النصارى ومن على شاكِلتهم (1).

٤. النَّصب: التعب.

٥. قصص القرآن، د. محمد بكر إسهاعيل، مرجع سابق، ص٢٧:

٦. شاكِلَتهم: من شابههم، أو على طريقتهم.

١. يَكْفُل: يوفِّر.

۲. يزجُّ: يرم*ي*.

٣. أُجْلَى: أوضح.

# خامسًا. الخطيئة لا تورث، فالعدل الإلهي يقضي بأنه لا تزروازرة وزر أخرى:

 الآيات والأحاديث التي استدلوا بها على توارث الخطيئة مصروفة عن ظاهرها بغير صارف:

ادَّعى المبطلون أن ميراث الخطيئة ثابت في القرآن والسنة لقوله ﷺ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِ مُزَيِّنَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۚ قَالُواْ بَلَنْ شَهِدْنَأُ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِينَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَلَاا غَنِفِلِينَ الأعراف)، ولقول رسول الله ﷺ: "فجحَد آدم فجحَدت ذريته، ونُشِّي آدم فنُسِّيَتْ ذريته، وخَطِئَ آدم فخَطِئَتْ ذريته"(١).

فزعموا أن الله أخذ الميثاق من آدم نيابة عن ذريته، و أن الحديث يفيد توريث الخطيئة، وهذا ادعاء باطل وزعم لا دليل عليه لا من قرآن ولا سنة.

أما الآية الكريمة فلم تذكر أن الله أخذ الميثاق من آدم بالنيابة عن ذريته، فهذا صرف للآية عن ظاهرها بغير صارف ولا مُسوِّغ لـذلك، اللهـم إلا أهـواء النصاري!

والآية صريحة العبارة؛ بأن الرب أخرج ذرية آدم من ظهره بالفعل وأشهدهم على أنفسهم، وهـو مـا أكَّدَتـه الأحاديث الصحيحة منها:

قال رسول الله ﷺ: "لما خلق الله آدم مسح ظهره

القيامة، وجعل بين عَيْنَي كل إنسان منهم وَبِيصًا (٢) من نور، ثم عرضهم على آدم فقال: أي رب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، فرَأَى رجلًا منهم أعجبه وبيص ما بين عينيه فقال: أورب، من هذا؟ قال: رجل من آخر الأمم من ذريتك يُقال له: داود، فقال: ربِّ، كم جَعَلْتَ عُمره؟ قال: ستين سنة، قال: أي رب، زِدْهُ من عمري أربعين سنة، فلما قُضِي عُمر آدم جاءهُ ملك الموت، فقال: أولم يَبْقَ من عمري أربعون سنة؟ قال: أولم تُعْطِها ابنك داود؟ قال: فجَحَد (٣) آدم فجحدت ذريته، ونُسِّي آدم فنُسِّيت ذريته، وخَطِئ آدم فخطِئت ذريته"(١٤).

وعن أنس بن مالك ، أن النبي الله قال: "يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابًا يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقول: أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئًا فأبيت إلا أن تشرك بي"(٥).

وجاء ابن عباس\_رضي الله عنهما\_أن النبي ﷺ قال: "أخذ الله الميثاق من ظهر آدم الطُّكِّلا بنعمان ـ يعني عرفة \_ فأخرج من صُلْبه كل ذرية ذَرَأُها(١) فنَثَره (٧)بين

صحيح الجامع (٥٢٠٩). فسقط من ظهره كل نُسَمَةٍ هو خالقها من ذُرِّيَّته إلى يوم ١. صحيح: أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب سورة الأعراف (٣٠٧٦)، والحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، الفداء بملء الأرض ذهبًا (٧٢٦٣). باب تفسير سورة الأعراف (٣٢٥٧)، وصححه الألباني في ٦. ذَرَأ: خلق. صحيح الجامع (٥٢٠٩).

٢. الوَبيص: اللمعان.

٣. جَحَد: أنكر.

٤. صحيح: أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب سورة الأعراف (٣٠٧٦)، والحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأعراف (٣٢٥٧)، وصححه الألباني في

٥. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب (٦١٧٣)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب طلب الكافر

٧. نَثَر: بعثر.

وأما قول رسول الله آخر الحديث: "فجحَد آدم فجحَدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فجطئت ذريته، فلا يفيد توريث الخطيئة وإنها توريث الطباع، والفارق بينهما كبير، فهذه الصفات هي من طبيعة الإنسان التي خلقه الله تعالى عليها، فكل الناس ينسون ويجحدون ويخطئون؛ لأنهم خلقوا ضعافًا كما قال رسول الله وكل ابن آدم خطًاء، وخير الخطائين قال رسول الله والله الله الكالية الما التها التها

ولكن لا يرث أحدهم خطيئة الآخر و لا يرث الإنسان جحود غيره! فكل إنسان يتحمل خطأه هو، والقاعدة القرآنية المحكمة: ﴿ أَلَّا نُزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَأُخُرَىٰ ﴿ آَلَا نُزِرُ وَازِرَةٌ وَزْرَأُخُرَىٰ ﴿ آَلَا نُزِرُ وَازِرَةٌ وَزَرَأُخُرَىٰ ﴿ آَلَا نُزِرُ وَازِرَةٌ وَزَرَأُخُرَىٰ ﴿ آَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وَازَرَةً وَزَرَا أُخْرَىٰ ﴿ آَلَا نَزِرُ وَازِرَةً وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّ

وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ اللَّهِ ﴿ (النجم)، وقوله ١٠٠٠٠ ﴿ وَكُلَّ إِنسَانِ أَلْزَمَنَاهُ طَكِيرَهُ فِي عُنُقِهِ ۚ وَنُغْرِجُ لَهُ. يَوْمَ ٱلْقِيكَمَةِ كِتَبًّا يَلْقَنَّهُ مَنشُورًا ﴿ الْإِسراء ) ( الإِسراء ) وقوله تَظَلُّ: ﴿ فَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَكَرُهُ، ۞ وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةِ شَرًّا يَكُوهُ إِنَّ الزلزلة)، وحسبنا في الرد على من يعتقدون أن الطفل البريء يولد مُلطَّخًا بخطيئة آدم ويريدون إلصاق ذلك العبث كرهًا بالإسلام ـ أن نذكر نيفًا من كلمات رسول الله ﷺ في وصف من تطهر من كل الذنوب والآثام: "من حجَّ هذا البيت فلم يَرْفُث (٥) ولم يَفْسق (٦) رجع كيوم ولدته أمه"(٧)، وأن الله يقول: "إني إذا ابتليتُ عبدًا من عبادي مؤ منًا فَحَمِدَ ني على ما ابتليته فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا". ويقول الرب كلَّا: "أَنَا قَيَّدتُ عبدي وابتليته، وأجروا له كما كنتم تُجُزُون (٨) له وهو صحيح"(<sup>(۹)</sup>.

لما فرغ سليهان بن داود من بناء بيت المقدس سأل الله ثلاثًا: حكمًا يصادف حكمه، وملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، وألا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة

صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، من مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن عباس رضي الله عنها (٢٤٥٥)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب سورة الأعراف (١١١٩١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٠١).

انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: هاني الحاج، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د. ت، ج٣، ص٣٦٣.

٣. حسن: أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك الله (١٣٠٧٢)، والترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٩٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٥١٥).

٤. أَلْزَمناه طائره في عُنُقه: ألزمناه عمله.

الرماه طائره في عنفه. الرماه
 لم يَرْفُث: لم يفحش في القول.

٦. لم يَفْسق: لم يَأْتِ ما حرَّم الله عليه.

٧. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور (١٤٤٩)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه،
 كتاب الحج، باب في فصل الحج والعمرة ويوم عرفة (٣٣٥٨).

٨. تُحْرُون: تكتبون له من الأجر.

 <sup>9.</sup> حسن: أخرجه أحمد في مسنده، مسند الشاميين، حديث شداد بن أوس شه (١٧١٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٢٧٧)، باب الشين: شداد بن أوس شه (٢٧٣٦)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٠٠٩).

فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فقال النبي الله الله النبي الله الله النتان فقد أعطيها، وأرجو أن يكون قد أعطى الثالثة"(١).

ومن الجدير بالذكر في هذا السياق أن خروج آدم من الجنة ما كان بسبب زلته هذه، ولكن لأن الله تعالى قدَّر منذ القدم أن يَبتلي الإنسانَ باستخلافه في الأرض، كي يَعْمُر ها بالتوحيد ويعبده فيها بظاهر الغيب، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُكَ لِلْمَلْتَهِكَةِ إِنِي جَاعِلُ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةٌ قَالُوٓا أَجَعُعُلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ خَلِيفَةٌ قَالُوٓا أَجَعُعُلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِمَآءَ فَلِيفَةٌ قَالُوَا أَجَعُعُلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِمَآءَ وَنَعَدُسُ لَكُ قَالَ إِنِي أَعْلَمُ مَا لَا فَعَلَمُونَ أَنْ وَاللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ

ومن أدلة ذلك حديث محاجة آدم موسى ، قال رسول الله ﷺ: "احتج آدم وموسى فقال له موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه، وخطً لك بيده أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة فحج آدم موسى، فحج آدم موسى (ثلاثًا)"(٢).

ومن المعلوم أنه لا يجوز الاحتجاج بالقَدر لتبريس المعصية، وإنها يجوز ذلك في تعليل الابتلاء العجيب. إننا نقرأ في القصة التوراتية أن آدم الكي ما كان يعلم الفرق بين الطاعة والمعصية؛ لأن الشجرة التي أكل منها هي نفسها "شجرة معرفة الخير والشر"، فكيف يعاتب على شيء ما كان يعلم أنه شر؟

وراثة خطيئة آدم عقيدة النصارى، والإسلام يُصَوِّبها، ونصوص القرآن تنطق بالعدل الإلهي:

فالخطيئة في الإسلام لا تُورَّثُ، وإنها هي من كسب الإنسان، ومن عمله، وهو يحاسب عليها، ولا يؤاخذ على خطيئة غيره قال على: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إلّا وُسْعَها لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا أَكْسَبَتْ رَبّنَا لا تُؤاخِذُنَا وَسُعَها لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا أَكْسَبَتْ رَبّنَا لا تُؤاخِذُنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأَنَا رَبّنا وَلا تَعْمِلُ عَلَيْنَا إِصْرًا كُمَا حَمَلْتَهُ، عَلَى الذِينَ مِن قَبْلِنا رَبّنا وَلا تَعْمِلُ عَلَيْنَا مَا لاطاقة لَنا بِهِ وَاعْفُ عَنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمَنا أَنْ الله مَولَى الله الله الله عَلَيْ وَلا تَعْمِلُ عَلَى الله عَلَى الله عَلَيْ وَالله الله الله الله الله وَلا تَعْمِلُ عَلَى الله عَلَيْ وَلا تَعْمِلُ عَلَيْهِ وَلا الله عَلَيْ وَالله عَلَيْ وَلا الله عَلَيْ وَلا يَعْدَوْ وَالله عَلَيْ وَلا عَلَى الله عَلَيْ وَلا يَعْدَوْ وَالْعَشِي يُويدُونَ وَجَهَهُ مَّا مَن عَسَالِهُ عَلَيْهِ مِ مِن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَالِكَ عَلَيْهِ مِ مِن شَيْءً وَمَا مِنْ حِسَالِكَ عَلَيْهِ مِ مِن الله الله عَلَيْهِ مَ مِن الله مَا عَلَيْهُ مَا الله عَلَيْهِ مَ مِن الله الله عَلَيْهِ مَ مِن الله الله عَلَيْهُ مَا مِنْ الله عَنْ الله عَلَيْهِ مَا مِنْ عَمْ الله الله عَلَيْهِ مَ مِن الله الله عَلَيْهِ مِن الله الله عَلَيْهِ مَا مِن عَلَيْهِ مَا مِن عَلَيْهُ مَا الله عَلَيْهِ مَا مِن الله عَلَيْهِ مِن الله عَلَيْهُ مِن الله الله عَلَيْهِ مَا مِن عَلَيْهِ مَا مِن الله الله عَلَيْهُ مَا مِن الله الله الله الله الله الله مَن الله مَلِي الله الله عَلَيْهِ مِن الله الله الله عَلَيْهُ مِن المَلْعُلِي الله الله عَلَيْهِ مِن الله عَلَيْهُ مِنْ الله عَلَيْهُ مِنْ المَلْعُ الله عَلَيْهُ مِن الله عَلْمُ الله عَلَيْهِ مِن المَلْعَ

وقال عَلَى: ﴿ أَلَا نُزِرُ وَازِرَةٌ وَذَرَ أُخْرَىٰ ﴿ وَأَن لَيْسَ لِلْإِنسَنِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿ وَأَن َ وَأَنَّ سَعْيَهُ وَسَوْفَ يُرَىٰ ﴿ وَأَن لَيْسَ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلُو كَانَ ذَا قُرَيْنٌ إِنّهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلُو كَانَ ذَا قُرَيَنٌ إِنّهَا لَا يَحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلُو كَانَ ذَا قُرَيْ أَنْ إِنّهُ إِنّهُ لَيْ اللّهِ الْمَالُوةُ وَمَن لَيْذِرُ ٱلّذِينَ يَخْشُونِ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلُوةُ وَمَن تَرَبَّى اللّهِ الْمَصِيرُ ﴿ اللّهِ اللّهِ الْمَصِيرُ ﴿ اللّهِ اللّهِ الْمَصِيرُ ﴿ اللّهِ اللّهِ الْمَصِيرُ ﴿ اللّهِ اللّهِ اللّهِ الْمُولِيرُ اللّهِ اللّهِ الْمَصِيرُ ﴿ اللّهِ اللّهِ الْمَصِيرُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ الْمُولِيرُ اللّهِ اللّهِ الْمُعَلِمُ مُ إِلَيْكُنِ إِنْ اللّهِ الْمَصِيرُ اللّهُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

ا. صحيح: أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس (١٤٠٨)، وابن خزيمة في صحيحه، كتاب الصلاة، باب فضل الصلاة في مسجد بيت المقدس (١٣٣٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٩٠).

٢. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله (٦٢٤٠)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى (٦٩١٢).

ٱلْحَقَّنَا بِهِمْ ذُرِيَنَهُمْ وَمَا ٱلنَّنَهُم مِنْ عَمَلِهِم مِن شَيْءٍ كُلُّ آمَرِي عِا كَسَبَ رَهِينُ اللهِ (الطور) (١).

أما ما استدل به أصحاب هذا الادعاء من أكل آدم الطّنيّل من السُعجرة، وخروجه من الجنة، نتيجة لذلك.. فليس ثمة دليل على ما يعتقدون، فإن الله تعالى أهبط الإنسان \_آدم \_ الطّنيّل وذريته من بعده إلى الأرض ليتم البلاء، ويتنافس الناس في العمل، فمن أطاع دخل الجنة، ومن عصى حُرم من دخول الجنة، ودخل النار.

فالخروج من الجنة ليس عقوبة على خطيئة موروثة - كما توهموا - وإنها ليكون الإنسان مستحقًا للجزاء بعمله وكسبه.

وليأت هـؤلاء المـدعون بآيـة واحـدة، أو حـديث واحد يعترف بأن الخطيئة موروثة، فكلها تنطق بالعـدل الإلهي، وهذا من محاسن الإسلام.

فهل من العدل أن أتحمل وزر غيري؟! وهـل مـن العدل أن يحمل وزري غيري؟!

وتجربة آدم وزوجه عليها السلام ليست خطيئة موروثة؛ فقد تم تصويبها، ولا وجود لإنسان بمفرده قادر على أن يحمل عن البشر خطاياهم، كذلك ليست هناك واسطة بين الله تعالى وبين البشر.

ولكنها تجربة البشرية بكاملها ممثلة في شخص آدم التَّكِين، فيها الصعود والهبوط، والتدني والتسامي، فهو مُزَوَّد بالشهوات والنَّزَوات (٢)، مُهَيّاً للرقي بعد الرجوع والتوبة. فكما انزلق لنَزَغات (٢) الشيطان بحكم

تكوينه البشري، لا بسبب امرأته حواء كما تُصوّر

التوراة؛ إذ تقول: "وكانت الحيَّة أُحْيَل جميع حيوانات

البرية التي عملها الرب الإله، فقالت للمرأة: "أحقًا

قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة؟" فقالت المرأة

للحية: "من ثمر شجر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة

التي في وسط الجنة فقال الله: لا تأكلا منه، ولا تمساه

لئلا تموتا". فقالت الحية للمرأة: "لن تموتا! بل الله عالم

أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين

الخير والشر". فرأت المرأة أن المشجرة جيدة للأكمل،

وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر. فأخذت

من ثمرها وأكلت، وأعطت رجلها أيضًا معها فأكل".

(التكوين ٣: ١- ٦)، وسلك الـشيطان لإغـوائهما كـل

مسلك (أزلها \_ وسوس لها \_ دلاهما بغرور)، بهذه

الحيل الماكرة نسيا عهد الله، ونهيه لها، ثم بعد أن نبههما

الله على الله الله عليها، واجتبى الله آدم

للرسالة وزوده بأسباب الهداية. على أن ما فعله

آدم ليس خطيئة وإنها هو خطأ، أما الخطيئة كالقتل،

وسفك الدماء، والدس بين الناس، وإثارة الوقيعة

بينهم فالعقاب عليها إما في الدنيا أو في الآخرة، وأما

الخطأ فهو ابن للغفلة والسهو®، لذا يجب ألا ينظر أبناء

آدم إلى أبيهم على أنه أول من ارتكب الخطيئة، وإنها هي

التجربة البشرية التي تقبل أن تمر بكل واحد من أبناء

البشر، فالحكم العدل عَجَلَ لا يُحَمِّل أحدًا وزر أحدهُ.

 <sup>®</sup> في "أكل آدم من الشجرة خطأ لا خطيئة" طالع: الوجه الثاني،
 من الشبهة الثالثة، من هذا الجزء.

<sup>®</sup> في "فكرة الإسلام عن خطيئة آدم" طالع: الوجه الثالث، من الشبهة الثانية والثلاثين، من الجزء السادس (العقيدة الإسلامية وقضايا التوحيد).

١. أَلَتْناهم: نقصناهم.

٢. النَّزوات: الإغراءات الشيطانية والشهوات.

٣. النَّزَغات: الإغراءات.

فها أبعد الفارق بين ما جاء في التنزيل الحكيم، وبين ما سطَّرته أوهام المبطلين!!

إذا قارنا هذه الحقائق القرآنية ببعض ما جاء في التوراة أدركنا الفارق بين الحق والباطل، والنور والنورة أدركنا الفارة بين الحق والباطل، والنور والظلهات، ففي التوراة كانت المرأة مغرية لآدم بالأكل من الشجرة؛ لذا عاقبها الله على بآلام الحمل، والولادة، وسيادة الرجل عليها، كها عوقب آدم بالشقاء والتعب، وإنبات الأرض له شوكًا: "وقال للمرأة: "تكثيرًا أكثِّر أتعاب حَبَلِك، بالوجع تلدين أولادًا. وإلى رُجُلك يكون اشتياقك وهو يَسُود عليك". وقال لأدم: "لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من لأدم: "لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتُكَ قائلًا: لا تأكل منها، ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. وشوكًا تنبت لك، وتأكل عشب الحقل". وشوكًا وحَسَكًا تنبت لك، وتأكل عشب الحقل".

أما حقائق الإسلام في هذا الشأن فلا تخفى على أحد بمكان، وقد أوضحناها في الأوراق السابقة.

#### الخلاصة:

• من المنطقي أن نسكت عيا سكت عنه القرآن الكريم، إذ لو أفاد ذكره لذكره القرآن؛ فالهدف من القيصص القرآني العبرة والعظة؛ لذلك لا نسلم بتأويلات وردت عن بعض العلياء لِلْجَنَّةِ التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، والتي هبط منها آدم الحلي فعلمها عند الله؛ لأنها من الغيبيات التي نؤمن بها على أي كيفية كانت، والجمهور على أنها جنة المأوى أخذًا بظواهر الآيات والأحاديث، ومن ثم فليست جنة من جنات الأرض؛ إذ كيف يطلب آدم شجرة الخلد في دار

لا خلود فيها؟! كما أن في مخالفة آدم الطِّين أمر ربه، وتوبته منها دروس وعبر للبشرية جمعاء.

- كيف ينهى الله آدم الكلام عن الأكل من شجرة المعرفة وهو الذي علمه الأسماء كلها، وإذا كانت الشجرة شجرة المعرفة فلهاذا يسعى آدم الكلام إلى الأكل منها وقد أعطاه الله العلم قبل أن يدخل الجنة.
- أما نزوله إلى الأرض فكان تعميرًا لها وليس طردًا من الجنة أو عقوبة... فكان امتحانه في الجنة تدريبًا على مسألة الاستخلاف في الأرض، إذ هكذا اقتضت حكمة الله قبل خلقه الكليّ. كما أراد المولى المنافية أن يتعلم بنو آدم درسًا يفيدهم في ابتلائهم في الدنيا والذي خُلِقُوا من أجله، أراد أن يعلموا أن الشيطان عدو لهم ليجتنبوه؛ فبمكره وخداعه أخرج أبويها من الجنة؛ ثأرًا لنفسه، فقد صور له غروره أنه أكرم خلقًا من آدم، فكان العداء بتكريم الله لآدم دون سائر خلقه.
- أما وراثة خطيئة آدم فعقيدة النصارى، والإسلام بريء منها، ونصوص القرآن تنطق بالعدل الإلهي؛ إذ إنه "لا تزر وازرة وزر أخرى"؛ وما استدلوا به من نصوص مصروفة عن ظاهرها بغير صارف، كما أن هناك فرقًا بين الخطأ والخطيئة، فالخطأ: ناتج عن الغفلة والنسيان، وهو ما حدث مع سيدنا آدم التيليخ. أما الخطيئة: فيندرج تحتها سفك الدماء، والقتل، وخلافه مع توافر شرط العمد.
- تختلف حقائق القرآن عن سائر الكتب الأخرى

المحرفة فهو النور، وما عداه الظلمات، وهو الحق وما عداه الباطل، وبالاستقراء يتضح لنا أن القرآن هو المصوِّب لأخطاء وعقائد السابقين كما يضيف ما لا علم لهم به، وفيه دلالة على قدسيته فهو وحي من الله إلى رسوله هم، ولم تمسه يد التحريف بالعبث والفساد، فقد تعَهد الله تعالى بحفظه وهو خير الحافظين.

# SAGES

## الشبهة الخامسة

# إنكارنبوة آدم الطَّيْكُمُ (\*)

### مضمون الشبهة:

يدعي بعض المتوهمين أن نوحًا الطَّيِّةُ أول الأنبياء وليس آدم الطَّيِّةُ، ويستدلون على ذلك بأن القرآن لم يذكره \_أي آدم الطَّيِّةُ \_ باعتباره نبيًّا أو رسولًا، ويهدفون من وراء ذلك إلى إنكار نبوته الطَّيِّةُ.

## وجه إبطال الشبهة:

النبوة: هي الوحي، والنبي هو ما نزل عليه هذا الوحي وأمر بتبليغه للناس وهذا متحقق في آدم الطّيكالا. والقرآن أشار إلى نبوته إذ اجتباه ربه.

## التفصيل(١):

أشار القرآن الكريم إلى نبوة آدم الطِّيِّل حيث قال

تعالى: ﴿ مُمَّ اَجْنَبَاهُ رَبُّهُ فَنَابَ عَلَيْهِ ﴾ (طه: ١٢١) والاجتباء هنا: النبوة؛ بدليل قوله تعالى في سورة مريم عليها السلام، قال: ﴿ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَالْجُنْبَيْنَا ﴾ (مريم: ٥٨) يعني من النبين، وقال في قصة يونس النبي بعد قصة الحوت: ﴿ فَأَجْنَبُهُ رَبُّهُ وَ القلم: ٥٠) ''.

كما أشارت السنة النبوية إلى نبوة آدم الطّيِّلاً فعن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله أي الأنبياء كان أول؟ قال: آدم، قلت: يا رسول الله ونبي كان؟ قال: "نعم نبي مكلم". قلت: يا رسول الله كم المرسلون؟ قال: ثلاثهائة وبضع عشر جمًّا غفيرًا (٢) (٤).

وفي رواية عن أبي أمامة قال أبو ذر: قلت يا رسول الله كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، الرسل من ذلك ثلاثهائة وخمسة عشرجمًّا غفيرًا (٥).

ولقد اهتم القرآن في حياة كل نبي بموطن العبرة والعظة وصَوَلات الصراع وجَوَلاته (٦) بين الأنبياء وأقوامهم، بيد أن الصراع في حياة آدم الطَيْلا كان مع

<sup>(\*)</sup> المفترون: خطاب التطرف العلماني في الميزان، فهممي هويدي، دار الشروق، مصر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

١. انظر: الموسوعة الإسلامية العامة، إشراف: د. محمود حمدي زقرق، المجلس الأعلى للمشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء، أبو الحسن على بن أحمد السبتي الأموي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٩م، ص٧٨.

٣. جمًّا غفيرًا: جمع كثير.

صحيح: أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده، أحاديث أبي ذر الغفاري (٤٧٨)، وأحمد في مسنده، مسند الأنصار، حديث المشايخ عن أبي بن كعب (٢١٥٨٦)، وصححه الألباني في المشكاة (٧٣٧٥).

٥. صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، باقي مسند الأنصار، حديث أي أمامة المحب الكبير (٨/ ١١٥)، باب الصاد: صدي بن عجلان أبو أمامة الله (٧٨٧١)، وصححه الألبان في المشكاة (٧٧٣٧).

٦. صَوَلات الصراع وجَوَلاته: مراحله المتعددة.

الشيطان، وكذلك كانت العبرة في كيفية نشأته ووجوده أكثر من الصراع في حياته باعتباره نبيًّا؛ فركز القرآن على ذلك، ومن الأدلة أيضًا على نبوة آدم قوله كان الأدلة أيضًا على نبوة آدم قوله كان الله أَمَّا وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَهِيمَ وَءَالَ عِمْرَنَ عَلَى الْعَمَلِينَ الله الله المعمان)، وقد ثبت أنه تعالى اختار هؤلاء لدينهم وإسلامهم وهؤلاء كلهم أنبياء، فكيف يقال: إن الله لم يذكر آدم الكلم ضمن الأنبياء وهو مذكور معهم بل وفي مقدمتهم؟

وإذا كان القرآن لم يذكر آدم الطّخ كما ذكر غيره من الأنبياء، بالتفصيل في حياته باعتباره نبيًّا، فإنه ذكر أن الله خاطبه بلا واسطة، فأحل وحرم، وأمر ونهي، دون أن يرسل إليه رسولًا، وهذا هو معنى النبوة:

ويتجلى ذلك في العديد من الأمور منها:

ا. تعليمه الأسماء \_ وحيًا \_ دون الملائكة، وتفضيله وذريته بالعلم:

فبعد أن تغلغلت الروح في جسده، كساه الله من نور جلاله، وجماله، فظهر نور الكرامة على وجهه، وألبسه من حلل الجنة، وعلمه من لدنه عليًا. وأظهر فضله على الملائكة.

قال تبارك وتعالى: ﴿ وَعَلَمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَهَا مُمَّ عَرَضُهُمْ عَلَى ٱلْمَلَيْ عَرَفَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَيْ عَرَفَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَيْ عَلَى الْمَلَيْ عَلَى الْمَلَيْ عَلَمْ الْمَا عَلَمْ مَلَا إِلَّا مَا عَلَمْ تَنَا أَإِلَّا مَا عَلَمْ تَنَا أَإِنَّكَ صَدِقِينَ ﴿ قَالُوا سُبْحَنْكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلّا مَا عَلَمْ تَنَا أَإِنَّهُم عِلَى الْمَلَيْمُ الْمَلَيْمُ الْمَلِيمُ الْمَلَيْمُ الْمَلَيْمُ الْمَلَيْمُ الْمَلَيْمُ الْمَلَيْمُ اللّهُ الْمَلَيْمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ ا

والجن، والوحش"(١).

وجعل يسمي كل شيء باسمه، وعرضت عليه كل أمة (٢)؛ حتى يستطيع أن يتعامل مع مجريات الأحداث في الكون. فآدم النال لو لم يكن قد تعلم الأسماء كلها لما استطاع أن يتحدث مع ولد من أولاده قائلًا \_مثلًا \_: انظر هل أشرقت الشمس أم لا؟

إذن كان لآدم الطَّلِيَّةُ أَن يتعلم الأسهاء كلها، وكان لا بد من معلم يعلمه إياها، والملائكة لا تدري ذلك فقد قالت: ﴿ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَمْتَنَا أَ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (البقرة).

لذا علَّمَه الحكيم الخبير عن طريق الوحي والإلهام، فقذف في قلبه ووجدانه وإدراكه الأسماء، والمسميات. فهذا يدل على نبوته واصطفاء الله له، واللغة بنت المحاكاة فلا أحد يستطيع أن يتكلم إلا بعد أن يكون قد سمع من الآباء، والآباء سمعوا من الأجداد، وهكذا حتى تنتهي السلسلة إلى سيدنا آدم الكيالاً.

فممَّن سمع آدم النَّيْ حتى يتكلم؟! ومن أسمعه وعلَّمه الأسهاء كلها وهو أول البشر؟ إنها قدرة الله الذي يوحي إلى من يشاء من عباده.. فهي مسألة يجب أن يعترف بها كل عاقل، والدليل على صدق ذلك هو أن المسميات قد تم عرضها على الملائكة فلم تعرف أسهاءها ولم تتعرف على المسميات، وذلك من طلاقة قدرة الله تعالى.

أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٤٨٥)، تفسير سورة البقرة، آية ٣١، برقم (٦٥٧).

سلسلة القصص القرآني، د. حمزة النشرتي وآخرون، مؤسسة الأهرام، د. ت، القاهرة، ج١، ص١٩.

وإدراك آدم الكيالا كان إدراكًا توفيقيًّا، أي أنه عرَّف كل اسم لكل مسمى كما خلقه الله تعالى، ثم نزل إلى الأرض لتتطور هذه المسميات، ويعمل العقل الإنساني لتطوير وتحديد الأشياء مما استدعى أن يضع لها أسماء مشتقة مما تلقاه آدم الكيلا من الحق التي الله المناع.

وبعد أن علَّمَه الله تعالى الأسماء كلها أورث الله هَاكَ العلم نشأت هذا العلم لذريته من بعده، وجهذا العلم نشأت المجتمعات، وتطورت الحياة، وظهرت المخترعات.

٢. استخلافه في الأرض واختصاصه بالعديد من التشريعات والتكاليف التي يجب أن يبلغها البشر:

كل ذلك ما كان للإنسان أن يَعِيَه لولا أن مَنَّ عليه خالقه الله وحيه ذلك لعبده آدم الله حتى يُعلِّم ذريته من بعده؛ تتمة لسلسلة الفضائل والتكريات والنعم.

وإمعانًا في ترابط البشر، وتعايشهم في أمن ونظام.. كانت التشريعات والتكاليف التي أمر الله آدم التليلا أن يُقعِّدها من أجل سعادة البشر، واستقرارهم، ومن

## هذه التشريعات:

# • شريعة الزواج:

فلا يكون النسل المشروع الذي يباركه الله إلا من زوجين سلكا الطريق الصحيح في التزاوج. هذا ما جرت عليه طبيعة الحياة التي اقتضتها حكمة الله.

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَنتِهِ ۚ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَجًا لِتَسَكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآيَئَتِ لِقَوْمِ يَنْفَكُرُونَ ﴿ اللَّهِ ﴿ (الروم).

وقد حَثَّ النبي على الزواج قال على: "من استطاع الباءة (٢) فليتزوج؛ فإنه أغضَّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء"(٢)(٤).

وقوله عَلَى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفْسِ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَفِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللّهَ الّذِي تَسَاءَ لُونَ بِهِ وَالْأَرْبَحَامُ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا الله النساء)(٥).

(النساء)(٥).

إن هذا تعبير عن خلق جديد مستقل وليس من قبيل الصدفة فهو أمر محكوم بنظام دقيق وقوانين محكمة... حيث يختلف النوعان وينشأ عن التقائها جنين قد يكون ذكرًا وقد يكون أنثى بعد مدة زمنية... هل هذا الأمر المنظم بدقة يمكن أن يكون صدفة؟!

قصص الأنبياء، محمد متولي الشعراوي، مرجع سابق، ص١١، ١٢ بتصرف.

٢. الباءة: الجماع.

٣. وِجاء: وقاية.

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب الصوم لمن خاف علي نفسه العزوبة (١٨٠٦)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة (٣٤٦٦).

٥. بتَّ: نشر.

إن هذا النظام الدقيق الذي أوجد اللقاء بين الرجل والمرأة على لذة ومتعة واشتهاء؛ ليكون به عارة الكون على أسس وقواعد محسوبة من التكليف(1). عن طريق الوحي، والله لا يوحي إلا إلى الأنبياء، فكيف تُنكر نبوة آدم الكيل وقيد أوحي إليه بهذه التكاليف وتلك الشرائع؟!

وعلى هذا فقد أُمِرَ آدم الطّيّة بتكليف من ربه و السيدة يتزوج كل من ولديه توأم أخيه، فقد كانت السيدة حواء تلد اثنين في كل بطن... ولذلك أمر آدم الطّيّة ابنيه قابيل وهابيل، أن يتزوج كل منها توأم أخيه، وألا يتزوج الأخت التي ولدت له، وسوف يتضح لنا بعد عرض أحداث قصة قابيل وهابيل أن الأخ القاتل قد فعل هذا ليبرأ من عصيان أمر أبيه الذي هو وحي ساوي لنطمئن إلى نبوة آدم الطيّة، أما رسالته فالأمر فيها مختلف وشأنه أن نُفوِّض (٢) علم ذلك إلى الله (٢).

## • النهى عن القتل وسفك الدماء:

وإذا عُدْنا أدراجنا (٤) إلى المشهد السابق من قصة قابيل وهابيل، فإننا نجد التكليفات والشرائع التي بلغها آدم العَيْلِمُ لأبنائه تشهد بنبوته؛ فامرأة هابيل التي هي توأم قابيل كانت أجمل من توأم هابيل، فأباها قابيل على أخيه، وأرادها لنفسه، ثم اتفقا على أن يحتكما إلى

إن الذي حَمَل قابيل على ارتكاب هذه الجريمة في حق أخيه وأبيه - بل في انتهاك حرمات الله، فقد قتل نفسًا بغير وجه حق - إنها هو الحسد، الذي بسببه طُرِد إبليس من الجنة، وبسببه أُلقِي يوسف في الجُئبِّ (١)، وبسببه كفر من كفر.

وقوله على: ﴿ وَٱتَّلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىٰ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانَا فَنُقُتِلَ مِنَ ٱلْآخِرِ قَالَ لَا فَنُقَتِلَ مِنَ ٱلْآخِرِ قَالَ لَا فَنُقَتِلَ مِنَ ٱلْآخِرِ قَالَ لَا قَنْكُنَكُ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللّهُ مِنَ ٱلْمُنَقِينَ ﴿ اللّه الله الله الله الله عنه الله عنه والتقوى. فهو يخبره أن رضا الله تعالى مقرون بطاعته واتباع أوامره، فلو كان تقيًّا مثله لقبل قربانه، ولكنه يتهادى في غيه، فيوصر على قتله. بينها يستمر التقي في دعوته إلى الهدى، ويكشف له معالم الطريق إلى الله بالحكمة والموعظة ويكشف له معالم الطريق إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ويلقاه ملاطفًا موادعًا.

فمن أين عُرِفت هذه الأخلاق وتلك التشريعات من الحلال والحرام؟ ومن أين عُرف ما يرضي الله وما يغضبه إلا أن يكون وحيًا يوحي؟ وإذا كان القرآن لم

٥. القُرْبان: ما يُتَقَرَّب به إلى الله.

٦. الجُبُّ: البِئْر.

قصص الأنبياء، محمد متولي الشعراوي، مرجع سابق، ص١٠: ١٢.

٢. نفوِّض: نسلَم.

٣. للمزيد انظر: قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، مرجع سابق، ص ٢٤ وما بعدها.

٤. أدراجنا: رجعنا.

يذكر آدم الطّن بالنبوة صراحة فقد أشار إلى ذلك كما سبق في الآيات وذكره مع مَن اصطفاهم بالنبوة وأوحى إلى أنبيائه. فكيف يأتي بعد ذلك مَن ينكِر نبوة آدم الطّن ويزعم أنه لم يكن نبيًا.

#### الخلاصة:

- لم يذكر القرآن الكريم نبوة آدم الطّه كما ذكر غيره من الأنبياء، ولكن ذكر أن الله خاطبه بلا واسطة، فأحل، وحرم، وأمر، ونهى، دون أن يُرسِل إليه رسولًا. وهذا معنى النبوة.
  - ومن دلائل نبوة آدم التَلْيَكُلا:
- و أن الله تعالى أوحى إليه بتعليم الأساء دون الملائكة الكرام، إذ لم تعرف عندما عرض الله عليهم الأساء والمسميات، إذن كان هناك إلهام ووحي؛ وعلى هذا فسيدنا آدم ليس بشرًا عاديًّا بل هو نبي موحى إليه.

O كذلك فقد أراد الله تعالى بعد خلق آدم التيكان خلق ذرية تكون خليفته في الأرض تعمرها ويتحقق مراد الله من وجودها.. وكان لزامًا أن تعبي البشرية العديد من التشريعات والأحكام الإلهية التي تساعدها على الاستقرار وتحمل مَغَبَّة (۱) هذه الحياة التي لم يجربوها من قبل، فكان إرشادهم تكريمًا من الله على وفضلًا. ومن هذه التشريعات شريعة الزواج، والنهي عن القتل وسفك الدماء... إلخ. ومن ثم فلا يصح أن يدَّعِي الواهمون عدم نبوة آدم المناسلة.

# AND EAST

## الشبهة السادسة

# الزعم أن آدم وحواء ـ عليهما السلام ـ قد أشركا بالله تعالى (\*) ®

### مضمون الشبهة:

يزعم بعض المتوهمين أن آدم التَكِين قد أشرك بالله تعالى هو وزوجه حواء \_عليهما السلام \_حينها جاءهما الشيطان ونصحها أن يُسميا ولدهما عبد الحارث(٢)؛ كي يحيا، وكان لا يعيش لهما ولد قط.. ويستدلون على ذلك بقول الله تبارك وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسِ وَحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنُ إِلَيْهَا ۖ فَكَنَّا تَغَشَّنْهَا حَمَلَتَ حَمَّلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ مُ فَلَمَّا أَثْقَلُت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبِّهُ مَا لَينَ ءَاتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّاحِ ينَ اللهُ فَلَمَّا ءَاتَنَهُمَا صَلِحًا جَعَلًا لَهُ شُرِّكَاءً فِيمَا ءَاتَنَهُمَا فَتَكَلَّى أَللَّهُ عَمَّا يُتَّرِكُونَ اللَّهِ (الأعراف)، كما يستدلون بحديث الصحابي الجليل سَمُرَةَ بن جُنْدُب ١٤٠٠ الله حملت حواء، طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولـد، فقال: سمّيه عبد الحارث؛ فإنه يعيش، فسمّوه عبد الحارث، فعاش وكان ذلك من وحيي الشيطان وأمره"(٣). ويهدفون من وراء ذلك إلى التشكيك في عصمة آدم الطَّيْثِينَ.

١. مَغَبَّة: عاقبة.

<sup>(\*)</sup> مكتبة شبكة التفسير، والدراسات القرآنية.

www.tafsir.com

<sup>®</sup> في "ثبوت عصمة آدم" طالع: الشبهة الثالثة، من هذا الجزء.

٢. الحارث: هو اسم إبليس.

٣. ضعيف: أخرجه أحمد في مسنده، مسند الكوفيين، حديث سمرة بن جندب عن النبي ﷺ (٢٠١٢٩)، والترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب سورة الأعراف (٣٠٧٧)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٣٤٢).

## وجه إبطال الشبهة:

اتفق العلماء على تنزيه آدم النَّكِيُّ وعصمته من الشرك واختلفوا في قبول الحديث وتأويل الآية على مذهبين:

- قبول الحديث والآية على ظاهرهما في قصة آدم وحواء \_ عليهما السلام \_ والقول أن الشرك لم يكن شركًا في العبادة بل شركًا في التسمية أو الطاعة.
- تضعيف الحديث وتأويل الآية في غير آدم وحواء، وإنها للجنس البشري عمومًا، فالشرك لم يقع منها ولكن كان في ذريتها من بعدهما.

#### التفصيل:

## مذاهب العلماء في تفسير الآية والحديث:

اتفق العلماء على تنزيه مقام آدم التَّكِيلاً من السرك، وأن ذلك لم يقع منه، ولا من الأنبياء قط، وقد عدُّوا هذه الآية والحديث الوارد في تفسيرها من مشكلات التفسير، ولهم في تأويلها أقوال خلاصتها راجعة إلى مذهبين:

# الأول: مذهب قبول الحديث، والآية على ظاهرهما في قصة آدم وحواء:

وهذا رأي الجمهور من المفسرين، حيث ذهبوا إلى أن الآية معني بها آدم وحواء \_ رضي الله عنهم جميعًا \_ حيث سميا ابنها عبد الحارث. ورُوِي ذلك عن: أبي بن كعب، وسمرة بن جندب، وابن عباس. وهو اختيار جمع من المفسرين كما سيأتي ذكرهم. واختلف هؤلاء في معنى الشرك المضاف إلى آدم وحواء \_ عليهما السلام \_ على أقوال:

القول الأول: أنه كان شركًا في التسمية، ولم يكن شركًا في العبادة كما روي عن قَتَادَةَ، والسُّدِّي، واختاره

الطَبَرِي، والبَغَوِي، والألُوسِي... وغيرهم (١).

قال البغوي: جعلا له شريكًا إذ سمياه عبد الحارث، ولم يكن هذا إشراكًا في العبادة، ولا أن الحارث ربها؟ فإن آدم النفي كان نبيًّا معصومًا من الشرك، ولكن قصد إلى أن الحارث كان سبب نجاة الولد وسلامة أمه، وقد يُطْلَق اسمُ العبد على من يراد به أنه معبود هذا، كالرجل إذا نزل به ضيف يسمي نفسه عبد الضيف، على وجه الخضوع، لا على وجه أن الضيف ربه، ويقول للغير أنا عبدك، وقال يوسف النفي لعزيز مصر: ﴿ وَرَوَدَتُهُ ٱلَّتِي عبدك، وقال يوسف النفي لعزيز مصر: ﴿ وَرَوَدَتُهُ ٱلَّتِي عبدك قَالَ مَعاذَ ٱللَّهُ إِنّهُ رَبّ أَخْسَنَ مَثُواَى إِنّهُ لا يُقْلِحُ لَك قَالَ مَعاذَ ٱللَّهِ إِنّهُ رَبّ أَخْسَنَ مَثُواَى إِنّهُ لا يُقْلِح كنا كذلك هذا.

القول الثاني: أنه كان شركًا في الطاعة، ولم يكن شركًا في العبادة. وهذا هو المروي عن ابن عباس رضي الله عنها وقتادة.

القول الثالث: أن أي إشراك وقع من حواء لا من آدم التَّلِيَّةُ ولم يشرك آدم قط، وأما قوله: "جعلا له شركاء فيها آتاهما" بصيغة المثنى فلا ينافي ذلك؛ لأنه قد يسند فعل الواحد إلى الاثنين، بل إلى جماعة، وهو شائع في كلام العرب وهذا قول القِنَّوْجِي (٢).

واعترض عليه من قال: بأن الله تعالى قال: "جعلا"

انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج٧، ص٣٣٨. مكتبة شبكة التفسير والدراسات القرآنية. www.tafsir.com

٢. هَيْت لك: هلُمَّ وأقبل علي.

٣. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، دار
 الفكر، بيروت، ١٩٧١م، ٨/ ٣٦٧.

حيث نسب الجعل إليها، والأصل حمل اللفظ على ظاهره، وبأن آدم اللفظ قد أقرَّ حواء على ذلك، وبأنه في حديث سمرة الله التصريح بأنها سمياه بذلك معًا(١).

## أدلة هذا المذهب:

استدل القائلون بأن الآية معنيٌّ بها آدم وحواء بأدلة منها:

- حدیث سمرة ﷺ، وقد صرح بعضهم بـصحته،
   والآخر سکت بها یشعر بإقراره بصحة الحدیث.
- أن هذا المذهب هو المروي عن سمرة، وأبي بن كعب، وابن عباس ، ومثل هذا لا يقال بالرأي، فدل على أن للقصة أصلًا؛ فيكون لها حكم الرفع.

## الاعتراض على هذا المذهب:

اعتُرِض على هذا المذهب بقوله تعالى في آخر الآية: ﴿ فَتَعَلَىٰ اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ الْآهِ (الاعراف) بصيغة الجمع، فلو كان المراد آدم وحواء عليهما السلام لقال: يشركان، بصيغة التثنية، وفي هذا دلالة واضحة بأن الآية معنيٌ بها الذرية لا آدم وحواء عليهما السلام ...

## ردهم على الاعتراض:

وقد أجابوا بأن آخر الآية معنيٌّ بها مشركو العرب من عبدة الأوثان، وأن الخبر عن آدم وحواء عليها السلام قد انقضى عند قوله: ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ ﴾ وهذا رأي الطبري، والسُّيُوطِيِّ وغيرِهم (٢).

المذهب الثاني: مذهب تنضعيف الحديث، وتأويل الآية في غير آدم وحواء.

حيث ذهب آخرون إلى تضعيف حديث سمرة ، وأن الشرك المذكور في الآية معنيٌّ به غير آدم وحواء عليها السلام، واختلفوا في المعني به على أقوال:

القول الأول: أن السشرك نُسِبَ إلى آدم، وحواء ظاهرًا، والمعني به أولادهما، كاليهود، والنصارى، والمشركين. وآدم وحواء عليها السلام بريئان من الشرك، والآية فيها انتقال من ذكر النوع إلى الجنس؛ فإن أول الكلام في آدم وحواء عليها السلام، ثم انتقل الكلام إلى الجنس من أولادهما.

وقد اشتهر هذا القول عن الحسن البصري، ورُوِي عن ابن عباس في إحدى الروايات عنه (٢).

قال الحسنُ البَصْرِي في تفسير الآية: "كان هذا في بعض أهل المِلَل (٤) ولم يكن بآدم"، وعنه قال: "عني بهذا ذرية آدم من أشرك منهم بعده". وعنه قال: "هم الله ولادًا فَهوود، والنصارى رزقهم الله أولادًا فَهوود، ونصَّرُوا".

واختار هذا القول جمع من المفسرين منهم: النَسَفِي، والقُرْطُبِي، وابنُ الْقَيِّم، وابنُ كَثِير، والسِّعْدِي، ... إلخ. قال الزَّعُشَرِي: في قوله ﷺ: ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاتَهُ ﴾:

١. روح المعاني، الألوسي، دار إحياء الـتراث العـربي، بـيروت،
 د. ت، ٩/ ١٨٩.

الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٨٧م، ١/ ٢٨١.

٣. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ج٧، ص ٣٣٨، ٣٣٩.

٤. اللّل: جمع مِلَّة، وهي الشريعة والدين، وهي اسم لما شرَع الله لعباده بواسطة أنبيائه؛ ليتوصلوا به إلى السعادة في الدنيا والآخرة، وتطلق كذلك على الطائفة الدينية، وهي المجموعة المتحدة بعقيدة مشتركة، وتحت اسم واحد، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَتِهِمْ ﴾ (الكهف: ٢٠).

أي جعل أولادُهما له شركاءً، على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وكذلك فيها آتاهما، أي آتى أولادهما.

وآدم وحواء عليهما السلام بريئان من الشرك، ومعنى إشراكهم فيما آتاهم الله: تسميتهم أو لا دَهم بعبد العُزَّى، وعبد مَنَاة، وعبد شمس، وما أشبه ذلك، فكان عبد الله، وعبد الرحمن، وعبد الرحيم (۱).

وقال الحافظ ابن كشير: وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري - رحمه الله - في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء - عليها السلام -، وإنها المراد من ذلك المشركون من ذريته، فذكر آدم وحواء - عليها السلام - أولًا كالتَّوْطِئة (٢) لما بعدهما من الوالدين، وهي كالاستطراد (٣) من ذكر الشخص إلى الجنس، كها في قوله عَلَن فَلُمَا مَن نُكُم اللهِ مِن سُكلَة مِن طِينِ فِي قوله عَلْن فَلُهُ مَعَلن السَّمَة الدُّن بِن سُكلَة مِن طِينِ تَبارك تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَا السَّمَة الدُّن بِمَصْبِيح وَجَعَلنها تبارك تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَا السَّمَة الدُّن بِمَصْبِيح وَجَعَلنها رَبُومُمَا لِلشَّيطِينِ وَاعْتَدً نَا هُمُ عَذَاب السَّعِيرِ (١٠) ﴾ (اللك).

ومعلوم أن المصابيح، وهي النجوم التي زُيِّنت بها السياء، ليست هي التي يُرمَى بها، وإنها هذا استطراد من شخص المصابيح إلى جنسها، ولهذا نظائر في القرآن، والله أعلم".

# الاعتراض على هذا القول:

اعترض على هذا القول بأن فيه تشتيتًا للضمائر،

والأصل اتساق الضمائر، وعودها لمذكور واحد.

أي أن الضمائر في الآية للمثنى فكيف يقصد بها الجمع.

القول الثاني: أن الآية معني بها المشركون من بني آدم عمومًا، وليس فيها تعرض لآدم وحواء عليها السلام بوجه من الوجوه. وهذا اختيار: ابن حَزْمٍ، والرَّازِي، والقَفَّال، وابن عُثَيْمِين... وغيرهم.

قال القَفّال: "ذكر الله تعالى هذه القصة على سبيل ضرب المثل، وبيان أن هذه الحالة صورة من حالة هؤلاء المشركين في جهلهم، وقولهم بالشرك، وتقرير هذا الكلام، كأنه تعالى يقول: هو الذي خلق كل واحد منكم من نفس واحدة، وجعل من جنسها زوجها إنسانًا يساويه في الإنسانية، فلما تغشى الزوج زوجته وظهر الحمل؛ دعا الزوج والزوجة ربهما لئن آتيتنا ولدًا صالحًا سويًا لنكونن من الشاكرين لآلائك (٤)؛ فلما آتاهما الله ولدًا صالحًا سويًا جعل الزوج والزوجة لله شركاء فيما آتاهما؛ لأنهم تارة ينسبون ذلك الولد إلى الطبائع، كما هو قول الطبائعيين، وتارة إلى الكواكب كما هو قول المنجمين، وتارة إلى الأصنام والأوثان كما هو قول عبدة الأصنام، ثم قال تعالى: "فتعالى الله عما يشركون": أي تنزه الله عن ذلك الشرك".

## واعترض على هذا القول:

١. بأن قوله عَلَا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَحِدَةٍ

٤. الآلاء: جمع الألى أو الإلى، أي النعمة.

٥. مفاتيح الغيب، الرازي، مرجع سابق، ١٥/ ٧١. محاسن التأويل، القاسمي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٠٢٤٠.

١. الكشاف، الزنخشري، طبعة البابي الحلبي، القاهرة، د. ت،
 ٢/ ١٨٠.

٢. التَّوْطِئة: التمهيد.

٣. الاستطراد: الخروج.

وَجَعَلَ مِنْهَا زُوْجَهَا ﴾ (الأعراف:١٨٩) لا يصح حمله على غير آدم وحواء عليهما السلام المفيي ضائر تثنية عائدة على المذكورة في أول الكلام وهي آدم وحواء.

Y. وبقوله: "دعوا الله ربهها" فإن كل مولود يولد من الجنسين لا يكون منهها عند مقاربة وضعه هذا الدعاء (١). أي أن الزوجين وخاصة الكفار لا يكون منهها هذا الدعاء قبل وضع الولد.

القول الثالث: أن المشركين كانوا يقولون: إن آدم السلام ولا يعبد الأصنام ويرجع إليها في طلب الخير ودفع الشر، فذكر تعالى قصة آدم وحواء عليها السلام وحكى عنها أنها قالا: ﴿ لَهِنّ ءَاتَيْتَنَا صَلِحًا لَلهُ وَنَ مَنَ ٱلشَّكْرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٨٩) أي ذكرا أنه تعالى لو آتاهما ولدًا سويًّا صالحًا لاشتغلوا بشكر تلك النعمة، أسم قال: ﴿ فَلَمّا ءَاتَنهُما صَلِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكاءً فِيما المنعلام الإنكار، والتبعيد، والتقرير، والمعنى: أجعلا له شركاء الإنكار، والتبعيد، والتقرير، والمعنى: أجعلا له شركاء فيها آتاهما؟ ثم قال: "فتعالى الله عما يشركون" أي: تعالى الله عن شرك هؤلاء المشركين الذين يقولون بالشرك وينسبونه إلى آدم السينية.

ذكر هذا التأويل: الفَخْرُ الرَّازِي في تفسيره (٢).

ويرده أن هذه الآية الكريمة وردت بصيغة الخبر، وحملها على معنى الاستفهام يفتقر إلى دليل، وليس ثمة دليل.

والمراد من قول الله تبارك وتعالى: ﴿ هُو اللّهِ عَنْ اللّهِ مُو اللّهِ عَنْ اللّهِ مُن قَفْسِ وَحِلَةٍ ﴾ أي قصي وجعل من جنسها زوجها، عربية قرشية ليسكن إليها، فلها آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيها آتاهما، حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد مناف، وعبد العزى، وعبد قصي، وعبد اللات، وجعل الضمير في "يشركون" لهما ولأعقابها الذين اقتدوا بهما في السشرك. ذكسر هذا التأويسل: الزنخ شري، والبيَضْاَوِي.

## الاعتراض على هذا القول:

قال ابن جزي: وهذا القول بعيد لوجهين:

أحدهما: أن الخطاب على هذا خاص بذرية قصي من قريش، والظاهر أن الخطاب عام لبني آدم.

والآخر: أن قوله: "وجعل منها زوجها" فإن هذا يصح في حواء؛ لأنها خلقت من ضلع آدم، ولا يصح في زوجة قصي.

القول الخامس: أن الضمير في قوله: "جعلا" راجع إلى الولد الصالح، والمعنى جعل ذلك الولد الصالح ـ الذي رزقها الله إياه \_ جعل لله شركاء، وإنها قال: "جعلا" لأن حواء كانت تلد في كل بطن ذكرًا وأنشى. ذكره ابن الجَوْزِي، والجَصَّاص (٣).

٣. أحكام القرآن، الجصاص، دار إحياء التراث، بيروت، د. ت، ٣/ ٤٩. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ، ٣٧ ٨٠٠

١. فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت، ٢/ ٤٠١.

٢. مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، مرجع سابق، ١٥/ ١٧.

## الترجيح(١):

الراجح لدينا \_ والله تعالى أعلى وأعلم \_ أن الآية ليست في آدم وحواء \_ عليها السلام \_، وإنها هي خطاب للمشركين من قريش وغيرهم، والمقصود بها ضرب المثل، وأن هذه حالة المشركين، فهو سبحانه يذكر أنه خلق كل واحد منهم من نفس واحدة، وجعل من جنسها زوجها، ولما كان من طبيعة البشر حب الولد ذكر الله تعالى أن هذين الزوجين كانا حريصين على أن يُرزقا بولد صالح لينتفعا به، وأنها قد عاهدا الله لإن أتاهما صالحاً ليكونن من الشاكرين، فلما آتاهما صالحاً ليكونن من الشاكرين، فلما آتاهما صالحاً الله شركاء فيما آتاهما، حيث نسبا هذه النعمة لغير الله، وعبداً أو لادهما لغير الله، ثم أخبر سبحانه أنه بريء عما يشرك به هؤلاء، وغيرهم؛ فقال: ﴿ فَتَعَلَى الله عَمّا يشرك به هؤلاء، وغيرهم؛ فقال: ﴿ فَتَعَلَى الله عَمّا يشرك به هؤلاء، وغيرهم؛ فقال: ﴿ فَتَعَلَى اللّه عَمّا يشرك به هؤلاء، وغيرهم؛ فقال: ﴿ فَتَعَلَى اللّه عَمّا يشرك به هؤلاء، وغيرهم؛ فقال: ﴿ فَتَعَلَى اللّه عَمّا يشرك به هؤلاء، وغيرهم؛ فقال: ﴿ فَتَعَلَى اللّه عَمّا يشرك به هؤلاء، وغيرهم؛ فقال: ﴿ فَتَعَلَى اللّه عَمّا يشرك به هؤلاء، وغيرهم؛ فقال: ﴿ فَتَعَلَى اللّه عَمّا يشرك به هؤلاء، وغيرهم؛ فقال: ﴿ فَتَعَلَى اللّه عَمّا يشرك به هؤلاء، وغيرهم؛ فقال: ﴿ فَتَعَلَى اللّه عَمّا يشرك به هؤلاء، وغيرهم؛ فقال: ﴿ فَتَعَلَى اللّه عَمّا يُشْرِكُونَ لَا اللّه عَمْ الله عَلَى الله عَمْ الله عَلَى الله عَلَ

والآية الكريمة مراد بها ذكر الجنس لا النوع؛ فقوله تعالى: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَفْسٍ وَحِدَةٍ ﴾؛ أي من جنس واحد، وقوله: "وجعل منها زوجها" أي وجعل من هذا الجنس زوجة هي على شاكلته، ولم يجعلها من جنس آخر، ولفظ النفس قد يطلق ويراد به الجنس كها في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَتَ فِيهِمْ رَسُولًا مِن أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ عَاينتِهِ وَيُرْكِيمِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِنْكِ وَالْحِصْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَغِي صَلَالًا مِن قَبْلُ لَغِي صَلَالًا مِن قَبْلُ لَغِي مَن جنسهم.

التحقيق فيها نسب إلى آدم وحواء، أحمد بن عبد العزيز القصير، شبكة التفسير والدراسات القرآنية، في تفسير سورة الأعراف، آية 19٠: ﴿ فَلَمَّا ءَاتَنْهُمَا صَلِحًا جَعَلَا لَهُ شُركاً هَ ﴾.

#### أدلة هذا المذهب:

الدليل الأول: قوله تعالى في آخر الآية: ﴿ فَتَكَلَى اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ الْأَعِرَافِ)، وهذا يدل على أن الذين أتوا بهذا الشرك جماعة، ولو كان المراد آدم وحواء عليها السلام، لعبر عنها بصيغة التثنية.

الدليل الشاني: أنه تعالى قال بعد هذه الآية: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْعًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿ الْاعراف) ، وهذا يدل على أن المقصود من هذه الآية الرد على من جعل الأصنام شركاء لله تعالى، وليس المراد بها آدم وحواء عليها السلام ...

الدليل الثالث: لو كان المراد إبليس لقال: أيسركون "من" لا يخلق شيئًا ولم يقل "ما"؛ لأن العاقل إنها يـذكر بصيغة "من" لا بصيغة "ما".

الدليل الرابع: أن هذا القول فيه تنزيه لمقام آدم الكيلا من الشرك والقول الذي فيه تنزيه وإجلال لمقام الأنبياء، مقدم في التفسير على القول الذي فيه قدح بعصمتهم، وحط من منزلتهم.

الدليل الخامس: أن المروي عن سمرة الله في تفسير الآية لم يثبت بسند صحيح، وعليه فلا يصح حمل الآية على أمور مُغَيَّبةٍ لم يثبت فيها دليل من كتاب أو سنة.

الدليل السادس: أنه لو كانت هذه القصة في آدم وحواء عليها السلام ما لكان حالها إما أن يتوبا من ذلك الشرك أو يموتا عليه، فإن قلنا ماتا عليه، كان في هذا القول فرية عظيمة؛ لأنه لا يجوز موت أحد من الأنبياء على الشرك.

وإن كانا قد تابا من الـشرك، فـلا يليـق بحكمـة الله وعدله ورحمته أن يذكر خطأهما ولا يذكر تـوبتهما منـه،

فيمتنع غاية الامتناع أن يذكر الله الخطيئة من آدم وحواء عليهما السلام \_ وقد تابا، ثم لا يذكر توبتهما، والله تعالى إذا ذكر خطيئة بعض أنبيائه ورسله ذكر توبتهم عنها، كما في قصة آدم نفسه الكيلا حين أكل من الشجرة هو وزوجه \_ عليهما السلام \_ وتابا عن ذلك.

الدليل السابع: أنه ثبت في حديث الشفاعة أن الناس يأتون إلى آدم الطّي يطلبون منه الشفاعة فيعتذر بأكله من الشجرة التي عصى الله تعالى بالأكل منها في الجنة، فلو كان وقع منه الشرك، لكان اعتذاره منه أقوى وأولى وأحرى.

الدليل الثامن: أن الله تعالى أسند فعل الذرية إلى آدم وحواء \_ عليها السلام \_؛ لأنها أصل لذريتها، كما في قوله على: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقَّنَكُمُ مُّمَ صَوَّرَنَكُمُ مُّمَ قُلْنَا لِلْمَلَكَ كَعَ وَلَهُ عَلَيْ السَّلَامِكَ وَلَقَدْ خَلَقَّنَكُمُ مُّمَ صَوَّرَنَكُمُ مُّمَ قُلْنَا لِلْمَلَكَ كَعَ مَنَ السَّيْحِدِينَ السَّجُدُوالِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبلِيسَ لَرَيكُن مِّنَ السَّيْحِدِينَ السَّيْحِدِينَ السَّبُودِينَ اللَّهُ الْعُلِمُ اللَّهُ اللللْحُلِيْلِ اللَّهُ الللْحُلِيْلِيْلِ الللْمُلِلْمُ اللَّهُ

وأما الجعل فهو إيجاد شيء وتكوينه منها(١)، وهذا هو حال كل فرد من بني آدم؛ فإنهم يتناسلون ويتوالدون من بعضهم البعض، وأما حواء فإنها خلقت ابتداء من آدم الطيلا من غير أم ولا أب.

وقد وردت عدة آيات تدل على أنه إذا ورد لفظ "جعل" فالمراد به الجنس، منها: قوله رهان: ﴿ وَاللّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً انْفُسِكُم أَزْوَجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزْفَكُمْ مِنَ الطّيبَنَتِ أَفَيالْبُطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِغِمَتِ اللّهِ هُمْ وَرَزْفَكُمْ مِنَ الطّيبَنَتِ أَفَيالْبُطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِغِمَتِ اللّهِ هُمْ يَكُفُرُونَ آنَ ﴾ (انحل ")، وقال رهان فَيْن فَرَفَكُمْ مِن نَفْسِ وَحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَلِ وَمَن نَفْسِ وَحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَلِ وَمَن نَفْسِ وَحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَلِ وَمَن الْلَّيْ وَهُو اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَقَالَ اللّهُ اللّهُ وَقَالَ مَن اللّهُ الللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ الللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ الللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ

الدليل العاشر: وعما يؤكد أن الآية معني بها المشركون على وجه العموم: أنه لم يصرح بذكر آدم وحواء عليها السلام - في الآية، والمتأمل في قصص الأنبياء الواردة في القرآن الكريم يلاحظ التصريح بذكر أسهائهم، ومن هؤلاء آدم الكين فإنه إذا ذكرت قصته يذكر باسمه الصريح غالبًا.

الدليل الحادي عشر: ويدل على أن الآية في المشركين

انظر تفاسير: الكشاف، الزنخشري، مرجع سابق. مفاتيح الغيب، الرازي، مرجع سابق. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق. تفسير النسفي، النسفي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ت، عند تفسير آية الأعراف التي نحن بصددها.

٢. حَفَدَة: حفدة الرجل: أولاد أولاده.

٣. فأنَّى تُصْرَفُون: عجبًا! كيف تصرفون عبادتكم لغيره؟

عامة: الاستطراد في الآيات التي بعد هذه الآية في وصف حال مشركي العرب، وهي صريحة بأنهم هم المرادون بهذا الشرك، وليس آدم وحواء عليهما السلام.

قال عَلَىٰ: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَعْلَقُ شَيْنًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿ اللهِ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَضُرُونَ ﴿ اللهِ وَإِن اللهِ عَلَىٰ اللهُ ال

الدليل الثاني عشر: أنه لم يثبت دليل على أن الآية معنى بها آدم وحواء عليها السلام - إلا ما رُوي من حديث سمرة هذه، وهو ضعيف - كما تقدم - وما روي عن ابن عباس - رضي الله عنها - في الآية يُعدُّ من الإسرائيليَّات (۱) الملفقة التي أُخِذَت عن أهل الكتاب، وإنها التبس على كثير من المفسرين الأمر، وظنوا أنها في آدم وحواء - عليهما السلام - بسبب هذه الروايات، وهذه آفة من آفات الإسرائيليات، والتي تعتبر من الدخيل السيئ في التفسير (۲).

وفي هذا الصدد يقول الأستاذ سيد قطب: "إن بعض الروايات في التفسير تذكر هذه القصة على أنها قصة حقيقية وقعت لآدم وحواء عليها السلام اذ كان أبناؤهما يولدون مشوهين، فجاء إليها الشيطان فأغرى حواء أن تسمي ما في بطنها "عبد الحارث"...

الرواية من طابع إسرائيلي، ذلك أن التصور الإسرائليي المسيحي - كما حرفوا ديانتهم - هو الذي يُلقي عب الغواية على حواء وهو مخالف تمامًا للتصور الإسلامي العواية على حواء وهو مخالف تمامًا للتصور الإسلامي الصحيح... ولا حاجة بنا إلى هذه الإسرائيليات لتفسير هذا النص القرآني... فهو يصور مدارج الانحراف في النفس البشرية... ولقد كان المشركون على عهد رسول الله وقبله، يَنذِرون بعض أبنائهم للآلهة أو لخدمة معابد الآلهة تقربًا وزُلْفَى (٢) إلى الله! ومع توجههم في أول الأمر لله، فإنهم بعد دحرجة قمة التوحيد إلى درك الوثنية كانوا يَنْذِرُون أبناءهم لهذه الآلهة لتعيش وتصبح وتُوقَى المخاطر"(٤).

والحارث اسم لإبليس؛ ليولد صحيحًا ويعيش؛

ففعلت وأغرت آدم الطِّيِّلاً معها. وظاهرٌ ما في هذه

#### الخلاصة:

• اتفق العلماء على تنزيه مقام آدم الكيلا من السرك وأن ذلك لم يقع منه ولا من الأنبياء قط، وقد عدُّوا هذه الآية والحديث الوارد في التفسير عند بعضهم من مشكلات التفسير، ولهم في تأويلها أقوال خلاصتها راجعة إلى مذهبين:

الأول: مذهب قبول الحديث والآية على ظاهرهما في قصة آدم وحواء عليها السلام مم القول الشرك المضاف إليها هنا ليس شركًا في العبادة، وإنها هو شرك في التسمية أو الطاعة.

الثاني: مذهب تضعيف الحديث، وتأويل الآية في

الإسرائيليَّات: الأخبار المنقولة عن اليهود في كتب التفسير أو
 التاريخ وغيرهما.

٢. انظر: التحقيق فيها نسب إلى آدم وحواء، عبد الرحمن بن
 عبد العزيز القصير، مرجع سابق، في تفسير آية ١٩٠ من سورة
 الأعراف.

٣. الزُّلْفَى: القُرْبَى.

في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١١،
 ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ج٣، ص١٤١٢.

غير آدم وحواء عليها السلام ، وإنها هي في أولادهما، والمعني بها المشركون من بني آدم عمومًا وليس فيها تعرض لآدم وحواء عليها السلام بوجه من الوجوه، وهذا هو الراجح.

كلا المذهبين يبرئ آدم الطلا من الشرك؛ لأنه لا يصح أن يقع من نبي من أنبياء الله، فهم معصومون بعصمة الله تعالى من ذلك وغيره، مما لا يليق بمقام الأنبياء.

# AND BUS

# الشبهة السابعة

# الزعم أن القرآن أخطأ في ذكر اسم إدريس الطِّيِّة وقصة رفعه حيًّا إلى السماء (\*)

### مضمون الشبهة:

يدَّعي بعض المتوهمين أن القرآن الكريم أخطأ في قصة إدريس الطَيْلَ، ويستدلون على زعمهم هذا بأن السمه في التوارة ليس إدريس ولكنه أخنوخ، كما يزعمون أن قوله تعالى في إدريس الطَيِّل: ﴿ وَرَفَعْنَهُ مَكَانًا عِليًّا ( ) مستوحى من بعض الأساطير التي ذكرت أنه شخص كُتب له الخلود وأُدخل الجنة حيًّا.

## وجوه إبطال الشبهة:

ا وردت أسماء مختلفة لنبي الله إدريس الطّيالاً في ثقافات مختلفة (المصرية ـ السامرية ـ اليونانية)، وهذا جائز لاختلاف طبيعة اللغات، فلماذا يُنكر ذلك على

القرآن الكريم وهو مقدم على غيره لثبوت صحته؟! ولا ينكر على غيره من الثقافات والديانات المحرفة؟!!

٢) من أساسيات عقيدة الإسلام أن البقاء
 والخلود لله وحده، وأن الفناء والموت من صفات
 المخلوقين ولا يُسْتَئنى من ذلك أحد.

٣) لم ينص القرآن الكريم ولا السنة على خلود
 إدريس التَلَيْلُا أو أنه رفع إلى السهاء حيًّا.

اتفقت أقوال المفسرين على أن إدريس الكيلا قبض ومات شأنه شأن المخلوقات جميعًا، وما ورد بخلاف ذلك، هو محض روايات أسطورية لا تتفق مع حقائق الإسلام بشأن قبض الأرواح.

#### التفصيل:

# أولا. ورود أسماء مختلفة للشخص الواحد في اللغات المتعددة أمر طبيعي:

الاسم الواحد لمعين سواء كان عَلَمًا على شخص أو مكان أو غير ذلك، قد يرد مختلفًا من لغة أو ثقافة إلى أخرى. وهذا لا يعني خطأ في لغة وصوابًا في أخرى، بل إن ذلك الاختلاف ناشئ من اختلاف النطق والهجاء والتركيب، وكذلك قواعد النحو والنظام الصهة.

ولقد ورد اسم إدريس الكلي في التوراة السامرية "أخنوخ"، وذلك في سفر التكوين "وسار أخنوخ مع الله، ولم يُوجَد لأن الله أخذه". (التكوين ٥: ٢٤). وهو في اليونانية أرميس، وعُرِّبَ بهرمس، ومعنى أرميس عطارد، وهو عند المصريين هرمس الهرامسة، وفي القرآن الكريم إدريس، وقيل: سمي إدريس لكثرة دراسته كتاب الله كان إذ روي أن الله تعالى أنزل عليه

<sup>(\*)</sup> موجز دائرة المعارف الإسلامية، فريق المستشرقين، مرجع سابق.

ثلاثين صحيفة، وأنه أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب، قال ﷺ: ﴿ وَٱذْكُرْفِٱلْكِئْبِ إِدْرِيسٌ إِنَّهُۥ كَانَصِدِيقًا نِّيتًا ١٠٠٠ ﴿ (مريم)، علمًا بأن التوراة اليونانية تضيف حرف السين في آخر الاسم ليعلم أنه اسم مثل: يوسيفوس، وإدريس في آخره السين، وكـذلك يونس الطِّينَا وهو في العبرية "يونان"، وعيسى الطِّيالا في اليونانية "إيسوس" وفي العبرية "يهوشوع"، وينطق أحيانا "أيشوع" و "يسوع"(١).

وهكذا نجد أن اسم سيدنا إدريس اللَّهُ قد اختلف من لغة إلى أخرى ومن ثقافة إلى أخـرى، فلـــاذا يُنكَــر على القرآن الكريم مع العلم بأنه الكتاب الوحيد الذي ثبت عدم تحريفه أو تغييره؛ بل هو محفوظ كما نزل من عند الله وذلك بـشهادة الدارسـين المحايـدين مـن المسلمين وغير المسلمين من أهل الاختصاص في هذا المجال.

وعلى النقيض تمامًا فقد أثبتت الدراسة المحايدة من أهل الاختصاص تحريف وتبديل ما عدا القرآن الكريم من الكتب السماوية، فضلًا عن الثقافات البشرية التي ليس لها ما لتلك الكتب من العصمة والقداسة.

ومعلوم أن ما ثبتت حجته مقدم على ما لم تثبت بالضرورة خطأ الاسم عندنا أو عند غيرنا.

١. حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، د. محمود حمدي زقزوق، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة،

ط۲، ۲۵۲۵/ ۲۰۰۶م، ص۶۸۶.

# ثَانيًا. الدوام والخلود لله وحده في عقيدة التوحيد الإسلامية:

يجب أن نثبت قواعد الإسلام العقائدية قبل مناقشة أي مجادل، فمن أوائل القواعد العَقَدِيَّة في الإسلام: قاعدة مبدأ الفصل بين صفات الله وصفات الخلق، فأول صفات الله ﷺ صفة الوحدانية، وهي تَفَرُّدُ الله تعالى بصفات الألوهية وحده، ومنها البقاء بـلا نهايـة، أي: دوام البقاء والخلود، فالله باق بذاته ولا شريك لــه في هذه الصفة، فلا يوصف نبي ولا رسول بهذه الصفة عند المسلمين.

أما أهل الكتاب من اليهود والنصاري فإنهم اعتادوا الخلط بين صفة الخالق سبحانه وصفة الخلق، لـذلك نسبوا إلى الله الزوجة والولد، وعندهم اختلط اللاهوت والناسوت (٢)، فلا عجب أن يقول اليهود: عُزَيْـرٌ ابـن الله ويعطونه صفات الألوهية ومنها الخلود، ويقول النصاري: المسيح ابن الله ويعطونه صفات الألوهية ومنها الخلود، أما المسلمون فلا خلط عندهم بين صفات الخالق وصفات المخلوق، فـلا يعطـون الخلـود لمخلوق قط، قال عَلَا: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبُشَرِيِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلَّدُ أَفَا إِينَ مِتَ فَهُمُ ٱلْخَلِدُونَ اللَّهُ (الانبياء).

والخلود قسمان: خلود الذات، وخلود الزمان، فأما حجته، ومع هذا فإننا لا ننكر الأسماء السابق ذكرهما خلود الـذات فهـو وصـف لله وحـده لا يـشاركه فيـه لسيدنا إدريس اللَّه في الثقافات والـديانات الأخرى، أحد من خلقه، وأما خلود الزمان فهي صفة الخلق في وذلك أن الخلاف في الاسم خلاف شكلي لا يعنى الجنة والنار، والصفتان مستحيلتان في الدنيا، فلـيس في

٢. اللاهوت والنَّاسوت: اللاهوت: الألوهية في مقابل الناسوت لطبيعة الإنسان، وعلم اللاهوت علم يبحث عن العقائد المتعلقة بالله، وربها أطلق الأول على الروح، والثاني على البدن، أو أطلق الأول على العالم العلوي، والثاني على العالم السُّفلي.

الدنيا خلود ذاتي ولا مكاني ولا زماني: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِ اللهِ عَلَيْهَا فَانِ اللهِ المُلْمُ المُلْمُ اللهِ اللهِ المُلْمُ المُلْمُ اللهِ المُلْمُ المُلْمُ اللهِ المُلْمُ المُلْمُ اللهِ المُلْمُ المُلْمُ المُلْمُ المُلْمُ المُلْمُ اللهِ المُلْمُ اللهِ المُلْمُلِيَ

ونحن نسأل هؤلاء: هل كتب الله سبحانه الخلود لأحد من خلقه في دنيا الناس من حولنا؟ عقيدتنا والواقع يؤكدها \_أن أحدًا لا يمكن أن يجيب عن هذا السؤال بالإيجاب؛ لأن الفناء شأن المخلوقات جميعًا، ولا خلود في اعتقادنا \_نحن المسلمين \_لبشر مها عظمت منزلته وارتفعت درجته، وقد كتب الله الموت على رسوله محمد وهو أفضل الرسل وأحبهم إلى الله، وإذا كان الله كل قد كتب الموت على محمد الله فالماذا يكتب الخلود لإدريس الكليم؟!

فلا خلود في اعتقادنا \_ نحن المسلمين \_ البشر وإنها البقاء لله وحده، ولا يَعنينا ما فهمه بعضهم من بعض الروايات من معنى الخلود أو البطولة الأسطورية مما يوافق روايات يهودية أو نصوص توراتية، فالثابت أن هذه الكتب السهاوية السابقة على القرآن قد حُرِّفت عن أصولها السهاوية الصحيحة، خصوصًا ما توجَّه لبني إسرائيل الذين حكم القرآن بأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه.

وهذا \_ كما هو معروف \_ دَيْدَنُ (۱) المغالطين من المستشرقين عمن يقعون على الروايات الضعيفة، والأخبار المنقطعة والآراء المرجوحة، فَيبُرُ زِونها ويجعلونها أصلا، لا سيّما إذا توافقت مع مقولة في التوراة أو الإنجيل المحرَّفَيْن، ليؤيدوا القول بأن القرآن مشتق منها، وأن محمدًا على قد لفَقه من كتب الأقدمين؛

وذلك لإنكارهم نبوَّة محمد ﷺ وسماوية القرآن، ويسلكون لإثبات ذلك كل سبيل.

# ثَالثًا. لم ينص القرآن الكريم ولا السنة النبوية على خلود إدريس النبي أو أنه رفع إلى السماء:

إن الذي يُحسب على الإسلام هو ما صرح به القرآن الكريم، وما جاء في صحيح السنة، وأمَّا ما جاء في غيرهما على ألسنة المفسرين فيؤخذ منهم ويُرد عليهم، وما نقلوه عن أهل الكتاب إن وافق ما في الكتاب والسنة قبلناه، وإن خالفها رددناه، وإن لم يوافقه، ولم يخالفه لا نصدقه، ولا نكذبه، بل هو قول يحتمل الصدق والكذب.

والذي جاء في القرآن الكريم عن إدريس النيخ قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِسْمَعِيلَ وَإِذْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ حُلُّ مَنَ الصَّنبِرِينَ ﴿ وَإِسْمَعِيلَ وَإِذْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ حُلُلُ مَن مَن الصَّنبِرِينَ ﴿ وَأَدْخَلْنَكُمْ فِ رَحْمَتِنَا أَ إِنّهُم مِن الصَّنبِرِينَ ﴿ وَ وَأَدْخَلْنَكُمْ فِ رَحْمَتِنَا أَ إِنّهُم مِن الله الله الله على مرسل صابر صالح له مكانة عالية رفيعة عند الله على وهو ممن أدخلهم الله سبحانه في رحمته.

وأما أهل التوراة فليس عندهم من العلم بشأن إدريس الطّيّة إلا أن أخنوخ ولد له وَلَدٌ، وهو ابن خمس وستين سنة، وعاش بعد ذلك ثلاثائة سنة، ولم يوجد بعد، لأن الله أخذه، فالله تعالى أعلم بشأنه.

وأما قوله عَلَّى: ﴿ وَرَفَعْنَهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿ اللهِ السهاء، إن معنى تنص على أن إدريس الطَّيِّةُ رفع حيًّا إلى السهاء، إن معنى الآية: ورفعنا ذكره وأعلينا قدره بشرف النبوة والزُّلفى عند الله (٢).

٢. قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، مرجع سابق، ص٣٨، ٣٩..

وما جاء في حديث المعراج (۱) من أن النبي القيه الله في السماء الرابعة ليس دليلًا على رفعه حيًا؛ فقد لقي في السماوات موسى وهارون ويوسف ويحيى وإبراهيم عليهم السلام - ولم يُرفَعوا أحياء؛ أما ما ورد في كتاب "تاريخ الحكماء" للقفطي من أن إدريس أول من أنذر بالطوفان، فخاف من ذهاب العلم، فبنى الأهرام والبرابي؛ المِسَلَّات في صعيد مصر، وصور فيها الصناعات، ورسم فيها العلوم حرصًا منه على تخليدها لمن بعده (۲)؛ فهي أخبار لم تُؤيَّد بنقل صحيح، ولم يُعَضِّدها (۱) نص قاطع نشهد به على الله تعالى أنه صنعه لعبده ونبيه إدريس النه، وكلها أقوال عاجمعها حُطَّاب الليل من المفسرين الذين لا هم هم لمم الا جمع كل شاردة وواردة، دون النظر إلى صحتها، ومعظمها أشبه ما تكون بالخرافات.

لذلك فإن الباحثين في هذه الأمور وأهل التاريخ القديم لا يجدون في بحوثهم ما يؤيد هذه الأخبار، بل يجدون ما يناقضها من العلم بأسهاء بناة الأهرام والملوك الأولين الذين قاموا بالدولة في مصر مثل مينا، وخوفو، وخفرع وغيرهم، من الذين شيدوا المعابد، ونقشوا عليها ما هو ماثل اليوم، وذلك كله بخطوط خاصة يقرءونها ويفسرونها (2).

رابعًا. اتفقت أقوال المفسرين على أن إدريس الطَيِّة قُبض ومات، شأنه شأن المخلوقات جميعًا، وما ورد بخلاف ذلك هو محض روايات لا تتفق مع حقائق الإسلام بشأن قبض الأرواح:

لقد أوضحنا أنه ليس هناك ثمة نص يدل على خلود إدريس السلام ورفعه حيّا إلى السماء، أمّا قوله وَالله وَرَفَعَنهُ مَكَانًا عَلِيًا الله (مريم)، فهذا لا يدل على رفعه إلى السماء حيّا، بل قد لا يكون المراد منه الرفع الحقيقي، ولهذا قال جماعة من المفسرين: هو رفع جازي، وأما حديث الإسراء فلا حجة فيه أنه رفع إلى السماء حيّا قبل موته؛ لأنه ذكر فيه عدّة أنبياء وُجِدوا في السماوات (٥٠).

هذا وقد ذكر كثير من المفسرين في معنى قوله والله المنه والله والمؤلفة والمؤ

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (٣٠٣٥)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه،
 كتاب الإيان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى الساوات وفرض الصلوات (٢٩٤).

٢. قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، مرجع سابق، ص٤٤.
 ٣. يُعضدُها: يُقوِّها.

 <sup>3.</sup> قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، مرجع سابق، ص٤٤ بتصرف.

۵. التحریر والتنویر، محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون،
 تونس، د. ت، مج۸، ج۱٦، ص۱۳۱ بتصرف.

أما ما ورد بخلاف ذلك من روايات فلا تقوم بها حجة؛ إذ هي روايات موضوعة ومَنْحُولة (1)؛ فقد رُوي أن ملك الموت سأل الله أن يزور إدريس، فجاءه على صورة إنسان، ودعاه في الليل إلى مائدته، ولكن إدريس الطيل أبى، فكرر ملك الموت دعوته تلك مرتين متتاليتين، وفي المرة الثالثة سأله إدريس عن شخصه، فلما أجابه طلب منه إدريس أن يقبض روحه ساعة من الزمن، ثم طلب منه بعد أن يرد روحه أن يرفعه إلى الساء، ليراها ويرى الجنة فلما دخل الجنة أبى أن يخرج الساء، ليراها ويرى الجنة فلما دخل الجنة أبى أن يخرج منها، واعتصم بآيتين من القرآن هما: ﴿ كُلُّ نَقْسِ ذَا يِقَهُ مَنْهَا الْمُوتِ وَالنَانِية: ﴿ لَا يَحَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبُ وَمَا هُم مِنْهَا (الأنبياء). والثانية: ﴿ لَا يَحَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبُ وَمَا هُم مِنْهَا (الأنبياء). والثانية: ﴿ لَا يَحَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبُ وَمَا هُم مِنْهَا

وقيل: إنَّه بينها إدريس في رحلة، إذ اشتد عليه الحر؛ فطلب من الله أن يخفف وطأتها عليه ملك الشمس، مقابل أن يؤخر ملك الموت أجله، فحمله هذا الملك إلى

مطلع الشمس، وأبلغ في سؤاله ملك الموت، ولم يستطع ملك الموت إجابة سؤاله، فأطلعه ملك الشمس على يوم موته، ولما فتح ملك الموت ديوانه لم يجد فيه وفاة إدريس، وقد وجده ملك الشمس ميتًا بالفعل.

هاتان الأسطورتان لا تتفقان مع حقائق الإسلام التي تنص على أن ملك الموت مُكلَّف من قبل الله تعالى بقبض الأرواح، وأنه لا يستشار أحد من الخلق في وفاته، ولا تتفقان مع الأدب في الحديث عن الأنبياء عليهم السلام وذلك لأنهم وصلوات الله عليهم علمون أن لكل أجل كتابًا، ولا يطلبون إلا ما يقره الشرع والعقل، كها أن العلم يُكذَّب ويُفنَّد (٢) تلك الخرافات.

#### الخلاصة:

• إن عدم ذكر اسم إدريس الكيالة في التوراة لا يعني إنكار وجوده في التاريخ؛ لأن التوراة المحرفة ليست حجة فيها تذكر، فضلًا عن أنها ليست حجّة فيها لم تذكره، لكن الحجة فيها تفرد القرآن الكريم بذكره؛ فهو كلام رب العالمين أنزله على النبي الأمي الذي قال تعالى فيه: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْمُوكَىٰ ﴿ إِنَّ مُوكَ اللهِ عَلَى اللهِ الله الله الله الله على الله على الله على الله الله على اللهو على الله الله على اله على الله على

من قواعد الإسلام العقائدية ضرورة الفصل
 بين صفات الله تعالى وصفات الخلق، فمن صفات الله

١. المَنْحُولة: المدَّعاة.

٢. يُفَنَّد: يُضعَّف ويُخَطَّأ.

البقاء، ومن صفات الخلق جميعًا ـ بـ لا استثناء ـ الفناء والموت. والخلود لا يكون إلا لله وحده، فهو صفة له وحده لا يشاركه فيها أحد من خلقه مهما بلغ من المنزلة والمكانة.

- لم نر حولنا في دنيا الناس من كتب الله له الخلود،
   بل كتب الله الموت على جميع خلقه، ومنهم محمد على
   وهو أفضل الرسل وأحبهم إلى الله تعالى.
- ما ورد من الأساطير حول رفع إدريس الطّيكان حيّا وعدم استطاعة ملك الموت قبض روحه لا يتفق مع حقائق الإسلام التي تنص على أن ملك الموت مكلف من قبل الله تعالى بقبض الأرواح، وأنه لا يستشار أحد في وفاته، وكذلك لا تتفق مع الأدب في الحديث عن الأنبياء، اللذين يعلمون أن لكل أجل كتابًا، وأنهم لا يطلبون ما لا يقره الشرع أو العقل، كما بيّنًاه.
- إن الذي يُحسب على الإسلام هو ما صرح به القرآن الكريم، وما جاءت به السنة النبوية الشريفة الصحيحة، وأما أقوال المفسرين فيؤخذ منها ما وافق الكتاب والسنة ويطرح ما عداه، والذي جاء في القرآن عن إدريس المني أنه كان صديقًا نبيًّا، ذا مكانة عالية رفيعة عند الله على وهو صابر صالح، وأدخله الله تعالى في رحمته، وما جاء في السنة من حديث المعراج أنه في رحمته، وما جاء في السنة من حديث المعراج أنه فقد لقي إدريس المني العديد من الأنبياء على أنه المني رفع حيًّا، فقد لقي النبي العديد من الأنبياء على السلام ولم يرفعوا أحياء.

## الشبهةالثامنة

# الفهم الخاطئ لدعاء نوح الطِّيَّةُ على قومه بالهلاك (\*)

#### مضمون الشبهة :

## وجوه إبطال الشبهة:

دعاء نوح العَيْنَ على قومه بالهلاك جاء بعد أن أوحى الله له أنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن.

لفلاك كان رحمة للأطفال قبل أن يجري عليهم
 القلم، ولا سيها أن الله أوحى إلى نوح أنه لن يؤمن أحد
 إلا من قد آمن، وقيل: مُنعوا الإنجاب قبل الطوفان

<sup>(\*)</sup> عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق. موقع الكلمة. www.alkalema.net

بأربعين عامًا؛ فلم يكن لديهم أطفال يوم الطوفان.

٣) اعتذار نوح الطَّيِّة يوم القيامة عن الشفاعة، بل واعتذار جميع الأنبياء لا لأخطاء ارتكبوها، ولكن لشدة وقع أهوال القيامة عليهم.

#### التفصيل:

# أولا. دعاء نوح النيخ على قومه بالهلاك جاء بعد أن أوحى الله إليه أنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن:

قال الله المورد : ٣٦ ) فيعد تسعائة وخسين سنة من إلا مَن الله من قرمك وخسين سنة من إلا مَن الله من قرمه يدعوهم لم ير منهم "إلا آذانا صلي وقلوبا غلفًا، وعقولا متحجرة، لقد كانت نفوسهم أشد من الصخر، وأفئدتهم أصلب من الحديد، نفوسهم أشد من الصخر، وأفئدتهم أصلب من الحديد، لم ينفعهم نصح أو تذكير، ولم يزجرهم وعيد أو تحذير، وكلما ازداد لهم نصحًا ازدادوا عنادًا، وكلما ذكرهم بالله وفسادًا، وظلوا في طريت المضلال سائرين، لا يلتفتون إلى دعوة نوح الملك ولا يبالون بتحذيره وإنذاره" (١). وقد ظل فيهم داعيًا، مذكرًا بعدير، وكانت دعوته لهم ليلا ونهارًا، وسرًّا وجهارًا، ومع كل ذلك لم تلكن قلوبهم، بل قابلوا الإحسان ومع كل ذلك لم تلن قلوبهم، بل قابلوا الإحسان والأذى، وهو لا يَفْتَأُ يقول: "اللهم اغفر لقومي فإنهم والأذى، وهو لا يَفْتَأُ يقول: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون".

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ فَوْمِى لَيْلاً وَنَهَارُا ﴿ فَلَمْ يَزِدُهُمْ دُعَآءِى إِلَّا فِرَارًا ۞ وَإِنِي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُواْ أَصَابِعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْاْ شِابُهُمْ وَأَصَرُّواْ

وَاَسْتَكْمَبُواْ اَسْتِكَارًا ﴿ ثُنَّ أَنِي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿ ثُمَّ إِنِيَ أَعْلَنتُ لَمُمُّ وَأَسْرَرْتُ لَمُمْ إِسْرَارًا ﴿ فَقُلْتُ اَسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُ. كَانَ غَفَارًا ﴿ أَنْ اللهِ (نص (٢٠).

رُوى المفسرون: أن نوحًا العَيْدُ كان ياتي قومه؛ فيدعوهم إلى الله، فيجتمعون عليه ويضربونه الضرب المبرّح (٢) ويخنقونه حتى يُغْشَى عليه ثم يلفُّونه في حصير ويرمون به في الطريق، ويقولون: إنه سيموت بعد هذا اليوم، فيُعيد الله عَلَى إليه قوته فيرجع إليهم ويدعوهم إلى الله فيفعلون به مثل ذلك، وهكذا ظلَّ يُؤذى ويُعذَّب، وهو مع ذلك صابر لا يدعو على قومه بالعذاب؛ وإنها كان يَأمُل فيهم أو في أبنائهم الخير والصلاح، ويقول: "لعل الله يخرج من أصلابهم من والصلاح، ويقول: "لعل الله يخرج من أصلابهم من يستجيب لدعوتي ويؤمن بالله".

ولكن مع هذه المدة الطويلة لم يؤمن معه إلا قليل منهم، وكان كلما انقرض جيل جاء من بعده جيل أخبث وألعن، فلقد كانوا يوصون أبناءهم بعدم الإيمان له، وكان الوالد يقول لولده إذا بلغ وعقل: يا بني احذر هذا لا يغرَّنك عن دينك وآلهتك. قال على: ﴿وَأُوحِيَ اللَّهُ نُوحِ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّامَن قَدْ مَامَنَ فَلا نَبْتَبِسْ مِما كَانُوا يَقْعَمُونَ مِن قَوْمِكَ إِلَّامَن قَدْ مَامَن فَلا نَبْتَبِسْ مِما كَانُوا يَقَعَمُونَ الله فقال: ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرَّهُمْ يُضِلُوا عِبَادَكَ يسس من إيمانهم، فقال: ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرَّهُمْ يُضِلُوا عِبَادَكَ يسس من إيمانهم، فقال: ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرَّهُمْ يُضِلُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاحِرًا حَكَفًا رًا ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرَّهُمْ يُضِلُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاحِرًا حَكَفًا رًا ﴿ إِنَّ كَان بعد ذلك الطوفان (٤٠).

١. النبوة والأنبياء، محمد علي الصابوني، مرجع سابق، ص٠١٤.

٢. استغشوا ثيابهم: غطُّوا رؤوسهم بثيابهم.

٣. المبرِّح: الشديد.

٤. النبوة والأنبياء، الصابوني، مرجع سابق، ص٠١٤١، ١٤١.

# ثانيًا. الهلاك كان رحمة للأطفال:

أما قولهم: ما ذنب أطفالهم حتى يهلكوا؟ وكأن الشفقة قد ألهبت قلوب هؤلاء المبطلين تجاه الأطفال الصغار الذين لا جَرِيرة (١) لهم فيها ارتكبه آباؤهم المجرمون، وكأنهم أَلْطَفُ من الله بعباده وأرحم لهم من خالقهم، غير أنه الحنان الكاذب والشفقة المتوهمة، فالله تعالى أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وما كان ليعذب إنسانًا بوزر آخر، فضلًا عن طفل بريء.

ولقد بينت السنة أن كل إنسان سوف يبعث على ما مات عليه حسب قصده ونيته وإن عمَّ البلاء الجميع في الدنيا، فعن رسول الله الله الله قال: يغزو جيشٌ الكعبة حتى إذا كانوا ببينداء (٢) من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم. قالت: يا رسول الله، كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: "يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم" (٢).

ولقد علم نوح بالوحي والتجربة أن نسل قومه سيكون على شاكلة الآباء في الإصرار على الكفر، فقد لبث فيهم ألف سنة إلا خسين عامًا: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا لَبُ فَيهم أَلف سنة إلا خسين عامًا: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ، فَلَبِث فِيهِم أَلف سَنَةٍ إِلّا خَسِين عامًا ﴾ (العنكبوت: ١٤) ففي هذه المدة الطويلة عرف طبائعهم وجَرّبهم حتى قيل: إن الرجل فيهم كان ينطلق بابنه إلى نوح، ويقول له: احذر هذا فإنه كذّاب وإنَّ أبي أوصاني بمثل هذه الوصية؛ فيموت الكبير وينشأ

الصغير على ذلك عما قطع الأمل في إيهانهم، وبذا يكون الخير والراحة في هلاكهم لتتخلص الأرض من شرورهم باستئصالهم، وأما أطفالهم فعلى قول من قال: إن الله تعالى يَبَّسَ أصلاب رجالهم، وأعقَم نساءهم قبل الطوفان بأربعين سنة أو سبعين سنة، فلا إشكال لعدم وجود أطفال فيهم، وقد يُستأنس لهذا بقول هنا: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنّهُ كَانَ عَفَارًا الله يُعْدِدُ وَيُعْمَلُكُمُ الله وَيَعْمَلُكُمُ الله وَيَعْمَلُكُمُ الله تعالى لا يمدهم بالبنين.

وأما على قول من قال بوجود الأطفال فيهم، فإن عذاب الله لهم لم يكن على وجه العقاب لهم والصيرورة بعد ذلك إلى عذاب النار كآبائهم، بل كان ذلك لزيادة تعذيب الآباء والأمهات إذا أبصروا أطفالهم يغرقون ثم لا يعذب الأطفال في الآخرة (1).

وحتى ندرك مدى الرحمة بهولاء الأطفال في هلاكهم قبل أن يجري عليهم القلم على رأى من قال بوجود الأطفال وقت الهلاك، نبين حكم هولاء الأطفال في الآخرة.

أما عن أطفال المشركين، فقد اختلفت الآراء فيهم على النحو التالي:

• الرأي الأول: التوقف فيهم وعدم الجزم بحكم معين؛ لأن الله تعالى هو الذي خلقهم، وهو أعلم با كانوا سيعملونه لو عاشوا وذلك لأن النبي الششئل

١. الجَرِيرة: الذنب.

٢. البَيْدَاء: الصحراء.

٣. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق (٢٠١٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت (٧٤٢٦).

عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص٢٥٧.

عن أولاد المشركين فقال: "الله إذ خلقهم أعلم بها كانوا عاملين"(١١).

• الرأي الثاني: أنهم في الجنة؛ لقوله ﷺ: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجِّسانه، كمثل البهيمة، تنتج البهيمة هل ترى فيها جَدْعاء"(٢)(٢).

ويؤيده ما جاء من حديث أنس مه مرفوعًا: "سألت ربي اللاهين من ذرية البشر ألّا يعذبهم فأعطانيهم"(٤). وورد تفسير "اللاهين" بأنهم الأطفال من حديث ابن عباس مرفوعًا(٥)، وأخرج أحمد من طريق حسناء بنت معاوية بن صُرَيْم عن عمها قال: قلت للنبي على: من في الجنة؟ قال: "النبي في الجنة والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة والوئيدفي الجنة والوارد.

واحتجوا أيضًا بقوله عن أطفال المشركين: "هم

 ١. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين (١٣١٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٦٩٣٦).

٢. الجدُّعاء: قطع لها طرف من أطرافها.

٣. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين (١٣١٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٦٩٢٦).

حسن: أخرجه أبو يعلى في مسنده (٧/ ١٣٨) برقم (٤١٠١)،
 والطبراني في المعجم الأوسط (٦/ ١١١) برقم (٥٩٥٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٩٢).

٥. إسناده حسن: أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٣٣٠)، باب العين: أحاديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (١١٩)، وحسن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (١٨٨١).

٢. صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، مسند الكوفيين، حديث رجال من الأنصار (٢٠٦٠٢)، وأبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في فضل الشهادة (٢٥٢٣)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٢٠٠).

خدم الجنة" (٧)، والقول بأنهم في الجنة هو قول جمع من أهل العلم، وهو اختيار أبي الفرج بن الجوزي وصححه النووي ورجحه القرطبي.

• الرأي الثالث: وقد ذهب إليه جمع من أهل العلم، وهو أنهم في مشيئة الله تعالى (^)، وهذا منقول عن حمّاد بن زيد، وحمّاد بن سَلَمَة، وابن المبارك، وإسحاق، ونقله البَيْهَقِي في "الاعتقاد"، عن السافعي في حق أولاد الكفار خاصة، قال ابن عبد البرّ: وهو مقتضى صنيع مالك، وليس عنده في هذا شيء منصوص، إلّا أن أصحابه صرحوا بأن أطفال المسلمين في الجنة، وأطفال الكفار خاصة في المشيئة، والحجة في حديث: وأطفال الكانوا عاملين" (^).

وهذا القول حكاه أبو الحسن الأَشْعَرِي عن أهل السنة والجهاعة (۱۰)، وهو اختيار شيخ الإسلام، فقد اختيار أن الأطفال المشركين في مشيئة الله، وأنهم يُمتحنون في يوم القيامة، وعزا القول بذلك إلى أبي الحسن الأشعري والإمام أحمد، قال شيخ الإسلام: والصواب أن يقال فيهم: الله أعلم بها كانوا عاملين، ولا يُحكم لمُعيِّن

٧. صحيح: أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٢٤٤)، باب السين: سمرة بن جندب شهر (٦٩٩٣)، وفي الأوسط (٢/ ٣٠٢) بسرقم (٢٠٤٥) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤٦٨).

٨. الجنة والنار، د. عمر سليان الأشقر، دار النفائس، الأردن،
 دار السلام، القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ج٧، ص١٩٤.

٩. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين (١٣١٨)، وفي موضع أخرى، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة
 ٢٩٣٣).

۱۰ مجموع الفتاوى، ابن تيمية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط۱، ۱۳۹۸هـ ۱ ۱۳۹۸

منهم بجنة أو نار، وقد جاء في عدة أحاديث أنهم يوم القيامة يُومرون وينهون، القيامة يُومرون وينهون، فمن أطاع دخل الجنة، ومن عصى دخل النار، وهذا اللذي ذكره أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة والجاعة (٢).

وقال في موضع آخر: أطفال المشركين الذين لم يكلفوا في الدنيا يكلفون في الآخرة، كما وردت بذلك أحاديث متعددة، وهو القول الذي حكاه الأشعري في أطفال المشركين، كما تقدم في الصحيح عن النبي الله أنه سئل عنهم؛ فقال: الله أعلم بها كانوا عاملين (٣).

وقد ذكر ابن حَجَرٍ أنهم يمُتحنون في الآخرة بأن تُرفع لهم نار، فمن دخلها كانت عليه بردًا وسلامًا، ومن أبي عُذِّب. وحكى البيهقي في كتاب "الاعتقاد" أنه المذهب الصحيح.

ويدل على هذا القول ما ورد في محكم القرآن في قصة العبد الصالح الذي رحل نبي الله موسى إلى لقائه في مجمع البحرين، فإنه قال مبيّنًا السر في قتله الغلام: ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبُواهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَننًا وَكُفُرًا اللهُ اللهُ عَنها وفي صحيح مسلم عن ابن عباس وضي الله عنها وقي صحيح مسلم عن ابن عباس وضي الله عنها وقال: قال رسول الله في في الغلام الذي قتله الخضر: "طبع يوم طبع كافرًا، ولو تُرك لأرهق أبويه طغيانًا وكفرًا"(٤).

قال ابن تيمية مُعلِّقًا على الحديث: "يعني طَبَعه الله

تعالى في أم الكتاب، أي أثبته وكتبه كافرًا، أي إنه إن عاش كفر بالفعل".

وهنا يتبين لنا أن الرحمة كانت في هلاك هؤلاء الأطفال مع آبائهم قبل أن يجري عليهم القلم وينشئوا على الكفر ويكونوا من أصحاب الجحيم.

# ثَالثًا. اعتذار نوح النَّهِ يوم القيامة عن الشفاعة ؛ قد يكون لهول هذا اليوم أو لتركه ما كان يجب أن يفعله وهو ترك أمر قومه إلى الله وليس في هذا معصية لله :

فالواضح من هذا الحديث أن اعتذار نوح الكياة عن الشفاعة لقومه لم يكن لخطأ قد ارتكبه فحُرِم من الشفاعة، ولكن لأنه كانت له دعوة مستجابة فدعا بها على قومه ولو أخرها لدعا واستشفع بها في هذا اليوم. وفي هذا يقول النبي الكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة

٥. قصص الأنبياء، الشعراوي، مرجع سابق، ص٤٣، ٤٤.

١. العَرَصَات: أهوال القيامة وشدائدها.

٢. الجنة والنار، د. عمر سليمان الأشقر، مرجع سابق، ص١٩٥.

٣. مجموع الفتاوي، ابن تيمية، مرجع سابق، ٤/ ٢٨١.

أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب مسند فضائل الخضر الليكة (٦٣١٥).

لأمتى في الآخرة"(١).

وعلى هذا فإن اعتذار نوح النفي عن الشفاعة يوم القيامة يكون لتركه الأولى؛ إذ كان الأولى أن يوكّل أمر قومه إلى الله إن شاء أهلكهم وإن شاء أبقاهم.

كما صنع إبراهيم النَّلِيُّ إذ قال: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلَأَنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَنَ تَبِعَنِى فَإِنَّهُ مِنِيٍّ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ عَفُورُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَنَ تَبِعنِى فَإِنَّهُ مِنِيٍّ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ عَفُورُ تَجِيرٌ ﴿ وَكَمَا صَنع عَيْسَى النَّلِيُّ إذ قال: ﴿ إِن تُعَذِيرٌ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْمَزِيرُ وَلِي اللهِ اللهُ الل

فلما دعا نوح الطَّيِّلُ بإهلاك قومه كان قد تَرَكَ الأولى، وتَرُكُ الأولى ليس ذنبًا كما يدعي بعض الواهمين ومع هذا يستغفر منه الأنبياء؛ لسمو درجتهم عند الله وهذا ما فعله نوح. الطَّيْلُ<sup>(۲)</sup>.

أما استغفار نوح الني بعد ذلك: "رب اغفر لي ولوالدي" فلأن النبي شهما أطاع وجاهد وعبد فإنه بشر مُعرَّض للخطأ والتقصير، وهذا هو قمة الأدب مع الله تعالى من أنبيائه، وتعليم لنا ألا نستكثر أعمالنا وجهادنا على الله تعالى، بل إننا إذ وفقنا فمن الله تعالى، وعلى الإنسان أن يستغفر الله تعالى حتى بعد عمل وعلى الإنسان أن يستغفر الله تعالى حتى بعد عمل الصالحات كما كان النبي شي يستغفر الله تعالى في اليوم والليلة، أكثر من سبعين مرة (٢).

وفي رواية: مائة مرة (1)، وليس ذلك لمعصية ارتكبها أو لخطأ فعله.

#### الخلاصة:

- لم يَدْعُ نوح النَّهِ على قومه إلّا بعد أن أوحى الله وأيقن أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن قال تعالى: ﴿ وَأُوحِ إِلَىٰ نُوجٍ أَنّهُ اللّه يُؤمِن مِن قَوْمِكَ إِلّا مَن قد الله وأوجِ إِلَىٰ نُوجٍ أَنّهُ الله يُؤمِن مِن قَوْمِكَ إِلّا مَن قد ءَامَنَ فَلَا لَبْتَيِسٌ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُون ﴿ اللّه الآباء في الإصرار على أن نسلهم سيكون على شاكلة الآباء في الإصرار على الكفر، فقد لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، وفي الكفر، فقد لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، وفي هذه الملدة عرف طباعهم وجربهم حتى يقال: إن الرجل منهم كان يحذّر ابنه من نوح، ويقول له: احذر هذا فإنه كذّاب، وهذا عما قطع الأمل في إيهانهم، وبذا يكون الخير في هلاكهم، لتتخلص الأرض من شرهم.
- وأما أطفالهم: فعلى قول من قال: إن الله تعالى يَبَّسَ أصلاب رجالهم، وأَعْقَم أرحام نسائهم قبل الطوفان بأربعين سنة، أو سبعين سنة، فلا إشكال، لعدم وجود أطفال فيهم.
- وأما على قول إغراق الأطفال فإن ذلك لم يكن على وجه العقاب للأطفال والصيرورة بعده إلى عذاب النار كآبائهم، بل لزيادة تعذيب الآباء إذا أبصروا أطفالهم يغرقون ثم لا يعذب الأطفال في الآخرة.
- اعتذار نوح النائلة يوم القيامة من الشفاعة لتركه
   ما كان يجب أن يفعله، وهو ترك أمر قومه إلى الله إن
   شاء أهلكهم وإن شاء أبقاهم لا أن يدعو عليهم.

١. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب لكل نبي دعوة مستجابة (٥٩٤٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيهان، باب اختباء النبي الشدعوة الشفاعة لأمته (٥٠٨).

عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص٢٥٨.

٣. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة (٩٤٨٥).

أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة،
 باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه (٧٠٣٣).

## الشبهة التاسعة

# ادِّعاءِ أن طُوفان نوح أسطورةٌ وليس حقيقة كما ورد في القرآن <sup>(\*)</sup>

### مضمون الشبهة:

ينكر بعض المسككين حادثة الطوفان الواردة في قصة نوح الطيخ في القرآن الكريم، ويدَّعون أنه أسطورة وردت في الكتب القديمة. مستدلين على ذلك بأنه لا يمكن حدوث مشل هذا السيل الذي يغطي الكرة الأرضية كلها بجبالها الشامخة، كها أن سفينة نوح الطيخ لا يمكن أن تسع كل أصناف الحيوانات ومها تكن فهي أضيق من أن تضم كل حيوانات الأرض (1).

(\*) آراء يهدمها الإسلام، د. شوقي أبو خليل، دار الفكر، بيروت، ط٥، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١. جاء في كتاب "الرياضيات المسلية" لـ "ياكوف بيريلمان"، فصل: الرياضيات وأسطورة الطوفان حرفيًّا ما يلي: نجد من بين الأساطير البالية الواردة في الكُتب القديمة أسطورة تقول: إن العالم كله قد غرق في غابر الأزمان بفعل أمطار كانت أعلى من أعلى الجبال، وحسب ما يرد فإن الرَّب كان قد ندم مرة على أن خلق الإنسان على الأرض، وقال: سأُهْلك البشر الذين خلقتهم على سطح الأرض. وكان الإنسان الوحيد الذي أراد الله أن يرحمه عندئذ هو التَّقي نوح، لذلك فقد حذَّره الرَّب مما يجري من تحضيرات لهلاك العالم، فأمره ببناء سفينة كبيرة سُمِّيت "الفُلْك" بالمقاييس الآتية: "طول الفلك ٣٠٠ ذراع، وعرضه ٥٠ ذراعًا، وارتفاعه ٣٠ ذراعًا، ويتألُّف من ثلاثة طوابـق، وكـان يجـب أن ينجو على هذه السفينة نوح وأسرته وأُسَر أبنائه وأصناف الحيوانات على الأرض، وأصدر الرَّب أمره إلى نوح أن يأخذ في الفُلْك زَوْجًا واحدًا من كل أصناف الحيوانات، واختار الرَّب الفيضان الناجم عن الأمطار لإهلاك كل ما هو حي. ويـذكر في الكتب القديمة أنه بعد سبعة أيام جاءت مياه الفيضان وهطلت الأمطار مدة ٤٠ يومًا و٤٠ ليلة، وارتفع الفلك فوق الماء وغطَّت المياه كل الجبال العالية تحت السماء وارتفعت فوقها بمقدار ١٥ ذراعًا، فهلك كل موجود على سطح الأرض وبقى نوح فقط

### وجوه إبطال الشبهة:

ا أثبتت البحوث التاريخية والأركبولوجية (٢) أن الطوفان العظيم غَمر بلاد الرافدين القديم مما يؤكد صحة وجود الطوفان.

٢) توصل علاء المناخ والجيولوجيا (٢) إلى أن الجزيرة العربية مرّت بعصور مطيرة تسببت في فيضانات غامرة (٤).

٣) الأدلة العلمية ترجح ما ورد في القرآن الكريم
 وأقوال المفسرين على ما ورد في التوراة بخصوص
 الطوفان.

وفُلْكُه، وتروي الأسطورة أن المياه بقيت فوق الأرض مدة ١١٠ أيام أخرى ثم اختفت، وغادر نوح الفُلك ومعه كل الأحياء التي أُنقذت لكي يعمر الأرض الخالية مرة أخرى. ثم يتساءل هؤلاء:

 ١. هل كان محكنًا حدوث مثل هذا السَّيْل الذي غطَّى الكرة لأرضية كلها؟

٢. هـل كـان يستطيع فُلْـك نـوح أن يتَّسع لكـل أصـناف
 حيوانات الأرض؟

ثم أجابوا عن الأول بأنه غير ممكن؛ لأن مياه الجو لا تكفي لإحداث الفيضان، وأجابوا عن الثاني بأن السفينة كانت ضيَّقة، فلا يمكن أن تَسَمع لكل الحيوانات.

وانتهى هؤلاء إلى ما يأي: إنَّ الأسطورة القديمة عن الطّوفان العظيم لا تتَّفق مع الحسابات الرِّياضية اليسيرة، لدرجة أنه من الصعب أن نجد فيها ولو جزءًا صغيرًا يطابق الواقع، وأغلب الظن أنها أُستُوْحِيَتْ من فيضان جزئي استغرق جزءًا من الكرة الأرضية، أما الباقي فهو من ابتداع الخيال الشرقي الفني. (الرياضيات المسلية، بيريلهان، ترجمة د. إبراهيم محمود شوشة طباعة دار أمير للطباعة والنشر، موسكو، ١٩٧٧م. فيصل الرياضيات وأسطورة الطوفان، ص٢٣٦).

 الأركيولوجيا: Archeology \_\_ Archaeology علم الآثار القديمة، أو آثار حضارة أو شعب ما.

٣. الجولوجيا: علم طبقات الأرض Geology، وتطلق أيضًا
 على دراسة المادة الصلبة من جرم سماوي؛ كالقمر.

٤. الغامرة: المُغْرِقة المُغطِّية لمعالم الأرض.

- إن تجمعت عدة أدلة عقلية تثبت أن أحداث الطوفان كانت حدثًا واقعيًّا وحقيقيًّا. وأنه لم يكن ضربًا من الأساطير.
- الطوفان معجزة إلهية، والمعجزات لا مدخل للعقل في النظر إليها، وكذلك صنع السفينة كان بوحي من الله وتعليم من الملائكة.

7) إن السياق القرآني لقصة الطوفان العظيم سياق وعظي، رام إلى اتخاذ العبرة والعظة من قوم أشركوا بالله وعصوا الرسول نوحًا النهي فحل بهم العقاب الطوفان العظيم فلم يكن حديث خرافة وإنها كان حديث حق.

#### التفصيل:

# أولا. تاريخ بلاد الرَّاهْدَين القديم والكشف عن آثـار الطوفان:

أثبتت البحوث التاريخية والأركبولوجية أن الطوفان العظيم غمر بلاد الرافدين القديم عما يؤكد صحة وجود الطوفان، فلقد مرَّ التاريخ القديم لبلاد الرَّافدين بالعصور الآتية (١):

- 1. العصر الحجري القديم: اكتشف العالم سويلي آثار هذا العصر سنة ١٩٥٤م في كهف شانيدار شالي شرقي المُوصِل، حيث عثر على بقايا هياكل عَظْميَّة تعود إلى هذا العصر.
  - ٢. العصر الحجري الحديث: ويتضمن ما يأتي:
- حضارة جرمو: عثر الأستاذ بريد وود سنة
   ١٩٤٨م على مركز هام من مراكز هذا العصر في قرية

جرمو الواقعة في غربي مدينة السُّليمانية، وأرجع العلماء تاريخ هذا المركز إلى نحو ٢٥٠٠ ق. م، أي إلى ما بعد ظهور المجتمعات القرويَّة الزراعية بقليل.

- حضارة عصر تل حَسُّونة: ويقع جنوبي المُوصِل، ويرجع عهد هذا العصر إلى حوالي سنة ٥٧٥ ق. م. وكانت بعثة مديرية الآثار العراقية قد نقَّبت في هذا التل سنة ١٩٤٣م، ومن أغرب ما عَثَرَتْ عليه البعثة تماثيل فُخَّار صغيرة الحجم، تمثل أشكالًا مصنوعة من الطين الفُخَّاري، مما يدل على ظهور نوع من العبادات الوثنية. ووجد العالم مالوان سنة ١٩٣١م ناخج مماثلة لوشية العضارة تل حسُّونة" في نينوي بالقرب من المُوصِل، واكتشف نهاذج أخرى من هذه الحضارة في أماكن متعددة في شهالي العراق.
- حضارة تىل حلف: عثر عليها العالم الألماني
   البارون فون أوبنهايم في قرية تل حلف، بالقرب من
   ناحية رَأْس العِين في سورية (٢).
- العصر النحاسي الحجري في وادي الرَّافدين:
   تمثل حضارة هذا العصر في ثلاثة مواقع هامة وهي:
- o تل العبيد: قرب مدينة أور القديمة جنوبي بلاد الرَّافدين، وقد اكتشفته بعثة المُتْحَفة البريطانية برئاسة د. هول، وتابع التَّنقيب (٢) الموِّرخ ليونانرد وُولي، وعشر في أُور على دُمًى (٤) من الطِّين ذات مغزى ديني.

٥ حضارة عصر أوروك (الوركاء): عَثَرَت عليها

١. الشرق الأدنى القديم، عبد العزيز عثمان، كلية الآداب،
 جامعة دمشق، سوريا، ١٩٦٢م.

٢. رأس العِين: مدينة سورية إلى الغرب من القامشلي، وهي نبع نهر الخابور.

٣. التَّنْقِيب: البحث عن الشيء والكشف عنه.

الدُّمَى: جمع دُمْية، وهي الصورة المتمثلة من العاج وغيره، ويضرب بها المثل في الحسن.

بعثة ألمانية.

• حضارة عصر جمدة نَصَّر: اكتشف آثار هذا العصر العالم الأثري لانكدون Langdon سنة ١٩٢٠ م في تل صغير يقع بالقرب من مدينة كيش القديمة يدعى جمدة نصر.

وفي نهاية هذا العصر ـ كها تقول كُتب التاريخ ـ حصل الطُّوفان العظيم الذي غمر بلاد ما بين الرَّافدين فقضى على معظم السُّكان، ولم يبقَ منهم إلا عدد ضييل (۱)، وقد أثبتت الحفريَّات التي حُفِرَت في أُور وأُورك وكيش وشوروباك، حدوث فيضان عظيم بين عصر العبيد وعصر السُّلالات الأولي، فيضان عظيم حصل في آخر عصر جمدة نَصَّر. وقد وجد العالم الأثري وفي طبقات كثيفة من الْغِرْيَن في مدينة أُور بعمق مترين ونصف. ووجد وولي آثار السُّكْنَى البشريَّة فوق هذه الطبقات وتحتها، واستنتج من ذلك أن هذا الْغِرْيَن مساحة الأرض التي غمرها الفيضان بأربعائة ميل طولًا، وألف ميل عرضًا.

# ثانيًا. نظرة مناخيَّة وتضاريسيَّة:

لقد مرَّت الجزيرة العربية بعصور مَطِيرة (البلايستوسين) وهي اليوم جافة تجري فيها سيول عند سقوط المطر، فالظروف المناخية الحالية تختلف عن تلك التي كانت موجودة في المنطقة قديرًا، فبينها كانت أوربا تمرُّ بالعصر الجليدي في بدء الدور الجيُولُوجي الرابع، كان الشرق الأدنى يمرُّ بالعصر المَطِير

(البلايستوسين)، وكانت المناطق الصحراوية الممتدة في وسط إفريقية وجزيرة العرب وإيران ذات مناخ معتدل يشبه مناخ أوربا الغربية الآن.

وقرَّر العلماء نتيجة لما سبق، أن الإنسان لم يكن في ذلك العصر المَطير يعيش في الشرق الأدنى القديم على ضفاف الأنهار؛ لكثرة الفيضانات والمُسْتَنْقَعَات، بل كان يعيش فوق المناطق الجبلية، وفوق الحِضَاب التي كانت أمطارها ومياهها ونباتاتها كثيرة، ولكنها أصبحت بعد ذلك من المناطق الصحراوية بانتهاء عصر (البلايستوسين) المَطير، وما تزال كذلك حتى اليوم، ذلك أن الدفء والجفاف أخذا ينتشران فيها شيئًا فشيئًا، بينها كانت الثلوج تذوب في أوربا ويعتدل مناخها مناخها ".

هذا من ناحية المناخ.. أما من الناحية التضاريسية.. فبلاد الرَّافدين كانت رُقْعتها أصغر، حتى إن دِجُلة والفُرَات اللذَّيْن يصبَّان اليوم معًا كانا في التاريخ القديم يعدان عن بعضها حوالي ٨٠ كيلو مترًا، وتشكَّلَ السهلُ الجنوبي في العراق من رواسب هذين النَّهُ رَين؛ إذ كانت مياه الخليج العربي تغمر جزءًا كبيرًا من هذا السهل، ويقدر العلماء أن الساحل الحالي يبعد ما يقرب من ١٩٠ كيلو مترًا عن الساحل القديم، وأن الأرض اليابسة كانت تكسب من البحر ما يزيد عن أربع كيلو مترات كل مائة سنة (٢٠).

١. الضَّنيل: القليل.

تاريخ الشرق الأدنى القديم، عبد العزيز عثمان، مرجع سابق، ص١١.

آراء يهدمها الإسلام، د. شوقي أبو خليل، مرجع سابق، ص٩٢.

# ثالثًا. الأدلة العلمية ترجح ما جاء في القرآن وأقوال المفسرين على ما ورد في التوراة بخصوص الطوفان:

ويؤكد جمهور العلماء على أن الطُّوفان كان في الظاهر عامًّا مُهْلكًا لكل الكافرين، وحفظ الله تعالى منه نبيه نوحًا الله ومن آمن معه، وقال بعض المفسرين: إن ظواهر الآيات تدل بمعونة القرائن على أنه لم يكن في الأرض كلها في زمن نوح الله إلا قومه، وأنهم هلكوا كلهم بالطوفان، ولم يبق فيها بعده غير ذُريَّته، وهذا يقتضي أن يكون الطوفان في البقعة التي كانوا فيها من يقتضي أن يكون الطوفان في البقعة التي كانوا فيها من الأرض سهلها وجبالها لا في الأرض كلها، فالطوفان كان خاصًا؛ لأن النوع الإنساني لم يكن في جميع الكُرة الأرضيّة، بل كان منحصرًا في بلاد الرافدين حيث نوح الله وقومه.

وإذا ذكرت التوراة أن الأرض قد علاها الماء خمسة عشر ذراعًا، وأباد الله كل ذي حياة من إنسان ووحش وطير على وجه الأرض، وذكرت أبعاد السفينة كما ذكرها أصحاب هذا الادّعاء، كل ذلك لا يؤخذ به الثبوت أن التوراة كُتبت بعد موسى العلم بزمن بعيد، فاعتراها التّحريف زيادة ونقصًا حسب آخر الأبحاث العلمة.

أما القرآن الكريم الذي ثبتت علميًّا صِحته، وأن كل ما فيه حقائق ثابتة، فقد وصف السفينة بأنها: ﴿ اَلْفَلُكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿ الشعراء )، وبأنها: ﴿ ذَاتِ ٱلْوَبَحِ وَدُسُرِ ﴿ النَّمَرُ اللَّهُ ﴾ (النمر).

# رابعًا. الأدِلَّة العقليَّة على حدوث الطُّوفان:

تجمَّعت عدة أدلة عقلية تثبت أن حدث الطوفان كان حدثًا واقعيًّا وحقيقيًّا، وأنه لم يكن ضربًا من

الأساطير كما يقال:

1. الرُّقُم التي اكتُشفت في مكتبة آشور بانيبعل، والتي ذكرت صراحة قصة الطُّوفان، وذكرت أنه بانتهاء الطُّوفان عادت الحياة إلى الأرض فابتدأت بذلك العصور التاريخية، وهذه الرُّقم تعود إلى ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد.

٢. اكتشاف العالم الأثري وولي طبقات كثيفة من الغِرْيَن في مدينة أور بعمق مترين ونصف، وفيها آثار السُّكْنَى البشرية فوق هذه الطبقات وتحتها.

٣. وجود الأصداف والأسهاك المُتحجِّرة في أعالي الجبال، وهذه الأشياء لا تتكوَّن إلا في البحار، فظهورها في رءوس الجبال دليل على أن الماء صعد إليها مرة من المرات، ولا يكون ذلك إلا إذا كان الطوفان بلغ ذراها(١)، وصعود الماء إلى الجبال لمدة أيام معدودة يكفي لوجود الأصداف والأسهاك المتحجرة في قمم الجبال.

حدوث الطوفان في أواخر العصر المطير (البلايستوسين)، أي: في ظروف مناخية وتغيرات جغرافية غير الظروف والتغيرات الحالية.

وجود قبصة الطوفان في كُتب الأَقْدَمين من هنود وفرس وآشوريين.. يجعل الحدث حدثًا معروفًا عاليًا.

٦. في بعض أرجاء الكرة الأرضية اليوم مناطق جافة، بل معدَّل أمطارها صِفْر مِلَم في السَّنة، ومع ذلك فقد يحدث فيها فيضانات أحيانًا، كما هو الحال في أسوان وسواحل البحر الأحر ؛ حيث مُعَدَّل المطر

١. ذُراها: أعلاها.

المعروف صفر ملم، وقد حصلت عام ١٩٧٩م سيول جارفة وفيضانات رهيبة تركت عشرات الضحايا وآلاف المُشَرَّدِين، مع أن مدة هُطُول الأمطار في هذه المناطق الجافة لم يستمر إلا لبضع ساعات فقط (١).

٧. هذا، ونشرت مجلة (السّفير) مقالة في عددها يوم الأحد ٢٦/٨/٨/٢ م تحت عنوان (البعثة الأمريكية إلى جبل أرارات تعلن اكتشاف بقايا سفينة نوح)، نظّم الرحلة رائدُ الفضاء السابق جيمس أروين، الذي أصبح مُتَدَيِّنًا بعدما سار على القمر عام ١٩٧١م أثناء رحلة أبولو ١٥، وطالبت البعثةُ الأمريكيةُ الحكومة التركية أن تأذن لها بإغلاق المنطقة التي عُثِرَ فيها على الاكتشاف على ارتفاع ١٥٨٥ مترًا(٢).

# خامسًا. الطوفان معجزة إلهية فلا يقاس بالعقل وكذلك السفينة كانت بوحي من الله وتعليم الملائكة:

وبعد هذا بالإمكان أن نقول: إن هؤلاء المدَّعين أخطئوا في أمور ثلاثة في مُقدِّماتهم، فجاءت نتائجهم واستنتاجاتهم خطأ، وهذه الأمور الثلاثة هي:

1. أن الطُّوفان عَمَّ الكرة الأرضية كلها، وهذا خطأ قَطْعًا برأي جمهور العلهاء. وعليه فالسفينة حلت زوجين من كل الحيوانات الموجودة في هذه البقعة التي شملها الطوفان فقط وهذا محن. وحتى لو افترضنا أن الطوفان عمّ جميع الأرض على رأي بعضهم وهم قلة فإن السفينة كانت عظيمة

١. هذا ما حدث بتاريخ ٢٣ - ١٢ - ١٩٨٥ م في منطقة تبوك
 والعلا في المملكة العربية السعودية؛ حيث جرفت السيول

والفيضانات ما اعترضها، تاركة وراءها أكثر من ثلاثين قتيلًا. ٢. آراء يهدمها الإسلام، د. شوقي أبو خليل، مرجع سابق،

٣. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ج٩، ص٢٣.

جدًّا بحيث تسع أن تحمل زوجين من كل المخلوقات؛ ولذلك ورد في بعض كتب التفسير أن طولها كان ألف ومائتي ذراع، وعرضها ستائة ذراع، وكانت ثلاث طبقات طبقة فيها للوحوش والدواب وطبقة فيها للأنس وطبقة فيها للطير(٣).

7. الظروف المناخية الحالية التي اعتمد عليها هؤلاء في قياساتهم وحساباتهم، تختلف عن الظروف المناخية قبل آلاف السنين، ومن الخطأ الفادح أن تعتمد في حسابات هؤلاء، فكميّة الأمطار في أواخر العصر المطير (البلايستوسين) غير كمية الأمطار اليوم، وهذه حقيقة علميّة أضحت بدهيّة عند الباحثين، فكيف تناساها هؤلاء المدّعون؟!

٣. وطوفان نوح معجزة إلهية لنوح الطيلا، والمعجزة خُرقٌ (٤) للقوانين المألوفة لدى البشر، أما الله الله الله العجزه هذه القوانين فهو الذي أبدعها، وهو القادر على تغييرها فتكون معجزة خارقة، فالموضوع إذن موضوع إيان أو لا إيان.

والطُّوفان ذُكِرَ في القرآن العظيم - كما مرَّ معنا - ولمحات القرآن الكريم العلمية أثبتها العلم الحديث، بل جاء العلم الحديث مطابقًا لها تمامًا؛ مما جعل العلماء من غير العرب يقولون بالسَّبْق العلمي للقرآن في كل لمحاته الكُوْنِيَّة والطبيَّة والطبيعيَّة.

يقول د. موريس بوكاي: "صِحَّة القرآن التي لا تقبل الجدل تعطي النص مكانة خاصة بين كُتب

٤. الخَرْق: المخالفة.

التنزيل، ولا يشترك مع نص القرآن في هذه الصحة لا العهد القديم ولا العهد الجديد"(١).

ويقول عن "رواية الطوفان في القرآن": "يقدم القرآن رواية شاملة مختلفة ولا تشير أي نقد من وجهة النظر التاريخية، فالقرآن يقدِّم كارثة الطوفان باعتبارها عقابًا نزل بشكل خاص على شعب نوح الطيلا، وهذا يُشكِّل الفرق الأساسي الأول بين الروايتين - رواية التوراة ورواية القرآن الكريم - وهذا يجعلنا نقول بضرورة - بل بحتمية - دراسة الأمور العلميَّة والتاريخيَّة الواردة في الكتب المُقدَّسة (٢) على ضوء القرآن الكريم فقط، دون سواه، فهو وحده لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث" (٢).

وربها كانت قصة الطُّوفان المذكورة في الكُتب المقدَّسة أقدم من هذا الطُّوفان بعصور كثيرة، فقد أرْجَعها العالم الأثري كونتنو نقلًا عن العالم دي مورغان إلى العصر المطير الذي تبع عصر الجليد في نهاية الدور الرابع؛ حيث هلك عدد كبير من الناس، وقد خلَّدت الرُّقُم التي اكتُشِفَت في مكتبة آشور بانيبعل هذا الطُّوفان، وبعد انتهاء الطُّوفان تذكر هذه الرُّقُم أن الملكيَّة عادت إلى الأرض، فابتدأت بذلك العصور المتاريخيَّة، وفي بدء هذه العصور اشتدت قوة التاريخيَّة، وفي بدء هذه العصور اشتدت قوة

السُّومَرِيِّين، فسيطرت بعض السُّلالات على بعض المُّدن، وسُمِّي أول عصر تاريخي بـ "عصر فجر السُّلالات الأولى القديمة"(1).

عصر السُّلالات الأولى: أهم الكتابات عن هذا العصر كتبها المؤرخ البابلي بوحوشا أو بيروسوس، فقد ترك سجلًّ تاريخيًّا بأسهاء ملوك سُومَر وأَكَاد، وينقسم هذا السجل التاريخي إلى قسمين، الأول منها لملوك ما قبل الطُّوفان، وهو ينتهي بالجملة الآتية: "وبعد ذلك جاء الفيضان، وبعد الطُّوفان هبطت الملكية مرة أخرى من السهاء".

# سادسًا. الطُّوفان في القرآن الكريم:

إن السياق القرآني لقصة الطوفان العظيم، سياق وعظي رام إلى اتخاذ العبرة والعظة من قوم أشركوا بالله وعصوا الرسول نوحًا الطيلة، فحل بهم العقاب الذي هو الطوفان العظيم فلم يكن حديث خرافة، وإنها كان حديث حق، ولقد ورد ذكر نوح الطيلة في ثلاثة وأربعين موضعًا من القرآن الكريم، وذكرت قصته مفصّلة في السور التالية: الأعراف، وهود، والمؤمنون، والشعراء، والقمر، ونوح.

وأوضحت القصة أن قوم نوح الكلا عكفوا على عبادة غير الله تعالى، واتَّخذوا لهم أصنامًا يعبدونها من دونه، فأرسل الله نوحًا إليهم، واجتهد غاية الجهد في دعوتهم، وبذل منتهى وسعيه (٥) لكي يتبعه قومه في الإيهان بالله، ويُقلعوا عن عبادة تلك الأصنام، وطال

١. دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس
 بوكاي، دار المعارف الأمريكية، مصر، د. ت، ص١٥.

الكتاب المُقدَّس: العهد القديم عند اليهود، ومجموع العهدين عند النصارى.

دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي ، مرجع سابق، ص٢٤٦، ٣٤٧.

تاريخ الشرق الأدنى القديم، عبد العزيز عثمان، مرجع سابق، ص٢١٣.

٥. وُسْعِه: جهده.

تَعَلَمُونَ مَن يَأْنِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمُ

الله حَتَّى إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱللَّهُورُ قُلْنَا آخِلُ فِيهَامِن كُلِّ

زَوْجَيْنِ ٱتَّنَيْنِ وَأَهْلُكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَّ وَمَا آ

ءَامَنَ مَعَهُ ، إِلَّا قَلِيلٌ اللهِ وَقَالَ أَرْكَبُواْ فِهَا بِسَدِ ٱللَّهِ بَعْرِيهَا

وَمُرْسَنِهَأَ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ أَنَّ وَهِي تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ

كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحُ آبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلِ يَنْبُنَى

ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلكَفِرِينَ ﴿ أَنَّ قَالَ سَتَاوِىٓ إِلَىٰ

جَبَلِ يَعْصِمُني مِنَ ٱلْمَاءَ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ

إِلَّا مَن زَّحِمُّ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَاكَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ

الله وقيل يَتَأْرُضُ ٱبْلِعِي مَآءَكِ وَبَنسَمَآهُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآهُ

وَقَضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيُّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ

اللهُ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ

وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكُمُ ٱلْحَكِمِينَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ مَا إِنَّهُ الْيُسَ مِنْ

أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلُ عَيْرُ صَلِحٌ فَلَا تَشَعَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۖ إِنَّ

أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَنِهِلِينَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ النَّا اللَّهِ إِنِّي أَعُودُ بِكَ أَنَّ

أَسْنَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمُ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن

مِنَ ٱلْخَسِرِينَ اللهُ قِيلَ يَنهُحُ أَهْبِطْ بِسَلَامِ مِنَّا وَبَرَكَتٍ عَلَيْكَ

وَعَلَىٰ أُمَدِ مِّمَّن مَعَلَّ وَأُمَّهُ سَنْمَيَّعُهُمْ ثُمَّ يَمَشُهُم مِنَا

عَذَابُ أَلِيمُ ۗ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ وَالَّ عَالَى أَيضًا: ﴿ كُذَّبَتُ

قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوجٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۞ فَدَعَا

رَيَّهُۥ أَنِّي مَغَلُوبٌ فَٱنفِهِر ۞ فَفَنْحَنَا أَبُوبَ ٱلسَّمَآ عِمَآ مُّنْهُمِر

وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْفَى ٱلْمَآءُ عَلَىٓ أَمْرٍ فَدْ فَدُرَ اللهَ

وَحَمَلْنَهُ عَلَىٰ ذَاتِ ٱلْوَبِحِ وَدُسُرِ اللَّ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآةٌ لِمَن

كَانَ كُفِرَ اللَّ وَلَقَد تَرَكَنَهَا ءَايَةً فَهَلَ مِن مُدَّكِرِ اللَّهِ فَكَيْفَ

الزمن، وهو يقدِّم النُّصح والموعظة سرًّا وعلانية، وهم لا يزدادون إلا إعراضًا وتأبيًا (١) عن طريقته، حتى تبرَّموا به (٢) فَأَنَالُوه الأذى، فَيَس نوح الطَّلِيُّ من هداية قومه، فأمره الله تَظَلَّ بعمل الفُلك؛ لتكون أداة لنجاته ومن معه من الغرق فسخِر قومه منه، استبعادًا منهم لوقوعه، فكان هو أيضًا يسخر منهم، ومن غفلتهم عن الحق، وبلادتهم عن أخذ الحيطة لأنفسهم باتباعه بإحسان وتنجية أنفسهم، وصار نوح الطَّيِّلُا يتهدَّدهم بذلك العذاب (٣).

فلما استووا على ظهر السفينة هَطَلَتُ (1) الأمطار، وانفجرت عيون الأرض، وحملت المياه السفينة ومن فيها، ومكثت ما شاء الله أن تمكث، إلى أن غرق كل ما على الأرض من إنسان وحيوان، ثم استقرت السفينة على الجودي من جبال أرارات من ديار بكر، وخرج مَن في السفينة، وبارك الله راك فيهم فكثروا.

٥. يُخْزِيه: يذله. فار التَّنُور: وجه الأرض؛ أي: نبع الماء منه.
 مَعْزِل: مكان منعزل. حال: فرق، وقف عائقًا. غِيْض الماء: نقص
 وغار في الأرض.

١. تأبِّيًا: رفضًا.

٢. تبرَّموا: سئموا منه وتضايقوا.

قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، مرجع سابق، ص٤٨ بتصرف.

٤. هَطَلَت: سقطت وأمطرت بغزارة.

عَذَابِي وَنُذُرِ اللَّهِ القمر)(1).

#### الخلاصة:

- كان للاكتشافات الأثرية الحديثة في بلاد الرافدين أثر كبير في الكشف عن آثار وجود طوفان عظيم حدث في العصور القديمة، مما يؤيد إمكانية حدوث مثل هذه الكارثة الأرضية.
- النظرة المناخية التضاريسية للجزيرة العربية تبين أن الإنسان في الشرق الأدنى القديم كان لا يعيش على ضفاف الأنهار لكثرة الفيضانات، بل كان يعيش فوق المناطق الجبلية والهضاب خوفًا من المياه.
- ورود قصة الطوفان في الكتب المقدسة \_ وإن
   كانت متباينة في تفصيلاتها والمعلومات التي أوردتها \_
   يؤكد وقوعها من الناحية التاريخية.
- الطوفان مُعْجِزة (٢) خارقة للعادة وبالتالي فليس من الصواب أن يكون العقلُ وجيال عمله القوانين المطرده هو المرجع في الحكم عليها بالنفي أو الإثبات، وكذلك السفينة كانت بوحي من الله تعالى وتعليم الملائكة. فالمسألة مسألة إيهان قبل أي شيء، لأن القرآن لم يذكر تفصيلاتها وإن كان العلم الحديث جاء مطابقًا لما في القرآن تمامًا.
- حديث القرآن الكريم عن الطوفان وقصة السفينة وهلاك الناس حديث صحيح، وقد أكدت

الاكتشافات الحديثة العثور على بقايا سفينة نـوح الطُّيّلاً عند جبل أرارات من ديار بكر.

# ades.

## الشبهة العاشرة

# التشكيك في أبوّة نوح الطّيخ لابنه (\*)

## مضمون الشبهة:

يشكك بعض المتوهمين في أبوَّة نوح الطَّيْ لابنه، الذي هلك في الطوفان، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لِيَسَ مِنَ أَهْلِكَ ﴾ (هود: ٢١)، بل يدَّعي بعضهم أنه ابن زنا؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ عَمَلُ غَيْرُ مَلِحٍ ﴾؛ ولأن أمه كانت خائنة كها ذكر القرآن عنها وعن امرأة لوط: ﴿ فَخَانَتَاهُ عَا ﴾ (التحريم: ١٠). ويتساءلون: كيف يدَّعي نبي معصومٌ الكذبَ ويَنْسِبُ إليه ابنًا ليس من صلبه إذ قال: ﴿ إِنَّ آبِنِي مِنْ أَهْلِي ﴾ (هود: ٥٤).

ويهدفون من وراء ذلك إلى الطعن في عصمة نبي الله نوح الطيلا.

## وجها إبطال الشبهة:

القرآن الكريم ينفي أن يكون ابن نوح من أهله المؤمنين الذين وعد الله بإنجائهم، ويشت كونه من صلبه حقيقة لقوله الله المؤمنين الذين وعد الله الله المؤمنين الذين وعد الله الله المؤمنين أيضًا المؤمنين أيضًا المؤمنين المؤمن

لَمُعْجِزَة: الأمر الخارق للعادة يظهره الله على يـد نبي؛ تأييدًا لنبوته، وتكون من جنس ما نبغ فيه قومه. وقيل: هي أمر نادر الحدوث يعجز الإنسان العادي عن الإتيان بمثله.

<sup>(\*)</sup> عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق.

لا قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ, عَمَلُ عَيْرُ صَلِحٍ ﴾ يعني الكفر، والخيانة في قوله تعالى: ﴿فَخَانَتَاهُمَا ﴾ راجعة إلى خالفة الدين والعقيدة لا إلى خيانة الفراش.

#### التفصيل:

## أولا. ابن نوح ليس من أهله الناجين:

القرآن الكريم يثبت الأبوة لنوح الطَّيِّلاً، وأن هذا الابن من صلبه؛ لقول الله على: ﴿ وَنَادَىٰ ثُوحٌ آبَنَهُ ، ﴾، فلولم يكن ابنه لما صرّح بالبنوة، وإنها ينفي الصلة الإيمانية بين نوح الكيلاة وابنه، فأهل الإيمان تجمعهم صلة العقيدة والدين، وهذا الولد وإن كان ابنه فليس من أهل الإيان، أو ليس من أهله المؤمنين الناجين؛ لكفره وخروجه عن دين الله تعالى وعدم اتباعه أباه الذي هو رسول الله إلى الناس، ولو كان المقصود نفي بنوة النسب لقال: إنه ليس ابنك جوابًا على قلول نلوح الكِيناة: إن ابنسي من أهلي، ولكن قال: "إنه ليس من أهلك"، فنفى دخوله معه في مجموع أهل الإيمان لم ينف البنوة؛ لأن المقصود "بأهلك" في قول العالى: ﴿ قَالَ يَكُومُ إِنَّهُ، لَيْسَ مِنْ أَهْلِكُ إِنَّهُ عَمَلُ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ (مود: ٤٦)، ليس أهل بيتك وعشيرتك، بل هم أهل دينك وعقيدتك، وعلى هذا لم يَكذب نوح الطَّيِّل في قوله "إن ابني من أهلي" فهو ابنه حقيقة لصلبه لقوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحُ ٱبِّنَهُۥ ﴾

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥلَيْسَمِنَ أَهْلِكَ ﴾ (هود: ٢٦)؛ فمعناه: إما أنه ليس من أهل دينك، فمدار الأهلية هو الصلة الدينية، وقد انقطعت بالكفر، فلا علاقة بين

مسلم وكافر؛ ولذا لا يتوارثان (١)، وحُكِي هذا عن ابن عباس \_ رضي الله عنها \_، وإما أنه ليس من أهلك الذين أمرتك بحملهم في الفلك لخروجه عنهم بالاستثناء، وحكي هذا عن ابن جَرِير وعِكْرمَة.

وعلى هذين القولين فالمعنى: "ليس من أهلك الذين وعدتك بإنجائهم"(٢).

نعم، كان ابنه ولكن كان مخالفًا له في النية والعمل والدين... وهذا يدل على أن الاتفاق في الدين أقوى من حكم النسب<sup>(۲)</sup>.

وعلى هذا المعنى يؤكد الشيخ الطاهر ابن عاشور إذ يقول: "ومعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ نفي أن يكون من أهل دينه، ولكنه إعلام بأن قرابة الدين بالنسبة لأهل الإيهان هي القرابة، وهذا المعنى شائع في الاستعمال قال النابغة يخاطب عيينة بن حصن:

# إذا حاولتَ في أَسَدٍ فُجُورًا

# فإنِّي لَسْتُ مِنْكَ ولَسْتَ مِنَّي

ويوضح الشيخ الشعرواي أن النبوة ليس لها بنوة، بل لها أتباع فيقول: "وحتى نعلم أن الأنبياء لا بنوة لهم إلا بنوة الاتباع نجد المثل في إبراهيم -خليل الرحمن -

١. لا يتوارثان: لا يرث أحدهما الآخر.

عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص.٢٦٠.

٣. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ج٩، ص٤٦.

التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٦، ج٢١، ص٨٥، ٨٦.

عليه وعلى نبينا أفصل الصلاة والسلام ـ حين قال الحق تعالى فيه: ﴿ وَإِذِ اَبْتَكَىٰ إِبْرَهِمْ رَيُّهُۥ بِكَلِمَتِ فَأَتَمَّهُنَ ۗ قَالَ إِنِي جَعَلَى فيه: ﴿ وَإِذِ اَبْتَكَىٰ إِبْرَهِمْ رَيُّهُۥ بِكَلِمَتِ فَأَتَمَّهُنَ ۗ قَالَ إِنِي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ قَالَ وَمِن دُرِيَّتِي ۗ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى النَّاسِ إِمَامًا ۗ قَالَ وَمِن دُرِيَّتِي ۗ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى النَّالِمِينَ السَّاكِ (البقرة).

ويريد الحق تبارك وتعالى أن يلفت نبيه نوحًا الطّين الله أن أهلية الأنبياء ليست أهلية الدم واللحم، ولكنها أهلية المنهج والاتباع، وإذا قاس نوح الطّين ابنه على هذا القانون فلن يجد ابنًا له.

إذن فالبنوة بالنسبة للأنبياء هي بنوة اتباع لا بنوة نسب، وانظر إلى دقة الأداء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ اليّسَمِنَ أَهَلِكَ ﴾ ثم يأتي الحق سبحانه بالعلة والحيثية لذلك بقوله: ﴿ إِنَّهُ مَمَلُّ عَمَرُ مَلِح ﴾ فكأن البنوة هنا عمل، وليست ذاتًا، فالذات منكورة هنا، والمذكور هو العمل، فعمل ابن نوح الطيخ جعله غير صالح أن يكون ابنًا لنوح. وهكذا نجد أن المحكوم عليه في البنوة للأنبياء ليس الدم، وليس اللحم، إنها هو الاتباع بدليل أن الحق وصف ابن نوح الطيخ بقوله: ﴿ إِنَّهُ مَمَلُّ عَمَرُ صَالِح ﴾ ولو

وجاء في "ظلال القرآن": رب إن ابني من أهلي، وقد وعدتني بنجاة أهلي وإن وعدك الحق، وأنت أحكم الحاكمين فلا تقضي إلا عن حكمة وتدبير.. قالها يستنجز ربه وعده، ويستنجز حكمته في الوعد والقضاء.. وجاء الرد بالحقيقة التي غفل عنها، فالأهل عند الله وفي ميزانه ودينه ليسوا قرابة الدم، إنها هم قرابة العقيدة، وهذا الولد لم يكن مؤمنًا، فليس

إذن من أهله وهو النبي المؤمن، جاء الرد هكذا في قوة وتقرير وتوكيد، وفيها يشبه التَّقريع (٢) والتأنيب والتهديد: "إنه ليس من أهلك.." إنها الحقيقة الكبرى في هذا الدين، حقيقة العُرْوَةِ التي ترجع إليها الخيوط جميعًا، عروة العقيدة التي تربط بين الفرد والفرد ما لا يربطه النسب والقرابة، "إنه ليس من أهلك.." فهو منبت عنه، ولو كان ابنك من صلبك، فالعُرُوة الأولى مقطوعة، فلا رابطة بعد ولا

ومما يؤكد نسبة هذا الولد لسيدنا نوح الطيخة أن المؤرخين والمفسرين ذكروا أن ابن نوح هذا هو ابن رابع في أبنائه من زوج ثانية لنوح كان اسمها "واعِلة" غرقت، وأنها المذكورة في آخر سورة التحريم، قيل: كان اسم ابنه "يَامَا"، وقيل: اسمه "كَنْعَان"، وهو غير كنعان بن حام جد الكنعانين (٢).

وبهذا البيان تحقق أن نوحًا الطَّيْلاً لم يكذب \_ وحاشاه أن يكذب \_ وهو نبي معصوم، إنها كذب المدّعون.

ثَانيًا. قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ، عَمَلُ عَبْرُ صَلِحٍ ﴾ يعني الكفر، والخيانة في قوله: ﴿ فَخَانَا هُمَا ﴾ راجعة إلى مخالفة الدين والعقيدة لا إلى الفراش:

فمعنى العمل غير الصالح هو الكفر وليس الزناكما قد يدّعي بعضهم، وأطلق على الكفر "عمل"؛ لأنه

تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مرجع سابق،
 ۲٤۸۱ م ٦٤٨٠: ٦٤٨٤ بتصرف.

٢. التَّقريع: التَّوبيخ.

٣. المُنْبَتُّ: منقطع الصلة.

٤. الوَشِيجة: القرابة المشتبكة المتصلة.

٥. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٤، ص٠١٨٨.

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٦،
 ج١٢، ص٨٥، ٨٦.

عمل القلب ولأنه يظهر أثره في عمل صاحبه كامتناع ابن نوح من الركوب الدال على تكذيب بوعيد الطوفان (١٠).

وقرأ بعضهم: "إنه عَمِلَ غَيرَ صالح" أي من الكفر والتكذيب، وقُرِئَ "عملِ" أي: ابنك ذو عمل غير صالح فحذف المضاف(٢).

وأما قوله تعالى عن امرأة نوح الله وامرأة لوط الكين وامرأة لوط الكين فخانتا هُما كه فليس المعنى: أنها خانتا زوجيها بالزنا، فها زنت امرأة نبي قط، وقد اتفق أئمة التفسير على أن الخيانة راجعة إلى الدين، لا إلى الفراش.

قال القُرْطُبِي: "والمقصود الخيانة في الدين، لا في الفراش؛ وذلك أن امرأة نوح الكيلا كانت تقول للناس: إنه مجنون، وذلك أنها قالت له: أما ينصرك ربك؟ فقال لها: نعم. قالت: فمتى؟ قال: إذا فار التَنُّور. فخرجت تقول لقومها: يا قوم، والله إنه لمجنون، يزعم أنه لا ينصره ربه إلا أن يفور هذا التنور. فهذه خيانتها، وخيانة امرأة لوط أنها كانت تدلُّ قومها على الأضياف إذا نزلوا عند لوط"(٢).

وتعقب الرازي الزعم أن ابن نوح ولد زنا قائلًا: "وهذا قول خبيث يجب صَوْنُ مكانة الأنبياء عنه، لا سيا وهو على خلاف نص القرآن، أما قوله تعالى: ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ فليس فيه أن تلك الخيانة إنها حصلت

بالسبب الذي ذكروه، قيل لابن عباس: ما كانت تلك الخيانة؟ فقال: كانت امرأة نوح الطيخ تقول: زوجي مجنون، وامرأة لوط الطيخ تدل الناس على ضيفه إذا نزلوا به"(1).

والدليل القاطع على فساد القول بأن المقصود هو خيانة الفراش ـ قول الله تعالى: ﴿ الْمَغْيِثُنِ لَا خَيِيثُنِ لَا الله تعالى: ﴿ الْمَغْيِثُنِ لِلْحَيِيثُنِ وَالطَّيِبُونَ لِلْحَيِيثُنِ وَالطَّيبُونَ لِلْطَيِبُونَ لِلْطَيِبُونَ لِلْطَيِبُونَ لَهُم مَعْفِرَةً وَرَدْقٌ لِلطَّيبِبُونَ لَهُم مَعْفِرَةً وَرِدْقٌ وَرِدْقٌ صَمّا يَقُولُونَ لَهُم مَعْفِرَةً وَرِدْقٌ صَحَيدِيمٌ (النور)، وأيضًا قوله تعالى: ﴿ الزَّانِ لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِياً أَوْ مُشْرِكةً وَالزَّانِيةُ لَا يَنكِحُهُا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكً وَالزَّانِيةُ لَا يَنكِحُهُا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكً وَالزَانِيةُ لَا يَنكِحُهُا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكً وَالزَّانِيةُ لَا يَنكِحُهُا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكً وَالْمَانِينَ (اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ وَالْمَانِينَ اللهُ وَالْمَانِينَ اللهُ وَالْمَانِينَ اللهُ وَالْمَانِينَ اللهُ وَلِينَا لَا اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ وَالْمَانِ اللهُ وَالْمَانِينَ اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ وَالْمُولِ اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَالِهُ وَلِلْكُولُونَ اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَالْهُ وَلَيْلُولُ اللهُ اللهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللهُ وَلِهُ اللّهُ وَلَا اللهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلِكُ اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ وَلِلْهُ عَلَى اللّهُ وَلَا الللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللهُ اللّهُ اللللهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

وقال أبو السُّعود: وما يقال من أنه كان لغير رشده -أي: ولد زنا \_ لقوله تعالى: ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ فارتكاب عظيمة لا يقادر قدرها، فإن جناب الأنبياء \_ صلوات الله وسلامه عليهم \_ أرفع من أن يشار إليه بأصبع الطعن، وإنها المراد بالخيانة الخيانة في الدين. ومثل هذا ذكره أيضًا البَيضَاوِي، والألُوسِي وغيرهما.

فهذه أقوال عدد من أئمة التفسير تستبعد أن تزني إحدى نساء الأنبياء. ومستند عدم وقوع الزنا من إحدى نساء الأنبياء النقل والعقل:

• أما النقل: فالآيات القرآنية الدالة على هذا كثيرة، ومنها الآيات التي نزلت ببراءة السيدة عائشة مما رُميت به زورًا وبهتانًا؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَاءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِن كُورًا وبهتانًا؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَاءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِن كُورً لا تَحْسَبُوهُ شَرًا لَكُمْ بَلْ هُو خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِ آمْرِي

أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٣/ ٤٩٧) سورة التحريم، آية ١٠٠.

١. المرجع السابق، ص٨٦.

الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ج٩، ص٤٦.

٣. المرجع السابق، ص٤٦، ٤٧. عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص٢٦٢.

مِنْهُم مَّا أَكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِرُ وَٱلَّذِى قَوَلَكَ كِبْرَهُ، مِنْهُمْ لَهُ، عَذَابُ عَظِيمٌ اللهُ عَذَابُ عَظِيمٌ اللهِ (النور) (١).

• وأما العقل: فلأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مبعوثون إلى الكفار لدعوتهم إلى الله؛ فلزم ألَّا يكون معهم ما ينفِّر الكفار منهم، ومن أعظم المنفِّرات عن الإنسان أن تكون زوجته مُسافحة، فزنا نساء الأنبياء لو وقع ينفِّر اتباعهم ويخلّ بحكمة البعثة، لهذا حفظ الله تعالى نساء الأنبياء من الزنا؛ حتى لا يعود ذلك بالانتقاص والإخلال بمهمتهم في دعوة الناس إلى الله (٢).

وبهذا يتبين لنا ضلال هذا الادعاء الذي يزعم أصحابه أن نبي الله نوحًا الله قد وقع في الكذب مما يقدح في عصمته كنبي، كما تبطلُ الحجة التي يستند إليها هؤلاء من أن ابنه كان ابن زنا وليس من صلبه، فهو ابنه بشهادة القرآن، وخيانة زوجته كانت في الدين لا في الفراش .

#### الخلاصة:

• القرآن الكريم يثبت أن ابن نوح النَّيْ هو ولده من صلبه؛ لقوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحُ ٱبْنَهُ ﴾ وعليه فلم يكذب نوح النَّيْ في قوله: ﴿ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾؛ فهو ابنه حقيقة لصلبه؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَهِي تَمْرِي بِهِمْ فِي

مَوْجِ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحُ ٱبْنَهُ, وَكَانَ فِي مَعْزِلِ يَنبُنَى الرَّا المراد ارْحَب مَعْنَا وَلَا تَكُن مَع ٱلْكَفِرِينَ الله (هود). أما المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لِيَسَ مِنْ أَهْلِك ﴾ إما إنه ليس من أهل الإيان، وإمَّا إنه ليس من أهلك الذين أمرتك بحملهم في الفلك، وعلي القولين: ليس من أهلك الذين وعدتك بإنجائهم، وبهذا تحقق أن نوحًا لم يكذب حتى يكون قد ارتكب المعصية.

• الخيانة في قوله تعالى: ﴿ فَخَانَتَا هُمَا ﴾ عند امرأة نوح وامرأة لوط الني (اجعة إلى الخيانة في الدين والعقيدة، لا إلى الخيانة في الفراش، وليس معناه أنها خانتا زوجيهما بالزنا، فها زنت امرأة نبي قط.

#### SAGEN AN

# الشبهة الحادية عشرة

# ادعاء وقوع نوح في الخطأ؛ بسؤاله المولى ﷺ أن ينجِّي ابنه الكافر من الغرق (\*)

### مضمون الشبهة :

يدعي بعض المتوهمين أن نوحًا التَّكِينَ قد أخطأ عندما سأل ربَّه نجاة ابنه الكافر، مع أن الله قد نهاه أن يطلب منه نجاة أحد من الكافرين، ويستدلون على ذلك بقوله: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُۥ فَقَالَ رَبِ إِنَّ ٱبْنِي مِنَ أَهْلِي وَإِنَّ بِقُوله: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُۥ فَقَالَ رَبِ إِنَّ ٱبْنِي مِنَ أَهْلِي وَإِنَّ وَعَدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحَكُمُ ٱلْمَكِكِينَ ﴿ فَقَالَ رَبِ إِنَّ ٱبْنِي مِنَ أَهْلِي وَإِنَّ وَعَدَكَ ٱلْحَقُ وَأَنتَ أَحَكُمُ ٱلْمَكِكِينَ ﴿ فَكَالَ يَسْفِي مِنَ اللهِ عِلَمُ اللهِ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ مَنْ الْجَهِلِينَ ﴿ فَلَا تَسْعَلُنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمُ الْمِنْ مِنَ ٱلْجَهِلِينَ ﴿ فَلَا تَسْعَلُنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمُ الْمِنْ مِنَ ٱلْجَهِلِينَ ﴿ فَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ مَنْ الْجَهِلِينَ ﴿ فَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَى مَنْ الْجَهِلِينَ ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْمَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللللللّهُ ال

الإفك: أسوأ أنواع الكذب والبُهْتان. العُصْبة: الجماعة. تـولَّى
 كِبَرَه: تحمل معظم هذا الإفك.

عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص٢٦١: ٢٦٣.

இ في "المقصود بخيانة امرأة لوط" طالع أيضًا: الوجه الثالث،
 من الشبهة الثلاثين، من هذا الجزء.

<sup>(\*)</sup> عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق.

وراء ذلك إلى الطعن في عصمة سيدنا نوح الطُّغِّلاً.

#### وجه إبطال الشبهة:

إن سؤال نوح الطَّيِّلا ربه أن ينجي ابنه لا يخلو من حالين:

- أن ذلك بعد الغرق، فيكون سؤال كشف واستعلام عن حال ابنه، وقيل: دعاء بالمغفرة في الآخرة فلم يكن ثمة نهي عن الدعاء.
- أن ذلك قبل الغرق، فيكون دعاؤه ليتوب الله
   على ابنه ويهديه للإيهان فينجو.

وليس في كلا الحالين أي معصية أو مخالفة تقدح في عصمة نبى الله نوح التَّلِينَالْ.

#### التفصيل:

## أولا. إذا كمان سؤال نوح النه بعد الغرق، فهو سؤال استعلام عن حال ولده، وقيل: دعاء لابنه بالمغفرة:

#### سؤال کشف واستعلام عن حال ولده:

ذهب بعض المفسرين إلى أن سؤال نبي الله نوح ربه نجاة ابنه كان بعد الغرق ومنهم ابن كثير الذي قال: هذا سؤال استعلام وكشف من نوح الطيخ عن حال ولده الذي غرق: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ وَفَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعَدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكُمُ ٱلْمُنكِينَ ﴿ وَنَادَىٰ مُوحٌ وَالْتَكُمُ ٱلْمُنكِينَ ﴿ وَنَادَىٰ الْحَقُ وَأَنتَ أَحْكُمُ ٱلْمُنكِينَ ﴿ وَاللهِ اللهِ مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعَدَكَ ٱلْحَقُ وَأَنتَ أَحْكُمُ ٱلْمُنكِينَ ﴿ وَاللهِ اللهِ مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعَدَكَ ٱلْحَقُ وَأَنتَ أَحْكُمُ ٱلمُنكِينَ وَ وَعَدَكَ الحق الحق الله وعد وعدتني ربي بنجاة أهلي، ووعدك الحق الذي لا يُخلف، فكيف غرق وأنت أحكم الحاكمين؟ ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ اللهُ اللَّهُ وهذا قال اللَّهُ وهذا قال: لأن إنها وعدتك بنجاة من آمن من أهلك، وهذا قال:

﴿ حَتَىٰ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ اللَّهُورُ قُلْنَا أَحْمِلَ فِيهَا مِن كُلِّ وَمَآ رَوْمَا اللَّهُورُ قُلْنَا أَحْمِلَ فِيهَا مِن كُلِّ رَوْمَا رَوْمَا اللَّهُ وَمَآ مَا مَنْ مَعَهُ وَإِلَّا قَلِيلٌ اللَّهِ (هرد). فكان هذا الولد ممن سبق عليه القول بالغرق لكفره، ومخالفته أباه نبي الله نوحًا اللَّهُ.

#### دعاء بالمغفرة في الآخرة:

وذلك تأسيسًا على أن ابنه قد غرق مع من غرق من الكافرين فلم يبق إلا الدعاء بالمغفرة والرحمة والنجاة من عذاب الآخرة، يقول الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور: "موقع الآية يقتضي أن نداء نوح التي هذا كان بعد استواء السفينة على الجودي نداءً دعاه إليه داعي الشفقة؛ فأراد به نفع ابنه في الآخرة بعد اليأس من نجاته في الدنيا؛ لأن الله أعلمه أنه لا نجاة إلا للذين يركبون السفينة، وقد علم أنه لا وسيلة إلى نجاته، فكيف يسألها من الله، فتعين أنه سأل له المغفرة، ويدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَتَعَلَّنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلَّمُ ﴾. والنداء هنا نداء دعاء فكأنه قيل: ودعا نوح ربه؛ لأن الدعاء يصدر بالنداء غالبًا، والتعبير عن الجلالة بوصف الربِّ مضافًا إلى نوح التي تشريف لنوح التي وإياء (۱) إلى رأفة الله به، وأن نهبه الوارد بعده نهي عتاب.

فالمعنى أن نوحًا الطّيّلاً لا يجهل أن ابنه كافر، ولذلك فسؤال المغفرة له عن علم بأنه كافر، ولكنه يطمع لعل الله أن يعفو عنه لأجل قرابته به، فسؤاله له المغفرة؛ بمنزلة الشفاعة له عند الله تعالى، وذلك أخذًا بأقصى دواعى الشفقة والرحمة بابنه.

١. الإيهاء: الإشارة.

وقرينة ذلك كله قول الله تعالى: ﴿ وَأَنتَ أَحَكُمُ اللهِ عَالَى: ﴿ وَأَنتَ أَحَكُمُ اللهِ عَالَى: ﴿ وَأَنتَ أَحَكُمُ اللَّهِ مِن اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ وَقضاه، ولكنه مقام تضرع وسؤال ما ليس بمحال.

وقد كان نوح النيسة غير منهي عن ذلك، ولم يكن تقرر في شرعه العلم بعدم المغفرة للكافرين، فكان حال نوح النيسة كحال النبي على حين قال ل لعمه أبي طالب: لأستغفرن لك ما لم أنّه عنك قبل أن ينزل قول الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنّبِي وَالّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغَفِرُوا لِلنّبِي وَالّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغَفِرُوا لِلنّم عَنْ بَعَدِما تَبَيّنَ لَمُمُ النّم أَنْهُمُ أَصْحَبُ الْجَحِيدِ (النوبة).

والاقتصار على هذه الجمل الثلاث: "إن ابني من أهلي \_ وإن وعدك الحق \_ وأنت أحكم الحاكمين "في مقام الدعاء تعريض بالمطلوب؛ لأنه لم يذكره، وذلك ضرب من ضروب التأدب والتردد في الإقدام على المسئول استغناءً بعلم المسئول كأنه يقول: أسألك أم أترك كقول أمية بن أبي الصلت.

أَأَذْكُرُ حاجَتِي أَمْ قَدْ كَفانِي

حَياؤُكَ إِنَّ شِيْمَتَكَ الحَياءُ(١)

## ثانيًا. السؤال كان دعاء إلى الله بهداية ابنه للإيمان:

وذهب آخرون إلى أن سؤال نوح الطَّيْلُ ربه نجاة ابنه كان قبل الغرق، ومنهم المفسران أبو السعود، والألوسي اللذان علَّلا ما ذهبا إليه، بأنه لو كان السؤال بعد الغرق عن موجب إغراقه لما نهى الله نوحًا الطَّيْلُ عن استفسار ما لم يعلم: ﴿ مَالَيْسَ لَكَ بِدِعِلْمُ ﴾ فإن النهي عن

استفسار ما لم يعلم غير موافق للحكمة؛ إذ عدمُ العلم بالشيء داع إلى الاستفسار عنه لا إلى تركه.

وعلى هذا الرأي فالأمر في سؤال نوح الطَّيْلا ربه نجاة ابنه لا يخلو من ثلاثة أوجه عقلية:

الوجه الأول: سؤال نوح السَّيِّ ربه نجاة ابنه وهو يعتقد إيهانه، وقد ذهب إلى هذا القول بعض العلماء منهم الماتريدي الذي قال: ظن نوح السَّيِّ أن ابنه على دينه، إذ كان يظهر له ذلك، ويبطن كفره نفاقًا \_ هنالك \_ وإلَّ لما تَأتَّى له أن يقول: ﴿إِنَّ البَّي مِنْ اَهْلِي ﴾ (مود: ٥٤).

وذكر هذا أيضًا الشِهّابِ الخَفَاجِي، وعلى القاري، والزخشري، والقرطبي، وابن المنير الذي قال: لم يكن نوح الطيخ كاشفًا لحال ابنه، ولا مطّلِعًا على باطن أمره، بل معتقدًا بظاهر الحال أنه مؤمن. وحجتهم في ذلك: أن الله تعالى نهى نوحًا الطيخ قبل سؤاله هذا أن يسأله نجاة أحد من الكافرين: ﴿ وَأَصْنَعَ ٱلفُلُكَ بِأَعْبُنِنَا وَوَحِينَا نَجَاة أَحد من الكافرين: ﴿ وَأَصْنَعَ ٱلفُلُكَ بِأَعْبُنِنَا وَوَحِينَا فَلا يُلِيق بنوح الطيخ أن يسأل ربه نجاة ابنه مع علمه فلا يليق بنوح الطيخ أن يسأل ربه نجاة ابنه مع علمه بكفره.

ويرى هؤلاء العلماء أن قوله: ﴿ وَهِي تَعْرِي بِهِمْ فِي مَوْجِ كَالْجِبَ الِ وَنَادَىٰ نُوحُ أَبْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلِ يَنبُنَى مَوْجِ كَالْجِبَ الِ وَنَادَىٰ نُوحُ أَبْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلِ يَنبُنَى الرَّحَب مَعَنا وَلَا تَكُن مَعَ ٱلكَفِرِينَ ﴿ اللَّهِ عِن الدخول على أنه كافر عنده، بل المقصود به النهي عن الدخول في غهارهم، والقطع بأن ذلك يوجب الغرق، وأن اعتزال ابن نوح العَلِي عنه، وقصده الالتجاء إلى الجبل ليس بنص في الإصرار على الكفر؛ لجواز أن يكون ليس بنص في الإصرار على الكفر؛ لجواز أن يكون ذلك لجهله بانحصار النجاة في الفلك، وزعمه أن الجبل ذلك للحجلة بانحصار النجاة في الفلك، وزعمه أن الجبل

التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٦، ج٢، ص٨٣: ٨٥ بتصرف.

أيضًا يجري مجراه.

ویکون معنی قوله تعالی: ﴿ قَالَ یَنْوُحُ إِنَّهُۥ لَیْسَ مِنْ اَهْ اِللَّهُ اَللَّهُ اَللَّهُ اللَّهُ مَا لَيْسَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَوْمَن لَهُ اللَّهُ عَلَى أَنْهُ مؤمن لَهُ اللَّهُ عَلَى أَنَّهُ مؤمن لَهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ مؤمن لللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى أَنَّهُ مؤمن لللَّهُ عَلَم بحاله، إذ هو كافر، وأنا الذي أعلم كفره.

وعلى هذا فسؤال نوح الكيلا نجاة ابنه بناء على اعتقاده بإيهانه الذي هو غير الواقع فيه ترك للأولى، إذ كان عليه وقد ظل يدعو إلى الله سنين كثيرة أن يعرف من آمن حقيقة، ومن لم يؤمن، وخاصة ابنه الذي يخالطه كثيرًا فالقرائن، والأمارات الكاشفة عن أحوال الناس في الإيهان والكفر لا تخفى على من خالطهم، مشل هذه في الإيهان والكفر لا تخفى عليه هذا كان مخالفًا للأولى فيه، وسمّاه البعض خطأ في الاجتهاد، كالخطيب الشربيني وسمّاه البعض خطأ في الاجتهاد، كالخطيب الشربيني الذي ذكر أن قوم نوح الكيلا كانوا على ثلاثة أقسام: كافر يُظهر كفره، ومؤمن يُخفي إيهانه، ومنافق لا يعلم حاله في نفس الأمر.

وقد كان حكم المؤمنين هو النجاة، وحكم الكافرين هو الغرق، وكان ذلك معلومًا، وأما أهل النفاق فبقي أمرهم مخفيًّا، وكان ابن نوح العَيْنُ فيهم، وكان يجوز فيه كونه مؤمنًا، وكانت الشفقة التي تكون للأب في حق الابن تَخْمِلُه على حمل أعماله وأفعاله لا على كونه كافرًا، بل على الوجوه الصحيحة، فأخطأ في ذلك الاجتهاد.

ورغم كثرة القائلين بهذا الرأي \_ وهو نفاق ابن نوح الطّيّة \_ فإننا نرى ضعفه والحديث للدكتور أبو النور الحديدي، وذلك للأسباب الآتية:

• أن نوحًا اللَّهُ وهو في معرض الإرشاد، والقيام

بأعباء الدعوة تلك المدة المتطاولة لا يشتبه عليه أمر ابنه، ولا يفوته العلم بحاله من إيهان أو كفر، ولكل منهها ما يدل عليه.

- أن اعتزال ابن نوح الناس عنه، وقصده الالتجاء إلى الجبل، وتصميمه عليه بعد أن قال له أبوه: ﴿ قَالَ سَتَاوِى إِلَىٰ جَبَلِ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءُ قَالَ لَا عَاصِمُ ٱلْيُوْمَ مِنَ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمُ وَمَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ أَلْمُعْرَقِينَ اللَّهُ الْمَعْرَةِ لَكُانَ مِنَ الْمُعْرَقِينَ اللَّهُ الله المحفورة الابن بالكفر والإصرار عليه، خلاقًا لما يراه بعض المفسرين من أنه ليس بنص في الإصرار على الكفر.
- أن قول نوح الله لابنه: ﴿ وَلَا تَكُن مُّعَ ٱلْكَفِرِينَ الله وَ الله وَالله وَال

الوجه الثاني: سؤال نوح ربه نجاة ابنه لأنه من أهله: ﴿ رَبِّ إِنَّ أَبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعَدَكَ ٱلْحَقُّ ﴾ (هـود: ٥٤)،

يفيد أن المبرر لنوح الطَّيْكُنّ في سؤال نجاة ابنه الكافر هو: أنه من أهله، وقد وعده ربه إنجاء أهله، فهو يستنجز وعد الله بذلك.

ويُعْتذر لنوح الطَّيْكُ بأنه أخذ بظاهر لفظ الأهل من غير نظر لحقيقته، وفُهِم أنه يشمل الابن الكافر، فكان ما وقع منه خطأ في الاجتهاد، وأن أهل المؤمن من كانوا مؤمنين، أما الكافر منهم فليس بأهل ولا قريب للمؤمن، والكفر يقطع القرابة القريبة.

وهذا القول مستبعد جدًّا؛ إذ كيف يغيب هذا عن نوح الطَّيِّ ويطلب نجاة ابنه الكافر، وقد نهاه الله عن طلب رفع العذاب عن الكافرين: ﴿ وَلا تُعْنَطِبْنِي فِي الَّذِينَ طلبَ مُ اللهُ عَن الكافرين: ﴿ وَلا تُعْنَطِبْنِي فِي الَّذِينَ طَلَمُواً إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿ ﴾ (مود)، وأمره أن يحمل معه في السفينة من كل زوجين اثنين وأهله إلا من سبق عليه القول ومن آمن: ﴿ حَتَى إِذَا جَاءَ أَمْهُ الوَقُلُ وَقُلْنَ التَّوْرُ قُلْنَا القول ومن آمن: ﴿ حَتَى إِذَا جَاءَ أَمْهُ اللهَ اللهُ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ القول ومن آمن عَمْد إِذَا جَاءً أَمْهُ اللهَ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ القول ومن آمن عَمْد إلا قَلِيلٌ ﴿ وَاللهِ اللهِ اللهِ اللهِ وَالْمَالِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الله

وذلك واضح في أن من سبق عليه القول بالكفر لا يُحمل في السفينة، ولا يحق لنوح الكنالي أن يطلب نجاته، ابنًا كان أو غير ابن.

الوجه الثالث: سؤال نوح النَّيْلِ ربه نجاة ابنه كان بشرط الإيهان، وقد ذكره الفَخْر الرّازِي بقوله: لا نسلّم أنه دعا لابنه مطلقًا. بل بشرط الإيهان وهذا القول هو الأرجح عندنا. على هذا الرأي الثاني القائل بأن سؤال نوح النَّيْلِ كان قبل الغرق؛ وذلك لأن الله تعالى نهى نوحًا النَّيْلُ أن يسأله نجاة الكافرين في قوله: ﴿ وَلاَ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلْمُ اللهُ عَلَى اللهُ عَا

أن سأل نوح العلى ربه أن يهلك الكافرين جميعًا بقوله: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِ لَا نَذَرْ عَلَى ٱلأَرْضِ مِنَ ٱلْكَفِرِينَ دَيَّارًا الله وَ الله وَ الله وَ الله والله والله والله والكون معنى قوله: ﴿ يَنَبُنَى ٓ ٱرْكَب مّعنا ﴾ أسلم واركب معنا، وعمن فسر بهذا النسفي، وابن كثير الذي قال: وقوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رّبَّهُ ﴾ هذا هو الابن الرابع واسمه يام، وكان كافرًا، دعاه أبوه عند ركوب السفينة أن يؤمن ولا يغرق مثلما يغرق الكافرون.

وهذا المعنى هو المناسب، إذ لا يليق بنوح أن يمدعو ابنه للركوب مع كفره المستمر، ويكون المقصود من قوله: ﴿ ٱبَّنِي مِنْ أَهْلِي ﴾ طلب هدايته للإيمان ونجاتـه، فكأنه قال: رب إن ابني من أهلي فاهْدِه للإيهان ونَجِّهِ، فالإنسان يحب الخير لأهله، ولا خير أحسن من الهداية والنجاة، وقد وعدتني إنجاء أهلي، ومن آمن، وعلى هذا يكون معنى ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ إنه ليس من أهلك الذين يؤمنون، فيستحقون النجاة؛ لأنه كفر كفرًا مستمرًا لا ينتهي حتى يهلك، لِسَبْقَ القول عليه بـذلك، ويكون النهي المتوجّه إلى نوح الطِّيِّكُ في قولـه: ﴿ فَلَاتَشْعَالِن مَالَيْسَ لَكَ بِدِ عِلْمٌ ﴾ لتحذيره من طلب الهداية والنجاة لابنه في هذا الوقت، فلن يجاب له هذا المطلب؛ حيث إن الابن ممن سبق عليه القول بعدم الإيمان في علم الله، ونوح الكلي لا يعلم بـذلك، فنهـاه الله أن يـسأل إيـمان ونجاة من لا يعلم، إن كان ممن سبق عليه القول أنــه لا يؤمن، أو كان ممن يمكن إيانهم (١).

١. عصمة الأنبياء، د. الحديدي، مرجع سابق، ص٢٦٥: ٢٧٠.

وبهذا يتبين أن سؤال نوح الطَّيْلِيَّ رب أن ينجي ابنه ليس فيه أي مخالفة تقدح في عصمته بل هو أمر مشروع، سواء كان هذا السؤال قبل الغرق أم بعده كها بينًا.

#### الخلاصة:

لقد سأل نوح الطَّيْكُ ربه تعالى أن ينجي ابنه، وهذا الأمر من حيث زمنه لا يخلو من حالين:

- أن ذلك بعد الغرق فيكون السؤال حينئذ إما: سؤال استعلام وكشف عن حال ولده الذي غرق، أو هو دعاء بالمغفرة، ولا سيها وأن صيغة الكلام "إن ابني من أهلي وأنت أحكم الحاكمين" تحتمل كلا الوجهين، فليست صريحة في النص على أيهها.
- أن ذلك قبل الغرق؛ فيكون السؤال هنا دعاء من نوح النفي إلى الله تعالى أن يهدي ابنه للإيمان حتى ثُحَقَّ ق له النجاةُ مع المؤمنين، وهذا ما عناه بعضهم بقولهم: إن سؤال نوح النفي ربه نجاة ابنه كان بشرط الإيمان.

وعلى كلا الرأيين يكون السؤال مشروعًا وليس فيه أي مخالفة أو معصية تقدح في عصمة نبي الله نوح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

### AND DES

### الشبهة الثانية عشرة

الزعم أن نوحًا الي الله الم يؤمن به أحد من قومه (\*)

#### مضمون الشبهة:

يزعم بعض المتوهمين أن نوحًا الطِّيِّكُ لم يؤمن به أحد

من قومه مستدلين على ذلك بقوله على: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِيتَهُ وَمَعَلَنَا ذُرِيتَهُ وَمِعَلَنَا ذُرِيتَهُ وَلِهِ الصافاتِ) فلو آمن معه أحد من قومه غير أهله لنجا وبقيت له ذرية مثل نوح الطيخ، ويستأنسون لذلك بها ورد في العهد القديم من أن نوحًا لم يدخل معه في السفينة إلا امرأته وأولاده ونساء أولاده وهم ليسوا سفلة (١) وهذا يتصادم مع قوله على ﴿ مَا نَرَبُكَ إِلّا الذّي يُفهم منه أن نوحًا الطيخ بادِى الزّأي ﴾ (هود: ٢٧) الذي يُفهم منه أن نوحًا الطيخ كان له أتباع من قومه غير أهله، وأنهم كانوا من ضعفاء القوم. ويهدفون من وراء ذلك إلى إنكار حقائق قرآنية وردت عن قصة نوح الطيخ ، كما يرمون إلى ضرب القرآن بعضه ببعض.

### وجوه إبطال الشبهة:

- أرسل الله ﷺ نوحا النسخ إلى قومه؛ لهدايتهم،
   فمنهم من آمن به، ومنهم من كفر.
- لم يصف القرآن الكريم أتباع نوح الطّين بأنهم أراذل، ولكن الكافرين هم الذين وصفوهم بذلك.
- ٣) القرآن الكريم هو معيار الصدق والحق؛ لثبوت حجته، فهو حجة على الكتب المنقطعة الحجة والسند؛ لذا يجب تصديقه فيها أخبر به عن قصة نـوح الطّيّلة مع قومه.

١. السِّفْلَة: الغوغاء وقليلو القَدْر.

<sup>(\*)</sup> موقع الكلمة. www.alkalema.net.

#### التفصيل:

## أولا. أرسل الله عَلَى نوحًا النَّهِ إلى قومه ؛ لهدايتهم، فمنهم من آمن به، ومنهم من كفر:

عبادة الله، فلما بلَّغ رسالة ربه ونصحهم، أعرضوا عن دعوته، ورفضوا نصيحته، وزعمـوا أنـه لا يـستحق أن يكون رسولًا إليهم؛ لأنه بشر مثلهم، ولأن متّبِعيه هـم الضعفاء والفقراء: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِـ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَادِلُنَا بَادِى ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضَّلِ بَلَّ نَظُنُّكُمْ كَذِبِينَ ۞ ﴿ (مود)(١). وأن الله لو شاء إرسال رسول إليهم؛ لأنـزل ملكًـا مـن الملائكـة، كــا زعمــوا \_كذبًا \_أن الذي دعا نوحًا السَّنيِّلاً إلى هذا هـو رغبتـه في أن يتفضل عليهم، ويكونوا أتباعًا له، ولكن نوحًا الطِّيئةُ لم يَثْنِه (٢) تكذيب قومه إياه عن الاستمرار في دعوته، فواصل تأدية الرسالة، ولبث فيهم تسعمائة وخمسين عامًا، لا يَكَلُّ، ولا يَمَلُّ من دعوتهم، حتى أهلكهم الله بالطوفان، قال ﷺ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ، فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَاتُ وَهُمَّ ظَلِمُونَ اللهُ ﴾ (العنكبوت). ولكنن لم ينزدهم ذلك إلا فرارًا من دعوته، فأوحى الله تعالى إليه أنه لن يؤمن من قومه إلا من آمن \_ وهم قليل \_ وعند ذلك أمره \_ ﷺ \_ أن يصنع السفينة؛ ليركب فيها؛ فينجو هو ومن آمن، ونهاه أن يطلب منه نجاة أحد من الذين كفروا؛ لأنه قد

## ثانيًا. القرآن لم يصف المؤمنين أتباع نوح العلا بانهم أراذل وإنما هذا ما رماهم به الكافرون:

أما وصف المؤمنين أتباع نوح التي بأنهم "أراذل" فهو وصف أطلقه المجرمون من قومه ما للذين لم يؤمنوا به حسدًا وكيدًا لأولئك المؤمنين الذين أنعم الله تعالى عليهم بنعمة الإيهان التي حُرم منها هؤلاء الجاحدون المعاندون.

فالحقيقة أن هؤلاء المؤمنين، ليسوا هم الأراذل، بل هم الأصفياء الذين اصطفاهم الله تعالى على غيرهم بأن حبَّب إليهم الإيهان وزيّنه في قلوبهم.

وعليه، فإن كل من ركب في السفينة مع نـوح الطَّيِّكُمْ هم الأخيار المصطفون، وليسوا الأراذل أو سفلة القوم.

## ثَالثًا. القرآن الكريم كلام الله ﷺ، فهو أصدق من الكتب البشريَّة المحرَّفة؛ فيجب تصديقه بما أخبر في كل شيء عن قصة نوح السِّك مع قومه:

لم ينف القرآن الكريم إيهان ثلة من أهل نوح ومن قومه؛ حيث يقول الله : ﴿ حَتَى إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱللَّنَوُرُ قومه؛ حيث يقول الله : ﴿ حَتَى إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱللَّنَوُرُ قَلْمَا الله عَلَى إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنْ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُ وَإِلَّا قَلِيلٌ ﴿ اللَّهِ مَن اللَّهِ تَبْت أَن من أهل نوح من آمن ومنهم من كفر، ومن الذين لم يؤمنوا من أهله زوجته، فقد ضربها الله ومن الذين لم يؤمنوا من أهله زوجته، فقد ضربها الله

حكم على كل الكافرين بالغرق<sup>(٣)</sup>؛ قـال ﷺ: ﴿ وَأَصْنَعِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ وَأَصْنَعِ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّالَّ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّل

١. الأَراذِل: السِّفْلَة والفقراء والضُّعفاء.

٢. لم يُثْنِه: لم يبعده أو يمنعه.

٣. عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق،
 ص٢٥٤.

وقول قومه المكذبين له كها حكى عنهم القرآن الكريم: ﴿ مَا نَرَبُكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلُنَا وَمَا نَرَبُكَ اتَّبَعَكَ الكريم: ﴿ مَا نَرَبُكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلُنَا وَمَا نَرَيْكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا اللَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِى الرّأَي وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضَلِ بَلْ نَظْلُكُمْ كَلْدِينَ ﴿ اللَّهِ الرّاهِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضَلِ بَلْ نَظْلُكُمْ كَلْدِينَ ﴿ اللَّهُ الرّافِل اللَّهُ وَمَلَى كَانَ قُولُ وَالرّشِد فِي نظرهم هو البقاء على الكفر، ومتى كان قول أهل الباطل حجة على أهل الحق؟!

## رابعًا. ذرية نوح السِّكِيِّ الباقية هم أهل الإيمان ومن تناسل منهم:

قال على المتوهمين بهذه الآية على أن نوحًا اللي المسانات يستدل بعض المتوهمين بهذه الآية على أن نوحًا اللي لم يؤمن به أحد، وهذا خطأ؛ لأن الآية لم تنص على ذلك ولقوله على : ﴿ حَقَى إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱللَّنُورُ قُلْنَا ٱجْمِلً فِيهَامِن كُلِّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ

وَمَنْ ءَامَنَّ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُم إِلَّا قَلِيلٌ ١٩٠٠ ﴿ (مود) وإنها قيل في تفسير هذه الآية: إن نوحًا النَّكِيُّ ظل بعــد الطوفــان زمنًا يعلِّم المؤمنين أمور دينهم، ويزكِّي نفوسهم بما أوحاه الله إليه من المواعظ والعبر، حتى لقي ربه عجلا، وقد مات المؤمنون الذين كانوا معه في السفينة واحدًا بعد الآخر، ولم يتركوا من بعدهم ذرية تَخلُفهم في الأرض إلا أولاد نوح الطِّيَّة، وهم سَام وحَام ويَافِث، فإنهم قد تركبوا من خلفهم ذرية تفرقوا في الأرض وعمروها، فكان جميع أفراد البشر من نسلهم، فسام أبو العرب والعبرانيين، وحام أبو السودان والحبشة وغيرهم من الأفارقة، ويافث أبو الترك وغيرهم من العجم، وقد حفِظ الله لنوح الكَيْلاً ذكراه العطرة في كل أمة من العالمين؛ فكل مؤمن يذكره يسلِّم عليه تحية له وتعظيمًا لمكانته؛ فهو الأب الثاني للبشرية، وهو أول من دعا إلى الله على بصيرة، وتعرض لـلأذي من قومه في سبيل دعوته، وهو من أولي العزم، وأصحاب الهمم العالية والأخلاق السامية، وهو المثل الأعلى لغيره من الأنبياء والمرسلين(١).

قصص القرآن، محمد بكر إساعيل، مرجع سابق، ص٤٨.

وبذلك يندفع التعارض بين هذه الآية وبين قوله الله في سورة هـود: ﴿ قُلْنَا اَحْمِلُ فِيهَا مِن كُلِّ زَقِّجَيْنِ اَثَنَيْنِ وَأَهَا مِن كُلِّ زَقِّجَيْنِ اَثَنَيْنِ وَأَهَا مِن كُلِّ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُمْ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ اللهِ هُود) (١).

#### الخلاصة:

- أرسل الله ﷺ نوحًا التَّنِينَ إلى قومه؛ لهدايتهم ودعوتهم إلى عبادة الله وحده فآمن به بعضهم وكفر به الأكثرون، وليس كما يدَّعي بعضهم أنه لم يؤمن به أحد من قومه.
- القرآن الكريم لم يصف أتباع نوح الطّيّلا المؤمنين بأنهم أراذل، ولكن القرآن يحكي وصف الكافرين لأتباعه وكيدهم للمؤمنين، فهذا الوصف إنها جاء على لسان هؤلاء المجرمين.

يذكره يسلِّم عليه تحية له وتعظيمًا لمكانته.

## AND EX

### الشبهة الثالثة عشرة

التشكيك في صحة قصة نوح الطِّيِّة في القرآن (\*)

#### مضمون الشبهة:

#### وجه إبطال الشبهة:

ذكر القرآن الكريم أن الله تعالى نجّى نوحًا الطّيّلا ومن آمن معه من أهله وقومه استجابة لدعوته الطّيّلا، وأما الكافرون فالهلاك والغرق كان مصيرهم، وإن كانوا من أهله، ولا اضطراب ولا تناقض فيها أخبر به القرآن بشأن نوح الطّيّلا وقصته.

#### التفصيل:

لم يقل القرآن الكريم إن أهل نوح الطَّيْلًا نجَوا جميعًا،

<sup>.</sup> Ebnmaryam.com (\*)

التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج١١، ج٣٢، ص١٣٦.

وذِكْره في بعض الآيات أن أهله نجوا لا يتنافى مع ذكره أن بعض أهله لم ينج، قال الله في وَفُوعًا إِذْ نَكَادَىٰ مِن قَكَبُلُ فَأَسَّتَجَبْنَا لَهُ, فَنَجَيْنَكُهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْكَرْبِ الْكَرْبِ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ الله في الله في فَكَمْ الله في اله في الله في الله

فالقرآن يفسر بعضه بعضًا. والمطلق فيه يحمل على المقيد فلا تناقض إذن، فأهل نوح هم المتقون الذين آمنوا به، ومن لم يؤمن به ولو كان ابنه لم يستحق أن يُنسب إليه قال على ﴿ قَالَ يَننُوحُ إِنَّهُ المَيْسَمِنُ أَهْلِكُ إِنَّهُ المَيْسَمِنُ أَهْلِكُ إِنَّهُ مَكُم عَمَلُ عَبَرُ مَلِيحٍ فَلاَتَ عَلَيْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلم الْإِيمَان تَجعل من أَلْجَهِلِينَ ﴿ اللّهِ عَلَى اللّهِ اللهِ عَلَم اللهِ عَلَم اللهِ عَلَم اللهِ عَلَم اللهِ عَلَم الله الله على النبي نسب والله النبي، وإن لم يكن بينه وبين النبي نسب.

استجاب الله ﷺ لدعوة نبيه نوح الشيخ ونجاته وأهله من الكرب العظيم:

قسال ﷺ: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَسَبُلُ فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ,

فَنَجَيْنَكُهُ وَأَهْلُهُ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ اللَّهِ (الأنبياء). يخبر الله تعالى عن استجابته لعبـده ورســوله نــوح الطِّيكان حين دعا من قبل إبراهيم ولوط ومحمد \_ عليهم أفضل الصلاة والسلام ـ أن يهلك الله قومـه الـذين كـذبوا الله فيها توعدهم به من وعيد، وكـذبوه فـيها أتـاهم بــه مــن الحق من عند ربه قال ﷺ: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَانَذُرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَفِرِينَ دَيَّارًا ﴿ ﴾ (نوح). (فاستجبنا له) دعاءه (ونجيناه وأهله) يعني بأهله أهل الإيمان من ولده وحلائلهم: ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿ ﴿ اللَّهِ ﴾؛ أي: العذاب المذي حلَّ (١) بالمكذبين من الطوفان والغرق، وقسال عَنْ : ﴿ وَنَصَرَّنَهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كُذَّبُواْ بِ اَيْدِينَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءِ فَأَغْرَقْنَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّالِمُ اللَّا اللَّا اللَّهُ اللَّا اللَّهُ (الأنبياء) أي ونصرنا نوحًا اللَّيِّل على القوم اللَّذين كـذبوا بحججنا وأدلتنا، فأنجيناه منهم فأغرقناهم أجمعين إنهم كانوا قـوم سـوء، أي: يـسيئون الأعـمال فيعـصون الله ويخالفون أمره (٢).

#### الخلاصة:

• ذكر القرآن الكريم أهل نوح النا الحقيقيين وهم من آمن به، أما من انقطعت صلة الإيمان عنهم؛ فلا يستحقون أن يُنسَبوا إليه، أو أن يكونوا من أهله، قسال الله في وَنُوعًا إذ نكادى مِن قَبَلُ فَاسَتَجَبْنَا لَهُ وَنُوعًا إذ نكادى مِن قَبَلُ فَاسَتَجَبْنَا لَهُ وَالنياء).

١. حلّ: نزل بهم.

عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص٢٥٨. وانظر: قبصص الأنبياء، محمد متولي الشعراوي، مرجع سابق، ص٢٦: ٣٦. النبوة والأنبياء، الصابوني، مرجع سابق، ص١٣٣: ١٤٤.

وقال الله عَلَى: ﴿ قَالَ يَنْنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلُ عَمَلُ عَمَلُ عَمَلُ عَمَلُ عَمَلُ عَبُرُ مَالِيِّ فَلَاتَسْنَلْنِ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمُ إِنِّ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَهِلِينَ ﴿ آَلَ ﴾ (مود). فنسبة الإيان تجعل من صاحبها أهلًا للنبي وإن لم يكن بينه وبين النبي نسب.

• استجاب الله تعالى لدعوة نبيه نوح الطّيّين ونجّاه وأهله من الكرب العظيم، ﴿ وَجَعَيْنَكُ وَأَهْلَهُ, مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ الله ﴿ وَجَعَيْنَكُ وَقَالَ تبارك وتعالى: الْكَرْبِ الْعَظِيمِ الله ﴿ وَنَصَرْنَهُ مِنَ الْفَوْمِ اللَّذِينَ كَذَّبُوا بِثَايَلِيْنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ اللَّهِ وَاللَّهِ مِنَ الْفَوْمِ اللَّهِ فَي اللَّهِ وَاللَّهِ اللَّهِ وَاللَّهِ مَنَ اللَّهُ مُ اللَّهُ مَا اللَّهُ عَلَى القوم اللّه الله والله الله والمحججنا وأدلتنا فأنجيناه منهم وأغرقناهم أجمعين إنهم كانوا قوم سوء فاسقين.

#### 9998 XX

## الشبهة الرابعة عشرة

## ادِّعاءِ خطأ القرآن في ذكر قصة هود الطَّيَّةِ، التي لا وجود لها في التوراة (\*)

#### مضمون الشبهة:

يدعي بعض المتوهمين أن القرآن يخالف التاريخ في إيراده قصة هود التيلا، ويستدلون على ذلك بالآيات (٥٠ ـ ٥٩) من سورة هود (١١)، وبها ذكره أحد المفسرين

الآیات هي قوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ یَــقَوْمِ
 اَعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَــهِ عَيْرُهُۥ إِنْ أَنتُــمْ إِلّا مُفْتَرُونَ ۞
 یَــفَوْمِ لَا أَسْعُلُكُو عَلَیّهِ أَجْـرًا إِنْ أَجْرِی إِلّا عَلَى الّذِی فَطَـرَنَيْ أَفَلا
 یَــفَوْدُو (⑥) وَیــفَوْرِ اسْتَغْفِـرُوا رَبَــکُمْ ثُــدَ تُوبُوا إِلیّهِ مُرْسِـلِ السّــمَاءَ

www.islameyat.com

من أن قبيلة عاد عاقبها الله بإهلاكهم بالرِّيح العقيم (٢) بعد إمساك المطر عنهم ثلاث سنوات. ويتساءلون: من أين أتى القرآن بهذه القصة التي لا وجود لها في التوراة؟! ألا يعد هذا خالفًا لوقائع التاريخ والتوراة؟!

### وجها إبطال الشبهة:

التوراة ليست مرجعًا معتمدًا لمعرفة التاريخ حتى نحاكم بها القرآن ونتخذها معيارًا للحكم على القرآن.

٢) كشفت البحوث الحديثة عن وجود قـوم عـاد،
 وعن ديارهم، وهـذا دليـل عـلى أن القـرآن الكـريم لا
 يخالف حقائق التاريخ.

#### التفصيل:

## أولا. التوراة ليست حجة، ولا معيارًا للحق:

القرآن الكريم جاء بها لم تأت به التوراة والكتب السابقة؛ ليثبت للعقلاء أن النبي لله لم يتلق القرآن من أحد من البشر، كها أن القرآن الكريم ذكر الكثير والكثير من قصص السابقين التي تؤكد أن ما جاء به النبي على هو الحق والصدق قال على: ﴿ وَمَا يَنْظِقُ عَنِ

عَلَيْكُمُ مِدْ رَارًا وَيَزِدْكُمْ فُوَّ إِلَى فُوَّتِكُمْ وَلَا نَنَوُلُ الْجَدِينِ اللهِ عَلَيْكُمْ وَلَا نَنَوُلُ الْجَدِينِ عَمْ مَا عَنْ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ وَمَا عَنْ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ وَمَا عَنْ اللهُ وَمَا عَنْ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَمَا عَنْ اللهُ وَمَا عَنْ اللهُ وَمَا اللهُ اللهُ وَمَا عَنْ اللهُ وَمَا اللهُ وَمَا عَنْ اللهُ وَقَالَ اللهُ وَقَالَ اللهُ وَقَالَ اللهُ وَقَالَ اللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَقَالَ اللهُ وَقَالَ اللهُ وَقَالَ اللهُ وَقَالَ اللهُ وَقَالَ اللهُ وَقَالَ اللهُ وَمَا مَن وَاللهُ وَقَالَ اللهُ وَقَالَ اللهُ وَاللهُ وَقَاللهُ وَقَاللهُ وَقَاللهُ وَقَاللهُ وَاللهُ وَقَاللهُ اللهُ وَقَاللهُ اللهُ عَلَيْكُولُو اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ عَلَيْكُولُو اللهُ اللهُ وَمَا عَيْرُكُو وَلا نَصُرُونَهُ شَيْعًا إِلّا وَمَا عَيْرَكُمُ وَلا نَصُرُونَهُ شَيْعًا إِنَّ رَقِي عَلَى عَلَى اللهُ عَيْنَا اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْكُولُ اللهُ وَمَا عَيْرَكُو وَلا نَصُرُونَهُ اللهُ اللهُ

٢. الرِّيح العقيم: التي لا تسوم سحابًا ولا تُلقِّح شجرًا.

<sup>(\*)</sup> هل القرآن معصوم؟ موقع إسلاميات.

المُوكَا آلَ إِنَّ هُو إِلَّا وَحَيُّ يُوحَىٰ آلَ النجم). وهذه القصة لم ترد في التوراة؛ لأن القرآن لم يتابع التوراة - المحرفة بأيدهم - في قصصه وأخباره، بل إنه صحح أخطاءها وأكمل ناقصها، ولو كان النبي شناقلًا من التوراة لأخذ كل ما فيها دون تمييز بين حق وباطل، ولو حاول التخلص من باطلها مرة لوقع فيه مرات، فالقرآن كتاب مستقل بذاته، كما أنه مُهَيْمِن على الكتب الساوية كلها، وكذلك فإن التوراة لم تجمع وتستوعب التاريخ كله، حتى نجعلها حكمًا على ما ذكره القرآن من قصص.

كما أن التاريخ نفسه ليس حجة على القرآن الكريم؛ إذ هو من صنع البشر الذين لا يتخلصون من العاطفة في أحسن الأحوال عندما يدونون التاريخ فـضلًا عـن النزوات والأغراض والأهواء التي تسيطر على كتاب التاريخ وهم يسجلون وقائعه، أضف إلى ذلك عدم إحاطتهم بكل جوانب الأحداث ومختلف الظواهر التي يرصدونها، فإنهم لا يرصدون إلا ما يتراءى لهم، وأعظم من ذلك كله أن أيدي البشر لا تنفك عن العبث في أحداث التاريخ ووقائعه وتغييره بما يوافق مصالحهم وأغراضهم حتى في التاريخ المعاصر والحديث، وكم من أحداث تُزَيِّفُ حقائقها، وكم من وقائع تُغيّر معالمها. وإذا كان البشر قد امتدت أيديهم إلى الكتب المقدسة فحرفوها فهل سيتورَّعون(١١) عن العبث بحقائق التاريخ الذي لا قداسة له وهذا لا يعني أن كل أحداث التاريخ أو التوراة مزيفة غير أن هذا يؤكد أن القرآن الكريم هو الحق، وما عداه يؤخذ منه ويرد، وكم من آثار وأحداث ماضية ذكرها القرآن الكريم؛ ليبين

### ثانيًا. البحوث الحديثة كشفت عن وجود آثار قوم عاد:

كشفت البحوث الحديثة اليوم عن وجود آثار قوم عاد، وديارهم التي وصفها الله و الله بقوله: ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْمِمَادِ ﴿ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللهِ ويقول د. زغلول النجار: كان علماء التاريخ يسككون في حقيقة قوم عاد؛ لأنهم لم يجدوا لها أثرًا على الإطلاق، وفي رحلة من رحلات الفضاء زودوا المكُوك بجهاز يصبان في بحيرة قطرها يزيد على أربعين كيلو مترًا في يصبان في بحيرة قطرها يزيد على أربعين كيلو مترًا في جنوب شرق الربع الخالي، وصوّر المكوك بين مصبي جنوب شرق الربع الخالي، وصوّر المكوك بين مصبي النهرين وعلى ضفاف البحيرة عمرانًا لا تعرف البشرية له نظيرًا في ضخامته، فجمعوا علماء التاريخ، وعلماء الأديان، وقالوا: ماذا يمكن أن يكون هذا العمران، فأجمعوا على أنه قصور إرم التي وصفها القرآن الكريم، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ إِرَمَ ذَاتِ القَرآن الكريم، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ إِرَمَ ذَاتِ القَرآن الكريم، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ إِرَمَ ذَاتِ القَرآن الكريم، فقالوا

٢. إِرَم: لقب القبيلة. العِماد: صاحبة القوة.

١. سيَتُورَّعون: سيَتَحَرَّجون.

في تقريرهم: إن البشرية لم تعرف في تاريخها الطويل عمرانًا في ضخامة هذا العمران، واكتشفوا - حينها بدءوا في إزالة الرمال عن هذه المدينة - قلعة ثُمانيَّة الأضلاع على أسوار المدينة، مقامة على أعمدة ضخمة عديدة، وذكر التقرير أن هذه الحضارة التي لم يكن ينافسها في زمانها حضارة أخرى طَمَرتها(1) عاصفة بنافسها في زمانها حضارة أخرى طَمَرتها(1) عاصفة بأكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان، فقال من الزعة عشر قرنًا من الزمان، فقال من الذريان). ﴿ فَأَمَّا عَادُ فَالسَّنَكَ بَرُوا فِي المُرْضِ بِغَيْرِ الْحِيِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُ مِنَا قُوَةً وَكَانُوا بِعَايِينَا عَلَيْمُ الزيى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُ مِنْهُمْ قُوَةً وَكَانُوا بِعَايِينِنا يَجْحَدُون فَاكَ اللهَ الذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُ مِنْهُمْ قُوَةً وَكَانُوا بِعَايِينِنا يَجْحَدُون فَاكُ (الذاريات).

﴿ كَذَبَتْ عَادُ فَكَمْ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ اللَّ ﴾ (القمر)، فيا ذكرته الأبحاث ما هو إلا تحصيل حاصل في تصديق كتاب الله على في كل ما جاء به، وكذلك فإنه أسطع برهان لهؤلاء المنكرين حتى يرجعوا عن أفكارهم وكذبهم، وسيبقى القرآن كتاب الله المعجز في الكون، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَاينيّنَا فِي وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَاينيّنَا فِي الْاَفْقَ وَفِي أَنفُسِمْ حَتَى يَبّيّنَ لَهُمْ أَنَهُ ٱلْحَقُ الْوَلَمْ يَكُفِ

#### الخلاصة:

• إن القرآن الكريم كلام الله المعجز، ومن إعجازه أنه يتحدث عن الأخبار السالفة ويبينها للناس، فهو منهج تربوي حكيم ليس له نظير؛ فلا يستطيع أحد أن يشكك في شيء مما جاء به؛ لأن الله تبارك وتعالى تولَّى

حفظه، قال تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَوَإِنَّا لَهُ لَــُنفِظُونَ ۞ ﴾ (الحجر).

- أما التوراة فقد حرَّفها أصحابها، حتى توافق أهواءهم وشهواتهم، ثم بعد ذلك يريدون أن يجعلوها حكمًا على ما جاء في القرآن الكريم.

## 336 E

## الشبهة الخامسة عشرة

ادعاء أن ناقة صالح الطِّيخ خرافة تتنافى مع العقل (\*)

#### مضمون الشبهة:

يدعي بعض المتوهمين أن ناقة صالح الطي خرافة غير معقولة؛ فليس من العقل أن تلد الصخرة ناقة تشرب كل ماء البئر ليوم كامل، ثم تسقي كل أهل المدينة من لبنها، ويرمون من وراء ذلك إلى التشكيك في معجزة صالح وإنكار نبوته الطيي.

#### وجوه إبطال الشبهة:

ا ناقة صالح الطّن معجزة إلهية، والله ﷺ يؤيد
 رسله بالمعجزات، فَلِمَ العجب والمؤيِّدُ هو الله ﷺ

<sup>(\*)</sup> موقع الكلمة. www.alkalema.net.

١. طَمَر: ستر.

۲) المعجزة أمر خارق للعادة، وهذا ما حدث في قصة الناقة، وهي كغيرها من معجزات الأنبياء، مثل إحياء الموتى وخلق الطائر الناتج عن النفخ فيه، وهما معجزتان لعيسى الطيخ، ومثل تفجير الحجر عيونًا وفلق البحر، وهما معجزتان لموسى الطيخ.

٣) التشكيك في معجزة صالح الكلا التي أيده الله بها مرده القصور في عقول المنكرين، ولو نظروا في الكون لأبصروا العجب العجاب، والتقدم العلمي الحديث خير دليل على قدرة الله تعالى.

#### التفصيل:

## أولا. الناقة معجزة إلهية، والله يؤيد رسله بالمعجزات، فمن أين العجب والمؤيد هو الله ﷺ؟

ومن هنا عَرَّف العلماء المعجزة: بأنها أمر خارق للعادة، يظهره الله على يد من اصطفاه تصديقًا له في دعوته، ولما كانت المعجزة فعلًا من أفعال الله كانت المعجزة فعلًا من أفعال الله كانت المعجزة فعلًا من أمعالة في وقوعها؟ إن وقوع المعجزة ليس أعجب من خلق السهاوات والأرض وما فيها، وليس بأعجب من

خلق الحياة المتجددة كل يوم.

وأي عجب في أن تخرج ناقة من صخرة على سبيل خرق العادة، ونحن نرى الكائنات الحية كالديدان تخرج من موات؟ ألا يقلب المرء صخرة أو يشق تمرة أو يقطع عودًا من أعواد النبات، أو يضرب الأرض بفأس أو يشقها بمجراف فيجد في داخل هذه الأشياء ديدانًا، وكائنات حية تخلقت من داخلها، ولم تأت في بدء أمرها من زوجين اثنين؟ إن الذي أوجد هذه الكائنات الحية الدقيقة في هذه الجهادات والنباتات، هو الذي يوجد كائنًا حيًّا من صخرة، وليس في قدرته كبير وصغير، ومعلوم لدى العلهاء أن الإعجاز والدقة في الكائن الكبر.

ومتى كان الشيء الغريب المخالف للمألوف مَدْعَاةً للحكم عليه بالاستحالة العقلية؟ إننا لو سلّمنا بهذا؛ لحكمنا بالاستحالة العقلية على ما لم نألفه، بل لما ثبت شيء في الوجود أصلًا!!، إذ كل واحد منا يعتاد أشياء لا يعتادها ولا يألفها الآخرون، وهكذا ينتهي بنا إنكار غير المألوف إلى إنكار كل شيء، فوجب علينا أن نشق ونؤمن بقصة الناقة؛ لأنها من فعل الله علينا.

## ثَانِيًا. الناقة معجزة الله تعالى لنبي الله صالح الطَّيَّكُ اللهِ على صدق نبوته:

إن الله يؤيد أنبياءه بالبينات، والبينة هي: الدليل على الصدق في البلاغ عن الله تعالى، كما أنه على يؤيدهم بالمعجزات والمعجزة هي الأمر الخارق للعادة.

والله قد أيَّد صالحًا الطِّينَا بالناقة؛ فحين قام سيدنا صالح الطِّينا بدعوته، تحداه السادة من قومه، وقالوا:

نقف نحن وأنت، نستنجد نحن بآلهتنا، وأنت تستنجد بإلهك، فإن غلب آلهتنا تتبعنا، وإن غلب إلهك نتبعك، وجلسوا يدعون آلهتهم، فلم يحدث شيء من تلك الآلهة، وهنا قالوا لسيدنا صالح: إن كنت صادقًا في دعوتك، فهذه صخرة منفردة أمامك في الجبل، اسمها "الكاثيبة" فليُخْرِج ربك لنا من هذه الصخرة ناقة عَشْرَاء كالبُخْت \_ أحسن أنواع الإبل \_ فدعا الله كان وانشقت الصخرة عن الناقة، وخروج الناقة من الصخرة لا يدع مجالًا للشك في أنها آية من الله ظهرت أمامهم.

إنها البينة الواضحة لقد انشقت الصخرة عن الناقة، ووجدوها ناقة عشراء، وبراء \_ أي كثيرة الوبر \_ يتحرك جنينها بين جنبيها، تم أُخَذَها المخاض، فولدت فصيلا، وهكذا تتأكد الآية بدون أن يجرؤ أحد على التشكيك فيها(١).

قال تعالى: ﴿ وَإِلَى شَمُودَ أَخَاهُمْ صَلِعُا قَالَ يَنقُومِ
اعْبُدُوا الله مَا لَكُم مِنْ إِلَهٍ عَيْرُهُۥ قَدْ جَاءَتْكُم
بَيْنَةُ مِن رَّيِكُم هَلَذِهِ عَنَاقَةُ اللهِ لَكُمْ ءَايةٌ فَذَرُوهَا
بَيْنَةُ مِن رَّيِكُم هَلَذِهِ عَنَاقَةُ اللهِ لَكُمْ عَذَابُ آلِيهُ

تَأْكُلُ فِي آرْضِ اللّهِ وَلَا تَمسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذُكُم عَذَابُ آلِيهُ

تَأْكُلُ فِي آرْضِ اللّهِ وَلَا تَمسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذُكُم عَذَابُ آلِيهُ

مثل: إحياء الموتى، وخَلْق الطائر الناتج عن النفخ فيه مثل: إحياء الموتى، وخَلْق الطائر الناتج عن النفخ فيه وهما معجزتان لعيسى الطَيْكُ، ومثل: تفجير الحجر عيونًا، وفَلْق البحر وهما معجزتان لموسى الطَيْكُ، وغير ذلك من معجزات الرسل، وإذا كان النصارى ذلك من معجزات الرسل، وإذا كان النصارى قد اغتروا بما أجرى الله على يد عيسى الطَيْكُ من

 ا. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مرجع سابق، ج٧، ص٤٢١٧، ٤٢١٨.

معجزات، وبالغوا في ذلك حتى جعلوه إلمّا بسببها، فَلِمَ ينكرِونها في حق نبي الله صالح الطّيك، وهو رسول مثل عيسى الطّيك - صدَّقه الله بمعجزة الناقة؟!

وهل يُقبل من كل أحد إنكاره - بلا دليل - معجزة من المعجزات أو كرامة من الكرامات، ويقول: إنها خرافة من الخرافات، لا لشيء إلا لأنها استحالت في عقله القاصر ؟

# ثَالثًا. التشكيك في معجزة صالح الطِّيّة ناتج عن ضيق أفق هؤلاء المنكرين، وعجزهم عن إدراك الأمور على حقيقتها:

فلو نظروا في الكون لوجدوا أشياء كثيرة كنا نُعُدُّها مستحيلة ولكنها الآن متاحة، وهذا من فعل البشر، وهم عاجزون، فما بالك بفعل الله على المتعال.

إننا نرى اليوم أجهزة تتحدث، ولو كان هذا في زمن السابقين لحكموا على ما يرونه أمامهم بأنَّه ضرب من السحر.

ولا سبيل إلى إنكار معجزة صالح الطّيّلا؛ لأن ما يشبت من معجزات الأنبياء كمعجزة عيسى الطّيّلا يثبت لمعجزة صالح الطّيّلا وغيره من الأنبياء عليهم السلام ما أجمعين، فإذا كان هناك من يسكّك في معجزة الناقة، ويؤمن بمعجزة إحياء الموتى لعيسى الطّيّلا، فإن هذا مما يتنافى مع العقل السليم ويدخل في باب الإيان بالهوى يتنافى مع العقل السليم ويدخل في باب الإيان بالهوى قال تعالى: ﴿ أَفَتُوْمِنُونَ بِبَعْضِ الْمَكِنَبِ وَتَكَفّرُونَ

#### الخلاصة:

• إن معجزة الناقة كانت تأييدًا من الله عَلَى لنبيه

- هل يقبل قول كل من ينكر شيئًا ـ بغير دليل ـ لمجرد الإنكار والحكم بالخرافة؟ ولو كان ذلك مقبولًا؟ لأدخلنا في نفق مظلم من الخرافات التي لا نهاية لها. ولكننا نُذكِّر هؤلاء المنكرين بمقولة هي: إذا كنت مدّعيًا فأين الدليل، وإلا فكلامك محض افتراء لا فائدة منه.
- إن التطور العلمي في شتى المجالات، في عصرنا الحاضر ولا سيما في وسائل المواصلات والاتصالات لحَرِي بأن يذهب بالألباب، وتُنكره العقول لو كان في زمان الأولين، الذين لم يعهدوا مثل هذا قط، ولا خطر على بالهم طرفة عين، وليس ذلك إلا لقصور عقولهم عن تقدُّم البشر، فما بالنا بفعل الله ﷺ الذي خلق هؤلاء البشر؟!!

## 30 EX

### الشبهة السادسة عشرة

## ادِّعاء وقوع إبراهيم الطَّيِّيِّةُ في الشرك (\*)

#### مضمون الشبهة:

يدُّعي بعض المتوهمين أن سيدنا إبراهيم الطِّينين عبد الكواكب والقمر والشمس، ويستدلون على ذلك بقول الله عَنْ الله عَنْ عَلَيْهِ أَلَّيْلُ رَوَا كَوَّكُما قَالَ هَلَا ارَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُ ٱلْآفِلِينَ ﴿ إِنَّ فَلَمَّا رَمَا ٱلْقَمَرَ بَانِفَا قَالَ هَنذَا رَبِّي أَفَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَين لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَكَ مِنَ ٱلْقَوْرِ ٱلضَّآلِينَ اللَّهُ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَاذِعْتَةً قَالَ هَلَذَا رَبِّي هَنذَآ أَكَّبَرُ ۚ فَلَمَّا ۚ أَفَلَتْ قَالَ يَنقَوْمِ إِنِّي بَرِيَّ ۚ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (الأنعام). (١) كما يستدلون على وقوعه في الشرك أيضًا بأنه نظر في النجوم ليتعرف على حاله وما يحدث له، وذلك لقوله على: ﴿ فَنَظَرَنَظُرَةً فِٱلنَّجُومِ ١٠٠ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿ ﴾ (الصافات). ويتساءلون: كيف يغفر الله هذا الشرك، مع أنه سبحانه قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ - وَيَغْفُرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاكُمُ ۚ وَمَن يُشْرِكَ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿ ﴾ (النساء). ويرمون من وراء ذلك الادعاء إلى الطعن في عصمة سيدنا إبراهيم الكيلا.

#### وجوه إبطال الشبهة:

1) قول إبراهيم الكني : (هذا ربي) على كل من: المشمس، والقمر، والكواكب من باب النظر والاستدلال ومحاجة قومه، وليس من باب الإقرار بعبوديتها. وقيل: إنه كان مناظر، ولم يكن ناظرًا.

<sup>(\*)</sup> موقع المتنصرين. mutenusserin.net ١. جنَّ: أظلم.

لم يقع شرك من إبراهيم العَنظة، وإنها استخدم ما يسمى في الجدل بـ "مُجاراة الخصم" للوصول إلى الإقناع بالصواب.

٣) نظرُ إبراهيم الناكا في السهاء كان للتفكر والتدبر وليس اعتقادًا منه في تأثير أوضاع النجوم في حاله وما يحدث له؛ إذ كيف ينهاهم عن الشرك ثم يقع فيه؟!

#### التفصيل:

أولا. قول إبراهيم النشان: (هَـنَا رَبِّي) على كل من: الشمس، والقمر، والكواكب من باب النظر والاستدلال ومحاجة قومه، وليس من باب الإقرار بعبوديتها:

إن الله تعالى اصطفى سيدنا إبراهيم الكلي وآتاه رُشْدَه (۱) قبل أن يبعثه فكان حنيفًا مسلمًا مخلصًا لله رب العالمين، وبدأ دعوته مع قومه بالحكمة والموعظة الحسنة فبين لهم مدى المضلال والفساد العقيلي، حين يعبد الإنسان أصنامًا لا تضر ولا تنفع، وأن المستحق للعبادة وحده هو الله الخالق المتفضل عليهم بسائر النعم، واتخذ معهم طرقًا كثيرة في سبيل إقناعهم بالعقل والحجة والمنطق والبرهان، وكان من بين هذه الطرق تلك المحاجة التي استخدم فيها أسلوبًا من أساليب المناظرة في الاستدلال على قوله وإلزامهم الحجة.

ويبدو أن إبراهيم الكيلا كان سائرًا مع فريق من قومه يشاهدون الكواكب، وكان قوم إبراهيم الكيلا من الصابئة الذين يعبدون الكواكب، ويصورون لها أصنامًا، وكانت تلك ديانة الكلدانيين قوم إبراهيم الكيلا، فرأى كوكبًا ظاهرًا بإشراقه عن سائر الكواكب، فأراد أن ينتهز تلك الفرصة السانحة في الكواكب، فأراد أن ينتهز تلك الفرصة السانحة في

الاستدلال على بطلان عبادة الأصنام أمام قومه بالدليل العلمي المنطقي من الواقع، فقال على سبيل الفرض جريًا على معتقد قومه ليصل بهم إلى نقض اعتقادهم: هوكذاري هو مفاظهر أنه موافق لهم ليه شُوا(٢) إلى ذلك، ثم يكرُّ عليهم بالإبطال إظهارًا للإنصاف وطلب الحق، ولا يريبك في هذا صدور ما ظاهره كفر على لسانه الكيك؛ لأنه لما رأى أن ذلك طريق إلى إرشاد قومه وإنقاذهم من الكفر، واجتهد فرآه أرجى للقبول عندهم، ساغ له التصريح به لقصد الوصول إلى الحق وهو لا يعتقده، ولا يزيد قوله هذا قومه كفرًا، كالذي وهو لا يعتقده، ولا يزيد قوله هذا قومه كفرًا، كالذي يكره على أن يقول كلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان؛ فإنه إذا جاز ذلك لحفظ نفس واحدة وإنقاذها من الهلاك كان جوازه لإنقاذ فريق من الناس من الهلاك في الدنيا والآخرة أولى، وقد يكون فعل ذلك بإذن من الله تعالى بالوحى (٣).

والدليل على ذلك أن الله تعالى وصفه قبل هذه الآية مباشرة بقوله: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِى ٓ إِبْرَهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَوَتِ وَالْمَرَةِ بقوله: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِى ٓ إِبْرَهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَوَتِ وَالْمَرْقِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿ الأنسام والمسلود الإيقان في هـو العالم علم الايقبال السلك، والمسراد الإيقان في معرفة الله تعالى وصفاته، وقوله: ﴿ نُرِى ٓ إِبْرَهِيمَ ﴾ فهده الرؤية الخاصة التي اهتدى بها إلى طريق عجيب في الرؤية الخاصة التي اهتدى بها إلى طريق عجيب في إبْكاته (٤) لقومه مُلجئ إياهم للاعتراف بفساد معتقدهم هي فرع من تلك الإرادة التي عمّت ملكوت السموات هي فرع من تلك الإرادة التي عمّت ملكوت السموات

١. الرُّشد: تمام العقل.

٢. يَهَشُّ: ينشرح صدره.

التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٤، ج٧، ص٢١٩، ٢٢٠.

٤. إبْكاته: تقريعه وتوبيخه.

والأرض<sup>(۱)</sup>.

فإبراهيم لم يقبل ذلك إخبارًا، وإنها قاله فرضًا واستدراجًا لقومه ليُظِهر لهم الحقيقة، حتى أوصلهم لفساد هذا الفرض قال: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَءَا كُوّكُباً فَالَ هَذَا رَبِي فَلَمّا أَفَلَ قَالَ لاَ أُحِبُ ٱلْآفِلِينَ اللَّهُ فَالَ لاَ أُحِبُ ٱلْآفِلِينَ اللَّهُ فَالَ لاَ أُحِبُ ٱلْآفِلِينَ الله (الانعام)، ويفصّل د. الحديدي القول في هذه القضية مختارًا هذا الرأي من آراء العلماء لأدلة منها(٢):

الأول: أن القول بربويية الكواكب كفر، والكفر غير جائز على الأنبياء بالإجماع. قال الخطيب الشربيني: لا يجوز أن يكون لله تعالى رسول يأتي عليه وقت من الأوقات إلا وهو له موحد، وبه عارف، ومن كل معبود سواه بريء.

الثاني: أن الله تعالى أخبر عنه قبل هذه الواقعة أنه قال لأبيه آزر: ﴿ أَتَتَخِذُ أَصَّنَامًا وَالِهَ اللهِ الْمِيْ الْمِيْنِ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُو

الثالث: أنه دعا أباه إلى التوحيد، وترك عبادة الأصنام برفق، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَأْبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا كَنْ مَعْ وَلا يُغْمِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْنًا ﴿ اللهِ يَتَأْبَتِ إِنِي قَدْ لَا يَسْمَعُ وَلا يُغْمِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْنًا ﴿ اللهِ يَتَأْبَتِ إِنِي قَدْ جَاءَنِي مِن الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَأَتَّبِعْنِي آهْدِكَ صِرَطا سَوِيًا جَاءَنِي مِن الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَأَتَّبِعْنِي آهْدِكَ صِرَطا سَوِيًا بَنَ السَّيْطِينَ كَانَ لِلرَّمْنَ وَعِيمًا اللهَ يَتَأْبَتِ إِنِي آخَافُ أَن يَمسَكَ عَذَابٌ مِنَ ٱلرَّمْنَ وَتَكُونَ لِللَّمْنِ وَلِيَا ﴿ اللهَ يَعْلُونَ عَلَيْكُ مِنَ ٱلرَّمْنِ وَلِيَا وَاللهُ إِن وَلِيَا اللهَ عَلَى اللهَ يَعْلَى اللهَ عَلَى اللهُ عَلَيْكُ مِنَ ٱلرَّمْنَ وَلِيَا وَاللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ

وفي هذه الواقعة دعاه إلى هذا بالكلام الحسن، والرفق يُقدَّم عادة على العنف؛ فدل هذا على أن هذه الواقعة إنها وقعت بعد أن دعا أباه إلى التوحيد مرارًا، وهو لا يدعو غيره إلى الله إلا إذا كان عارفًا به، فثبت أن هذه الواقعة إنها وقعت بعد أن عرف ربه بمدة.

الخامس: النص في أكثر من موضع في القرآن الكريم على أن هذه المحاجة كانت مع قومه، وذلك يتضح من قوله لهم: ﴿ يَكَفُّو إِنِّى بَرِينَ مُ مِنَا لَمُشْرِكُونَ ﴿ الأنعام )، وفي قوله لهم: ﴿ يَكَفُّو إِنِّى بَرِينَ مُ مِنَا لَمُشْرِكُونَ ﴿ الأنعام )، وفي قوله تعالى: ﴿ وَحَاجَهُ مُ قَوْمُهُ أَوْ اللَّا اللَّهُ وَقَدْ هَدُنْ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلّا أَن يَشَاءَ رَبِي شَيّتُ هَدَنْ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلّا أَن يَشَاءَ رَبِي شَيّتُ وَلِي مَن نَشَاءً وَلَا اللَّهُ وَقَدْ وَلِي عَلَى اللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَقَرْمِهُ مَن قَوله تبارك وتعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى قَوْمِهِ مُن نَشَاء أَن اللَّهُ إِنْ رَبّكَ حَكِيمُ وَلِي اللهِ عَلَى أَنه كان في هذا المقام عَلِيهُ ﴿ وَلِللّا المقام عَلَى أَنه كان في هذا المقام مناظرًا لقومه فيها كانوا عليه من الشرك، وليس متأملا أو متحيرًا.

التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، ص٧٧٦.

عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص ٢٧٠: ٢٧٦.

السادس: إخبار الله تبارك وتعالى عنه بأنه آتاه رشده من قبل، وكان عالمًا باستحقاقه الرسالة لتجنبه الشرك وسوء الفعال (۱)، وقبيح الصفات، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْءَ النَّيْنَا ٓ إِبّرَهِيمَ رُشْدَهُ، مِن قَبْلُ وَكُنّا بِهِ عَلِمِينَ (١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا رُشْدَهُ، مِن قَبْلُ وَكُنّا بِهِ عَلِمِينَ (١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التّمَاشِلُ النِّيهِ أَنتُم هَا عَكِمُونَ (١) قَالُوا وَجَدْنَا مَابَاةَ نَاهًا عَلَيهِ مَا عَلَيهِ مِن قَالُوا وَجَدْنَا مَابَاةَ نَاهًا عَلَيهِ عَلِيهِ عَلَيهِ وَقَالَ عنه أيضًا: ﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ, بِقَلْهِ صَلّالِ مُبِينِ اللهِ اللهِ عَلْهُ اللهِ عَلَيهِ عَلَيهِ عَلَيهِ عَلَيهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلْهُ اللهِ عَلْهُ اللهِ عَلْهُ اللهِ عَلْهُ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلْهُ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلْهُ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ المَالاتِ (١)، أي: لم يشرك قطُّ عكما قال القرطبي.

إبطال مذهبه، وقول الخليل التيلان: "هذا ربي" من هذا القبيل، فإنه أراد أن يبطل قولهم بربوبية الكواكب، إلا أنه كان قدعرف من تقليدهم لأسلافهم وبُعد طباعهم عن قبول الحق أنه لو صرَّح بالدعوة إلى الله تعالى لم يقبلوا ولم يلتفتوا إلى ما يقول؛ فال إلى طريقة تُقبِل بهم إليه، وعمد إلى أسلوب يستدرجهم إلى استاع الحجة، وذلك بأن يتكلم بها يوهم أنه موافق لهم وعلى منهجهم مع أن قلبه مطمئن بالإيهان ومقصوده من ذلك أن يتمكن من إقامة الدليل على إبطال معتقدهم.

ومعلوم أثر أسلوب الاستدراج في انقياد الخصم، وتعريفه خطأه، وقوم إبراهيم التيليخ على خطأ فاحش، وضلال مبين، ولا يقبلون المصارحة بخطئهم وضلالهم؛ فلا مناص من اللجوء إلى أسلوب الاستدراج؛ فإنه الأسلوب الأمثل حينئذ في تسكين الخصم، وانتزاع عناده، حتى إذا سَلِس (٤) قياده، وأنس إلى من يحاجه، واستمع إلى قوله أمكن إقامة الدليل على بطلان مذهبه ومعتقده؛ فيتم المراد من إبطال باطله، وإظهار الحق الذي يلزمه.

ومحاجة الخليل النفي لقومه المعاندين لا تستغني عن هذا الأسلوب، ولا يجُدي معهم غيره، وكما قال العلامة أبو السعود: لو صدع إبراهيم النفي بالحق من أول الأمر لتمادوا في المكابرة، والعناد، ولَجُوا في طغيانهم يعمهون (١٥)(١).

٤. سَلِس: لان وسهل وانقاد.

٥. لِجُوا في طغيانهم يعمهون: تمادوا في ضلالهم يتحيَّرون.

٦. عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق،
 ص٣٧٣: ٢٧٦.

١. سوء الفِعال: الأفعال السيئة.

٢. عاكفون: مُقْبِلُون على عبادتها.

٣. قَلْبِ سليم: خالٍ من العيوب، خالص من الذنوب.

## ثَانيًا. لم يقع من إبراهيم شرك، وإنما هو مُجاراة للخَصْم (١) للاستدلال عليه:

فلو أن إبراهيم الكلي بادرهم بالنقد والتقريع والتأنيب لما اهتموا به ولا سمعوا له، بل أعرضوا عنه، والتأنيب لما اهتموا به ولا سمعوا له، بل أعرضوا عنه، لكن إبراهيم الكلي استخدم ما يسمى في الجدل به "مجاراة الخصم"؛ ليَسْتَمِيل (٢) آذانهم ويأخذ قلوبهم معه، وليعلموا أنه غير متحامل عليهم من أول الأمر فيأخذ بأيديهم معه، فكأنه قال: سلَّمنا حدلًا أنه فيأخذ بأيديهم معه، فكأنه قال: سلَّمنا حدلًا أحِبُ ربكم، ولكنه يأفل ويغيب عنكم فقوله: ﴿ لاَ أُحِبُ الْإِفلِينَ ﴿ لاَ أُحِبُ الْإِنمام) يعني أنه غير متعصب ضدهم، وهكذا يثبت لهم أن كل كوكب حتى الشمس عصيره إلى أفول، فكأنه قد وصل بهم بالمنطق الشمس عبادة الكواكب لا تصلح، واستخدم المنطق الذي يحقق به نيته أن ينكر هذه الربوبية ويستأنس به آذان من يسمعه (٣).

والقرآن يؤكد حنيفية إبراهيم الطين وإسلامه، قال تعالى: ﴿ مَاكَانَ إِبْرَهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَائِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَاكَانَ مِنَ ٱلمُشْرِكِينَ ﴿ ﴿ اللهِ عَمَانَ اللهُ عَلَى عَن اللهُ عَلَى عَن الله عَلَى عَل باطل إلى الحق. والله عَلَى يَخبر عن نبيه وخليله إبراهيم الطيخ أنه آتاه رشده من قبل؛ أي: من صغره ألهمه تعالى الحق والحجة على قومه، كما قال عَلى:

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا عَاتَيْنَهُمَا إِنْرَهِيهُ عَلَى قَوْمِهِ أَنَرْفَعُ دَرَجَنتِ
مَن نَشَاهُ أَإِنّ رَبّك حَكِيمُ عَلِيمُ ﴿ الانعام ). والمقصود
هنا: أن الله عَلَى أخبر أنه آتى نبيه إبراهيم رشده من قبل؛
أي: من قبل ذلك، وقال عَلَى: ﴿ وَلَقَدْ عَالَيْنَا إِبْرَهِيمَ
رُشْدَهُ، مِن قَبْلُ وَكُنّا بِهِ عَلِمِينَ ﴿ وَلَقَدْ عَالَيْنَا إِبْرَهِيمَ
أَمُّلُهُ لذلك.

فإذا كان الله على آتاه رشده منذ الصغر، وأهّله من بواكير حياته لحمل الرسالة، وإقامة الحجة على بطلان الشرك بكل صوره، فهل يتفق مع ذلك وصفه بالشرك، وهو الذي أُوتي الحجة والرشد على بطلان الشرك منذ الصغر؟!

فقبل هذه الآيات يقول الله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَهِيمُ لِأَبِيهِ اللهِ اللهُ اللهِ ا

١. مجاراة الخصم: طريقة جَدَليَّة يستخدمها المناظر لإبطال حُجَّة خصمه؛ وذلك بإظهار موافقته على قوله استدراجًا له ليسلم بالحق بعد ذلك.

٢. يَسْتَمِيل: يستعطف.

٣. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مرجع سابق، ج٦، ص ٣٧٥٠.

عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص ٢٧٦، ٢٧٦.

ثالثًا. نظرُ إبراهيم النه في السماء للتفكر والتدبر ولم يكن اعتقادًا منه بتأثير أوضاع النجوم في حاله وما يحدث له ؛ إذ كيف ينهاهم عن الشرك ثم يقع فيه ؟ ا

إن نظر إبراهيم الطّن في النجوم لم يكن ليتعرف حاله من تأثيرها وإنها للتفكّر والتدبّر فيها، وهذا طاعة لله تعالى، قال الله في أنظرُوا ماذا في السّمكورتِ وَٱلأَرْضِ الله بونس: ١٠١). بالإضافة إلى أنه في هذا الوقت خاصةً كان ينظر في النجوم تفكّرا فيها يُلهَم به.

وفيها يعتذر به عن الخروج معهم، قال النسفي: نظر في النجوم راميًا بصره إلى السهاء متفكرًا في نفسه كيف عتال.

وقد ذكر بعضهم أن إبراهيم الكلي نظر في النجوم ليوهم قومه بهذا النظر - بطريق التعريض - أنه ينظر فيها ليتعرف حاله من تأثيرها على حسب زعمهم واعتقادهم بتأثير أوضاع النجوم في أحوالهم، وما يحدث لهم؛ لكي يتوصل بذلك إلى مقصده من الانفراد بالأصنام وتكسيرها، وهذا وإن كان يبدو مقبولًا لتنزيه إبراهيم عن الشرك؛ ولأن المعاريض (۱) هنا جائزة وفيها مندوحة عن الكذب من أجل إحقاق الحق، فإن الحق الذي تؤيده أدلة القرآن من الأمر بالتفكر في السموات والأرض وجعله من سات أولي الألباب النابهين، وكذلك ما هو معلوم من سيرة أبي الأنبياء الكلي في القرآن الكريم وتفكره في ملكوت السموات والأرض، كل ذلك يدل على أنه نظر في النجوم متفكرًا كيف يحتال لا أن يقع فيها.

وهذا ما يرجحه محمد الطاهر ابن عاشور في تفسيره وينقل في تأييده كلام المفسرين والعلماء، فقد قال ابن كثير في تفسيره: قال قتادة: والعرب تقول لمن تفكر: نظر في النجوم، يعني قتادة أنه نظر إلى السماء متفكرًا كيف يلهيهم بها. وفي تفسير القرطبي عن الخليل والمبرد: يقال للرجل إذا فكر في شيء يدبره؛ لأن المتفكر يرفع بصره إلى السماء لئلا يشتغل بالمرئيات فيخلو بفكره للتدبر فلا يكون المراد أنه نظر في النجوم وهي طالعة ليلًا بل المراد أنه نظر في السماء التي هي قرار النجوم وذكر النجوم جرى على المعروف من كلامهم.

وجنح الحسن إلى تأويل معنى النجوم بالمصدر، أي أنه نظر فيها نجم له من الرأي، يعني أن النجوم مصدر نجم بمعنى ظهر.

وعن ثعلب: نظر هنا، أي: تفكر في كلامهم لما سألوه أن يخرج معهم إلى عيدهم ليدبر حجة. والمعنى: ففكر في حيلة يخلو بها بأصنامهم، فقال: فقالَ إني سقيم شيم (الصانات) ليلزم مكانه ويفارقوه فلا يُريبهم (٢) بقاؤه حول أصنامهم، ثم يتمكن من إبطال معبوداتهم بالفعل (٦). فلم ينطق إبراهيم بأن النجوم دلته على أنه سقيم (ولكنه لما جعل قوله: "إني سقيم" مقارنًا لنظره في النجوم ربها توهم قومه أنه عرف ذلك من دلالة النجوم حسب أوهامهم.

ويقول الطاهر ابن عاشور أيضًا: وما وقع في

المعاريض: جمع معراض، وهو الستر والتورية، خلاف التصريح.

٢. يُرِيب: يُشكِّك.

التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج١١، ج٢٣، ص١٤٢ بتصرف.

٤. السَّقِيم: المريض.

التفاسير في معنى نظره في النجوم وفي تعيين سقمه المزعوم كلام لا يستقيم لدى أصحاب العقول والأفهام، وليس في الآية ما يدل على أن للنجوم دلالة على حدوث شيء من حوادث الأمم ولا الأشخاص، ومن يزعم ذلك فقد ضل دينًا، واختل نظرًا وتخمينًا، وقد دوَّنوا كذبًا كثيرًا في ذلك وسموه علم أحكام الفلك أو النجوم (1).

وبهذا يتبين أن سيدنا إبراهيم النه لله لله يقع في السرك سواء عند محاجة قومه أو عندما نظر في النجوم، وكيف يشرك بالله وهو ينهى أباه وقومه عن الشرك؟!

#### الخلاصة:

- إبراهيم العَيْلاً لم يقر عبادة الأصنام، وإلا فلهاذا
   كان ينكر على أبيه وقومه عبادتها: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ عَالَى عَلَيْهِ وَقَوْمِهِ مَا هَلَذِهِ ٱلتَّمَاشِ لُمَ النَّهِ أَنتُمْ لَهَا عَكِفُونَ ﴿ ) (الانبياء)؟
- استخدم نبي الله إبراهيم أسلوب الاستدراج والاستدلال في محاجه قومه؛ ليُظهر بطلان معتقداتهم، وهو ما يسمى في علم الجدل بـ "مجاراة الخصم" فأظهر أنه يوافقهم لينصتوا، ثم كرَّ عليهم بالإبطال إظهارًا للإنصاف وطلبًا للحق: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا عَاتَيْتُهَا إِبَرُهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ عَلَى قَوْمِهِ مَنْ فَشَاء أَإِنَّ رَبَّكَ عَرِيمً عَلَى عَلَى قَوْمِهِ مَنْ فَشَاء أَإِنَّ رَبِّكَ عَرِيمً عَلَى عَلَى الله والله الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله الله عَلَى الله عَلَى
- إبراهيم الطَّيِّة حينها نظر في النجوم كان نظره للتفكر فيها يحتال به على قومه، أو كيف يدبر لهم حجة يلهيهم بها عنه حتى يتولوا عنه ويخلو هو إلى معبوادتهم

## AND DEK

## الشبهة السابعة عشرة

## توهدأن إبراهيم الطيئة وقع في الكذب (\*)

#### مضمون الشبهة:

يدعي بعض المتوهمين أن إبراهيم الكيلاً وقع في الكذب ثلاث مرات، ويستدلون على ذلك بها ورد في الحديث الصحيح: لم يكذب إبراهيم الكلا إلا ثلاث كذبات... قوله: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿ الصافات)، وقوله: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿ السافات)، وقوله عن زوجته سارة إنها أخته. ويتساءلون: كيف يكون نبيًّا معصومًا، ثم يقع في مثل هذا الكذب؟

### وجوه إبطال الشبهة:

الإخبار بقوله: ﴿إِنِّ سَقِيمٌ ﴿ ﴾ (الصافات)أي: سقيم من أفعالكم الكُفْريّة التي تُمرِّ ض القلب.

٢) الجواب بقوله النسخ: ﴿ بَلْ فَعَلَهُ, كَبِيرُهُمْ ﴾
 (الانبياء: ٦٣) كان تَهَكُمًا (٢) وسخرية أو تبكيتًا لهم وإلزامًا

فيبطلها بالفعل تحطيًا، ولم يكن نظره في النجوم اعتقادًا منه بتأثيرها في حاله؛ إذ إن الاعتقاد بتأثير أوضاع النجوم أو أدلتها على حدوث شيء من حوادث الأمم والأشخاص كفر وشرك وهو معتقد قومه الذي يحاربه ويحاجهم من أجلهم؛ فكيف يقع فيه ولو على سبيل الخطأ وهو ينهاهم عنه؟!

<sup>(\*)</sup> عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق. ٢. التَّهكُّم: الاستهزاء والاستخاف.

التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مجا ۱، ج۲۳، ص۱٤٣ بتصرف يسير.

للحجة عليهم، وتنبيهًا على خطأ عبادتهم للأصنام.

٣) المقصود بقول إبراهيم الطّن عن زوجته سارة:
 "إنها أخته" أي الأخوة في الإسلام.

٤) تسمية هذا الكلام كذبًا في الحديث؛ نظرًا لما
 فهمه الغير منه لا بالنسبة إلى ما قصده المتكلم.

#### التفصيل:

## أولا. الإخبار بقوله: ﴿إِنِّ سَقِيمٌ ۞ ﴾ أي: سقيم من أفعالكم الكفرية التي تمرض القلب:

إن إبراهيم الناس لم يدّخر أي جهد في سبيل دعوة قومه إلى الله تعالى، وقد استخدم معهم كل أنواع الأدلة والبراهين العقلية؛ ليثبت لهم بطلان معتقداتهم ويثبت الحق الذي عجزت أفهامهم السقيمة وعقولهم المغلقة التي تأبى أن تتفتح للنور أن تستوعبه فقوله: ﴿ إِنِي سَقِيمٌ ﴿ الله الله المارة إلى السبب الرئيسي لكفرهم وعنادهم لعدم شعوره بالراحة، وفي ذلك يقول صاحب الظلال:

"ويروى أنه كان للقوم عيد \_ ربها هو عيد النيروز \_ يخرجون فيه إلى الحدائق والخلوات، بعد أن يضعوا النار بين يدي آلهتهم لتباركها، ثم يعودون بعد الفسحة والمرح فيأخذون طعامهم المبارك! وأن إبراهيم المسلام بعد أن يئس من استجابتهم له، وأيقن بانحراف فطرتهم الانحراف الذي لا صلاح له، اعتزم أمرًا، وانتظر هذا اليوم الذي يبعدون فيه عن المعابد والأصنام لينفّذ ما اعتزم، وكان الضيق بها هم فيه من انحراف قد بلغ منه أقصاه، وأتعب قلبه وهواه، فلها دعي إلى مغادرة المعبد قلّب نظره إلى السماء، وقال: "إني سقيم" لا طاقة لي

بالخروج إلى المتنزهات والخلوات، فإنها يخرج إليها طلاب اللذة والمتاع أخلياء القلوب من الهم والضيق، وقلب إبراهيم الطيئة لم يكن في راحة، ونفسه لم تكن في استرواح.

قال ذلك معبرًا عن ضيقه وتعبه، وأفصح عنه ليتركوه وشأنه، ولم يكن هذا كذبًا منه، إنها كان له أصل في واقع حياته في ذلك اليوم وإن الضيق ليُمرض ويُسقِم ذويه (١).

وإذا كان صاحب "الظلال" يىرى أن إبراهيم الطِّيِّكُ قد مرض من أفعالهم مرضًا حقيقيًّا وليس في ذلك استخدام للمعاريض، فإن بعـض العلماء يـري أنــه لمــا كانت الأصنام مصدر حزنه وسقمه الطِّيِّكم، شعر بأنه مــا لم يهدم هذه الأصنام، ويكسرها فلن يجد طعمًا للراحة، وعندما قال لمن حوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ١٠٠٠ ﴾ ظنوه مريضًا من الناحية الجسدية فتولوا عنه، وكانوا يـصرون عـلى استصحابه معهم لمشاركتهم في احتفالهم الديني... وما إن خرجوا من عنده، حتى أسرع ليحطم الأصنام مبينًا بذلك السبب الحقيقي لسقمه، غير أنه استعمل في كلامه معهم تعريضًا، يفهمون منه شيئًا غير المقصود الحقيقي، ولكنه لم ينحرف في كلامه هـذا إلى الكذب أبدًا، وكل ما هنالك أن قومه لم يفهم وا قصده الحقيقي، وليس هذا بغريب على قومه الذين صموا آذانهم عن الاستماع إلى الحق، وكمان هـذا هـو مـصدر

في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٥، ص٢٩٩٣.
 العصمة النبوية، محمد فتح الله كولن، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ط٣، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥، ص٥٧٥.

ثانيًا. الجواب بقوله: ﴿ بَلْ نَعَلَهُ, حَبِيرُهُمْ هَاذَا ﴾ كان تهكّما وسخرية أو تبكيتًا لهم وإلزامًا للحجة عليهم، تنبيهًا على خطأ عبادتهم للأصنام:

وفي هذا يبين صاحب الظلال أن قوله و المنطقون فعكة, كيرهم هنذا فتنكوهم إن كانوا ينطقون فعكة, كيرهم هنذا فتنكوهم إن كانوا ينطقون والسخرية فلا يسمى كذبًا، يقول: والتهكم واضح في هذا الجواب الساخر، إنها أراد أن يقول لهم: إن هذه التهاثيل لا تدري من حطمها إن كنت أنا أم هذا الصنم الكبير الذي لا يملك مثلها حراكًا، فهي جماد لا إدراك لها أصلًا، وأنتم كذلك مثلها مسلوبو الإدراك لا تميزون بين الجائز والمستحيل فلا تعرفون إن كنت أنا الذي حطمها أم أن هذا التمثال هو الذي حطمها! ﴿ فَتَنَالُوهُم إِن كَانُوا هذا التمثال هو الذي حطمها! ﴿ فَتَنَالُوهُم إِن كَانُوا النّها الذي حطمها أم أن

فأراد إبراهيم الطّيّلاً أن يقنعهم أنه لو كانت هذه آلهة - كما تدّعون \_لدافعت عن نفسها، أو دافع عنها الصنم الأكبر، أو حتى تنطق فتخبركم بها حدث ومن فعل بها ذلك.

يقول الشيخ ابن عاشور: وقوله تعالى: ﴿ بَلُ فَعَلَهُ، حَكِيدُهُمْ مَهُ لَذَا ﴾ الخبر مستعمل في معنى التشكيك، أي لعله فعله كبيرهم؛ إذ لم يقصد إبراهيم التيلا نسبة التحطيم إلى الصنم الأكبر؛ لأنه لم يدع أنه شاهد ذلك، لكنه جاء بكلام يفيد ظنه بذلك حيث لم يبق صحيحًا من الأصنام إلا الكبير، وفي تجويز أن يكون كبيرهم هذا الذي حطمهم إخطار دليل انتفاء تعدد الآلهة؛ لأنه

وشمل ضمير ﴿ فَتَنَالُوهُمْ ﴾ جميع الأصنام ما تحطم منها وما بقي قائبًا، والقوم وإن علموا أن الأصنام لم تكن تتكلم من قبل، إلا أن إبراهيم أراد أن يقنعهم بأن حدثًا عظيمًا مثل هذا يوجب أن ينطقوا بتعيين من فعله بهم، وهذا نظير استدلال علياء الكلام على دلالة المعجزة على صدق الرسول بأن الله لا يخرق عادة لتصديق الكاذب، فخَلْقه خارق العادة عند تحري الرسول دليل على أن الله أراد تصديقه (٢).

ولو اعتبرنا أن ذلك تعريضًا بقومه في بداية كلامه فلا يعد كذبًا؛ لأن الكلام لا يحكم عليه حتى يتم كالكلام المعقب بشرط استثناء؛ يقول الشيخ ابن عاشور:

فهذا الإضراب \_ يعني بقوله: بل \_ كان تمهيدًا للحجة على نية أن يتضع لهم الحق بآخره؛ ولذلك

۲. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج۸، ج۱۷، ص ۱۰۱.

١. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٤، ص٢٣٨٥.

أما الإخبار بقوله: ﴿ فَعَكَلَهُ وَكَبِيرُهُمْ هَلَا ﴾ فليس كذبًا، وإن كان مخالفًا للواقع ولاعتقاد المتكلم؛ لأن الكلام والأخبار إنها تستقر بأواخرها وما يعقبها، كالكلام المعقب بشرط أو استثناء، فإنه قصد تنبيههم على خطأ عبادتهم للأصنام، مهد لذلك كلامًا هو جار على الفرض والتقدير، فكأنه قال: "لو كان هذا تعين أن يكون هو الفاعل لذلك، شم ارتقى في الاستدلال يكون هو الفاعل لذلك، شم ارتقى في الاستدلال بأنْ سَلَب الإلهية عن جميعهم بقوله: ﴿ إِن كَانُوا النَّاسِةِ عَن جميعهم بقوله: ﴿ إِن كَانُوا النَّاسِةِ عَن جميعهم بقوله: ﴿ إِن كَانُوا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللّهُ ال

ويجمع د. أبو النور الحديدي أقوال العلماء والمفسرين في هذه المسألة، وجميعها توضح عصمة سيدنا إبراهيم المنت وتُبرّته عن الوقوع في الكذب، ويمكن تصنيف هذه الأقوال على النحو التالي:

الأول: نَسَبَ إسراهيم التي الفعل إلى كبيرهم، وقَصْدُه تقريره لنفسه وإثباته له بأسلوب تعريضي؛ تبكيتًا لهم وإلزامًا لهم بالحجة؛ لأنهم إذا نظروا النظر الصحيح علموا عجز كبيرهم، وأنه لا يصلح إلمًا، فإن إثبات فعل دائر بين اثنين أحدهما عاجز عنه، والآخر قادر عليه إلى العاجز منها استهزاء به وإثباته للقادر، وهنا تكسير الأصنام إما أن يكون من إبراهيم التي في وإما أن يكون من كبيرهم، وكبيرهم عاجز عنه قطعًا، فنسبته إليه استهزاء، وإثباته لإبراهيم التي بأسلوب تعريضي يتحقق به غرضه من إلزام قومه الحجة، وتبكيتهم على عبادة ما لا يصلح إلزام قومه الحجة، وتبكيتهم على عبادة ما لا يصلح إلمنا؛ حيث لا يقدر على شيء.

وهذا الوجه اختاره كثير من المفسرين كالزمخشري، والفخر الرازي، والألوسي، وذكره غير هؤلاء مرجحًا له، كابن كثير، والقاسمي.

الثاني: أنه لم يسند الفعل إلى الكبير اعتقادًا، بل أسنده حكاية لما يلزم على جوازه، كأنه قال لهم: كيف تنكرون أن يفعله كبيرهم، وحق من يُعْبد ويُدَّعى إلما أن يقدر على هذا، وأكثر منه؟ وإذا سلمتم أنه لا يقدر على هذا؛ فكيف تعبدونه، وتدعونه إلماً؟ إن ذلك يكون عين الجهل، وغاية الغباء.

الثالث: أن إسناد الفعل إلى الكبير مشروط بقوله: 
﴿ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿ الْأَنسِاء وأيضًا قوله: 
﴿ فَتَنكُوهُم ﴾ جملة معترضة، جعل النطق شرطًا للفعل وأراد به أنهم إن قدروا على النطق قدروا على الفعل؛ فلها ظهر عجزهم عن النطق تبين عجزهم عن الفعل. الفعل.

الرابع: أن إسناد الفعل إلى الكبير من قبيل إسناده إلى السبب الحامل عليه؛ فإنه التيليل لما رأى الأصنام مصطفّة مزينة يعظمها المشركون، ورأى زيادة تعظيمهم لكبير الأصنام، وتخصيصهم إياه بمزيد التواضع، والخضوع له اشتد غيظه منه فحمله ذلك على تكسير الأصنام، وأبقى الكبير مع أنه السبب ليورد عليهم هذا القول؛ فيظهر جهلهم وضلالهم في عبادة الأصنام. وهذه الوجوه الأربعة هي أصح ما تدل عليه الآية والأول أصحها وكل واحد منها ينفى حصول

وأَرْجَح وجه من هذه الوجوه الأربعة، هو الوجه الأول؛ لأن الخليل إبراهيم الطِّكْة إنها أراد أن يبين للقوم

الكذب من الخليل التَلْيَكُلاً.

## ثالثًا. المقصود بقول إبراهيم عن زوجته سارة: "إنها أخته" أي الأخوة في الإسلام:

وأما عن قول إبراهيم الكيلاً عن سارة \_ زوجته \_:
إنها أخته، فهو: ليس كذبًا؛ لأنه إنها يقصد الأخوة في
الإسلام، والدين الحق الذي كانا عليه، لا أخوة
النسب، والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخُوةً ﴾
(الحجرات: ١٠)، وفي الحديث: "المسلم أخو المسلم، لا
يظلمه ولا يُسْلِمه"(٢).

فالإيهان هـ والرباط الأول، الذي يربط الإنسان

بالآخرين، وفي غياب هذه العلاقات؛ فإن الذين يولدون من أب واحد وأم واحدة قد يكونون أعداء، كما أن اختلاف الزمان والمكان، لا يكون حائلًا بين أخوة الإيمان، فالمؤمنون والمؤمنات إخوة فيما بينهم، دون نظر إلى تفرقة بين ذكر أو أنثى، أو بين قطر وآخر.

وأما نقاط التقارب؛ فإنها تأتي بعد ذلك، النبي إبراهيم التي قد أشار إلى هذه العلاقة - وهي الرابطة - في قوله: "ليس على الأرض مؤمن غيري وغيرك" (٤) ®.

## رابعًا. تسمية هذا الكلام كذبًا؛ نظرًا لما فهمه الغير منه، لا بالنسبة إلى ما قصده المتكلم:

أما ما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة على النبي على: "لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات: النتين منها في ذات الله على قوله: ﴿إِنِّ سَقِيمٌ ﴿ الله عَلَهُ وَله : ﴿إِنِّ سَقِيمٌ ﴿ الله عَلَهُ وَقُوله : ﴿إِنِّ سَقِيمٌ ﴿ الله عَلَهُ وَقُوله : ﴿ بَلُ فَعَكُهُ وَكَيرُهُمُ هَذَا ﴾ ، وقال : بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبًار من الجبابرة ، فقيل له : إن ها هنا رجلًا معه امرأة من أحسن الناس ، فأرسل إليه عنها ، فقال : من هذه ؟ قال : أختي ، فأتي سارة فقال : يا سارة ، ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك ، يا سارة ، ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك ، وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني ، فأرسل إليها ، فلا دخلت عليه ذهب يتناولها فأطلق . ثم تناولها الثانية فأخِذ مثلها أو أشد ، فقال : فقال :

١. نكسوا: انقلبوا وعادوا للمجادلة. أُفِّ: اسم فعل مضارع بمعنى:
 أتضجر من قبيح أعمالكم.

عصمة الأنبياء، د. أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص ٢٩١ وما بعدها.

٣. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم ولا يسلمه (٢٣١٠)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه،
 كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (٦٧٤٣).

٤. العصمة النبوية، محمد فتح الله كولن، مرجع سابق، ص٥٥.

இ في "حقيقة أخوة سارة لإبراهيم" طالع أيضًا: الوجه الثاني،
 من الشبهة التاسعة عشرة، من هذا الجزء.

ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت فأطلق، فدعا بعض حَجَبَته فقال: إنكم لم تأتوني بإنسان، إنها أتيتموني بشيطان، فأخدمها هاجر"(1)، فورد إشكال من نسبة الكذب إلى نبي.

ودفع الإشكال: أن تسمية هذا الكلام كذبًا منظور فيه إلى ما يُفهمه أو يعطيه ظاهر الكلام، وما هو بالكذب بل هو من المعاريض، أي أني مشل السقيم في التخلف عن الخروج، أو في التألم من كفرهم، وأن قوله: "هي أختي" أراد أخوة الإيمان، وأنه أراد التهكم في قوله: هي أختي" أراد أخوة الإيمان، وأنه أراد التهكم في قوله: هي أختي" أراد أخوة الإيمان، وأنه أراد التهكم مراده التغليظ فعكله أركير مُهم هلكا الهالطهور قرينة أن مراده التغليظ أله.

وهذا هو رأي أكثر العلماء المفسرين، أما السيخ الطاهر ابن عاشور فيرى أن ذلك سُمي كذبًا على لغة قومه الذين لا يعرفون البلاغة ولا المجاز ولا أساليب التهكم والسخرية يقول: وجوابه عندي: أنه لم يكن في لغة قوم إبراهيم الطيخ التشبيه البليغ، ولا المجاز ولا التهكم، فكان ذلك عند قومه كذبًا، وأن الله أذن له فعل ذلك وأعلمه بتأويله، كما أذن لأيوب أن يأخذ ضغثًا من عصي فيضرب به ضربة واحدة ليبرَّ قسمه؛ إذ لم تكن الكفارة مشروعة في دين أيوب الطيخ (1).

ورأي الشيخ ابن عاشور هنا لا يختلف كثيرًا عن الرأي الأول بل إنه يعود فينص عليه في موضع آخر من تفسيره إذ يقول: فالمراد من الحديث أنها كذبات في بادئ الأمر، وأنها عند التأمل يظهر المقصود منها، وذلك أن النهي عن الكذب إنها علته خدع المخاطب وما يتسبب على الخبر المكذوب من جريان الأعمال على اعتبار الواقع بخلافه، فإذا كان الخبر يعقب بالصدق لم يكن ذلك من الكذب بل تعريضًا أو مزحًا أو نحوهما.

وأما ما ورد في حديث الشفاعة فيقول إبراهيم: "لست هناكم" ويذكر ثلاث كلمات كذبها، فمعناه أنه يذكر أنه قال كلامًا خلافًا للواقع بدون إذن من الله بوحي، ولكنه ارتكب قولًا خلاف الواقع لضرورة الاستدلال بحسب اجتهاده، فخشي ألَّا يصادف اجتهاده الصواب من مراد الله، فخشي عتاب الله فتخلص من ذلك الموقف (1).

#### الخلاصة:

الفهم الصحيح لهذه النصوص الثلاثة: ﴿ فَقَالَ إِنِي سَقِيمٌ ﴿ فَكَلَهُ, كَبِيرُهُمْ مَ إِن صَائِلُ أَيْنِطِقُونَ ﴿ أَنَا فَعَكَلُهُ, كَبِيرُهُمْ مَ لَانَا عَانُوا يَنطِقُونَ ﴿ أَنَا إِنَا الْنَاسِاء ) ،
 وقوله عن سارة: "إنها أختي" \_ أنها من المعاريض، وفي المعاريض مندوحة عن الكذب \_ كها قبل \_ فمعنى "إني المعاريض مندوحة عن الكذب \_ كها قبل \_ فمعنى "إني

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله على (١٢٥) (٣١٧٩)، وفي الله على (١٢٥) (٣١٧٩)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل النفظ (٦٢٩٤).

التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج١١، ج٢٣، ص١٤٣.

٣. الضُّغْث: حزمة من حشيش أو غيره.

التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج ١١، ج٢٣، ص١٤٣.

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب سورة البقرة (٢٠١٤)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٤٩٥).

٦. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق،
 مج٨، ج٩١، ص١٥٢.

الشبهة الثامنة عشرة

إنكار لقاء إبراهيم الني بالنمروذ (\*) ®

#### مضمون الشبهة:

ينكر بعض المتوهمين لقاء إبراهيم التيلا مع النمروذ ـ الذى قيل: إنه كان مَلِكًا وقت نبوة إبراهيم التيلا و ويدّعون أن عهد النمروذ سابق على زمن إبراهيم التيلا بثلاثهائة سنة، فكيف يلتقي به إبراهيم التيلا؟! وعلى هذا فهم ينكرون قصة محاجّة إبراهيم التيلا مع النمروذ، وقصة إلقاء النمروذ إبراهيم التيلا في النار، ويهدفون من وراء ذلك إلى التشكيك فيها أورده القرآن بشأن إبراهيم التيلا.

#### وجوه إبطال الشبهة:

القرآن الكريم ذكر المناظرة (١) التي دارت بين إبراهيم الكيلة وأحد ملوك عصره، ولم يذكر اسم هذا الملك.

القول أن إبراهيم الكيلا لم يقابل النمروذ ولم يكن معاصرًا له، قول يفتقر إلى التوثيق، فهو خالٍ من الأدلة التي تُثبت صحته، ومن ثم فلا يصح أن تُبنى عليه أيّة أحكام.

٣) لم يخبر القرآن الكريم بأن النمروذ هو الذي ألقى
 بإبراهيم الطيئة في النار بل أخبر أن الذي فعل ذلك
 قومه.

سقيم" قيل: ربها كان الطلام مريضًا من قبل، وقيل: سقيم القلب لكفرهم وعنادهم وهو سقم معنوي، وهم فهموه على أنه سقم حسى.

- جاء قوله: "بل فعله كبيرهم" تعريضًا؛ وليرجعوا إلى أنفسهم ويتذكروا إذا كان كبيرهم عجز عن همايتهم علموا أنه لا يصلح إلمّا، ونسبة تكسير الأصنام إليه استهزاء، وبذلك يكون الخليل المني بين لهم فساد اعتقادهم في الأصنام، وأنها عاجزة عن جلب النفع أو دفع الضرر.
- وقوله عن سارة: "إنها أخته" ليس كذبًا أيضًا؛ لأنه قصد الأخوة في الإسلام (الدين) والإيهان هو الرابط الأول الذي يربط بين الناس، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصَّلِحُوا بَيْنَ أَخُويً كُمُّ وَاتَّقُوا ٱللّهَ لَعَلَّكُمُ مُرَّانًا لَهُ لَعَلَّكُمُ مُرَّانًا لَهُ لَعَلَّكُمُ اللّهُ لَعَلَّكُمُ مُرَّانًا لَهُ لَعَلَّكُمُ اللّهُ لَعَلّهُ اللّهُ لَعَلَّكُمُ اللّهُ اللّهُ لَعَلَّكُمُ اللّهُ اللّهُ لَعَلَّكُمُ اللّهُ اللللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللل
- أما تسمية الحديث ذلك كذبًا فهو بالنظر لما فهمه الغير منه لا بالنسبة إلى ما قصده المتكلم، وربا لأنه استخدم التعريض في أول كلامه، ولكن العبرة بالخواتيم إذ إنه يعقب بالصدق في كلامه وإنها يستخدم ذلك تمهيدًا للاستدراك عليهم وإلزامهم الحجة.
- أما اعتذاره عن الشفاعة بقوله: "لست هناكم" ويذكر ثلاث كذبات، فمعناه أنه ارتكب قولًا خلاف الأولى لضرورة الاستدلال بحسب اجتهاده، فخشي أن لا يصادف اجتهاده مراد الله تعالى فيعاقب؛ لذلك اعتذر.

AND DES

<sup>(\*)</sup> عصمة الأنبياء، د. أبو النور الحديدي، مرجع سابق.

இ في "إبطال إبراهيم دعوى النمروذ" طالع أيضًا: الشبهة العاشرة، من الجزء الأول (الشبهات التي تولي القرآن الرد عليها).

١. الْمُناظَرة: المناقشة والمباراة في المحاجَّة.

#### التفصيل:

## أولا. القسرآن الكريم ذكس المنساطرة الستي دارت بسين إبراهيم الطيخ وملك عصره، ولم يذكر اسم هذا الملك:

إن القرآن الكريم في معرض حديثه عن الخليل إبراهيم التي أورد نص مناظرة دارت بين إبراهيم التي أورد نص مناظرة دارت بين إبراهيم في وأحد الملوك، ولم يحدد اسم الملك الذي حاج إبراهيم في ربه؛ لأن قصد القرآن من القصص هو مضمون المحاجة والعبرة، ومعرفة اسم الملك لا تقدم ولا تؤخر في المضمون.

وكما أن القرآن لم يذكر اسمه، فكذلك سكتت السنة عنه، وما ورد عن اسمه بأنه النمروذ، وبأن الزمن الذي حدثت فيه هذه المناظرة هو زمن وجوده لم يقل به إلا بعض المفسرين في تفسير بعض آيات وقصص القرآن الكريم، وما أورده بعض المفسرين غير مُلزِم للقرآن الكريم، ومن ثم فهو لا يصح أن يكون مأخذًا على القرآن الكريم.

وقد ذكر المؤرخون أن لقب ملوك تلك البلاد التي وُجد فيها الخليل إبراهيم الطَّخِينَ هيو "النمروذ" على اختلاف أسائهم، كما هو الحال بالنسبة للفراعنة والقياصرة والأكاسرة... إلخ، ومن ثم ربها كان كل ملك يحكم العراق في ذلك الزمان يسمى نمروذًا، وهو أمر مقبول عقلًا.

## ثانيًا. إن القول بـأن إبراهيم الطَّخَالَ لم يقابل النمروذ خال من الأدلة التي تثبت صحته:

إن المنكرين لم يمذكروا مصادرهم في توثيق تلك المعلومة التاريخية القديمة، مما يشكك في صحتها.

والقرآن الكريم أورد محاجمة إبراهيم الطيخ لملك

عصره، باعتبارها حلقة من حلقات جهاد الخليل إبراهيم الطيخ في الوقوف أمام قوى الشرك كلها، ومقاومة الشرك بكل صوره، وليقرر أن إبراهيم الطيخ لم يكن يتهيب في ذلك أحدًا، ولم تكن تأخذه في الله لومة لائم.

والمحاجَّة ثابتة بالتاريخ والقرآن الكريم، وأكبر دليل على ذلك سكوت اليهود، والنصارى ـ خاصة الأحبار والرهبان منهم ـ زمن رسول الله على عن الطعن في الآيات التي وردت بشأن الملك الكافر الذي حاجّه إبراهيم الكلي، ولو كان فيها شيء من الغلط لما سكتوا عنه، ولاتخذوه ذريعة للطعن في القرآن الكريم، ونبوة محمد على، وتلك كانت غاية ما يَصْبُون إليه (١).

# ثَالثًا. القرآن الكريم لم يخبر أن النمروذ هو الذي ألقى بابراهيم السلام في النار، بل أخبر أن الذي فعل ذلك قومه:

لم يسرد في القرآن الكريم أن النمروذ هو الذي أحرق إسراهيم النفي ولم تذكر الآيات التي تناولت هذا الموضوع شخصًا محددًا، وإنها نسب الإحراق إلى قومه عبدة الأصنام، قال تعالى: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَالْمُكُمُّ إِن كُنتُمُ فَعِلِينَ ﴿ وَالْهَالَانِ اللهَ الْمُعَلِينَ اللهُ ال

وسواء أكان الملك الذي ناظره إبراهيم الطفائ هو النمروذ أو غيره فإن القصة ثابتة بخبر القرآن، وخبر القرآن أصدق من خبرهم؛ لأنه خبر من المولى تبارك

١. يَصْبُون إليه: يهدفون إليه.

وكلام بعض المفسرين الذين يستعينون بالإسرائيليات في التفسير ليس بحجة على القرآن الكريم؛ فالمفسر قد يخطئ وقد يصيب، ولكن كتاب الله لا يقربه الخطأ؛ قال تعالى: ﴿ لَا يَأْلِيهِ ٱلْبَطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِةٍ مُّ تَزِيلُ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (الله الله الله السلمين قداسة أو عصمة، كما هو الشأن عند غير المسلمين، ولا عصمة إلا للأنبياء، عليهم السلام.

ومن ثم فقول بعض المفسرين المتشبعين بالإسرائيليات ليس حجة على القرآن؛ لأنهم يعتمدون على القصص التاريخي غير الموثق وغير المحقق.

والقرآن الكريم لم يُسَمّ الملك الذي حاج الخليل إبراهيم الطّيّلا في ربه؛ لأن قصد القرآن من القصص هو مضمون المحاجّة، والعبرة منها.. واسم الملك لا يقدم ولا يؤخر في المضمون واستخلاص العبرة، أما تسمية هذا الملك ـ الذي حاجّه إبراهيم الطّيين ـ بـ "النمروذ"،

والاختلاف في نطق اسمه ومدة ملكه فغير ملزم للقرآن الكريم.

وليس لدينا في التاريخ الموثّق والمحقق ما يثبت أو ينفي أن اسم الملك الذي حاج إبراهيم الخليل الطّيّلا في ربه هو النمروذ، وإنها هو قصص تاريخي يحتاج إلى تحقيق.

وإن كانت "دائرة المعارف الإسلامية" التي كتبها المُسْتَشْرِقون (۱) \_ والتي قد حَرَّر مادة إبراهيم فيها إيزبرغ \_ قد ذكرت الملك نمروذ في قصة إبراهيم؛ فإنها ذكرته وأشارت إليه دون اعتراض.. وإن كانت تلك الموسوعة المعرفية أيضًا قد عَزَت تلك الإشارة إلى بعض المصادر العبرية التي جاء فيها اسم النمروذ؛ فليس هناك ما يمنع تكرار اسم "نمروذ" لأكثر من ملك في أكثر من عصر وتاريخ، وإذا كانت هناك شبهة فهي خاصة بالتاريخ، ولا علاقة لها بالقرآن الكريم (۲).

#### الخلاصة:

• القرآن الكريم لم يصرح بأن النمروذ هـ و الـ ذي أحرق إبراهيم الطيلا، ولم تذكر آية واحدة منه ذلك، بـ ل نسب الإحراق إلى قومه عبـدة الأصنام، فقـال تعـالى: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَانْصُرُواْ ءَالِهَ مَكُمْ إِن كُنكُمْ فَيعِلِينَ ﴿ قَالُواْ اَبْوُا لَهُ بُلْيَنكا فَا لَقُوهُ فِي الجَحيمِ (الانبياء)، وقال تعالى: ﴿ قَالُواْ اَبْوُا لَهُ بُلْيَنكا فَا لَقُوهُ فِي الجَحيمِ (الانبياء)، والذي يفهم اللغة العربية يعسرف أن واو الجهاعة تأتي للمجموع وليس للفرد.

المُسْتَشِرِقون: جمع مُسْتَشرِق، وهو مَنْ له اهتهام من الأوربيين بدراسة شئون الشرق وثقافاته ولغاته.

حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، د. محمود حمدي زقزوق، مرجع سابق، ص٢٩٢، ٢٩٣ بتصرف يسير.

- لم يذكر القرآن الكريم أن النمروذ هو الذي حاجً إبراهيم الطيلا في ربه، بل ذكر المحاجة فقط للعبرة والعظة.
- كلام بعض المفسرين الذين يستعينون بالإسرائيليات في التفسير ليس بحجة على القرآن الكريم؛ لأن معظم قصص التاريخ يحتاج إلى توثيق وتحقيق.

## AND BUS

## الشبهة التاسعة عشرة

ادِّعاء أن إبراهيم العَيْ تزوَّج من سارة، وهي أخته (\*)

#### مضمون الشبهة:

يدعي بعض المتوهمين أن سيدنا إبراهيم التَلِينُ تزوج سارة وهي أخته، حيث يذكر الكتاب المقدس أنها كانت أختًا غير شقيقة لإبراهيم التَلِينُ، ويتساءلون: ألا يعد ذلك ارتكابًا لمُحَرَّم شرعًا؟ هادفين من ذلك إلى الطعن في عصمة سيدنا إبراهيم التَلِينُ.

#### وجها إبطال الشبهة:

 الكتاب المقدس ثبت أنه محرَّف؛ فها ورد فيه ليس محجة.

الثابت في الأحاديث النبوية الصحيحة أن سارة لم تكن أخت إبراهيم الطيخ من النسب، وإنها المراد الأخوة الإيمانية، وهذا هو مقصود إبراهيم الطيخ من التعريض بأنها أخته، حين دخوله مصر حفاظًا

عليها من الملك المتجبر.

#### التفصيل:

### أولا. الكتاب المقدس ثبت أنه محرف؛ فما ورد فيه ليس بحجة:

يقول جراهام سكروغي من معهد مودي في مدينة شيكاغو، وهو عالم مسيحي مشهور في كتابه "الكتاب المقدس كلام الله": إنه من وضع البشر إلا أنه ساوي. ويقول أيضا: نعم إن الكتاب المقدس من وضع البشر، ولو أن الكثيرين ينكرون ذلك لشدة تعصبهم، لقد مرت هذه الأسفار في عقول البشر وكتبت بلغة البشر ودبجت بأقلامهم وبأساليبهم (۱).

ويقول عالم مسيحي آخر مشهور وهو كنث كراغمطران القدس الإنجليكاني في كتابه "نداء المئذنة"، يقول عن الكتاب المقدس: "إنه نتاج ملخّص مكثّف غتار منسوخ، وكها جاء في أسفار العهد الجديد: إن هذه الأسفار خلاصة تجربة وتاريخ".

وفي مقال بمجلة "استيقظوا" وهي مجلة طائفة مسيحية تُدْعى "شهود يَهُوه" تصدر في بروكلين، نيويورك، في عددها الصادر في ٨ أيلول ١٩٥٧م، تحت عنوان "٥٠ ألف خطأ في الكتاب المقدس" يقول المقال: استيقظوا... حانت الآن الساعة، لنستيقظ من النوم، ٥٠ ألف خطأ في الكتاب المقدس "؟

فكيف تكون المعلومات الواردة بهذا الكتاب حجة،

<sup>(\*)</sup> قناة الحياة، زكريا بطرس، الحلقة ١٧.

ا أضواء على المسيحية: دراسة تحليلية للكتاب المقدس، أحمد ديدات، ترجمة: د. عادل جلول، دار القارئ، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص٨٦.

٢. المرجع السابق، ص٩٨.

وهذه هي شهادات أهل الكتاب أنفسهم؟ وهناك كشير غيرها في كتبهم لكن المجال لا يتسع، والمشكلة الأعظم التي تظهر للعيان ناصعة لا تحتاج إلى برهان هي: أننا إذا تصفحنا الكتاب المقدس تبين لنا من نصوصه ما يؤكد على تحريفه وتغييره، فإن اليهود قد اختلقوا كشيرًا من الأكاذيب التي لا تليق بالأشخاص العاديين ولصقوها حزورًا وبهتانًا بالأنبياء؛ حيث يصورون الأنبياء بأقبح الأوصاف، فهم لصوص وزناة وقتلة وسفّاكون للدماء، يرتكبون الجرائم البشعة التي يترفع عنها البشر العاديون، فضلا عن الأنبياء خير خلق الله تعالى، فكيف العاديون، فضلا عن الأنبياء خير خلق الله تعالى، فكيف إبراهيم المنتها التي جاءت في هذا الكتاب بشأن إبراهيم المنتها التي التي على المنتاب بشأن

إن الأعظم جُرمًا من ذلك، هو وصفهم القبيح لله تعالى؛ فقد صوروه وَ الله وكأنه إنسان يغفل، ويسهو، وينام، ويُجهد، فيستريح، ويعقوب السلام يعماوعه، ويغلبه، ولا يفكه حتى يباركه: "لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت". (التكوين ٣٢: ٢٨)، ومن ذلك أن الله تعالى ندم على خلق الإنسان: "فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه". (التكوين ٢: ٢)، والله والله والله والمراب الساء والأرض، وفي اليوم السابع السابع والأرض، وفي اليوم السابع

® في "مقام الأنبياء في الكتاب المقدس" طالع أيضًا: الوجه الأول، من الشبهة الثانية، من الجزء الشامن (مقارنة الأديان). والوجه الثالث، من الشبهة الرابعة والستين، من الجزء العاشر (الأنبياء والرسل ٢). وفي "مقام الأنبياء بين القرآن والتوراة" طالع: الوجه الثالث، من الشبهة الثالثة، من الجزء الثامن (مقارنة الأدبان)

استراح وتنفس". (الخروج ۳۱: ۱۷)<sup>(۱) ®</sup>.

وبهذا يتبين لنا حقيقة كتابهم المقدس، وأنه من صنع البشر الذين حرّفوه حسب أهوائهم الفاسدة فلا يصح أن تؤخذ منه أخبار أو معلومات لعدم الوثوق به؛ وعليه يبطل زعمهم واستدلالهم ...

# ثانيًا. الثابت في الأحاديث الصحيحة والتاريخ أن سارة لم تكن أخت إبراهيم الناسي من النسب، وإنما المراد الأخوة الإيمانية:

إننا لو وقفنا على نسب إبراهيم الكلا لعلمنا أنه إبراهيم بن تارح ابن ناصور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالخ بن ارفكشاد بن سام بن نوح، أما السيدة سارة فقد ذكر ابن كثير - رحمه الله - في تاريخه عن نسبها أنها ابنة ملك حران، والمشهور أنها ابنة عمه هاران.

فهذا النسب يغاير نسب السيدة سارة؛ فبطل قـولهم بأنها أخته من النسب، وإلا فها الدليل على قولهم؟

ولقد رُوي في الصحيح أنه قد عمّ القحط وشمل الجدب بلاد الشام وفلسطين كلها، فرحل إبراهيم الكلا إلى مصر، تصحبه زوجته سارة وكانت ذات جمال باهر، فوشى بها أحد بطانة السوء إلى الملك وكان رجلًا جبارًا، وهو أحد ملوك العرب العماليق، واسمه

١. أضواء على المسيحية: دراسة تحليلية للكتاب المقدس، أحمد
 ديدات، مرجع سابق، ص ٢٠، ٢١.

<sup>®</sup> في "مقام الألوهية في التوراة" طالع أيضًا: الوجه الأول، من الشبهة الثانية، من الجزء الثامن (مقارنة الأديان).

<sup>®</sup> في "تحريف التوراة والإنجيل" طالع: الوجه الأول، من الشبهة الثامنة عشرة، من الجزء الحادي عشر (سلامة القرآن الكريم).

سنان بن علوان، وكان من عادة هذا الطاغية أنه لا يسمع برجل عنده امرأة جميلة إلا وأخذها منه اغتصابًا، فلما نزل إبراهيم الطيخ أرض مصر أراد هذا الفاجر أن يعتدي على سارة زوج إبراهيم ويستأثر بها لنفسه؛ فدعاه وسأله عما يربطها به من قرابة، فقال له إبراهيم: هي أختي وقصد بذلك أخوة الدين ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِنَّا ٱلْمُؤْمِنُونَ

فأتى سارة فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك، فإن سألك فأخبريه أنك أختى؛ فإنك أختي في الإسلام، ليس على وجه الأرض مـؤمن غيري وغيرك، فأرسل إليها الملك الجبار فأتي بها، فلما دخلت عليه فُتِنَ بجمالها، فسألها عن إبراهيم الكلا، فأخبرته أنها أخته، ولكن الفاجر أراد بها الـسوء، فمـد يده إليها يريد أن يجذبها نحوه، فيَبِسَت يده(١) فلم يعـد يستطيع حراكها، واضطربت حتى كاد يُصعق من شدة الهول والفزع، فقال لها: ادعي لي ولا أضرك، فدعت الله فأطلقه، فلما عماد إلى حالته الأولى حدثته نفسه بالغدر بها مرة ثانية، فأخذ مثل الأولى أو أشد، فطلب منها أن تدعو الله له على أن يطلق سراحها ولا يمسها بسوء، فدعت الله فعاد كها كان، فلدعا بعض حَجَبَته فقال: إنك لم تأتني بإنسان إنها أتيتني بشيطان، فأمر بهــا أن تُطلق، وأخدمها جارية من جواريـه تُـسمَّى هـاجر، وكان إبراهيم الكيكاة من وقت ذهابها إلى الملك قام يصلى لله على ويسأله أن يدفع عن أهله السوء، فلما أقبلت أوماً إليها إبراهيم الطَّيْكُ بيده يسألها، فقالت: ردّ الله كيد

١. يَبِسَت يده: شُلَّت.

الكافر في نحره وأخدمني هاجر، قال أبو هريرة . الكافر في نحره وأخدمني هاجر، قال أبو هريرة الله وصانها الله أمكم يابني ماء الساء"(٢)، فعصمها الله وصانها إكرامًا لإبراهيم الكليل (٣).

فالمراد كما في هذا الحديث الصحيح: أنها أخته في الإسلام والدين الحق الذي كان عليه، لا أخوة النسب؛ لأن الأخوة تطلق أصلًا على المشاركة في النسب، وتطلق على المشاركة في الصفات مجازًا أو استعارة، وهي هنا من هذا القبيل، فقد أطلقت على المشاركة في الدين الحق، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ الْحَوَةُ قَاصَلِحُوا بَيْنَ أَخُويَكُمُ وَاتَقُوا اللّهَ لَعَلَكُمُ تُرْحُمُونَ ﴿ إِنَّا الْمُؤْمِنُونَ الحجرات). وفي الحديث: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه" (الحجرات).

ويدل أيضًا على أنها أخوة الدين ما ورد في القرآن من أن زوجات النبي على هن أمهات المؤمنين رغم أنهن لسن أمهات المؤمنين حقيقة قال الله تعالى: ﴿ النّبِي اللّهِ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَ

النبوة والأنبياء، محمد على الصابوني، مرجع سابق، ص١٥٨،
 ١٥٩.

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم ولا يسلمه (٢٣١٠)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والأداب، باب تحريم الظلم (٦٧٤٣).

ويدل على ذلك أيضًا قول إبراهيم الطَيْلاً لسارة: كما في الحديث الصحيح: "ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك"(١). فثبت أنها أخته في الإسلام وأنها ليست أخته من النسب(٢).

مما سبق ينتفى أن تكون السيدة سارة أخت سيدنا إسراهيم التيلا لم يتزوج إسراهيم التيلا لم يتزوج أخته من النسب بل إن كلمة الأخوة هنا تعني أخوة الدين لا النسب(٢).

#### الخلاصة:

- لا يصح أن نجعل من الكتاب المقدس حجة ومرجعية؛ لأن الثابت \_حتى في الدراسات التي قام بها كثير من علماء اليهود والنصارى \_أن هذا الكتاب المقدس قد أعيدت كتابته، وأصابه التحريف حذفًا أو زيادة.. كما أن ترجماته قد أدخلت عليه كثيرًا من التغييرات؛ فلا يمكن الوثوق بها ورد فيه.
- من خلال نسب إبراهيم الطّيكة والسيدة سارة يتضح أنها ليست أخته، إنها المراد بقوله: أنها أخته التعريض حفاظا عليها من الملك الجبار، أي أنها أخته في الإسلام، قال تعالى: ﴿ إِنَّا الْمُؤْمِنُونَ إِخُوةٌ فَأَصَلِحُوا بَيْنَ آخُونَكُمْ وَالنَّهُوا اللّه لَمَلَّكُمْ مُرْحَمُونَ اللّه (المجدرات)،

ولقول إبراهيم الكليكاة للسيدة سارة: "ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك".

## AND DES

## الشبهة العشرون

## إنكارذهاب إبراهيم الطَيِّةُ إلى الجزيرة العربية ، وبنانه الكعبة (\*) ®

#### مضمون الشبهة:

ينكر بعض المشككين ذهاب إبراهيم إلى الجزيرة العربية، وبناءه الكعبة، قائلين إن البيت الحرام كان لعبادة الأوثان. مستدلين على ذلك بعدم ذكر الذهاب إلى الجزيرة العربية في الكتاب المقدس. ويتساءلون: لماذا يقرر الإسلام ذهابه إلى الجزيرة العربية وبناءه الكعبة وهذا مخالف لحقائق الكتاب المقدس؟!

#### وجوه إبطال الشبهة:

 الحق ما ورد في القرآن الكريم؛ لأنه الكتاب السهاوي الوحيد المعصوم من التحريف.

٢) ذهاب إبراهيم الطّنكاة إلى بطن الجزيرة العربية ثابت تاريخيًّا، وما ثبت بالتاريخ ثبتت صحته كالمتواتر،
 هذا فضلًا عن ذكر التوراة هذا اللهاب.

٣) بناء إسراهيم التَّخَلَا الكعبة من أجمل عبادة الله

اخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه (٤٠٢)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل الليلا (٦٢٩٤).

٢. قسص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، موجع سابق،
 ص ١١١.

٣. النبوة والأنبياء، محمد على الصابوني، مرجع سابق، ص١٥٨.

<sup>(\*)</sup> قناة الحياة، زكريا بطرس، الحلقة ١٧.

<sup>(</sup> في "ثبوت ذهاب إسراهيم إلى مكة" طالع أيضًا: السبهة الثلاثين، من الجزء الحادي عشر (سلامة القرآن الكريم). وفي "ثبوت قصة بناء إبراهيم للكعبة في القرآن دون التوراة" طالع: الوجه الأول، من الشبهة الثالثة والعشرين، مسن الجزء الشامن (مقارنة الأديان).

وحده ثابت تاريخيًّا، وإن حدث بعد ذلك ما يخالف هذا الأصل.

#### التفصيل:

## أولا. الحق ما ورد في القرآن الكريم؛ لأنه الكتاب السماوي الوحيد المعصوم من التحريف:

الكتاب المقدس كتاب محرف؛ فلا يدل ورود الخبر فيه على ثبوته، كما لا يدل عدم ذكر الشيء به على نفيه، فإن المُعَوَّل عليه (۱) في إثبات أخبار الأنبياء وغيرهم هو القرآن الكريم دون غيره من المصادر الأخرى؛ فهو المذي ثبت بالأدلة القطعية حفظه من التحريف والتبديل.

وأوثق ما عرف عن إبراهيم الطّيِّكُم وأصدقه، هـو ما جاء في كتاب الله الحكيم \_ القرآن الكريم \_ ومن أصدق من الله حديثًا؟

## ثَانِيًا. ذهاب إبراهيم إلى مكة ثابت تاريخيًّا، وقد ذُكِر في التوراة:

قبل نزول القرآن الكريم، كان معلومًا بناء إبراهيم العَيْلُ للكعبة، حتى إن قريشًا التي كانت تعبد الأصنام في الكعبة - كانت تقر ببناء إبراهيم العَيْلُ لها،

وتعلم ذلك علم اليقين، ولو لم تكن تعلم ذلك، أو حتى لو كان لديها أدنى ذرة من الشك، يمكن لها من خلالها تكذيب محمد الله لما تباطأت في إظهار ذلك التشكيك.

وما دام لم يظهر شيء من هذا القبيل؛ فإن ذلك أدل الأدلة على كون إبراهيم الكليلا ذهب إلى مكة، وبني الكعبة.

ومع ثبوت ذهاب إبراهيم التَّكِينُ إلى مكة، بالقرآن والتاريخ، وذلك كاف، فإن التوراة قد أشارت إلى أن إبراهيم التَّكِينُ ذهب إلى مكة؛ فقد جاء في سفر التكوين بعد أن حكت قصة انتقاله من موطنه إلى أرض كنعان: "شم ارتحل أبرام ارتحالًا متواليًا نحو الجنوب". (التكوين ٢١: ٩).

والجنوب بالنسبة لفلسطين - أرض كنعان - هو الجزيرة العربية، ويلاحظ أن التوراة تؤكد على ارتحاله، وأن هذا الارتحال تمَّ في أماكن بعيدة إلى الجنوب، وما ذلك إلا دخوله بطن الجزيرة العربية.

وإن كانت هذه العبارة سبقت الحديث عن رحلته إلى مصر، فإن ذلك لا يمنع أن تكون رحلاته إلى الجنوب من أرض كنعان جاءت بعد عودته من الرحلة إلى مصر، واضطراب التوراة أمر معهود لكل من يقرؤها.

## ثَّالثًا. بناء إبراهيم الطَّكِلَّ الكعبة ثابت تاريخيًّا. وكان البناء لعبادة الله وليس لعبادة الأوثان:

إن نفي بناء إبراهيم الطِّيلا للكعبة لا دليل عليه، كما أن ادعاء بنائها لعبادة الأصنام، ما هو إلا هُراء (٢) لا

٢. المُّراء: الكلام الفاسد الذي لا نظام له.

دليل عليه.

فنسبتها إلى إبراهيم الكيلة أمر معلوم بالتواتر بين الأجيال؛ فأصبح بذلك قطعي الثبوت، مثل كل ما ثبت بالتواتر من البلاد، والأحداث. والثابت تاريخيًا أن الأصنام، وعبادتها أمر دخيل على الكعبة، والبلد الحرام؛ فأول من أدخلها عمرو الخزاعي، ناقلًا لها من بلاد الشام إثر (1) عودته منها.

وقد جاء إبراهيم الطيخ بالتوحيد الخالص: ﴿ إِنَّ هِيمَ كَاتَ أُمّةً قَانِتًا لِلّهِ حَنِفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ اللّهَ مَنْ المُشْرِكِينَ اللّه فَالْحَدُهُ إِلَى صِرَطِ مُسْتَقِيمٍ اللّه فَالْحَدُهُ إِلَى صِرَطِ مُسْتَقِيمٍ الله شَاكِرُ لِأَنْعُمِ قَابِهُ وَهَدَنهُ إِلَى صِرَطِ مُسْتَقِيمٍ الله الله النقل الله وعبادته، والوقوف عند حدوده، بعث به من توحيد لله وعبادته، والوقوف عند حدوده، وتقديس حرماته، وفي مقدمة ذلك: تعظيم البيت الحرام وتقديسه واحترام شعائره والذَّوْد عنه (٢)، فلما الحرام وتقديسه واحترام شعائره والذَّوْد عنه (٢)، فلما الحق الذي توارثوه بكثير من الباطل الذي تسلل إليهم المأن سائر الأمم عندما يَغْشاها الله الجهل ويبعد بها العهد ويَنْدَسُّ (٤) بين صفوفها المُشَعْوِذُونَ (٥) والمبطلون فدخل فيهم الشرك واعتادوا عبادة الأصنام.

وكان أول من أدخلها فيهم وحَمَلهم عليها(٦) هو عمرو

بن لحي الخزاعي الذي ذهب إلى السام فرآهم يعبدون الأصنام فقال: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدونها؟، قالواله: هذه أصنام نعبدها نَسْتَمْطِرها (٢) فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا، فقال لهم: أفلا تعطونني صنمًا فأسير به إلى أرض العرب فيعبدوه، فأعطوه صنمًا يقال له: هبل، فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته.

وهكذا انتشرت عبادة الأوثان فيهم، واستبدلوها بدين إبراهيم وإسماعيل ـ عليها السلام ـ (^^).

فهل يقال بعد هذا: إن الكعبة بُنيت لعبادة الأصنام؟! وإذا كانت بُنيت لعبادة الأصنام فمن الذي بناها لأصل هذا الغرض؟!

لقد كانت قريش تعبد الأصنام في البيت تقربًا إلى الله، قال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُّ وَٱلَّذِينَ ٱلْخَالِصُّ وَٱلَّذِينَ ٱلْخَالِصُّ وَٱلَّذِينَ ٱلْخَالِصُّ وَٱلَّذِينَ ٱلْخَالُولُ وَلَهُ اللّهِ ذُلُفَى إِنَّ مِن دُونِهِ اللّهِ وَلَهُ اللّهِ وَلَهُ اللّهِ وَلَهُ اللّهِ وَلَهُ اللّهِ وَلَهُ اللّهَ اللّهَ اللّهَ يَعْكُمُ مُ بَيِّنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَغْتَلِفُونَ ۚ إِنَّ ٱللّهَ لَا يَهْدِى اللّهَ يَعْكُمُ مُ بَيِّنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَغْتَلِفُونَ ۚ إِنَّ ٱللّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُو كَذِبُ كَا هُمْ فِيهِ يَغْتَلِفُونَ الزمر)، فهذا الاعتراف من هُو كَذَذِبُ كَا قَالُهُ اللهُ عَبَادة الأصنام ما هي إلا قربى من الكفار أنفسهم، بأن عبادة الأصنام ما هي إلا قربى لله عَيْلَ.

وجاء الإسلام فطهّر البيت الحرام من عبادة الأصنام، وكانت نهاية عبادتها بفتح مكة؛ إذ دخل النبي الله البيت الحرام وبيده قَيضِيب<sup>(۱)</sup> يشير إلى الإطاحة بها وهو يقول: "جاء الحق وزّهَق (۱۰)

١. إثر: عَقِب،

٢. الذُّود عنه: الدفاع عنه.

٣. يَغْشاها: ينتشر فيها.

٤. يَنْدَسُّ: يدخل في خفاء.

ه. المُشَغُوذون: جمع مشعوذ، وهمو من يقوم بأعمال احتيالية مُدَّعيًا أنه يمتلك موهبة أو معرفة، ولكنه لا يمتلكها، مأخوذ من قولهم: شعوذ الرجل؛ أي: مهر في الاحتيال؛ بحيث يُرِيك الشيء على غير حقيقته معتمدًا على خداع الحواس.

٦. حَمَلُهم عليها: أغراهم بها.

٧. نُستَمُطِرها: نطلب منها المطر.

٨. فقه السيرة، محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الدعوة الإسلامية، القاهرة، ط٧، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص٣٩، ٤٠.

٩. القَضِيب: العَصا.

١٠. زَهَق: ذهب وزال.

الباطل"(١).

وقال رسول الله ﷺ في حَجّة الوداع: "إن السيطان قد يئس أن يعبد في بلدكم هذا..." (٢)، ومن ثم فالكعبة بيت الله، بناه إبراهيم الناس لعبادة الله لا لعبادة الأصنام كما ادّعى هؤلاء المبطلون.

#### الخلاصة:

- الكعبة بناء قائم على مر العصور، والأجيال تواترت على نسبة بنائها إلى إبراهيم الطيخ ولم تختلف الأجيال والأمم المتلاحقة على ذلك على الرغم من اختلافها في أشياء كثيرة وهذا التَّواتُر (٣) القطعي يفيد اليقين الذي يفيده وجود الكعبة نفسها على الأرض.
- النص القرآني أثبت أن إبراهيم النفي ذهب إلى الجزيرة العربية، وبنى الكعبة، كما جماء ذلك أيضًا في التوراة (التكوين ١٢: ١-٩)، كذلك كان بناء الكعبة والبيت الحرام لعبادة الله كان وحده، ولم تُعرف عبادة الأوثان فيهما إلا مؤخّرًا قبل بعثة النبي ، والذي أدخل عبادتها إلى الجزيرة العربية هو عمرو الخزاعي عند عودته من بلاد الشام.

## SAD DE

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب هل تكسر الدنان التي فيها الخمر أو تخرق الزقاق (٢٣٤٦)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب إزالة الأصنام من حول الكعبة (٤٧٢٥).

## الشبهة الحادية والعشرون

## ادًعاء تباين القرآن المدني عن الكّي بشأن إبراهيم الطّيِّة ؛ استمالة لليهود (\*)

#### مضمون الشبهة :

يزعم بعض المغرضين أن إبراهيم الكي ورد ذكره في القرآن المكي على أنه رسول أنذر قومه، ولم تُذكر له أي علاقة بإسماعيل، ووضع قواعد البيت الحرام إلا في القرآن المدني، الذي ذكر أنه كان أول المسلمين حنيفًا قانتًا؛ وذلك من أجل استمالة اليهود في المدينة بعدما ناصبوا القرآن ونبيه العداء في مكة عن طريق الاتصال بيهودية إبراهيم الكي واعتباره أبا للعرب وبانيًا للبيت الحرام. ويستدلون على أنه لا علاقة للعرب بإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وأنها لم يرسَلا إلى العرب بقوله نه: عليهما السلام وأنها لم يرسَلا إلى العرب بقوله نه:

#### وجوه إبطال الشبهة:

ا آيات القرآن يُكمل بعضها بعضًا حسب المقام ومقتضى الحال والأغراض التي تساق من أجلها، وليس معنى ذلك أن القرآن يتباين أو يختلف في اتخاذ المواقف والإخبار عن الأمور.

۲) القرآن المكي ذكر \_ في سورة إبراهيم \_ صلة إبراهيم \_ صلة إبراهيم بإسهاعيل \_ عليها السلام \_ وقصة مجيئه إلى مكة وبناء البيت الحرام، فكيف يُفترى كذبًا ويُقال: إن هذه الأحداث لم تُذكر بالقرآن المكي؟! وادعاء قطع صلة

صحيح: أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب دماؤكم وأموالكم عليكم حزام (٢١٥٩)، وابن ماجه في سننه، كتاب المناسك، باب الخطبة يوم النحر (٣٠٥٥)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٤٧٩).

٣. التُّواتُر: النقل المتتابع عن بعضه.

<sup>(\*)</sup> موجز دائرة المعارف الإسلامية، فريق من الباحثين، مرجع سابق. دفاع سابق. دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، محمد الغزالي، خهضة مصر، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٢م.

بطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام وداعيًا إيَّاهم إلى

النظر في الكون وما فيه من أسرار القدرة الإلهية ودلائل

الربوبية والألوهية بالبرهان الواضح والمنطق السليم:

﴿ وَإِنْهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ

لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ اللَّهِ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

أَوْثَنَا وَتَخْلُقُونَ إِفَكًا ۚ إِنَ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا

يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْنَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلزِّرْفَ وَٱعْبُدُوهُ

وَٱشۡكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۖ إِنَّهِ تُرْجَعُونَ اللَّهُ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ

كَذَبَ أُمَدُ مِن قَبْلِكُمُ وَمَاعَلَى الرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَغُ ٱلْشِيثَ

اللهُ أَوْلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ

ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿ اللَّهُ قُلْ سِيرُواْ فِ ٱلْأَرْضِ فَانْظُرُواْ

كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُشِيئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَى

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۖ أَنَّ يُعَذِّبُ مَن يَشَآهُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآهُ

وَ إِلَيْهِ ثُقَلَبُونِ اللهُ وَمَا أَنتُد بِمُعْجِزِي فِالْأَرْضِ وَلَا فِي

ٱلسَّمَآءُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيَّ وَلَا نَصِيرِ اللَّهِ

وَٱلَّذِيكَ كَفَرُواْ بِعَايَنتِ ٱللَّهِ وَلِقَ آبِهِ الْوَلْيَكَ يَبِسُوا مِن

رَّحْمَتِي وَأُوْلَيْهِكَ لَمُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ اللهُ عَاكَاكَ جَوَابَ

قَوْمِهِ ٤ إِلَّا أَن قَالُواْ اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَىنُهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِّ

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَنتِ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ١٠٠٠ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن

دُونِ اللَّهِ أَوْثَنَا مَّوَدَّهَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَوْةِ الدُّنْكَ أَثُمَّ يَوْمَ

ٱلْقِينَمَةِ يَكُفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضِ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم

بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُمُ مِن نَصِرِينَ ۞﴾

إبراهيم بإسماعيل - عليهما السلام - يهدم التوراة قبل أن يُسيىء إلى القرآن؛ لأنها ذكرت صلة إبراهيم بإساعيل \_عليها السلام\_.

٣) لم يكن بمكة تجمعات يهودية حتى يقال: إن النبي ﷺ أراد الاعتماد عليهم ولكنهم عادوه، ثم هل يُعقل أن يلتمس التقرب إليهم في المدينة بعدما اتخذوا حياله خطة عداء بمكة؟! حسب زعمهم!!

٤) إن إبراهيم الطِّينة ما كان يهوديًّا ولا نـصرانيًّا حتى يتمسَّحوا به، أو يكون الحديث عنه، أو الانتساب إليه تقربًا إليهم، ولكن إبراهيم اللَّكِيُّ كان حنيفًا مسلمًا، والنبي محمد على بعث بالحنيفية السمحاء.

٥) قوله ﷺ: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّاۤ أَتَنَهُم مِّن نَّذِيرِ مِّن قَبَّلِكَ ﴾ (السجدة: ٣)؛ أي: بعد أن تميزوا وتحققت قوميتهم، وانتهت رسالة إسماعيل الطِّيِّلا الخاصة بأهله وأصهاره من جُرْهُم (١) فلم تكن عامة ولا دائمة.

#### التفصيل:

أولا. آيات القرآن يكمل بعضها بعضًا حسب المقام ومقتضى الحال وإنما التضاوت والتباين في عقول المشككان:

لقد جاء ذكر نبي الله إبراهيم الطِّين في كثير من آيات القرآن الكريم، وكل الآيات التي جاءت في قصته يكمل بعضها بعضًا، حسب سياق الآيات وما يتطلبه الحال؛ ففي سورة العنكبوت مثلًا يخبر عن دعوة إبراهيم الطَيْلاً لقومه وأبيه إلى عبادة الله تبارك وتعالى وحده وتَرْك عبادة الأصنام مُبينًا لهم بالدليل العقلي

وفي سورة مريم يدعو أباه إلى عبادة الله بكل أدب يتناسب مع مقام الوالد حتى ولو كان كافرًا ـ بالحكمة والموعظة الحسنة، حتى إنه عندما يقسو عليه ويهدده بالرجم يتركه إبراهيم الطِّيِّلا قائلًا له: ﴿ قَالَ سَلَمُ عَلَيْكُ ۗ

١. جُرْهُم: اسم القبيلة التي تزوَّج منها سيدنا إسماعيل العلا

سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيَّ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿ اللَّهُ الْمِرِيمِ (١).

وفي سورة الأنعام يحاج قومه، ويبطل لهم بالدليل والبرهان عبادة غير الله تعالى من الكواكب والنجوم والشمس والقمر، وبالأحرى عبادة الأصنام: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَ ﴿ إِنَّ أَرَبُكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالِ مُبِينِ اللهُ وَكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَهِيدَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَنُوْتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿ اللَّهُ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءًا كَوْكُبُأْ قَالَ هَنذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ اللهِ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِعَا قَالَ هَنذَارَبِّ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَهِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّالِّينَ اللَّهُ فَلَمَّا رَمَا ٱلشَّمْسَ بَازِعَـةُ قَالَ هَلذَا رَبِّي هَلذَٱ أَكَّبُرٌّ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقَوْمِ إِنِّي بَرِئَ \* مِنَّا تُشْرِكُونَ ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَنَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۗ وَمَاۤ أَنَاْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ اللَّهِ وَحَاجَهُ. قَوْمُهُمَّ قَالَ أَغُكَجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِعِهِ إِلَّا أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلُّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلَاتَنَذَكَّرُونَ ﴿ ﴿

وفي سورة البقرة وسورة إبراهيم يحكي قصة بناء البيت ودعاءه إلى الله على همو وإسماعيل ولده عليها السلام.. وهكذا تتكرر قصة إبراهيم الكيلا في كثير من سور القرآن وفي كل مرة يحكي القرآن جانبًا من حياته ومواقفه في سبيل الدعوة إلى الله تعالى وطاعته لأمر الله تعالى وطاعته لأمر

ومن اللافت للنظر أن السور التي تحدثت عن الخليل إبراهيم التي في القرآن المكي يغلب عليها جانب التركيز على جهاده في الدعوة إلى الله تعالى

وتوحيده، ومقاومة الشرك بكل صوره بالحكمة والموعظة الحسنة والبرهان القوي، من ذلك نقرأ قوله على ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرُهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَخِذُ أَصَنَامًا وَلِهَ اللَّهِ إِنْ أَرْدَ لَتَتَخِذُ أَصَنَامًا وَلِهَ اللَّهُ إِنْ أَرْدَكَ وَقُوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿ الانعامِ).

ونلاحظ ذلك أيضًا في قوله على: ﴿ وَاذَكُرُ فِ الْكِنْبِ إِبْرَهِيمُ إِنّهُ وَكَانَ صِدِيقًا نَبِيًا ﴿ اللهِ اللهُ اللهُ

أما القرآن في مرحلة ازدهار الدعوة الإسلامية، فنجد فيه التشريعات والقوانين الإلهية التي بلَّغها رسول الله للناس لكي يسيروا على هداها، وكان من بين هذه التشريعات فريضة الحج، التي تعود بالمسلمين إلى عهارة المسجد الحرام والتي بدأت في عهد الخليل إبراهيم الناس المعلى يد إبراهيم وابنه إسهاعيل عليها السلام، ومن المناسب في هذا المقام أن يذكر بناء إبراهيم الناس الحج إلى بيته الحرام، وأن يذكر أمة الإسلام بأنها الناس بالحج إلى بيته الحرام، وأن يذكر أمة الإسلام بأنها

١. حَفِيًّا: بليغًا بي في البر واللُّطف.

۲. ترسیخ: تثبیت.

امتدادٌ للحنيفية التي جاء بها إبراهيم الكلافي وإن كانت قصة بناء البيت وترك إسماعيل الكلافي وأمه عنده وحدهما ذكرت من قبل في القرآن المكي بسورة إبراهيم، ولكن ليس بهذا التفصيل؛ لأنها كانت مسوقة لغرض آخر هناك، وهذا يؤكد ما سبق أن قررناه من أن حديث القرآن عن قصة إبراهيم الكلافي جاء مناسبًا للمقام الذي نزلت فيه تلك السور، ومن هنا يظهر مدى التوافق الذي بين آيات السور دون أدنى اختلاف أو تباين، كما يدعى هؤلاء المغرضون.

## ثَانيًا. قَصَة بناء البيت الحرام، وصلة إبراهيم بإسماعيل عليهما السلام منكورة في القرآن المكي:

إن الزعم القائل أن القرآن المكي لم يذكر صلة لإسهاعيل بإبراهيم - عليها السلام - هو محض افتراء على كتاب الله تعالى ويعد كذبًا وزورًا؛ وذلك لأن الذي أصدر مثل هذا الحكم يُفترض فيه أنه استقصى كل المواضع التي تحدثت في القرآن عن علاقة إبراهيم بإسهاعيل عليها السلام - مكية كانت أو مدنية - فمشل هذا الحكم لا يكون إلا بعد استقصاء وحصر؛ وإلا عُدّ هذا افتراءً ناتجًا عن خطأ أو عن جهل، وإذا كان الحكم بدون علم وعن جهل جريمة لا تغتفر فإن الافتراء عن عمد وسابق علم هو أشد شناعة وأفظع جرمًا.

والذي افترى تلك الفرية إنها يروّج لفكرة يُراد الوصول إليها \_وهي أن محمدًا ولله ظل بعيدًا عن صلة العرب بإبراهيم وإسهاعيل \_عليها السلام \_إلى أن هاجر إلى المدينة فبدت له فكرةٌ هي أن يصل حبل العرب الذين هو منهم باليهود عن طريق إسهاعيل وإبراهيم، مع أنه لا صلة للعرب بإبراهيم وإسهاعيل

حسب افترائهم.

وهذه الفكرة تهدم التوراة قبل أن تسيء إلى القرآن؛ لأن التوراة ذكرت صلة إبراهيم بإسماعيل - عليهما السلام - وأنه جَدُّ عدّة قبائل في بلاد العرب، وحين عدّ المفترون السور المكية عمدوا إلى التي يذكر فيها إبراهيم مجردًا عن الصلة بإسماعيل والعرب؛ لذلك تخطّوا سورة إبراهيم وهي مكية، وقد شهدت بعكس ما يقولون، وآياتها شاهدة بأن إبراهيم وإسماعيل بنيا البيت، وأنها كانا يدعوان الله الله بالهداية، وأن إبراهيم الملك كان يدعو الله الله أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام - ويذكر أنه أسكن من ذريته بواد غير ذي زرع عند بيت الله الحرام، ويدعو الله أن يرزقهم من الثمرات و يحمد الله الله أن يرزقهم من الثمرات و يحمد الله الله أن السحاق (۱۱).

ولذا يقول القرآن على لسان إبراهيم الطّيّلا: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَهِيمُ رَبِّ اجْمَلُ هَذَا ٱلْبَلَدَ عَامِنَا وَاجْنُبْنِي وَبَيْنَ أَنْ لَلَا كَثِيرًا مِنَ النّاسِ فَنَ نَعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿ وَبِإِنّهُنَ آصْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النّاسِ فَنَ نَعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿ وَمَنْ عَصَالِي فَإِنّكَ عَفُورٌ رَجِيعٌ ﴿ وَكَنَ النّاسِ فَنَ بَيْعِي فَإِنّهُ مِنِ أَنْ وَمَنْ عَصَالِي فَإِنْكَ عَفُورٌ رَجِيعٌ ﴿ وَكَى تَنِعُ عِنَدَ بَيْلِكَ إِنّ أَسْكُنتُ مِن ذُرِيّتِي بِوَادٍ غَيْرٍ ذِي زَنْع عِندَ بَيْلِكَ إِنِّ أَسْكُنتُ مِن ذُرِيّتِي بِوَادٍ غَيْرٍ ذِي زَنْع عِندَ بَيْلِكَ اللهُ عَنْ رَبّا لِيُقِيمُوا الصّلَوةَ فَاجْعَلُ آفْودَةً مِن النّاسِ اللّهُ مِن النّصَورَةِ لَعَلَهُمْ يَشَكُرُونَ ﴿ النّالَي اللّهِ مِن شَيْءٍ وَمَا يُعْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَغْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْء وَمَا نُعْلِقُ وَمَا يَغْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْء فَى اللّهِ مِن السَمَاءِ ﴿ اللّهُ الْمُحْدَلِي السَمِيعُ الدُّعَلَى وَهِ السَمَاءِ فَى السَمِيعُ الدُّعَلَو وَمِن ذُرِيّتِي وَلَهُ اللّهِ مِن مَنْ الشَمْورِي وَلَا فِي السَمَاءِ فَى السَمَاءُ فَى اللّهِ مِن شَيْء مَلَى اللّهِ مِن شَيْء مَلَى اللّهِ مِن السَمَاءُ فَى السَمِيعُ الدُّعَلَى وَهِبَ لِي وَلُولِدَى وَلِلْهُ وَمِن ذُرِيّتِي وَمَ يَقُومُ لِي وَلُولِلِدَى وَلِلْمُومِينِينَ يَوْمَ يَقُومُ لُو وَلُولَالِدَى وَلِلْمُومِينِينَ يَوْمَ يَقُومُ الللّهُ مِن مَنْ وَمُ يَقُومُ مُ عَلَيْ وَلَولَالِدَى وَلِلْمُومُ وَلِلْمُومِينِينَ يَوْمَ يَقُومُ اللّهُ وَلُولَالِدَى وَلِلْمُومِينِينَ يَوْمَ يَقُومُ اللْعَلَو وَلَا لَلْمُ الْمُعْمَلِي وَلُولِلْهُ وَلَولَالِدَى وَلِلْمُومِينِينَ يَوْمَ يَقُومُ مُولُولَ الللّهُ مِنْ السَمِنَا وَلَولَهُ اللّهُ مَلْ اللّهُ وَلَولَالِهُ وَلَولِهُ اللّهُ مِنْ مُنْ مَلَى السَمِيعُ اللّهُ مَلْ مُنْ مُنْ مُنْ مُنْ مُنْ مُنْ مُلْهُ مِنْ مُنْ وَلِهُ اللّهُ مَنْ وَلِهُ اللّهُ مَا مُنْ اللّهُ مَا مُنْ اللّهُ مُنْ وَلِي اللّهُ مَا مُنْ اللّهُ مَا مُنْ اللّهُ مَا مُنْ الللّهُ مَا اللّهُ مَا مُنْ اللّهُ مَا اللّهُ مَا مُنْ اللّهُ مَا مُنْ اللّهُ مَا مُنْع

١. قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، مرجع سابق، ص٩٨.

## الحساب (الهيم)(١).

أما زعمهم أن إبراهيم الكيلا لم يُذكر بأنه حنيف إلا في السور المدنية فهذا أيضًا كذب مفترى، فقد ذُكر بأنه كان حنيفًا في سورة الأنعام مرتين، وفي سورة النحل كذلك وهما مكيتان:

أما سورة الأنعام فقد ورد قوله ﷺ: ﴿إِنِّي وَجَّهَتُ وَجَهِتُ وَجَهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ لَالْنَامَ الْاَنَامَ ، وقوله ﷺ: ﴿ قُلْ إِنَّنِي مِنَ لِلَّهُ مُسْتَقِيمِ دِينَاقِيمًا مِلَّةَ إِبْرَهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ الانمام (٢).

وأما سورة النحل فقول الله ﷺ: ﴿ إِنَّ إِبْرَهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِللهِ حَنِيفًا وَلَوْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿ اللهِ اللهُ الل

و بهذا يتبين فساد تلك الدعوى المضللة لبطلان أدلتها؛ بل يتضح مدى الحقد الذي يُكِنَّه (٢) أصحاب تلك الدعوات على الإسلام والمسلمين، فيزيفون الحقائق ويكذبون على القرآن الكريم افتراءً على الحق من أجل تشويه: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطَفِعُوا نُورَ اللّهِ بِأَفَوَهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْحَدَى أَن يُطَفِعُون وَلَوْ كَرِهَ اللّهِ بِأَفَوَهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ اللّهِ الْكَذَفِرُونَ اللّهِ الْكَذَفِرُونَ وَيَأْبَى اللهُ إِلّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ اللّهِ الْكَذَفِرُونَ اللّهِ النوبة).

## ثالثًا. لم يكن بمكة تجمعات يهودية:

لم يذكر التاريخ أن مكة كان بها يهود، ولقد ذكسرت كل مصادر السِّير أحداث الدعوة المحمدية في مكة، وأتت عليها تفصيلًا لكل الجزئيات وتحليلًا لكل المواقف ولم نجد من بين تلك الأحداث شيئًا يتعلق باليهود؛ إذ لم يكن لهم ذكر بمكة يترتب عليه حدث تاريخي أو أثر في الأحكام، بل إن المشركين في مكة لما عجزوا عن تكذيب النبي محمد ﷺ وأرادوا أن يستعينوا في حربهم ضده بأهل الكتاب ربها يجدون عندهم شيئًا يطعنون به في نبوته ورسالته \_ لعلمهم بالكتاب الأول \_ بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة \_يثرب \_يسألونهم رأيهم في دعوته ﷺ وهم يطمعون أن يجد لهم الأحبار ما لم يهتدوا إليه مما يواجهون به تكنيبهم إياه، قالوا: فإن اليهود أهل الكتاب الأُول وعندهم من علم الأنبياء \_أي صفاتهم وعلاماتهم علم ليس عندنا، فَقَدِم النضر وعقبة ووصفا لليهود دعوة النبي ﷺ وأخبراهم ببعض قوله، فقال لهم أحبار اليهود: سلوه عن ثلاث؟ فإن أخبركم بهن فهو نبي، وإن لم يفعل فالرجل متقوِّل (٤)، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأوّل ما كان أمرهم، وسلوه عن رجل طوّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وسلوه عن الروح ما هي، فرجع النضر وعقبة فأخبرا قريشًا بها قاله أحبار اليهود(٥).

فأنزل الله سورة الكهف وشطرًا من سـورة الإسراء

٤. الـمُتَقَوِّل: الذي يفتري ويختلق القول كذبًا.

التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق،
 مج٧، ج١٥، ص٢٤٢، ٢٤٣ بتصرف.

١. اجنُبْنِي: ابعدني عن، واحفظني من.

٢. قِيَّا: مستقيًّا.

٣. يُكِنُّ: يُخْفِي.

على رسوله ﷺ فيهما إجابة على أسئلة المشركين وإثبات نبوته ﷺ.

والشاهد من هذه القصة أنه لو كان بمكة يهود لما احتاج المشركون أن يسافروا إلى المدينة ليسألوهم عما سألوهم عنه، فكيف يفتري هولاء المغرضون ويقولون: إن النبي محمدًا الله "أراد أن يعتمد على اليهود في مكة فها لبثوا أن اتخذوا حياله خطة عداء فلم يكن له بدّ من أن يلتمس غيرهم ناصرًا هناك هذاه ذكاء مسدد إلى شأن جديد لأبي العرب إبراهيم الكلام وبذلك استطاع أن يخلص من يهودية عصره ليصل حبله بيهودية إبراهيم الكلام، تلك اليهودية التي كانت عهدة للإسلام ولما أخذت مكة تشغل جل تفكير الرسول المناه المنيد لبيت هذه المدينة المقدس "(۱).

هذه هي عبارة بعض الذين نصّبوا أنفسهم لحرب الإسلام وإلصاق النقص به والعيب على القرآن وستر عاسنه والصاف النقص به والعيب على القرآن وستر عاسنه ليظهروه في صورة لا تكاد تختلف عن كتبهم المحرفة فهم كما قال الله وَدُوا لَوْ تَكَفُرُونَ كُما كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاء السَاء: ٨٩)

إن العبارة السابقة تشير إلى ما تُكِنّه نفوسهم من حقد على الإسلام والمسلمين، هذا الحقد الذي جعل صاحبه غير متزن الفكر بعيدًا عن الالتزام بمعطيات المنهج العلمي من النزاهة والدقة والبحث من أجل إبراز الحقائق لا من أجل طَمْسها(٣) إشباعًا لأهواء

النفس الجامحة؛ فيدعي كذبًا أن القرآن المكي لم يذكر صلة إبراهيم بإسماعيل - عليهما السلام - وقصة بناء البيت، وذلك مذكور فيه ولكن تجاوُزه عمدًا كان لغرض التدليل على أحكام مسبقة اعتقدها هؤلاء، وليست ناتجة عن بحث علمي نزيه.

وأكثر من ذلك \_ اضطرابًا في الفكر والفهم \_ أن يكذب عليه ويَدَّعي أحداثًا لم يسجلها مثل ادعائه أن اليهود كان لهم كِيان بمكة وأراد محمد أن يعتمد على هذا الكيان وذلك على عكس حقائق التاريخ التي لم يرد فيها أي أثر للتجمعات اليهودية بمكة.

والأغرب من ذلك أن يُدّعى أن النبي الله المنافي النبي المنافي المنافي

نعم لم يكن بمكة يهود \_ كما أسلفنا \_ ولكن كان بالمدينة طوائف منهم، ولما ذهب النبي الله المدينة وعلموا أنه نبي آخر الزمان الموصوف عندهم في كتبهم وكانوا يستفتحون (1) به من قبل على العرب ويبشرون

١. قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، مرجع سابق، ص٩٧.

٢. المرجع السابق، ص٩٧.

٣. طَمْسها: إخفائها أو تشويهها.

٤. يستفتحون: يستنصرون على الكفار بقولهم: إن نبيًا يبعث
 .

بقرب بعثته، كان المنتظر منهم أن يؤمنوا به ويصدقوه وخاصة أنهم كانوا أهل توحيد، ويجانبون عبادة الأصنام ويعادون أهلها، فلما جحدوا وكفروا عن علم، استكبارًا أو حسدًا، صاروا كغيرهم لا فضل لهم على بقية الناس ولا ميزة؛ لأن الكفر كله ملة واحدة، لذلك ما أمل النبي أن يعتز بهم يومًا، ومع ذلك لم يظلمهم النبي بل عقد معهم وثيقة المدينة، وكانت معاهدة عادلة بين المسلمين واليهود فلما خانوا ونكثوا العهد وناصبوه العداء لم يكن بدُّ من حربهم والقضاء عليهم.

# رابعًا. إبراهيم الني ما كان يهوديًا ولا نصرانيًا، بلكان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين؛

واليهودية، والنصرانية (۱) لم تتفقا مع الإسلام في الأصول والعقيدة \_ فضلًا عن الفروع \_ فكيف يذكر أن رسول الله يستميل اليهود، ولو حاول الرسول ﷺ أن يفعل ذلك لكان أولى الناس بذلك أهله وعشيرته وقومه من مشركي مكة، ولكن رسول الله ﷺ رفض كل صور الاستهالة التي عرضت عليه من قبل قومه ومن قبل غيرهم.

ولم يلفق النبي الله قصة بناء الكعبة وينسبها إلى إبراهيم وإسهاعيل عليهما السلام، بل هي حادثة ثابتة تاريخيًّا بالتواتر عن العرب وغيرهم من الأمم.

يقول الشيخ محمد الغزالي عن هؤلاء المشككين من المستشرقين: وقد استبدَّ بهم الحماس (٢) في هذا الوهم حتى أفقدهم كل اتزان علمي، فالمستشرق مرجيلوث يري أن الآيات القرآنية التي تحكي مجيء إبراهيم الكيان

انظر: قصص الأنبياء، الشيخ محمد متولي الشعراوي، مرجع سابق.

٢. استبدَّ بهم الحماس: غلبهم فلم يقدروا على ضبطه.

إلى مكة واستيطان ذريته بجوار البيت بعدما بناه هو وابنه إسماعيل آيات مفتعلة دعت إلى افتعالها رغبة الرسول في في تألف اليهود، وإثبات صلة قرابة بينهم وبين العرب؛ لذلك جاء في سورة البقرة وهي مدنية، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَهِكُم رَبِّ اَجْعَلَ هَذَا بَلَدًا عَلِمنًا وَارْزُقُ قَالَ إِبْرَهِكُم رَبِ اَجْعَلَ هَذَا بَلَدًا عَلِمنًا وَارْزُقُ قَالَ المَيْعِيلُ رَبِّ الْخَعِلُ هَذَا بَلَدًا عَلِمنًا وَارْزُقُ فَا لَا يَعْمَلُ وَالْمُورِ اللَّهِ وَالْمُورِ اللَّهِ وَالْمُورِ اللَّهِ وَالْمُورِ اللَّهِ وَالْمُورِ اللَّهِ وَالْمُورِ اللَّهِ وَالْمُورِ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُورُ وَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَال

الثاني: أن العهد القديم الذي يرى هذا المستشرق أنه مقدس أثبت قدوم إبراهيم الكيلا وابنه إلى بلاد العرب، فكيف يقول مستشرق متزن الفكر أن آيات سورة البقرة غير صحيحة، وأنها قيلت استرضاءً لليهود، وأنها تخالف القرآن المكي (١)؟

وعليه؛ فإن ادعاء اليهود أن إبر اهيم الطَّيْلُا كان يهوديًّا، أو أنهم على شريعة إبراهيم الطَّيْلُا وملته، ومثله ادعاء النصارى ومشركي مكة أنهم على شريعة نبي الله

إبراهيم التلك وملته ادعاء باطل ينقضه التاريخ والواقع والعقل، بل ينقضه جهلهم بالحنيفية السمحاء فإنهم لا قبل لهم بالمعرفة بدين إبراهيم التلك ، ومن أين يعلمونه ولا مستند لهم في علمهم بأمور الدين إلا التوراة والإنجيل ؟ وقد نزلا من بعد إبراهيم التلك ، قال تعالى: ﴿ يَتَأَهَّلُ ٱلْكِتَنِ لِمَ تُحَاجُونَ فَتَ إِبْرَهِمَ وَمَا أَنْ لَتَ التَّوَرَاةُ وَالْإِنجِيل ؟ وقد نزلا من بعد إبراهيم التلك ، قال تعالى: ﴿ يَتَأَهَّلُ ٱلْكِتَنِ لِمَ تُحَاجُونَ فَتَ إِبْرَهِمَ وَمَا أَنْ لَتَ التَّوَرَكُ أَنْ أَلَا تَعْقَلُونَ ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَاللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَاللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّه اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

وقوله: ﴿ وَٱللّهَ يُعَلّمُ وَاَسَتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿ الْ عمران ﴾ (آل عمران) يدل على أن الله أخبر في القرآن بأنه أرسل محمدًا الله بالإسلام دين إبراهيم النيلا، وهو أعلم منكم بذلك، ولم يسبق أن امتن عليكم بمثل ذلك في التوراة والإنجيل، فأنتم لا تعلمون ذلك، فلما جاء الإسلام وأنبأ بذلك أردتم أن تنتحلوا هذه المزية، واستيقظتم لذلك حسدًا على هذه النعمة، فنهضت الحجة علىكم (٢).

ويذكر الشيخ الطاهر ابن عاشور في قول اللهتبارك وتعالى: ﴿ مَاكَانَ إِنَرْهِيمُ يَهُودِيّاً وَلَا نَصْرَانِيّاً وَلَلْكِن كَانَ حَنِيفًا مُسَلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿ وَلَا عَمرانَ نتيجة للاستد لال إذ قد تحصحص من الحجة الماضية أن اليهودية والنصر انية غير الحنيفية، إذ لم يؤثر ذلك عن موسى وعيسى - عليها السلام - لم يخبر ا بأنها على الحنيفية، فأنتج أن إبر اهيم الطّين لم يكن على حال الحنيفية، فأنتج أن إبر اهيم الطّين لم يكن على حال

التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٣، ج٣، ص٢٧١ وما بعدها.

دفاع عن العقيدة ضد مطاعن المستشرقين، محمد الغزالي،
 مرجع سابق، ص ٣٠.

اليهودية أو النصرانية، إذ لم يؤثر ذلك عن موسى ولا عيسى عليها السلام -، فهذا سنده خلو كتبهم عن ادعاء ذلك، وكيف تكون اليهودية أو النصرانية من الحينفية مع خلوها من فريضة الحج، وقد جاء الإسلام بذكر فرضه لمن تكمن منه.

ومما يؤيد هذا ما ذكره الإمام ابن عطية في تفسير قوله تعالى في هذه السورة: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدِ مِنْهُمْ وَكَمَٰنُ لَهُ مُسَلِمُونَ ﴿ الْبَقرة عن عكرمة قال: لما نزلت الآية قال مُسَلِمُونَ ﴿ الْبَقرة عن عكرمة قال: لما نزلت الآية قال الله أهل الملل: قد أسلمنا قبلك، ونحن المسلمون، فقال الله له: فحجهم يا محمد وأنزل الله: ﴿ وَلِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ السّنَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (آل عمران: ٩٧) فحج المسلمون وقعد الكفار، ثم تمم الله ذلك بقوله: ﴿ وَمَاكَانَ اللهِ مِنَ المُشْرِكِينَ ﴿ اللهِ مَالِهُ فَلِكَ بِقُولِهِ عَلَى الفرق الثلاث.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَنكِن كَاتَ حَنِيفًا مُسَلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُسْرِكِينَ ﴿ الله عمران الله الاستدراك بعد نفي الضد حصرًا لحال إبر اهيم العَيْن في ايو افق أصول الإسلام؛ لذلك بين "حنيفًا "بقوله: ﴿ مُسَلِمًا ﴾؛ لأنهم يعرفون معنى الحنيفية ولا يؤمنون بالإسلام، فأعلمهم أن الإسلام هو الحنيفية، وقال: فنفي عن إبر اهيم العَيْنِ موافقة اليهودية، وموافقة النصر انية، وموافقة المشركين وأنه كان مسلمًا فثبتت موافقته الإسلام (۱).

وبذلك يتبين أن الانتساب إلى إبراهيم الني للم يكن تقربًا من اليهود؛ لأن إبراهيم الني للم يكن يهوديًا كما ادعى هؤلاء المغرضون بقولهم "يهودية إبراهيم"، بل

كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين <sup>®</sup>.

## خامسًا. العرب لم يُرسل إليهم رسول منذ أن تحققت قوميتهم:

أما استدلالهم بقوله ﷺ: ﴿ لِتُنذِرَ قُومًا مَّا أَتَنهُم مِن نَّذِيرِ مِن قَبْلِكَ ﴾ (السجدة: ٣) وغيرها من الآيات \_على إنكار صلة إبراهيم وإسباعيل \_عليها السلام \_ بالعرب؛ فباطل إذ لو كانا رسولين إلى العرب لتناقض ذلك مع هذه الآية التي تخبر بأن العرب لم يأتهم نذير من قبل محمد ﷺ، حسب توهمهم.

والحقيقة أن هذه الآية الكريمة ونظائرها مثل قول الله تعالى في سورة يس : ﴿ لِلْنَذِرَقَوْمَامَاۤ أَنْذِرَءَابَاۤ وُهُمُّ عَنفِلُونَ ﴿ إِنَ الله الله العرب المعاصرين لرسالة النبي محمد ﴿ وآباءهم إلى جدهم الأعلى لم يأتهم نذير، أما رسالة إسماعيل العَيْنُ فكانت خاصة في أهله وأصهاره من جرهم، ولم يكن مرسلًا إلى من بعده فتوقفت رسالته بموته، وكذلك أسلاف هؤلاء العرب مثل قوم عاد وثمود الذين أتتهم الرسل، فقد كان ذلك قبل أن تتحقق قومية خاصة بهم، وبذلك يسقط استدلالهم بهذه الآية على نفي رسالة إسماعيل وإبراهيم وإسماعيل وبنائها الدليل قائم على رسالة إبراهيم وإسماعيل وبنائها الدليل قائم على رسالة إبراهيم وإسماعيل وبنائها

١. المرجع السابق، ص٢٧٤، ٢٧٥ بتصرف.

<sup>®</sup> في "حقيقة دين إبراهيم اللي وأنه كان حنيفًا مسلمًا" طالع أيضًا: الوجه الرابع، من الشبهة الثلاثين، من الجزء الحادي عشر (سلامة القرآن الكريم). وفي "ردّ القرآن الكريم على ادعاء أن إبراهيم اللي كان يهوديًا أو نصرانيًّا" طالع: الشبهة الثامنة والخمسين، من الجزء الأول (الشبهات التي تولى القرآن الرد على ال

البيت في القرآن والتوراة، فمعنى الآية: ﴿ لِتُنذِرَقُومًا مَا الله الله عَلَمُ الله الله الله مَن نَذيرِ مِن قَبْلِك ﴾ منذ أن تحققت قوميتهم بعد انقضاء رسالتي إسماعيل وإبراهيم عليهم السلام -.

يقول ابن عاشور في تفسير آية سورة يس: ﴿ لِلْنَذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ عَنْفِلُونَ ﴿ اللهِ والقوم الموصوفون بسأنهم لم تنذر آبساؤهم: إما العسرب المعدّنانيُّون (١) فإنهم مضت قرون لم يأتهم فيها نذير، ومضى آباؤهم لم يسمعوا نذيرًا، وإنها يُبتدأ عد آبائهم من جدهم الأعلى في عمود نسبهم الذي تميزوا به جذمًا وهو عدنان؛ لأنه جدُّ العرب المستعربة، أو أريد أهل مكة مكة، وإنها باشر النبي الله في ابتداء بعثته دعوة أهل مكة وما حولها، فكانوا هم الذين أراد الله أن يتلقوا الدين وأن تتأصل منهم جامعة الإسلام.

ثم كانوا هم حملة الشريعة وأعوان الرسول ﷺ في تبليغ دعوته وتأييده، فانضم إليهم أهل يشرب وهم قحطانيون فكانوا أنصارًا، ثم تتابع إيمان قبائل العرب(٢).

ثم يوضح الشيخ ابن عاشور هذه المسألة ويفصلها ويبين المراد منها أو الغرض الذي سيقت له، وذلك عندما يفسر قوله تعالى: ﴿ لِتُنذِر قَوْمًا مَّا أَتَنهُم مِّن نَّذِيرٍ مِن قَبِلِكَ لَعَلَّهُم يَهْتَدُونَ ﴿ لِأَنْذِر فَوَمًا مَّا أَتَنهُم مِّن نَّذِيرٍ وصف القوم بأنهم: ﴿ مَّا أَتَنهُم مِّن نَذِيرٍ ﴾ قبل رسول الله ﷺ، والنبي حينئذ يدعو أهل مكة ومن حولها إلى

الإسلام وربها كانت الدعوة شملت أهل يثرب وكلهم من العرب، فظهر أن المراد بالقوم العرب الذين لم يأتهم رسول قبل محمد على فإما أن يكون المراد قريشًا خاصة، أو عرب الحجاز أهل مكة والمدينة وقبائل الحجاز، وعرب الحجاز جذمان عدنانيون وقحطانيون؛ فأما العدنانيون فهم من ذرية العدنانيون فهم أبناء عدنان وهم من ذرية وهم مضر، وربيعة، وأنهار، وأياد، وهؤلاء لم يأتهم رسولٌ منذ تقومت قوميتهم.

وأما جدهم إساعيل بن إبراهيم - عليها السلام - فإنه وإن كان رسولًا نبيًّا كما وصفه الله في سورة مريم، فإنها كانت رسالته خاصة بأهله وأصهاره من جرهم ولم يكن مرسلًا إلى الذين وجدوا بعده؛ لأن رسالته لم تكن دائمة ولا منتشرة، قال في: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ رُبِاً لَصَّلَوْقِ وَٱلزَّكُوةِ ﴾ (مريم: ٥٥).

وأما القَحْطانيُّون (٢) القاطنون (١) بالحجاز مثل الأوس والخزرج وطيء، فإنهم قد تغيرت فرقهم ومواطنهم بعد سيل العرم، وانقسموا أقوامًا جُددًا، ولم يأتهم نذير منذ ذلك الزمن، وإن كان المنذرون قد جاءوا أسلافهم مثل هود وصالح وتُبع، فذلك كان قبل تقوُّم قوميتهم الجديدة.

وإما أن يكون المراد العرب كلهم بما يشمل أهل اليمن واليامة والبحرين وغيرهم ممن شملتهم جزيرة العرب وكلهم لا يعدون أن يرجعوا إلى ذَيْنِك

٣. القَحْطانيُّون: هم العرب المنحدرة من صُلْب يَعْرُب بن يشحب ابن قحان، وتسمى "بالعرب العادية"، وهم عرب الجنوب، مهدها بلاد اليمن.

٤. القاطنون: الساكنون.

العَدْنانيُّون: هم العرب المنحدرة من صُلْب إسماعيل الطَّكَالاً،
 ويُسمَّون بالعرب المستعربة، وهم عرب الشمال.

التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج١١، ج٢٢، ص٣٤٨.

الجِذْمَين (۱)، وقد كان انقسامهم أقوامًا ومواطن بعد سيل العرم، ولم يأتهم نذير بعد ذلك الانقسام كها تقدم في حال القحطانيين من أهل الحجاز، وأما ما ورد من ذكر حنظلة بن صفوان صاحب أهل الرَّسّ، وخالد بن سنان صاحب بني عَبْس فلم يثبت أنهما رسولان واختلف في نبوتها، وقد روي أن ابنة خالد بن سنان وفدت إلى النبي وهي عجوز، وأنه قال لها: "مرحبًا بابنة نبي ضيّعه قومه"، وليس لذلك سند صحيح، بابنة نبي ضيّعه قومه"، وليس لذلك سند صحيح، وذكره الإمام الذهبي في ميزان الاعتدال (٨/ ٢٢١) وقال: لا يصح هذا، ويرد عليه الحديث الصحيح: "أنا وقال: لا يصح هذا، ويرد عليه الحديث الصحيح: "أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم ليس بيني وبينه نبي "(۲).

وأيًا ما كان فالعرب كلهم أو الذين شملتهم دعوة الإسلام يومشذ يحق عليهم وصف ﴿ مَاۤ أَتَلَهُم مِّن لَيْرِ ﴾ من وفت تحقق قوميتهم.

والمقصود به تذكيرهم بأنهم أحوج الأقوام إلى نذير، إذ لم يكونوا على بقية من هُدى وإثارة هممهم، لاغتباط أهل الكتاب ليتقبلوا الكتاب الذي أنزل إليهم ويسبقوا أهل الكتاب إلى اتباعه فيكون للمؤمنين منه السبق في الشرع الأخير كها كان لمن لم يُسلم من أهل الكتاب السبق ببعض الاهتداء وممارسة الكتاب السانة (٣).

وهناك رأي آخر في توجيه هذه المسألة وهو أن قوله

تعالى: ﴿ مَّا أَتَنهُم مِن نَذيرِ مِن فَبْكِ ﴾ أي ما أرسلنا نذيرًا أو رسولًا شرع لهم هذه الشرائع السركية التي يشركون بها مع الله تعالى آلهة أخرى؛ يقول عبد الوهاب النجار: كان دين كثير من العرب عبادة الأوثان، وكان لهم قرابين يقدمونها إليها وقد سَيَبوا السَّوائب (ئ) وبحَروا البحائر (٥) ووصَلوا الوَصِيلة (١) وسنُّوا لهم قواعد ما أنزل الله بها من سلطان؛ فجاء محمد الله لينذر هؤلاء القوم الذين يدعون أنهم على دين، وأن الله قد أمرهم بها هم عليه، مع أن الله ما أرسل إليهم نذيرًا شرع لهم هذه الشرائع الباطلة؛ لأنهم كانوا إذا ظلموا أنفسهم بشرائعهم الباطلة، قالوا: وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها \_ وقد ناقشهم الله في ذلك ورد عليهم في غير موضع من القرآن كقوله: ﴿ إِنَ اللهَ لَا يَأْمُنُ وَلَا يَعْدِمُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا يَعْمَلُونَ اللهِ مَا لَا يَعْمَلُونَ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ الله

وفي سورة الصافات بعد أن ذكر دعاوى الوَثَنِيِّين (٧) بقوله تعالى: ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَتِكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُوكِ
﴿ اللَّهُ اللَّهُ الْمُلَمِّكَةَ إِنَّنُنَا وَهُمْ شَنِهِدُونَ ﴿ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَإِنَّا اللَّهُ مَنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿ اللَّهُ وَلِنَا اللَّهُ وَإِنَّا اللَّهُ مَنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿ اللَّهُ وَلِنَا اللَّهُ وَلِنَا اللَّهُ وَلِيَا اللَّهُ مَنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿ اللَّهُ وَلِلَّهُ اللَّهُ وَلِيَامُ اللَّهُ وَلِيَامُ اللَّهُ اللللللَّا الللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الل

١. ذَيْنِك الجِذْمَين: هذين الفرعين لعدنان.

أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى المنافئة
 عيسى المنفئة (٦٢٨٠).

التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق،
 مج ۱، ج ۲۱، ص ۲۰۹، ۲۱۰ بتصرف.

سيّبوا السّوائب: تركوها دون ركون، لا يُخلَب لبنها إلا لضيف، وتركوها للأصنام، والسوائب: الناقة التي تنتج عشرة أبطن من الإناث.

٥. بحَّروا البحائر: الناقة التي تلد خمسة أبطن آخرها ذَكَر كانوا يبحرون \_يشقُّون \_أذنها، ويخلون سبيلها، فلا تُركب ولا تُحلب، ولا يُحمل عليها شيء.

٦. وَصَلوا الوَصِيلة: وهي الشاة التي إن ولدت أنثى فهي لهم،
 وإن ولدت ذَكرًا فهو لآلهتهم، وإن ولدت ذكر وأنثى معًا قالوا:
 وصلت الأنثى أخاها، فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم.

٧. الوَثَنِيُون: هم الذين يعبدون الأوثان؛ أي: التهاثيل من خشب أو حجر أو نحاس أو فضة أو غير ذلك.

والتضعيف المنات على المنات الفي هذه الآيات الكريمة من الأنباء عن السخط العظيم والإنكار الفظيع لأقاويلهم، والمنتخب الأنباء عن السخط العظيم والإنكار الفظيع لأقاويلهم، والتضعيف لعقولهم، واتهامهم مع الاستهزاء بهم، وفي قوله: ﴿ فَأْتُوا بِكِنَابِكُرُ إِن كُنُمُ صَادِقِينَ الله ﴿ الصافات )؛ أي الناطق بصحة دعواكم، والأمر فيه للتعجيز وإضافة الكتاب إليهم للتهكم، وفي قوله: ﴿ أَمْ لَكُرُ سُلُطُنُ مُبِيتُ الله الكتاب إليهم للتهكم، وفي قوله: ﴿ أَمْ لَكُرُ سُلُطَنُ مُبِيتُ الله الله الله الله الله الله الله عنه المناقب المناقب

فالمعنى في هذه الآيات مثله في قول الله تعالى: ﴿ قُلْ الْرَعَيْتُمُ مَّا لَدَّعُونَ مِن دُونِ اللّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَمُمّ فَرَدُ فِي السَّمَوَتِ النّافُونِي بِكِتَبِ مِن قَبْلِ هَلْذَا أَوْ أَثْلَرَوْ مِن فِي السَّمَوَتِ النّافُونِي بِكِتَبِ مِن قَبْلِ هَلْذَا أَوْ أَثْلَرَوْ مِن عِلْمِ إِن كُنتُم صَلِيقِين ﴿ الْاحقاف: ٤) تبكيت لهم بتعجيزهم عن الإتيان بسند نقيلي بعد تبكيتهم بالتعجيز عن الإتيان بسند عقلي، فهو من جملة القول؛ أي: ائتوني بكتاب إلهي كان من قبل هذا الكتاب أي القرآن بكتاب إلهي كان من قبل هذا الكتاب أي القرآن الناطق بالتوحيد وإبطال الشرك دال على صحة دينكم، أو أثارة من علم - أي: بقية علم بقيت عندكم من علوم الأولين عشاهدة باستحقاقهم العبادة؟! وهكذا كل آية وردت في هذا المعني (۱).

١. قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، مرجع سابق، ص٩٩،

وبهذا يتبين بطلان الاستدلال بقوله تعالى: ﴿ مَا اَتَهُم مِن نَذِيرِ مِن قَبَلِك ﴾ على قطع الصلة بين العرب وأبيهم إساعيل وجدهم إبراهيم عليها السلام - الأنه لا ينفي رسالتها بل معناه: ما أتاهم من نذير من قبلك بعد أن تحققت قوميتهم من بعد انقضاء رسالة إساعيل الحيل الخاصة بأهله وأصهاره، أو ما أتاهم من نذير ؟ أي رسول شرع لهم تلك الشرائع الباطلة قبلك يا محمد بل اخترعوها من أنفسهم وبوحي من شياطينهم.

#### الخلاصة:

• الادعاء أن قصة الخليل إبراهيم وابنه إساعيل وصلتها بالعرب وبناء البيت لم تذكر إلا في القرآن المدني تَقربًا لليهود واستهالة لهم بعد فشل الاعتهاد عليهم في مكة والاستناد إلى قوله على: ﴿ لِتُنذِرَ فَوْمًا مَّا أَتَنهُم مِن نَّذِيرٍ مِن قَبْلِك ﴾ (السجدة: ٣) في قطع صلة إبراهيم وإسهاعيل عليهها السلام - بالعرب وأنها لم يرسلا إليهم... هذا الادعاء باطل ومردود من وجوه:

 أن هذه القصة واردة في القرآن المكي بسورة إبراهيم المكية في الآيات من (٣٥ إلى ٤١) فكيف يُفْترى كذبًا خلو القرآن المكي من ذلك؟!

o قطع صلة إبراهيم وإساعيل - عليها السلام - بالعرب يكذبه التاريخ وسلسلة نسب العرب المحفوظة في التاريخ أيضًا، وهذا القطع فكرة شيطانية تهدم التوراة قبل أن تُسييء إلى القرآن؛ لأن التوراة ذكرت صلة إبراهيم بإساعيل - عليها السلام -، وأن إبراهيم هو جد قبائل عربية عدة.

o لم يكن بمكة يهود حتى يحاول النبي ﷺ أن يعتمد

عليهم، وهل يعقل أن يحاول النبي الله أن يتقرب إلى اليهود في المدينة بعدما خذلوه واتخذوا حياله خطة عداء بمكة حسبا يزعمون.

٥ كيف يحاول النبي ﷺ أن يتقرب إلى اليهود بالمدينة والقرآن المدني يحذره خطرهم وغدرهم وخدهم وخيانتهم؟ بل جاء في سورة المائدة المدنية: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّالُنَاسِ عَذَوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ الْمَيَهُودَوَالَّذِينَ الشَّرَكُواْ ﴾ (المائدة: ٢٨).

ما كان إبراهيم النَّكِين يهوديًّا ولا نصرانيًا حتى يتمسحوا به، أو يكون الحديث عنه والانتساب إليه تقربًا إليهم، بل كان حنيفًا مسليًا وما كان من المشركين والأدلة على ذلك كثيرة منها:

أن كتبهم لم تذكر أن إبراهيم النَّكِين كان يهوديًا أو نصرانيًا ولم تأمرهم باتباع ملته.

أنهم لا يهارسون كثيرًا من شعائره كالحج، ولا توجد في كتبهم مثل هذه الشعائر فكيف يدعون موافقته؟!

o أن اليهودية والنصرانية كانتا بعد إبراهيم الكين فالتوارة أنزلت على موسى الكين وهو من نسل يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، فكيف ينسب إبراهيم الكين إليها وهل يعقل أن ينسب الأصل إلى الفرع؟!

أن القرآن الكريم ذكر أن إبراهيم النف كان حنيفًا مسلمًا بل هو أول المسلمين وأمر المسلمين باتباع ملته وقرر عليهم معظم شرائعه، ومنها الحج.

قوله تعالى: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَنهُم مِن نَّذِيرٍ مِن
 قَبْلِكَ ﴾ لا ينفي رسالة الخليل إبراهيم و ابنه إساعيل

عليهما السلام \_ وبالتالي نفى علاقتهما بالعرب كما يدَّعي هؤلاء، وإنها معناه: لتنذر قومًا ما أتاهم من نذير من قبلك بعد أن تحققت قوميتهم وذلك بعد انقضاء رسالة إسماعيل الخاصة بأهله وأصهاره.

أو معناه لتنذر قومًا ما أتاهم من نذير أي رسول قبلك شرَّع لهم تلك الشرائع الشركية وإنها اخترعوها من تلقاء أنفسهم وبوحي من شياطينهم.

## AND DES

# الشبهة الثانية والعشرون

# الزعم أن إبراهيم النيلا شكَّ في قدرة النعم الله على إحياء الموتى (\*)

#### مضمون الشبهة:

يزعم بعض المتوهمين وقوع السلك في قلب سيدنا إبراهيم التَّلِيَة حين سأل ربه عن كيفية إحياء الموتى؛ ليطمئن قلبه، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَهِمُ لَيُطَمئن قلبه، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَهِمُ لَيْ وَلَكِن رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُوْمِن قَالَ بَالَى وَلَكِن رَبِ أَرِنِي كَيْفَ تُحْي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُوْمِن قَالَ بَالَى وَلَكِن لِيَطَمَينَ قَلْبِي ﴾ (البقرة: ٢٦٠). ويتساءلون: كيف يصدر ذلك عن نبي من أنبياء الله؟ قاصدين بذلك النيل من عصمة إبراهيم المَلِين .

## وجه إبطال الشبهة:

نبي الله إبراهيم الله لم يشك في قدرة الله تبارك وتعالى على إحياء الموتى، ولكن سأل عن الكيفية فقط؛ ليصل بها من علم اليقين إلى عين اليقين.

<sup>(\*)</sup> عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق.

#### التفصيل:

إبراهيم الليه للم يشك في قدرة الله على إحياء الموتى، ولكن سأل عن الكيفية فقط؛ ليصل بها من علم اليقين إلى عبن اليقين:

لقد عصم الله تبارك وتعالى أنبياءه ورسله من كيد الشيطان ووساوسه التي قد تنال من عمق إيانهم ودرجة قربهم من الله تبارك وتعالى ومن أشهرهم سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء الطّيّلا كها أخبر القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ إِبْرَهِيمَ كَانَ أُمّنَةً قَانِتًا يَلَةٍ حَنِيفًا وَلَرْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اللهُ شَاكِيرَ الْمُشْرِكِينَ اللهُ وَهَدَنهُ إِلَى صِرَطٍ مُسْتَقِيمٍ اللهُ النحل).

وقوله "أمة "أي قدوة إمامًا مهتديًا داعيًا إلى الخير، يُقتدى به: ﴿ قَانِتًا لِللّهِ ﴾ أي خاشعًا له في جميع حالاته وسكناته ﴿ حَنِيفًا ﴾ أي مخلصًا على بصيرة ﴿ شَاكِرُا لِأَنْفُهِ ﴾ (النحل: ١٢١) أي قائمًا بشكر ربه بجميع جوارحه من قلبه ولسانه وأعماله؛ فكيف بمن هذا حاله، أيسك في قدرة المولى ﷺ على إحياء الموتى؟!!

وكيف يشك في هذا الأمر، وقد حاج طاغية عصره في هذه القضية، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَهِمُ رَبِّى ٱلَّذِى يُحْيءو يُعِيتُ قَالَ إِبْرَهِمُ فَإِنَ ٱللَّهَ يَأْتِي يُعْيءو يُعِيتُ قَالَ إِبْرَهِمُ فَإِنَ ٱللَّهَ يَأْتِي يَامِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهُتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِالشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَامِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهُتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّلِمِينَ ﴿ اللَّهَ مِن اللَّهِ اللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّلِمِينَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ على جهل فكيف يسوغ لمن حاج خصمه بقضية الإحياء والموت، فكيف يسوغ لمن حاج خصمه بقضية الإحياء والموت، أن يشك فيها بعد ذلك؟! ألا يدل ذلك على جهل أن يشك فيها بعد ذلك؟! ألا يدل ذلك على جهل هؤلاء المدعين وكذبهم على أنبياء الله تعالى؟! إن الخليل إبراهيم الطَيْلُ لا يتكلم في الإحياء، وإنها كان شكه في أن

الله سبحانه قد لا يستجيب لطلبه في أن يريه ويطلعه على كيفية إحياء الموتى، ولنضرب مثالا على ذلك، ولله المثل الأعلى. إن الواحد منا يقول للمهندس: كيف بنيت هذا البيت؟ إن صاحب السؤال يشير إلى حدث وإلى محدث وهو البيت الذي تم بناؤه. فهل معرفة الكيفية تدخل في عقيدة الإيهان؟ لا. إذن فالاطمئنان جاء لمراد في كيفية مخصوصة تخرجه من متاهات كيفيات مقصورة ومتخيلة (۱).

واستنادًا إلى ما سبق فقد كان سوال إبراهيم النيكان عن كيفية إحياء الموتى، وكيفية جمع الأجزاء لا عن الإحياء نفسه، فإنه ثابت ومقرر، ويدل على ذلك وقوع السوال بكيف التي تسأل عن الهيئة والكيفية، والإنسان يؤمن بها لا يعرف كيفيته، وفي فطرته الرغبة في استكناه أشياء هو مؤمن بها، ولكنه يود لو يقف على أسرارها وخفاياها، وطلب الخليل النيكان رؤية كيفية إحياء الموتى من هذا القبيل، فهو طلب للطمأنينة فيها تنزع إليه نفسه من معرفة خفايا أسرار الربوبية، لا طلب للطمأنينة في أصل الإيهان بالبعث، الذي عرفه بالوحي والبرهان، دون المشاهدة والعيان (٢).

فالمعرفة التفصيلية أقوى وأرسخ من المعرفة الإيهانية المُفضِية إلى (٢٠) التردد بين الكيفيات المتعددة مع الطمأنينة إلى القدرة على الإحياء.

يقول الشيخ محمد عبده في قوله تعالى لخليل

۱. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مرجع سابق، ج٢،
 صَ١١٣٩، ١١٤٠ بتصرف.

عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص٢٨٢.

٣. المُفْضِية إلى: المُؤدِّية إلى.

إبراهيم الطّنِينَ: ﴿ أُولَمْ تُوْمِن ﴾ وهو أعلم بإيمانه ويقينه إرشاد إلى ما ينبغي للإنسان أن يقف عنده، ويكتفي به في هذا المقام، فيلا يتعداه إلى ما ليس من شأنه، كأنه يقول: إن الإيمان بهذا السر الإلهي، والتسليم فيه لخبر الوحي، ودلالته، وامتثاله هو منتهى ما يطلب من البشر، فلو كان وراء الإيمان والتسليم مطلع لناظر لبينه الله تعالى لك، وفي هذا الإرشاد لخليل الرحمن المناهنة تأديب للمؤمنين كافة، ومنع لهم عن التفكر في كيفية التكوين وإشغال العقول بها استأثر الله تعالى به، فيها لا يليق بهم البحث عنه (١).

إذن، فالسؤال ليكف الفكر عن تخيل كيفيات الإحياء؛ إذ تتعين عنده كيفية إحياء الموتى (٢).

ذلك، وقد وردت في الآية أقوال عديدة، تنفي المشك عن إبراهيم الطيلا، وأول هذه الأقوال قول النبي النبي النبي المحت أحق بالشك من إبراهيم، إذ قال: رب أرني كيف تحيي الموتى... "(").

والحديث ينفي الشك عن إبراهيم العلا؛ حيث إن النبي الله لل سمع من يقول: إن إبراهيم العلا شك، وعمد الله لم يشك؛ فرد عليهم بهذا الحديث، أي: إذا لم نشك نحن، فإبراهيم أولى ألا يشك.

فالسوال كان لزيادة الإيان واليقين؛ لأن درجاته تتفاوت بالمعاينة، (٤) ينتقل الإنسان فيه من علم اليقين إلى عين اليقين، والعلم ينقسم إلى ضروري وهسو الحاصل من غير استدلال طهوره ونظري يتوقف على نظر واستدلال لكونه غير بَدَهِي (٥)، والشك ممتنع في النضروري، ولاشك ممتنع في النضروري، وليس ومحتمل في النظري، وقد أراد الخليل أن ينتقل من النظري إلى الأعلى منه وهبو النضروري. وليس معنى هذا أن إبراهيم المناهي وقع منه شك في علمه النظري، بل إن النظري من حيث هو يجوز جريان الشك عليه، وفرق بين الشك وجوازه (٢).

وبهذا يتبين لنا أن سؤال إبراهيم الكلاعين كيفية إحياء الموتى كان من أجل أن ينتقل من علم اليقين، الذي يؤمن به إيهانًا لا شك فيه ولا تردد إلى عين اليقين الذي يزيد القلب اطمئنانًا بها يراه ويشاهده.

#### الخلاصة:

لم يسشك سيدنا إبراهيم النفية في قسدرة الله الله على إحياء الموتى، ولكنه أراد أن يتحوَّل من علم اليقين الذي أوحاه الله على إليه إلى عين اليقين وهو ما تراه العين وتشاهده، حتى يرداد القلب اطمئنانًا على ما به من إيان، وكيف يشك إبراهيم العين في إحياء الله الموتى، وقد حاج الملك

۱. تفسیر المنار، محمد رشید رضا، دار المعرفة، بسیروت، ط۲، د. ت، ج۳، ص۰۳، ۵۶.

عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص٢٨٣.

٣. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله ﷺ:
 ﴿ وَنَبِنَتْهُمْ عَن ضَيْفٍ إِنْزِهِمَ ﴿ ﴿ ﴾ (الحجر) (٣١٩٢)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ (٢٢٩١).

٤. المعاينة: رؤية بالعين لا شك فيها.

٥. البكرهِي: الطبيعي.

٦. عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق،
 ص ٢٨١، ٢٨٢.

وبرهن له على قدرة الله \_ تبارك وتعالى \_ على كل شيء ومنها إحياء الموتى، فكيف يحاجج الملك بها يشك فيه؟! إن هذا إن دل فإنها يدل على كذبهم في دعواهم وافترائهم على أنبياء الله تبارك وتعالى ورسله الكرام، الذين عصمهم الله في عقولهم وقلوبهم وأجسامهم.

#### ades V

## الشبهة الثالثة والعشرون

## إنكاروجود إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام (\*)

## مضمون الشبهة:

ينكر بعض المتوهمين وجود إبراهيم وإسماعيل -عليها السلام - ويزعمون أن ورود قصتها واسميها في التوراة والإنجيل والقرآن، لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي.

### وجها إبطال الشبهة:

إنكار وجود إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام،
 لا دليل عليه، وهو مناقض للعقل، وللمنهج العلمي.

٢) اتفاق الكتب السابقة والقرآن على ذكر قصة إبراهيم وإسماعيل المنه يُعَدُّ دليلًا قاطعًا على وجودهما الأن ذلك من قبيل المتواتر الذي لا يقبل التواطئو(١) على الكذب، ولأن هناك أحداثًا لا يعرفها الإنسان إلا عن طريق الوحي الإلهي.

#### التفصيل:

## أولا. إنكار وجود إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، لا دليل عليه، ومُناقض للعقل، وللمنهج العلمي:

إن إنكار وجود إبراهيم وإسماعيل عليها السلام عهو إنكار لجزء من الدين، وهو بِدْعَة (٢) كانت شائعة في القرن التاسع عشر، فقد كان الغالب في ذلك القرن أن التواريخ الدينية لا تصلح أن تكون أساسًا للتواريخ العلمية.

وهذا الانطباع السَّائد<sup>(٣)</sup> آنذاك قد تغير في معيار البحث الحديث؛ لأنه مناقض للعلم نفسه، عدا ما هو ظاهر من مناقضة للدين، فقد ثبت اليوم أن الأخبار الدينية سبقت المباحث الحفرية والمقارنات العلمية إلى تقرير أحكام التاريخ، التي صحت في رأي المتأخرين بالبراهين الحديثة.

وعلى أننا إذا سلّمنا \_ جدلًا \_ بأن إبراهيم وإسماعيل \_ عليها السلام \_ ليسا هما اللـذين رفعا قواعد البيت الحرام وأن قصة مجيئهما إلى أرض العرب ليست حقيقة فمن الذي رفع قواعد البيت؟! وإلى من تنسب قبائل العرب؟! إن الذي ينكر أمرًا لا بد أن يعلل الأسباب التي من أجلها أنكر ذلك الشيء، والذي ينفي عن زيد القيام بعمل ما وآثاره موجودة في الواقع لا بد أن يثبته لعمرو وإلا كان كلامًا وادعاءً بلا حق... ثم إننا نسأل أيضًا إلى من تنسب العرب العدنانيون والقحطانيون إذا أيكونوا أبناء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام؟!

<sup>(\*)</sup> موقع الكلمة. www.alkalema.net

١. التَّواطُو: الاتفاق.

٢. البِدْعَة: كل حادث لم يوجد في الكتاب والسُّنَّة، سواء أكان في العادات أم في العبادات، وسواء أكان مذمومًا أم غير مذموم.

٣. السائد: المنتشر.

إن هذا الادعاء مجرد زعم لا دليل عليه، وليس كل من ينكر شيئًا، أو يـشكك فيـه، يُقبِـل منـه إنكـاره وتشكيكه.

ثانيًا. اتفاق الكتب السابقة مع القرآن على ذكر قصة إبراهيم وإسماعيل يُعدُّ دليلا قاطعًا على وجودهما، وأن هناك أحداثًا لا يستطيع الإنسان معرفتها إلا عن طريق الدين:

لو سلمنا بهذا الزعم، وهو عدم وجود سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليها السلام والقول بأسطورية قصتها؛ لأنكرنا وقياسًا على ذلك كثيرًا من الحقائق التي لا مصدر لها إلا الدين، مثل خلق آدم الكيلا، وحياته، وخلق الكون، وتفاصيل الأمم التي لا يعرف التاريخ عنها شيئًا إلا عن طريق الدين.

واتفاق الكتب الدينية، التي بأيدي أتباع الملل اليوم على ذكر إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام -، مهما اختلفت في بعض التفاصيل، وتناقُل الأتباع والأمم قصتهما عبر الأجيال - ينهض دليلًا قاطعًا على وجودهما؛ لأن ذلك من قبيل المتواتر الذي لا يقبل التواطُؤ على الكذب فيه عادة، فهو أشبه بثبوت البلدان النَّائية (1) عند من لم يرها.

من اليقين لدى المؤمن أن الرسول الله لم يتقوّل القرآن الكريم، وأن القرآن لم يختلق قصص السابقين: ﴿ لَقَدْ كَاكَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِلْأُولِي ٱلْأَلْبَابُ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفَتَرَك وَلَكِن تَصَدِيقَ ٱلّذِي بَيْنَ يَكَذَيْهِ وَتَفْصِيلَ كَلَّ لِشَيْء وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمِ يُؤْمِنُونَ ﴿ ﴾ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْء وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمِ يُؤْمِنُونَ ﴿ ﴾ (سف).

١. النَّائية: البعيدة.

بل ذكرها آية على صدق النبي على قال تبارك وتعالى: ﴿ تِلْكَ مِنَ أَبُاكِهِ الْغَيْبِ نُوحِيهَ ٓ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعَلَمُهَاۤ أَنتَ وَلَا فَوَمُكُ مِن قَبْلِ هَنَدُا فَأَصْبِرُ إِنَّ الْعَنقِبَةَ لِلْمُنَقِينَ ﴿ فَكُ مِن قَبْلِ هَنَدُا فَأَصْبِرُ إِنَّ الْعَنقِبَةَ لِلْمُنَقِينَ ﴾ (هود)، وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءَ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمُ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَكُرُونَ ﴿ وَهُمْ يَكُرُونَ ﴾ (بوسف) فالقول بأن قصة أي نبي - بها في ذلك زعمهم أن قصة إبراهيم وإسهاعيل عليهها السلام - أسطورة ينطوي على ابراهيم وإسهاعيل عليهها السلام - أسطورة ينطوي على اتهام صريح للقرآن بأنه يتضمن ما لا حقيقة له، ويُعدُّ هذا من قبيل مشاركة الكفار في كفرهم؛ إذ قالوا: ﴿ إِنْ هَذَا لَا اللَّهُ النَّالِيُ الْأَوْلِينَ ﴾ (الأنمام) (٢).

وحاشا لكتاب الله أن يكون كذلك، بل هـو تنزيـل من رب العالمين.

يقول الشيخ الغزالي عمن ادعى أن حادثة وجود إبراهيم وابنه إساعيل على السلام وابسلام وابسلام وعنده أن اليهود الذين استوطنوا بلاد العرب اخترعوها قبيل الإسلام أو بعده، وهو يرى في اختراعهم لها نوعًا من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب، وبين الإسلام واليهودية، وبين القرآن والتوراة... وعنده أن هذه الأسطورة غير مأذون لها أن تدخل دائرة التاريخ وإن شفع لها التوراة والزبور والإنجيل والقرآن الكريم!! إذ نحن إذ رجعنا إلى التوراة نجدها تتحدث عن إبراهيم وإسهاعيل عليها السلام وبني إسهاعيل في الإصحاح الخامس العشرين من سفر التكوين، وفي الإصحاح الأول من أخبار اليوم الأول، وهذان الموضعان من التوارة لا سيها أخبار اليوم الأول، وهذان الموضعان من التوارة لا سيها

٢. قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، مرجع سابق، ص ١٤٢.

الأول منهما من أقدم أسفار التوراة لأنهما معاصران لموسى الطّي اللّي .

فهل يتفضل علينا صاحب هذا الافتراء على العلم فيخبرنا كيف تَسنَّى (1) لهولاء الدساسين من اليهود الذين استوطنوا بلاد العرب أن يدسوا هذه الأسطورة قبيل الإسلام أو بُعيد الإسلام في أسفار منسوبة إلى عصر أقدم من الإسلام بأزمان كثيرة جدَّا؟! وكيف دسوا هذه الدسيسة في التوراة وهم في يثرب أو في خيبر أو في غيرهما من بلاد العرب، ولم يشعر بهم سائر يهود العالم (٢)؟!

#### الخلاصة:

من المعلوم أن عدم وجود مؤرخ يكتب قصة إبراهيم وإسهاعيل عليها السلام ، لا ينفي أنها موجودة في سجل الحياة؛ فإنَّ الجد الذي يكمل العشرة من أجدادي، لم أعلم اسمه ولم يسجله تاريخ، فهل معنى ذلك أنه ليس لي جد عاشر؟ وعلى النافي أن يثبت أن حوادث عصرهما مسجلة، كبيرها وصغيرها بيد مؤرخين كانوا في تلك الأمكنة، تسجيلًا يخالف ما ورد في القرآن الكريم. ومن ناحية أخرى فإن الأخبار في الواردة عن إبراهيم وإسهاعيل عليها السلام - أخبار متواترة والتواتر حجة قطعية، وبالتالي فلا يجوز الشك فيها أو الطعن عليها.

# 

۱. تَسَنَّى: جاز.

### الشبهة الرابعة والعشرون

## ادعاء أن الذبيح هو إسحاق الطَيْلَا وليس إسماعيل الطَيْلَا (\*)

#### مضمون الشبهة :

يدعي بعض المتوهمين اليهود أن الذبيح هو إسحاق، وليس إسهاعيل عليها السلام -كها جاء في القرآن الكريم، ويهدفون من وراء ذلك إلى نسبة المشرف والتضحية والفداء لأنفسهم وأجدادهم، مجردين العرب من كل فضل.

#### وجوه إبطال الشبهة:

اسياق الآيات في القرآن يدل على أن الذبيح هـو إسهاعيل، وليس إسحاق الكيالا، وكذلك السنة المطهرة.

النصوص الواردة في التوراة بشأن الذبيح تدل على أنه إسهاعيل النفية، وقد أصابها التحريف بحذف اسم إسماعيل النفية، ووضع إسحاق النفية مكانه؛ ليرفعوا من شأن من انتسبوا إليه.

٣) اقتداء المسلمين بأبيهم إبراهيم وإسماعيل عليها السلام في مناسك الحج يدل على أن الذبيح إسماعيل، وإلا فلهاذا اختص المسلمون دون غيرهم من اليهود بأداء هذه المناسك؟!!

#### التفصيل:

أولا. السياق القرآني الكريم يدل على أن الذبيح هو إسماعيل النفي وليس إسحاق النفي ، وكذلك السنة:

جاءت آيات سورة الصافات ناطقة بأن الذبيح هو

دفاع عن العقيدة ضد مطاعن المستشرقين، محمد الغزالي، مرجع سابق، ص٣١.

<sup>(\*)</sup> دراسات لغوية مقارنة، د. محمد صالح توفيق، مطبعة الزهراء، القاهرة، د. ت. موقع صيد الفوائد.

إسهاعيل بن إبراهيم - عليها السلام - ؛ قال الله تبارك وتعالى على لسان نبيه الخليل إبراهيم: ﴿ رَبِّ هَبَ لِي مِنَ الصّلِحِينَ ﴿ فَامَا بَلَغَ مَعَهُ السّعْمَ قَالَ يَنَابَنِ إِنَّ فَامَا بَلَغَ مَعَهُ السّعْمَ قَالَ يَنَابَنِ إِنْ فَامَا بَلَغَ مَعَهُ السّعْمَ قَالَ يَنَابَنِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ لَّ سَتَجِدُنِ إِن شَآهَ الله مِن الصّلِمِينَ قَالَ يَتَابَرَهِيم السّي فَلَمَا أَسْلَمَا وَتَلَهُ لِلْبَجِينِ ﴿ وَنَكَيْنَهُ أَن يَتِهِ بَرَهِيم اللهُ وَنَكَ اللهُ عَلَيْهِ وَنَكَ اللهُ عَلَيْهِ وَنَكَ اللهُ عَلِيم وَلَكُنَا عَلَيْهِ فَيُ الْمَتْحِينِ فَلَ الْمَتَعْمِينَ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى اللهُ عَلِيم وَلَكُنَا عَلَيْهِ فَي الْمُتَعْمِينَ اللهُ عَلِيم وَلَكُنَا عَلَيْهِ وَعَلَى السّعَلَى اللّهُ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى السّعَلَى اللهُ عَلِيم وَاللهُ اللهُ السّعَلَى اللهُ عَلِيم وَعَلَى السّعَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى السّعَلَى وَمِن دُرِيّتِهِ مَا السّعَلَى اللهُ الله

ولا شك أن المضمير في "عليه" راجع إلى الذبيح وهو إسماعيل الطيخ، فالآيتان صريحتان بالبشرى بإسحاق الطيخ بعد ذكر القصة، في أن إسحاق الطيخ غير الغلام الذي ابتلى الله إبراهيم الطيخ بذبحه، وعود الضمير إلى الغلام الذبيح، وذكر اسم إسحاق الطيخ معه صريحًا يقتضي التغاير بين الذبيح وإسحاق الطيخ.

وأما القصة في التوراة فبطلها إسحاق الكيان، حشر اليهود اسمه في هذه القصة؛ حرصًا منهم على أن يكون أبوهم هو الذبيح الذي جاد بنفسه صغيرًا في طاعة الله، وذلك لينالوا التشريف والتكريم الإلهي.

والآيات ذكرت سؤال إبراهيم الطيخ ربه أن يهبه من الصالحين، وهو سؤال يُشعر بأنه صدر منه قبل إنجابه فتكون إجابة الله بأن رزقه ابنه الأول وهو إسماعيل الطيخ.

والله تعالى وصف الغلام الموهوب بأنه حليم فقال:

إن الآيات في سورة المصافات بعد أن فرغت من قصة الذبيح أخبرت أن الله كافأ الوالد على صبره على البلاء بأمرين، أولها: فداء ابنه بذبح عظيم، ثانيها: بشارته بإسحاق نبيًّا من الصالحين.

وعطف الحديث عن إسحاق العَيْنَ في قول عالى: ﴿ وَبَثَرَنَهُ بِإِسْحَنَى بَيْتًا مِنَ الصَّلِحِينَ ﴿ الصَافَاتِ) على قوله تعالى: ﴿ فَبَشَرْنَهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿ الصَافَاتِ)، يدل على أن الذبيح غير إسحاق؛ لأن العطف يقتضي المغايرة وما ذاك إلا إسهاعيل العَيْنَ.

ويؤكد ذلك أن الضمير في كلمة "عليه" في قوله تعالى: ﴿ وَبَكَرُّكُنَا عَلَيْهِ وَعَلَى ٓ إِسْحَاقَ ﴾ (الصافات: ١١٣) يعود على الغلام الحليم ولا يعود على إبراهيم الطيفية؛ لأنه لو عاد عليه \_ أي إبراهيم \_ لكان في ذكر إسحاق الطيفة عبث يتنزه الكلام عنه؛ لأن إسحاق الطيفة من ذرية إبراهيم الطيفة، فكأنه ذكر مرتين.

إن الله على قد بشر سارة بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب عليها السلام، فكيف يأمر الله إبراهيم بذبح إسحاق المعلى، وقد أخبره أنه سيكبر ويتزوج ويولد له ولد اسمه يعقوب(١)؟

١. قصص القرآن، محمد بكر إسهاعيل، مرجع سابق، ص٨١.

"وقال محمد بن إسحاق عن بريدة عن سفيان بن فزوة الأسلمي، عن محمد بن كعب: أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة إذكان معه بالشام يعني استدلاله بقوله بعد العصمة: ﴿ فَشَرَّنَهَا بِالسَّام يعني استدلاله بقوله بعد العصمة: ﴿ فَشَرَّنَهَا عِمْر: إن هذا الشيء ما كنت أنظر فيه وإني لأراه كا قلت، ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام، كان يهوديًا فأسلم وحسن إسلامه، وكان يرى أنه من علمائهم، قال: فسأله عمر بن عبد العزيز: أيُّ ابن إبراهيم الكن أمر بذبحه؟ فقال: إسهاعيل الكن والله يا أمير المؤمنين، وإن اليهود لتعلم بذلك، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر فيه، والفضل الذي ذكره الله منه لصبره لما أمر به، فهم والفضل الذي ذكره الله منه لصبره لما أمر به، فهم إسحاق الكن أبوهم" (١٠).

# ثانيًا. دلت التوراة على أن الذبيح هو إسماعيل، وليس إسحاق النفية:

إن المتصفح لما ورد في التوارة بشأن الذبيح، يجد أن الأوصاف التي ذكروها عن الذبيح تنطبق تمامًا على الساعيل دون إسحاق عليها السلام وهذا يدل صراحة على تحريف اليهود قصة الذبيح حيث جعلوا اسحاق مكان إساعيل عليها السلام ، والدليل على ذلك من التوراة نفسها؛ حيث وصفت الذبيح بأنه ولد إبراهيم الكلي الوحيد، أي: الذي ليس له سواه، وهو ما يدل على سخاوة نفس إبراهيم الكين بولده الوحيد

بذبحه امتثالًا لأمر ربه له في المنام، أما إسحاق فلم يكن وحيدًا لإبراهيم في يوم من الأيام؛ لأن إسحاق الكين ولا وإساعيل عنده أربع عشرة سنة، كما صرّحت التوراة بذلك، وبقي إسماعيل الكين إلى أن مات أبوه إبراهيم الكين، وحضر إسماعيل الكين وفاته ودفنه، وكذلك فإن قضية ذبح إسحاق الكين تناقض الوعد الذي وُعد به إبراهيم الكين؛ من أن إسحاق الكين سيكون له نسل (٢).

فهذه مصارحة بأن الذبيح هو إسماعيل الطيخ، ولكن الحقد والحسد والكراهية اليهودية للعرب تدفعهم إلى نكران كل حقيقة، وتبديل كل نص صحيح.

وثمة دليل آخر من التوراة يثبت أن الذبيح هو إساعيل الطّيّة؛ لأن إساعيل الطّيّة هو الذي أقام بمكة وليس إسحاق.

جاء في سفر التكوين: "فبكّر إبراهيم صباحًا وأخذ خبزًا وقِرْبة ماء وأعطاهما لهاجر واضعًا إياهما على كتفها والولد وصرفها. فمضت وتاهت في برية بئر سبع". (التكوين ٢١: ١٤)، "وسكن في برية فاران وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر". (التكوين ٢١: ٢١).

والذي يلاحظ من العددين السابقين من سفر التكوين أن البلاد التي سكنها إسهاعيل الكيلا وأمه إنها هي برية بئر سبع، ثم ذهب إلى فاران. ولم يذكر الوادي الذي هو مكة اليوم، وفاران تطلق على مواضع منها جبال مكة.

ويدل على أن إسهاعيل الطِّيِّال سكن مكة ما جاء في

قصص الأنبياء، ابن كثير، تحقيق: محمد عبد الملك الزغبي،
 دار المنار، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص١٢٧.

قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، مرجع سابق، ص١٣٥، ١٣٦.

سفر التكوين: "وسكنوا من حَوِيلة إلى شُور التي أمام مصر حينها تجيء نحو أشُّور. أمام جميع إخوت نزل". (التكوين ٢٥: ١٨)(١).

فهل ذهب إسحاق الطَّيِّلا إلى مكة؟! والأدلة الثابتة تاريخيًّا تؤكد وتثبت أن قصة الذبح تمت في مكة.

وبهذا يتضح جليًّا بطلان زعم اليهود بأن الذبيح هو إسحاق الطَّيِّة كما يتضح أن الذبيح هو إسماعيل الطَّيِّة بنص التوراة والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

# ثالثًا. إسماعيل الطَّيِّلاً هو الذي أقام بمكة وليس إسحاق الطَِّيلاً:

لقد أقام سيدنا إسماعيل الطَّيِّة بمكة منذ أن جاء مع أمه طفلًا رضيعًا في القصة المشهورة، ثم أتم بناء البيت مع أبيه؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَهِمُ الْقَوَاعِدَمِنَ الْبَيْتِ مع أبيه؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَهِمُ الْقَوَاعِدَمِنَ الْبَيْتِ مع أبيه؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَهِمُ الْقَوَاعِدَمِنَ الْبَيْتِ مع أَلِيمُ السَّعِيلُ رَبَّنَا لَقَبَلُ مِنَا أَإِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْقَلِيمُ السَّي الله إسماعيل بالحِجر مع أمه هاجر، وكان عمره يوم أن مات مائة وسبعًا وثلاثين سنة (٢).

وبناء على هذا فلو كان الذبيح إسحاق الطيلا لكانت مسألة الذبح والفداء وما يتعلق بها من مناسك قد وقعت بأرض الشام، حيث عاش هناك سيدنا إسحاق، أما وهي تُفعل في أرض الحجاز حيث وُلد وعاش إسهاعيل الطيلا، فهذا دليل من الواقع على أن الذبيح هو إسهاعيل الطيلا،

وعما يؤكد هذا: أن إبراهيم بنى بيتًا لله بمكة قبل أن يبني بيتًا آخر بنحو أربعين سنة، كما في حديث أبي ذر الله عن النبي الله ومن شأن بيوت العبادة في ذلك الزمان أن تُقرَّب فيها القرابين، فقربان أعز شيء على إبراهيم الخيلا هو المناسب لكونه قربانًا لأشرف هيكل، وقد بقيت في العرب سنة الهدايا في الحج كل عام، وما تلك إلا تذكرة لأول عام أمر فيه إبراهيم الخيلا بذبح ولده وأنه الولد الذي بمكة... ولقد وردت روايات في حكمة تشريع الرمي في الجمرات من عهد الحنيفية، أن الشيطان تعرض لإبراهيم الخيلا ليصده عن المعنى من ذبح ولده، وذلك من مناسك الحج لأهل مكة، ولم تكن لليهود سنة "ذبح معين" (1).

وقال سفيان: لم يزل قرنا الكبش معلقين في البيت حتى احترق البيت فاحترقا. وكذا رُوي عن ابن عباس مرضي الله عنها \_أن رأس الكبش لم يـزل معلقًا عنـد ميزاب الكعبة حتى يبس (٥).

مما سبق يتضح لنا أن الذبيح هو إسماعيل الطَّيْكُا، لأنه هو المقيم بمكة، ولا نعلم هل قدمها إسـحاق الطَّيْكُا في حال صغره أم لا، والله أعلم.

#### الخلاصة:

• تشير الآيات الواردة في القرآن الكريم إلى أن الذبيح هو إسماعيل الكيلا؛ وذلك لأن الله تعالى بعد ما وضّح صبر إبراهيم الكيلا وامتثاله لأمر الله كال بشره بمولود له جديد اسمه إسحاق، ومن ذريته

١. قصص الأنبياء، ابن كثير، مرجع سابق، ص١٥٢.

٢. المرجع السابق، ص١٦٩.

٣. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مرجع سابق،
 ج٠٢، ص٥١٢٨٠.

التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج١١، ج٣٣، ص١٥٨.

٥. قصص الأنبياء، ابن كثير، مرجع سابق، ص١٢٥.

يعقوب \_عليها السلام \_وإلا فكيف يبشره بإسحاق ومن ورائه يعقوب الكليلا، ثم يأمر إبراهيم الكليلا أن يذبحه?! والقرآن أقوى في حجته من التوراة؛ لأنه لم يصبه التحريف كالتوراة التي أخبرنا الله تعالى بتحريفها، ومن أصدق من الله قيلاً.

- تدل النصوص الواردة في التوراة على أن الذبيح هو إسهاعيل التي وليس إسحاق، وذلك لأن الابن الوحيد والبكر لسيدنا إبراهيم هو سيدنا إسهاعيل وليس إسحاق عليهم السلام جميعًا حيث تعترف التوراة بأن إسحاق التي ولد وعمر إسهاعيل التي أربع عشرة سنة، فكيف يكون البكر؟! وكيف يكون الوحيد؟! وهذا يدل على تحريف اليهود للتوراة بذكرهم إسحاق التي بدلًا من إسهاعيل التي الكي الكين ليكون لمم الفضل والرفعة والشرف دون أمة العرب أبناء إسهاعيل التي .
- اختصاص الله على أمة النبي محمد الله بأداء مناسك الحج، اقتداء بسنة أبيهم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فلماذا لم يؤمر اليهود بأداء هذه المناسك إن كان الذبيح هو إسحاق الله الذي ينتسبون إليه؟! ولماذا كانت هذه المناسك في مكة موطن إسماعيل، ولم تكن في الشام موطن إسحاق الله ؟! ألا تعد كمل هذه الدلائل كافية على أن الذبيح هو إسماعيل المنه لا إسحاق المنه !!

# 3.4. ×

### الشبهة الخامسة والعشرون

# ادِّعاء أن إسماعيل الطِّيِّيِّ ليس نبيًّا من الأنبياء (\*)

#### مضمون الشبهة:

يدّعي بعض المتوهمين أن إسماعيل الكلي ليس نبيًا من الأنبياء كما جاء في القرآن، مستدلين على ذلك بما جاء في التوراة؛ من أن النبوة تكون في إسحاق وبنيه. ويتساءلون: كيف يكون إسماعيل الكل نبيًا والتوراة تصفه بأنه إنسان وحشي، يده على كل واحد ويد كل واحد عليه؛ أي: إنه سيكون سفًا حًا وضيعًا؟

## وجها إبطال الشبهة:

١) إسماعيل الطّي نبي من الأنبياء ورسول من الرسل بأدلة القرآن، ونَفْي بعضهم لنبوته الطّي جحد للحقائق.

على الرغم من تحريف التوراة فقد صرحت بنبوة إسماعيل التيالة، لكنه الحقد اليهودي الذي يريد أن يسلب العرب كل فضل.

#### التفصيل:

# أولا. إسماعيل السلام نبي من الأنبياء، بأدلة القرآن والتوراة، ونفى بعض المشككين لنبوته جحد للحقائق:

النبوة ثابتة لإسماعيل الكن بما جماء في القرآن
 الكريم:

القرآن الكريم هو الحجة القاطعة؛ لأنه كلام رب العالمين، الذي لم تمتد إليه يد البشر بأي تحريف، مها حاول المغرضون إخفاء هذه الحقيقة، فلا تزداد بمرور

<sup>(\*)</sup> موقع إسلاميات. www.Islameyat.com

الزمن إلا وضوحًا، فكل يوم يثبت للعلماء أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون كلام بشر، ولم يستطع أحد أن يأخذ عليه مأخذًا منذ نزوله حتى الآن، وكذلك لن يستطيع أحد أن يجد فيه ما يمكن أن يؤخذ عليه، فالقرآن هو الحكم فيها يثبت وفيها ينفي.

وقد أثبت القرآن الكريم نبوة إسماعيل النيلا في غير موضع، فقال: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِنْبِ إِسْمَعِيلَ إِنْهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِينًا ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِنْبِ إِسْمَعِيلَ إِنْهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِينًا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَهِ عَمْ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعَى وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبَرَهِ عَمْ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعَى وَمَا أُوتِي مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِي النَّبِيُونَ مِن وَيَعْمُونَ وَعَنْ لَهُ مُسْلِمُونَ النَّبِيُونَ مِن دَّيِهِمْ لَا نُفَرِقُ بَيْنَ أَحَدِ مِنْهُمْ وَتَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْتَنا وَمَا أُوتِي مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْتَنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيْتَنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيْتَنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيْتَنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَهِيمَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَاقِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْتَنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيْتَ إِبْرَهِيمَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَاقِيلَ وَإِسْمَاقِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْتَنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيْ إِبْرَهِيمَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَاقِيلَ وَمِا أُنْزِلَ عَلَيْ إِبْرَهِيمَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَاقِيلَ وَمِا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَهِيمَ وَعِيسَى وَالنَّيْدُونَ مِنْ وَيَعْمُونَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَهِيمَ وَعِيسَى وَالنَّيْدُونَ مِنْ وَيَعْمُونَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَهِيمَ وَعِيسَى وَالْنَالِيقُونَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَعْتَى وَمَا أُولِي مُوسَى وَعِيسَى وَالْنَالِيقُونَ مِنْ وَيَعْمُونَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَامِيلِ الْعَيْقِ الْمَاعِيلِ الْعَيْقِ الْمَاعِيلِ الْعَلَى الْمَاعِيلِ الْعِيلَ الْعَلَى الْمَاعِيلِ الْعَلَى الْعَلَى الْمَاعِيلِ الْعَلَاقِيلَ الْمَاعِلَ الْمُؤْنَ لَيْهُ مُ الْمَاعِيلِ الْعَلَى الْمَاعِيلِ الْمَاعِيلُ الْمَاعِيلُ الْمَاعِيلِ الْمَلِيلُ الْمَاعِلِ الْمَاعِيلِ الْمَاعِلِ الْمَاعِلِ الْمَاعِلِ الْمَاعِلِ الْمَلِيلُ الْمَاعِلِ الْمَاعِلِ الْمَاعِلِ الْمَاعِلِ الْمَاعِلُونَ الْمَاعِلَ الْمَاعِلَى الْمَاعِلَ الْمَاعِلَ الْمَاعِلَى الْمَلِيلُ الْمَاعِلُ الْمُعْمِلُ الْمَاعِلِ الْمَاعِلِ الْمَاعِلُ الْمَاعِلِ الْمَاعِلِ الْمَاعِلِ الْمَاعِلِ الْمَلِيلِ الْمَلِيلِ الْمَلِيلِ الْمَلِيلُ الْمَاعِيلُ الْمَلِيلُونَ الْمَاعِلُونَ الْمَاعِلُ الْمَلِيل

العهد القديم ليس حجة بها ناله من تحريف على
 أيدي البشر:

العهد القديم ليس حجة فيها يذكره، وما لا يذكره؛ لما ناله من تحريف و تبديل على أيدي البشر، فهو ليس كتابًا من عند الله تعالى، بل كتبه البشر بأيديهم؛ ﴿ فَوَيْلُ لِلَّهِ بِنَكُ بُونَ الْكِئْبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَنذَا مِنْ عِندِ لِلَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِدِء ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلُ لَهُم مِمّا كَنبَتُ اللهِ لِيَشْتَرُواْ بِدِء ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلُ لَهُم مِمّا كَنبَتُ الْيُدِيهِمْ وَوَيْلُ لَهُم مِمّا يَكْسِبُونَ (البقرة). ووجود الأخطاء والتناقضات في الكتاب المقدس أمر شائع.

وقد ثبت التحريف من وجوه كثيرة سطرتها أيـدي

العلماء، في بحوثهم المجردة عن كل ميل(١).

وهب أن العهد القديم لم يذكر نبوة نبي من الأنبياء، فهل يعني ذلك نفيها؟ فكما أن الذكر فيه لا يثبت شيئًا، فكذلك لا يعني عدم ذكره لشيء أو حقيقة ما أن ذلك الشيء غير حقيقي، وعليه فلا مانع عقلًا من أن تثبت نبوة إسهاعيل الكيلا من طريق آخر، حيث أثبتها القرآن الكريم.

ثانيًا. على الرغم من تحريف التوراة فإنها صرحت بنبوة إسماعيل الله الكلام الحقد اليهودي الذي يريد أن يسلب العرب كل فضل:

ومع ذلك فإن التوراة صرَّحت بأن العهد \_ وهو تعبير توراتي عن النبوة \_ في نسل إبراهيم الطَّيِّ جميعًا إلى الابن، ونسل إبراهيم يشمل ابنيه إساعيل وإسحاق الابن، ونسل إبراهيم يشمل ابنيه إساعيل وإسحاق \_ عليهم السلام جميعًا \_ وذريتها، وجاء في سفر التكوين بعد ولادة إساعيل وقبل ولادة إسحاق: "ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة، ظهر الرب لأبرام، وقال له: أنا الله القدير، سِرْ أمامي وكن كاملًا؛ فأجعل عهدي بيني وبينك، وبين نسلك من بعدك، في أجيالهم عهدًا أبديًا، لأكون إلمًا نسلك من بعدك، في أجيالهم عهدًا أبديًا، لأكون إلمًا لك، ولنسلك من بعدك". (التكوين ١٧: ١-٨).

إن هذا النص صريح في أن عهد النبوة الـذي وعـد

<sup>1.</sup> خسون ألف خطأ في الكتاب المقدس، هذه المقالة بالنص عن مجلة "Awoke" عدد ٨ سبتمبر ١٩٥٧م، وذلك في الصفحة الأخيرة تحت عنوان "الحقيقة عن الكتاب"، والذي قدر هذا العدد من الأخطاء هي هيئة من الخبراء الإنجليز عام ١٧٢٠م وليسوا عربًا أو مسلمين، وتفاصيل هذا الموضوع موجودة عند الداعية الإسلامي أحمد ديدات، المجموعة الثالثة، ترجمة: محمد مختار، رمضان الصفناوي، على عثان، مكتبة كتاب المختار،

الله به إبراهيم العَيْلَة لجميع نسله، بلا تفرقة بين نسله من إساعيل العَيْلَة أو نسله من إسحاق العَيْلَة، بل إن هذا النص جاء تحديدًا قبل بشارته بإسحاق العَيْلَة.

ونسل إبراهيم الني يشمل إسهاعيل وإسحاق الني ومن جاء من نسلها، ولكن اليهود أرادوا إخفاء هذه الحقيقة، فعادوا يقصرون العهد الإلهي على عهد إسحاق الني وبنيه، وراحوا ينفونها عن إسهاعيل الني وبنيه؛ عداءً لإسهاعيل الني وحقدًا وحسدًا للعرب النيه؛ عداءً لإسهاعيل الني وحقدًا وحسدًا للعرب الني مم من نسل إسهاعيل الني أن يناهم شرف النبوة، ولو كان اليهود من نسل إسهاعيل الني النبوة في والعرب من نسل إسحاق الني لادعوا أن النبوة في إسهاعيل دون إسحاق.

وبناء على ذلك راح كاتب سفر التكوين يرعم أن إبراهيم التي قال لله: "ليت إسهاعيل يعيش أمامك، فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابنًا، وتدعو اسمه إسحاق، وأقيم عهدي معه عهدًا أبديًّا لنسله من بعده، وأما إسهاعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثرًا جدًّا". (التكوين ١٧: ١٨ ـ ٢٠).

ففي هذا السفر تجريد لإسهاعيل التيلا من النبوة، بعد إثباتها له، وذلك التناقض في التوراة مألوف، وليس غريبًا عليها، فقد أنكرت بعد تحريفها كل نبوة من غير نسل إسحاق التيلا، ثم راحوا يثبتونها لخمسة من الرسل ليسوا من نسل يعقوب بن إسحاق التيلا، وهم: ملكي صادق، ويثرون، وبلعان، وأيوب، ويونس.

فالهدف من نفي النبوة عن إسهاعيل ونسله هو تجريد العرب العليم من كل فضل ومنقبة، ومن ذلك نفي نبوة جدهم إسهاعيل، ونسبة كل فضل لليهود وحدهم.

وأما عن وصف التوراة لإسهاعيل الطي بأنه "يكون إنسانًا وحشيًّا يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه"، والتي يستدل بها الزاعمون على نفي نبوته، فالعبارة محرّفة، والعبارة كها كانت في التوراة حتى القرن السابع الهجري، حيث نقلها العلهاء: "يده فوق كل واحد ويد الكل به".

ومعنى "إنسانًا وحشيًّا" أي: إنسانًا قويًّا.

وهذا يعني ريادة إسماعيل النه وذريته لكل الناس، وقوة الناس لا تحصل إلا باتباع إسماعيل وذريته. والريادة والقوة إذا جاءت في الوحي الإلهي فإنها بالدرجة الأولى تعني الريادة الدينية، التي تكفل سعادة الدنيا والآخرة، ولا يتحقق ذلك إلا بالنبوة.

#### الخلاصة:

- القرآن الكريم هو الحجة القاطعة في إثبات نبوة إسهاعيل الطّيكية؛ لأنه لم تمتد إليه يد التحريف، وقد أُثبتت نبوة إسهاعيل الطّيكية في آيات عديدة منها: ﴿ إِنَّهُ كُانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًا لَكُ ﴾ (مريم).
- العهد القديم الذي ينفي نبوة إسماعيل الناها للهاها للهاها للهاها للهاها اليهاها اليهاء اليهاء اليهاء النصارى أنفسهم.
- إن التوراة على الرغم من تحريفها قد صرحت بأن العهد "النبوة" يكون في نسل إبراهيم المنه ولم تستثن من ذلك إسماعيل المنه ، ولكنه الحسد والحقد اليهودي الذي يريد أن يحرم العرب من كل فضل ومنقة.



### الشبهة السادسة والعشرون

# ادّعاء وجود صراع بين إسماعيل وإسحاق عليهما السلام (\*)

#### مضمون الشبهة:

يـدّعي بعـض المتـوهمين أن إسـماعيل وإسـحاق ـعليهما السلام ـكانا في صراع دائم، وكان يحـسد كـل منهما الآخر على ما آتاه الله على من فضله، ويتمنى أن يعلو المنازل على حساب أخيه، وهذا حسبها ورد في الكتاب المقدس، هـادفين مـن وراء ذلـك إلى تكـريس حالة الصراع بين العرب واليهود بتأصيلها تاريخيًا.

### وجوه إبطال الشبهة:

الكتاب المقدس - بعد ثبوت تحريفه - ليس مصدرًا موثّقًا ولا يعتمد عليه في نقل الأخبار ولا تُؤخذ منه الأحكام.

Y) ليس غريبًا على الكتاب المقدس أن يصف إسهاعيل وإسحاق عليها السلام على هذا النحو الشائن، فقد فعلوا أكثر من هذا في حق الله عليهم السلام ...

٣) أخبار الأنبياء وأخلاقهم لا تؤخذ إلا من الكتاب
 المعصوم، وهو القرآن الذي يصفهم بها يليق بعصمتهم.

#### التفصيل:

# أولا. الكتاب المقدس المحرَّف ليس مصدر ثقة ولا يعتمد عليه في نقل الأخبار ولا تؤخذ منه الأحكام:

لقد أخبر الله تعالى في كتابه العزيز عن تحريف أهل

الكتاب لكتابهم فقال رب العزة: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مُواضِعِهِ عَلَى النساء: ٤٦)، وقال أيضًا: ﴿ فَوَيَلُ لِلَّذِينَ يَكُنُبُونَ ٱلْكِنَبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَنذَا مِن عِندِ ٱللّهِ ﴾ (البقرة: ٧٩). والآيات القرآنية على ذلك كثيرة، هذا وقد أثبتت الدراسات العلمية المحايدة أن الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد كتاب محرف، وليس هو المنزّل من عند الله تبارك وتعالى، بعدما لعبت به أيدي البشر وعبثت به أقلامهم؛ فانتقصوا منه وزادوا عليه ما ليس منه، وغيروا وبدلوا حسبها أملته عليهم أهواؤهم.

فلقد تعرضت التوراة إلى عمليات سَطُو<sup>(۱)</sup> من قراصنة اليهود، وإلى عوامل بَرُّ (<sup>۲)</sup> بشرية وعوامل تغيير جَسِيمة (<sup>۳)</sup> وخطيرة للغاية، كما تعرضت في إعادة التدوين إلى اللامبالاة، وإضافات توحي بمذاهب وعقائد المحررين والنساخ... ، وأخيرًا شهدت المجامع المسكونية موجة رهيبة لتدوين المخطوطات المقدسة، والأدلة كثيرة على ما أصابها من تحوير وتنقيح، وزيادة ونقص، وحذف وإقحام، فكانت هذه البصهات البشرية في تدوين الكتاب المقدس غشاوة سميكة تخفي المقيقة.

يقول cutkuhl في كتابه" its original composition, London, ١٠٦١ الله ما المتداول حاليًا لا "pp ٤٧, ٥١ ٥٢ إن الكتاب المقدس المتداول حاليًا لا يحتوي على التوراة والإنجيل المنزلين من الله، ولقد اعترف علماء وباحثون باللمسات البشرية في إعداد هذا

١. السَّطُو: الاستيلاء والسرقة.

٢. البَرُّ: النقص والتغيير.

٣. الجسيمة: الكبيرة بشكل مَهُول.

<sup>(\*)</sup> موجز دائرة المعارف الإسلامية: فريق من المستشرقين، مرجع سابق.

الكتاب...(۱)، ونشرت مجلة "لوك" مقالة بعنوان "الحقيقة عن الكتاب المقدس" وكُتب على الغلاف "خسون ألف خطأ في الكتاب المقدس"، وهذه المقالة بالنص عن مجلة Awake عدد ٨ سبتمبر ١٩٥٧م، وقد جاء فيها أنه في عام ١٩٢٠م قامت هيئة من الخبراء الإنجليز بتقدير عدد الأخطاء في الكتاب المقدس، وأثبتت أنها تصل إلى خسين ألف خطأ، وذلك بعد عكوف الدارسين على الدراسة الجادة للمخطوطات عكوف الدارسين على الدراسة الجادة للمخطوطات القديمة (٢).

وبناء عليه فليس الكتاب المقدس مصدر ثقة، ولا يعتمد عليه في نقل أي أخبار، خاصة إذا تعارضت مع القرآن الكريم.

ثانيًا. ليس غريبًا على الكتاب المقدس أن يصف إسماعيل وإسحاق على هذا النحو الشائن، فقد فعلوا مثل هذا في حق الله على، وأنبيائه:

لقد حوى الكتاب المقدس بعض الصفات التي لا تليق بالله ولا برسله ولا بملائكته، فلقد وصفوا الرب بأنه يغفل وينام وينسى ويندم على خلق الإنسان، بل يصارعه يعقوب ويغلبه ولا يفكه إلا بعد أن يباركه... وأوصاف عديدة لا تليق بالله تعالى يصفون بها إلههم \_ سبحانه وتعالى عها يقولون علوًّا كبيرًا \_ ولكن المجال لا يتسع لذكر ذلك، غير أننا نود الإشارة السريعة إلى أخلاق الأنبياء وصفاتهم \_ حسب زعمهم السريعة إلى أخلاق الأنبياء وصفاتهم \_ حسب زعمهم

الباطل \_ في كتابهم المحرف، حيث نجد أنبياء الكتاب المقدس عبارة عن مجرمين وسفّاحين وقتلة وزناة وخونة ولصوص!!

وإن تعجب من أمر، في أعجب من قصص وتُصاص التوراة، الذين أطلقوا العنان لخيالهم المريض، وأفكارهم الخبيئة، التي تَبثُ (٢) سمومها وأمراضها على صفحات كتاب يُفْترض أن يكون مقدسًا، ولا ندري مصدر القداسة في هذه القصص القبيحة، أو الحكايات الأسطورية الفاضحة، أو الخيالات الماجنة (٤) عن أشخاص أكمل الله لهم الحُلق والحَلق، وجعلهم للناس قادة وللبشر سادة، فها بال هؤلاء القوم يجعلون منهم أضحوكة الأجيال إلى الحد الذي دعا مؤلفو قاموس الكتباب المقدس إلى أن يقولوا: وقد ارتكب داود خطيئته الشنيعة ضد أوريا الحثي حيث قتله غدرًا لتحل له امرأته أثناء حربه مع العمونيين، وقد وبَخه النبي ناثان على هذه الخطيئة، بيل أعلن هام العقاب الساوي الذي يحل به، وحتى بعد أن أعلن داود توبته فلم تكن توبته كاملة، وإنها خفضت ذنبه إلى حد ما.

يقول المؤرخ ليوتاكسل في كتابه "التوراة": "وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشّى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحمُّ. وكانت المرأة جميلة المنظر جدَّا. فأرسل داود وسأل عن المرأة، فقال واحد: "أليست هذه بَثْشَبَع بنت أليعام امرأة أُورِيَّا الحِثِّي؟" فأرسل داود رسلًا وأخذها، فدخلت إليه، فاضطجع معها وهي مطهرة من طَمثها.

١. محمد والأنبياء في المصادر اليهودية والمسيحية، السيد سلامة غنمي، مطابع الوليد، مصر، ٢٠٠٣م، ص١٢، ١٤ بتصرف يسير.

مؤلفات أحمد ديدات، المجموعة الثالثة، ترجمة: محمد مختار،
 رمضان الصفناوي، على عثمان، مرجع سابق، ص٥ بتصرف.

٣. تَبثُّ: تنشر.

٤. الماجِنة: المازحة التي تخلط الجِدَّ بالهُرُل.

ثم رجعت إلى بيتها. وحبلت المرأة، فأرسلت وأخبرت داود وقالت: "إني حُبْلَى". فأرسل داود إلى يوآب يقول: "أرسل إليَّ أوريًا الحثِّي". فأرسل يوآب أوريا إلى داود". (صموائيل ٢:١١).

وتذكر التوراة كذلك أن لوطًا زنا بابنتيه، فحملتا منه سفاحًا، وذلك بعد أن لعب الخمر برأسه، وسلبه عقله ورشده.

ويكمل ليوتاكسل شرح النص فيقول: أما تقديم لوط ابنتيه البريئتين بدلًا من الملاكين أو الإلهين، فهو أمر أكثر خِسَّة (١) وإثارة للاشمئزاز (٢)، فكل ما في هذه الرواية يدل على دناءة هذا القديس.

فهل زنا داود بزوجة القائد أوريا، وجرَّه عشقه لها وهيامه بها أن دفع زوجها إلى الجيش حتى قُتِل غدرًا بوشية من داود إلى أحد قادته في جيش أُورِيَّا (٣)؟!

إلى غير هذا من الافتراءات التي افتراها هؤلاء على أنبياء الله تعالى. هل يقبل هذا عقل سليم؟ ألا ينكر هذا على غير الأنبياء؟ فما بالنا بصفوة الخلق؟!

أما وصف الكتاب المقدس لإسهاعيل الطَّيِّلَا فيقول: "إنه يكون إنسانًا وحشيًّا. يده على كل واحد ويمد كمل واحد عليه". (التكوين: ١٦: ١٢).

فهكذا تصف التوراة إسماعيل الطيلا بالوحشية والغلظة التي لا تليق به كنبي كما أخبر القرآن الكريم عنه.

وبمثل ما وصف الكتاب المقدس إسماعيل فقد وصف إسحاق عليهما السلام يقول: "فَقَدَّم لـ فأكـل. وأحضر له خرًا فشرب". (التكوين ٢٧: ٢٥).

فهي تصف إسحاق الطليلاً بأنه بعدما قَدم له ابنه الطعام شرب الخمر، وهذا يخالف \_أيضًا \_ما جاء في القرآن من صفات إسحاق الطليلاً فها كان ليشرب شيئًا حرّمه الله عليه.

إن وصف الكتب المقدسة للأنبياء وصفًا تنكره الفطرة السليمة، إذراح هؤلاء الفاسقون يصفون الأنبياء بأوصاف قبيحة، ويتجرءون عليهم بم الايليق بالبشر العاديين، فضلًا عن أنبياء الله تعالى، وما كان عليه إسهاعيل وإسحاق \_ عليهما السلام \_ من الصدق، والإخلاص، والصلاح والتقى وحب الآخرين وحسن الخلق، والعشرة، والحلم، والعلم، يتنافي مع كونها يتصارعان غَيْرةً من بعضهما البعض، فالمؤمنون ـ لا سيها الأنبياء منهم \_ يمتازون بصفاء القلب، وسلامة الضمير، ونقاء الفكر، ويتصفون بكل الصفات الحميدة التي تؤهلهم ليكونوا دعاة إلى الله يجمعون شمل الناس حولهم، ويوحدون صفهم؛ وذلك ليكونوا يدًا واحدة. وصدق ربنا العظيم لما قال في صفات أحبائه: ﴿ إِنَّاللَّهُ يُمِبُ ٱلَّذِينَ يُقَانِتُونَ فِي سَبِيلِهِ. صَفًّا كَأَنَّهُ مِبْنَيْنُ مَرْصُوصٌ الله (الصف)، وقال الله تعالى عن إسماعيل وإسحاق عليهما السلام - : ﴿ وَبَدَرُّكُنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَلَقُّ وَمِن ذُرِّيَتِهِ مَا مُحْسِنُ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، مُبِيثُ اللهُ ﴾

وليس من العدل ولا من الإنصاف أن يـأتي هـؤلاء المدَّعون، وينسبون إلى هذين النبيين الكريمين التَّشاجر

١. الخِسَّة: الحقارة والدَّناءة.

٢. الاشمئزاز: الضيق بالأمر والنفور منه.

٣. محمد والأنبياء في المصادر اليهودية والمسيحية، السيد سلامة،
 مرجع سابق، ص٣٠: ٣٣ بتصرف.

والضَّغِينة (1)؛ ليثبتوا أن العداوة بين العرب واليهود قديمة متأصلة. وإنها نبع هذا الاتهام من فهم المدَّعين للنبوة وبنظرتهم إلى الأنبياء فالنبوة في التوراة ـ وكذا في الإنجيل \_ نبوة كهانة، وعرافة، ورؤى، وأحلام، وتنجيم، ونبوة شعر، وخطابة، ونبوة تهويات، وتَمويه (1)؛ بل نبوة شعوذة ودجل، وكذب، ونبوة افتراء، وتَقوُّل على الله (1).

فإن كان هذا تصورهم للنبوة والأنبياء، فلا غرابة أن يصفوا إسهاعيل وإسحاق عليها السلام بالصراع الدائم، وإن لم يفصحوا لنا عن أسباب هذا الصراع، وعلى أي شيء كان.

ولو أن هؤلاء الزاعمين احتكموا إلى تصور الإسلام للنبوة والأنبياء لما اجترءوا على هذين النبيين الكريمين بهذا الوصف.

فالأنبياء في الإسلام أصحاب رسالة واحدة، هي البلاغ لكل ما جاء من عند الله، والدعوة إلى الحق والخير، وأهل الحق لا يتصارعون، ولا يتنازعون، بل يتعاونون ويتكاملون، ويعضد بعضهم بعضًا.

ولم يقدم لنا القرآن الكريم صورة واحدة لنبيين متعاصرين يتصارعان، بل قدم لنا صورًا لأنبياء عاشوا في عصر واحد فتعاونوا على أداء رسالة الله، التي كلفوا ببلاغها والجهاد في سبيل إعلائها، مشل هارون وموسى، ولوط مع إبراهيم، ومثل ما جاء في السنة عن يحيى وعيسى عليهم السلام جميعًا، ولم يكن للأنبياء

طموحات دنيوية كما تصور التوراة الأنبياء، حتى ينشب بينهم صراع حولها، بل أخلصوا للحق دعوة واتباعًا، فهم عباد الله المخلصون، وقد وصف الله إسماعيل العلم: ﴿ فَبَشَرْنَكُ بِغُلَامٍ كَلِيمٍ الله المحلم: ﴿ فَبَشَرْنَكُ بِغُلَامٍ كَلِيمٍ الله المحلم: ﴿ فَأَوْجَسَ الصافات)، ووصف إسحاق العلم: ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً فَالُواْ لَا تَحَفَّ وَبَشَرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ الله (الذاريات).

## ثَالثًا. أخبار الأنبياء وأخلاقهم لا تؤخذ إلا من الكتاب المعصوم وهو القرآن الكريم الذي يصفهم بما يليق بعصمتهم:

لقد وصف القرآن الكريم الأنبياء الأبرار الأطهار بالصفات التي تليق بهم، وجعل الإيهان بهم وبرسالتهم من شُعب الإيهان الأصيلة، فمن الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، والتي يكفر منكرها، أن صفات جميع الأنبياء والرسل من: كهال الخلق، وحسن الخلق، وجمال الصورة، وشرف النسب، وقوة العقل، وصحة الفهم، وفصاحة اللسان، وقوة الحواس، وعزة القوم، وكرَم المنبَت (أ) ... إلىخ من المعلوم أن مشل هذه الأوصاف مما أفاء الله شك عليهم بيه معونة لهم على مهمتهم وتعريفًا بمكانتهم؛ إذ إن رتبتهم أشرف الرتب ودرجاتهم أرفع الدرجات، ويستحيل أن يتصفوا بضد هذه الصفات، أو ببعضها عما يتنافى مع الاصطفاء والاجتباء والاختيار.

يقول الله على: ﴿ ٱللَّهُ يَصَطَفِى مِنَ ٱلْمَلَتِكِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهُ سَكِمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ

١. الضَّغينة: الحقد الشديد.

٢. التَّمويه: الزخرفة وخلط الحق بالباطل.

٣. الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي، عبد العظيم المطعني،
 مكتبة وهبة، القاهرة، د. ت، ص١٩٨.

٤. كَرَم المَنْبَت: أصالة النَّبْت وشرفه.

آضطفيّ ادم ونُوحًا وَالَ إِبْرَهِيمَ وَالَّ عِمْرَنَ عَلَى الْعَالَمِينَ الْمَطَفَيّ الْمَالِمِينَ الْمَعْرِثُ وَاللّهُ سَمِيعً عَلِيمٌ الله المعرف الله عدان الكريم عنده فقال على ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصَطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (الله على الكريم عنده فقال على ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصَطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (الله على الله تعالى عنهم: ﴿ وَلَقَدِ المَحْمَّزَنَهُمْ عَلَى عِلَمَ عَلَى عِلَمَ عَلَى الله تعالى عنهم: ﴿ وَلَقَدِ المَحْمَّزَنَهُمْ عَلَى عِلَمَ عَلَى المَعْمَلِينَ الله تعالى عنهم وقال على الله تعالى من بعده الله تعالى من بعده الله تعالى من بعده الله تعالى من بعده الله تعالى نبيًا إلا في ذِرُوة من قومه الله تعالى من الصوت، وكان بعث الله تعالى نبيًا إلا حسن الوجه وحسن الصوت، وكان نبيكم حسن الصوت وكان لا يرجع "(١) (١) .

كل هذه الصفات وغيرها من صفات أنبياء الله تعلى، وردت في القرآن والسنة الصحيحة، وهي صفات نبي الله صفات نبي الله إحلال وإكرام، وفيها يلي بعض صفات نبي الله إسهاعيل وإسحاق عليها السلام التي جاءت في القرآن الكريم:

# ١. أخلاق إسماعيل الطُّنِّكُمْ تنفي ما يدّعون:

دعا الله تعالى إسماعيل الكلي بعشرين صفة في القرآن الكريم فهو: الغلام، والعليم، والحليم، والمسلم، والمستسلم، والآمر، والمصابر، والمرضي، وصادق الوعد، والرسول، والنبي، والمسذكور، والنبيع،

وكان إسماعيل التي مطيعًا لأبيه، منفذًا لوصاياه، صابرًا محتسبًا راضيًا بقضاء الله مسلمًا بقدره، فعندما أخبره أبوه أنه رأى في المنام أنه يذبحه فأجابه: ﴿قَالَ عَنَابَتِ الْفَعَلَ مَا تُوْمَرُ مُسَتَجِدُنِ إِن شَآءَ اللهُ مِن الصّابِينَ السَّاعِيلَ السَّيْ رجلًا صالحًا تقيًّا ورعًا، (الصانات)، وكان إسماعيل التي رجلًا صالحًا تقيًّا ورعًا، يأمر أهله بعبادة الله من صلاة وزكاة وصوم وحج إلى شكر نعم الله، وإلى الصبر على الشدائد، وتحمل المكاره؛ فكان عند ربه مرضيًا، وعند الناس مُطاعًا (٢). وكان سيدنا إسماعيل التي فصيحًا حتى في أسلوبه ولغته. فكانت اللغة العربية من قبله يتحدث بها كلغة تفاهم، فطوعها سيدنا إسماعيل التي للشاعرية والخيال، فطوعها سيدنا إسماعيل التي تقولون: إنه أول من تكلم وللكناية والمجاز، ولذلك يقولون: إنه أول من تكلم العربية البيغة، ويقولون: إنه أول من تكلم العربية البينة.

ولعل مما يرجع إلى شهامته، ونبل أخلاقه، هذه الصفة الكريمة التي تحلى بها طيلة حياته، والتي هي من أخص خصائص الرجولة الحقة، ألا وهي صدق الوعد؛ يقول الله تعالى: ﴿ وَٱذَكُرْ فِ ٱلْكِنْبِ إِسْمَاعِيلٌ إِنَّهُ كُانَصَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ

١. الذِّرْوَة من قومه: من أعلاهم وأحسنهم نسبًا.

حسن: أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب سورة يوسف (٣١١٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٦٨٦).

٣. صحيح: أخرجه الترمذي في الشائل المحمدية، باب ما جاء في قراءة رسول الله ﷺ (٣٢١)، وصححه الألباني في مختصر الشائل (٢٧٤).

محمد والأنبياء في المصادر اليهودية والمسيحية، السيد سلامة غنمي، مرجع سابق، ص٣٦، ٣٧ بتصرف.

٥. المرجع السابق، ص ٢٠ ٤١ بتصرف يسير.

٦. حياة وأخلاق الأنبياء، د. أحمد الصباحي عوض الله، مكتبة مدبولي، القاهرة، دار اقرأ، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص١١١ بتصرف.

رَسُولًا نَبِياً ﴿ اللهِ عَمَلِهِ اللهِ تَبَارِكُ وَتَعَالَى عَمَلِينَ لَمُ اللهُ تَبَارِكُ وَتَعَالَى عَمَلِينَ لَمُ اللهُ مَعْزَاهِمَا الْعَمِيقِ، فيقول: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ. بِالصَّلَوْةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِمِ مَرْضِيًا ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ كان يتحلى بالصلاة ويأمر بها أهله، ويتحلى بالزكاة ويأمر بها أهله، أي بالصلاة ويأمر بها أهله، ويتحلى بالزكاة ويأمر بها أهله، أي أنه كان حريصًا على حسن صلته بالمجتمع ومظهر ذلك الزكاة، والزكاة هنا معناها: البذل والتضحية في سبيل الله في أعم صورة وأوسع نطاق (١).

لقد كان حسن الصلة بالله، حسن الصلة بالمجتمع، ومن أجل ذلك عقّب الله تعالى على صفاته وأعماله بقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ, بِٱلصَّلَوْةِ وَٱلزَّكَوْةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ. مَرْضِيًا ﴿ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ. مَرْضِيًا ﴿ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ.

## ٢. إسحاق الطِّيلة في القرآن الكريم:

من يقرأ الآيات التي تحدثت عن إسحاق السلام، يجد أن الله تعالى وصفه بالعديد من الصفات الحميدة، منها: الموهوب، والمبارك، والمبشر به، والنافلة، والمهدي، والموحى إليه، والبشرى، قال في الله في وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى السَّحَقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ مَا مُحْسِنُ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينُ الله (الصافات) (٢).

ويبين القرآن أخلاق سيدنا إسحاق الطَيْمُ من خلال قصته في القرآن الكريم:

فقد كان رجلًا صالحًا صادقًا مباركًا لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَقَ ۚ وَمِن ذُرِيَتَهِمَا مُعْسِنُ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينُ اللهِ (الصافات)، وقول م

وكان حليًا عليًا فقال لابنه العيص حينها غضب على أخيه يعقوب لفوزه بدعوة أبيه إسحاق وتهديده له بالقتل: "يا بني لا تغضب، فقد بقيت لك عندي دعوة فَهَلُمَّ (٣) أدع لك بها، فتقدم إليه ودعا له بها"(١).

هل بعد ذلك العرض لأخلاق وصفات هذين النبيين يئاتي متوهم ويقول بأنها كانا يتصارعان ويتناضلان.

وبناء عليه فإن أنبياء الله أبعد ما يكونون عن هذه الأخلاق الذميمة أو ذلك الصراع البغيض، فهم أناس أصحاب رسالة سامية راقية، وقد عصمهم الله ولكن هذه كيد إبليس ووساوسه في قلوبهم وعقولهم، ولكن هذه الأفكار القبيحة من اختراع اليهود، يريدون من ورائها تأصيل العداوة بينهم وبين المسلمين؛ ليصلوا إلى أهدافهم الخبيثة ومراميهم البغيضة التي وجدوها في كتبهم المحرفة.

#### الخلاصة:

• أخبرنا الله على القرآن الكريم عن تحريف أهل الكتاب لكتبهم في غير ما آية من كتاب الله على، وقد أكد ذلك ما توصل إليه بعض علماء الغرب في العصر الحديث، حيث وجدوا أن الكتاب المقدس يحتوي على أكثر من خمسين ألف خطأ؛ ومن ثم فلا يصح أن نثق في أخبار الكتاب المقدس ولا في أحكامه.

مع الأنبياء والرسل، د. عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، ط۲، ۱۹۹۰م، ص۱۹۷، ۱۹۸.

عمد والأنبياء في المصادر اليهودية والمسيحية، السيد سلامة غنمي، مرجع سابق، ص١١ بتصرف يسير.

٣. هلُمَّ: تعال.

عوض الله، مرجع ما وأخلاق الأنبياء، د. أحمد الصباحي عوض الله، مرجع سابق، ص١٥ بتصرف يسير.

- فإذا ثبت تحريف الكتاب المقدس باعتراف من يدينون به، فلا غرابة أن نجد مثل هذه الأوصاف التي لا تليق بهذين النبيين العظيمين، فقد تعدوا ذلك بمراحل فوصفوا الله من بصفات لا تليق ببشر عادي، تعلى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا، ووصفوا أيضًا ملائكته الأبرار الأطهار بصفات لا تليق بهم، وهاهم يصفون أنبياء الله ورسله بصفات قبيحة من غل وحقد، وزنا وعشق، وشدة ووحشية لا تليق بهم كأصحاب رسالات ودعوات.
- ولذلك فإن أخلاق الأنبياء وصفاتهم ومكانتهم ومنزلتهم عند الله على لا تؤخذ إلا من القرآن الكريم الذي تعهد الله بحفظه، وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم وجدنا أنه يصف جميع الأنبياء بصفات الجلال والعظمة والتواضع، وحسن الخلق وكهاله، ومن هؤلاء الأنبياء الذين وصفهم بهذه الصفات إسهاعيل وإسحاق عليهها السلام. فإسهاعيل الني وصفه الله بأنه كان صادق الوعد، وبأنه كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة، وكان عند الله تعالى مرضيًا، وإسحاق الني وصفه الله بأنه كان رجلًا صالحًا حليمًا عليمًا رحيمًا كها أخبر عنه القرآن الكريم.
- إن فكرة الصراع التي اخترعها اليه ود لتأصيل العداوة بينهم وبين المسلمين، والتي أخذوها من كتبهم المحرفة ليس لها وجود أصلًا، ولا تليق أن تكون بين نبين عظيمين من أمثال إسهاعيل وإسحاق عليها السلام.

## 33 EX

## الشبهة السابعة والعشرون

# ادّعاء أن النبوة مقصورة على إسحاق العَيْنُ وولده دون إسماعيل العَيْنُ (\*)

#### مضمون الشبهة :

يدعي بعض المغرضين أن النبوة التي في ولد إبراهيم النب مقصورة على إسحاق النبي وذريته دون إساعيل النبي وذريته، ويزعمون أن النبي الم يستطع أن يحدد من الذبيح، إساعيل أم إسحاق عليها السلام ، ويهدفون من ذلك إلى تجريد العرب من كل فضل وشرف، وقصر النبوة على بني إسرائيل.

#### وجوه إبطال الشبهة:

النبوة في إسماعيل التي وولده ثابتة في القرآن الكريم والتوراة، رغم محاولة البعض طمس الحقائق أوتزييفها.

التوراة تنفي اختصاص بني إسرائيل بالنبوة، إذ إنهم يؤمنون بخمسة رسل من غير بني إسرائيل مثل:
 أيوب، ويونس عليها السلام وهذا يناقض زعمهم ويسقط حجتهم في أنها مختصة في إسحاق وبنيه فقط.

٣) الوحي القرآني وَضَّح قصة الـذبيح ـ وليس
 النبي ﷺ ـ توضيحًا لإخفاء ولا لبس فيه.

### التفصيل:

# أولا. نبوة إسماعيل الله ثابتة في القرآن الكريم والتوراة رغم محاولة طمس هذه الحقيقة:

إن نبوة إسماعيل الطِّيِّكُ وامتدادها في ولده وذريته

<sup>(\*)</sup> هذا هو الحق، رد على مفتريات كاهن الكنيسة، ابن الخطيب، المطبعة المصرية، القاهرة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٧م.

ثابتة بالقرآن الكريم، فالآيات الكريمة التي تثبت نبوة إسهاعيل السيخة كثيرة، مثل قوله تعالى: ﴿ وَاَذَكُرْ فِي الْكِئْكِ الْمَعْمِيلُ الْمَدْكُ اللّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَيْنَا ﴿ وَاَدْكُرْ فِي الْمَعْمِيلُ اللّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَيْنَا ﴿ وَاللّهُ مَعِيلُ وَقُولُهُ وَقُولُهُ وَقُولُهُ وَقُولُهُ عَالَى: ﴿ وَأَوْحَيْمَنَا إِلَى إِبْرَهِيمَ وَإِسْمَعِيلُ وَقُولُهُ وَقُولُهُ وَهُدُونَ وَسُلَيْمَنَ ﴾ (النساء: ١٦٣)، وقوله تعالى: ﴿ قُولُواْ وَهِلْمُونَ وَيَعْقُوبَ وَاللّهَ الْمِيلَةُ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِلَيْهِمَ وَإِسْمَعِيلُ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِلَيْهِمَ وَاللّهُ وَمَا أُنزِلَ اللّهُ وَمَا أُنزِلَ اللّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَى اللّهُ وَمَا أُنزِلَ عَلْمَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى اللّهُ وَمَا أُنْ اللّهُ وَمَا أُنْ وَلَى مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُنزِلَ عَلَى اللّهُ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى اللّهُ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى اللّهُ مُولَى وَمَا أُنْ اللّهُ وَمَا أُنْ وَلَى مُوسَى وَعِلْسَامُ وَمَا أُنْ اللّهُ وَمَا أُنْ اللّهُ وَمَا أُنْ اللّهُ وَاللّهُ مُولَى اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَا عَلَى اللّهُ وَلَا عَلَى اللّهُ وَلَا عَلَى اللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَا عَلَى اللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَا عَلَى اللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَا عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا عَلَى اللّهُ وَلَا عَلَى اللّهُ وَلَا عَلَى اللّهُ وَلَا عَلَى اللّهُ اللّهُ وَلَا عَلَى اللّهُ اللّهُ وَلَا عَلَى اللّهُ وَلَا عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَى اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّه

وكذلك فإن نبوة إسماعيل الطّيّلة ثابتة في نصوص التوراة، فمن ذلك: ما جاء في معرض الكلام عن إبراهيم الطّيّلة: "وأُثْمِرُك كثيرًا جدًّا، وأجعلك أعمًا، وملوكٌ منك يخرجون، وأقيم عهدي بيني وبينك، وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدًا أبديًّا، لأكون إلمًا لك ولنسلك من بعدك". (التكوين ١٧: ٢، ٧).

ومعلوم أن نسل إبراهيم التي كل من جاء عن طريق أبنائه جميعًا وذرياتهم وفي مقدمتهم ابنه الأكبر إساعيل التي كما جاء في التوراة العهد الأول ما ينصرف إلى النبوة، فالنبوة ثابتة في إساعيل التي وبنيه كما هي ثابتة في إسحاق التي وبنيه، لكن اليهود أرادوا إطفاء هذه الحقيقة، فقصروا العهد الإلهي على

إسحاق الطّيّل وبنيه، وحرموا منه إسماعيل الطّيّل وبنيه عداءً لهم، بعد أن جمعهم الله مع إسحاق الطّيّل وبنيه؛ فكلهم ذريته ونسله: "وقال إبراهيم لله: "ليت إسماعيل يعيش أمامك!" فقال الله: "بل سارة امرأتك تلدلك ابنًا وتدعو اسمه إسحاق. وأقيم عهدي معه عهدًا أبديًّا لنسله من بعده. وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثوره وأكثره كثيرًا جدًّا". فيه. ها أنا أباركه وأثوره وأكثره كثيرًا جدًّا".

## ثَانيًا. التوراة تنفي اختصاص النبوة في بني إسرائيل:

على أننا إذا رجعنا إلى التوراة نجد أن التوراة نفسها على علاتها \_ تنفي دعوى اختصاص النبوة ببني إسرائيل، فقد ذكرت خمسة رسل من غير بني إسرائيل، وهم: ملكي صادق، ويشرون، وبلعان، وأيوب، ويونس (۱).

إن الهدف من ذلك الادعاء هو تجريد العرب من كل فضل ومنقبة تنسب إليهم وليس في المناقب أعظم من وجود النبوة فيهم، وفي جدهم إسهاعيل الكيلا ونسبة كل فضل إلى اليهود وحدهم واستثارهم بذلك الفضل، والتوراة التي حرفوها تدور في هذا الفلك، وهو بناء أمجاد بني إسرائيل، واستعبادهم العالم وتسلطهم عليه، لذا فهم عندما يسودونه تتحقق وعود الله المزعومة لشعبه المختار.

ق "ثبوت نبوة إساعيل" طالع أيضًا: السبهة الخامسة والعشرين، من هذا الجزء.

الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي، د. عبد العظيم المطعني، مرجع سابق، ص ٤٥٠.

# ثَالثًا. قصة الذبيح وضَّحها الوحي القرآني توضيحًا شافيًا، وليس النبي ﷺ:

أما افتراء أن النبي الله لم يستطع أن يحدد من الذبيح أهو إسماعيل أم إسماق عليهما السلام، في كان النبي النبي المحدد هذا الأمر أو غيره من تِلْقاء نفسه (1)، ولكنه وحي يوحى إليه، وقد امتحنه اليهود المعاصرون له في شأن أصحاب الكهف، وذي القرنين، والروح، وموسى النالم والعبد الصالح، ولم يستطيعوا تكذيبه فيما أُوحِي إليه، والله تعالى أخبر عن الذبيح بها يفيد أنه غير إسحاق النالم.

فجاء الحديث عن إسحاق الكليّ بعد الحديث عن الذبيح، ما يفيد أنه ليس بإسحاق الكيّ ، بل كانت البشرى نتيجة صبر إبراهيم الكيّ على البلاء في تنفيذ أمر الله، وأخبرت التوراة أن الذبيح ابن إبراهيم الكيّ الوحيد، ولم يكن إسحاق الكيّ ابنه الوحيد، ولكنهم حشر وا اسمه حشرًا، فظهر ضلالهم .

#### الخلاصة:

- النبوة في إسهاعيل النبية وولده ثابتة في القرآن الكريم والتوراة، رغم محاولة طمس الحقائق وتزييفها، لبناء أمجاد لبني إسرائيل، وتجريد العرب من كل فضل ومنقبة.
- القرآن الكريم هو القول الحق في إثبات نبوة إسماعيل النفي الأنه حجة ثابتة وقطعية الثبوت بالتواتر.
- التوراة تنفي اختصاص النبوة في بني إسرائيل،

فقد ذكرت خمسة رسل من غير بني إسرائيل، وهم: ملكي صادق، ويشرون، وبلعان، وأيوب، ويونس، وهذا يناقض زعمهم بأن النبوة مقصورة على بني إسرائيل، وبهذا التناقض يسقط زعمهم وتبطل

# AND DES

## الشبهة الثامنة والعشرون

## الزعم أن لوطا اﷺ عرض على قومه إتيان الفاحشة مع بناته (\*)

### مضمون الشبهة :

### وجها إبطال الشبهة:

الغرض من حقيقة عرض لوط التَّكِينَ كما وضحه القرآن الكريم، هو إرشادهم إلى الطهارة والزواج من النساء.

<sup>(\*)</sup> عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق.

٢. يُهْرَعون: يمشي مشيًا فيه اضطراب وسرعة.

١. تِلْقاء نفسه: من عند نفسه.

<sup>®</sup> في "من الذبيح: إسهاعيل أم إسحاق؟" طالع أيضًا: الشبهة الرابعة والعشرين، من هذا الجزء.

Y) الأدلة العقلية والنقلية تثبت أن عرض لوط الكيلا لا يخرج عن احتمالين: الأول: عرض بناته للزواج الشرعي، وليس بالزنا، والثاني: أن بناته هم نساء الأمة وبنات قريته، وعرضه للزواج الشرعي منهن أيضًا.

#### التفصيل:

# أولا. الغرض من حقيقة عرض لوط الناق كما وضحها القرآن الكريم:

لما أتت رسل الله ملائكته لوطًا الكليم، ورأى هيئاتهم وجمالهم حزن؛ لأنه حسبهم إنسًا؛ فخاف عليهم خُبث قومه، وأن يعجز عن مقاومتهم ودفعهم وضاق من هذا صدره، وقال: هذا يوم شديد شره عظيم بلاؤه.

وجاءه قومه بعد أن علموا أن عند لوط النَّكِين أضيافًا حسان الوجوه، يسرعون كأنها يُدْفَعُون دفعًا، ومن قبل مجيئهم إلى لوط النَّكِين كانوا يأتون الرجال في أدبارهم.

فقال لهم لوط الكلا \_ لما جاءوا يراودونه عن ضيفه: هؤلاء بناتي فتزوجوهن فهن أطهر لكم، وأطهر إما بمعنى: أنظف، أو أحلّ، فعلى معنى أنظف يسراد بالطهارة الطهارة الحسية، وهي الطهارة عما في اللواط من الخبث والأذى، وعلى معنى أحلّ: يسراد الطهارة المعنوية، وهي التّنزُّه عن الفحش والإثم، فاتقوا الله تعالى، ولا تخزون في ضيفي، أي: ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي؛ أي: ولا تُخجلوني من الخزاية، وهي الحياء في حق ضيوفي، فإنه إذا خزي ضيف الرجل، أو جاره فقد خزى الرجل. ﴿ أَلِيسَ مِنكُورُ رَجُلُ لَلهِ الرجل، أو جاره فقد خزى الرجل. ﴿ أَلِيسَ مِنكُورُ رَجُلُ لَا طريق الحق، وفعل الجميل،

وترك السوء؛ فيأمر بقية القوم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر.

فأجابوه: لقد علمت ما لنا في بناتك من حاجة؛ لأن إتيان الإناث غير محبب إلينا، وإنها نحب ونبغي إتيان الذُّكران، وإنك لتعلم هذا.

والمعنى: ليس لنا في بناتك حق؛ لأنك دعوتنا إلى نكاحهن بشرط الإيهان؛ ونحن لا نجيبك إلى ذلك، فلا يكون لنا فيهن حق<sup>(۱)</sup>.

ثانيًا. الأدلة العقلية والنقلية تثبت أن عرض لوط اللها الله لا يخرج عن احتمالين: إما أنه يعرض بناته بالتزويج، أو أنه يقصد ببناته نساء الأمة بالتزويج أيضًا:

الاحتهال الأول: أن لوطًا الكيلة لم يعرض بناته على قومه بالزنا، وإنها بالتزويج وإتيانهن من حيث أمر الله تعالى، وإنها لم تصرح الآية بهذا؛ لأنه واضح، لا يحتاج إلى التنصيص عليه، حيث لا يعقل أن ينهى نبي عن منكر ويدعو في نفس الوقت إلى منكر آخر، ومع بناته، والمقام مقام ترجيح النساء على الرجال، لا كها يفعل قومه من ترجيح إتيان الذكران على ما خلق لهم رجم تعالى من أزواجهم، قال تعالى: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُكُرانَ مِنَ الْعَالَمِينَ اللهِ كَالَةُ مُن الْمَالَةُ اللهُ اللهُ

ففي هذا المقام أمر النكاح معلوم، والطهر ليس إلا في هذا المقام أمر النكاح الزنا، ولا في إتيان النكران؛ لذا استغنى عن ذكره. ويدل على أن

عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص٢٩٥، ٢٩٦.

بيان الإسلام: الردعلي الافتراءات والشبهات

لوطًا التَّلِيُّلِمُ إنها عرض بناته بالتزويج أمور:

١. تعليله عرض بناته بقوله: ﴿ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ ولا طهارة في الزنا، ولا يفهم من أفعل التفضيل أن عمل قوم لوط الكيك طاهر، وأن إتيان النساء بالتزويج أكثر طهرًا منه، لأن أفعل التفضيل ليس على بابه، وإنها هو بمعنى أصل الفعل، فلا يدل على أن إتيان الذكور كان طاهرًا.

٢. أنه لا يجمل بمن ينهى عن منكر أن يدعو في نفس الوقت إلى منكر مثله أو أشد، وهنا كيف ينهى لوط النا عن اللواط ويدعو إلى الزنا؟ كل منهما منكر قبيح يجب تركه.

٣. أنه لو كان يدعو قومه إلى الزنا لاحتجوا عليه بقولهم: الزنا واللواط محرمان في شريعتك فكيف تدعونا إلى ترك أحدهما دون الآخر؟! ولكان لهم أن يقولوا له: أنت تدعونا إلى محرم هو الزنا، ونحن ندعو إلى محرم هو اللواط، فقد تساوينا نحن وأنت في هذا الأمر، فليست استجابتنا لك بأولى من استجابتك لنا، ولكن لم يقولوا شيئًا من ذلك.

ثم هو النا قال لهم عُقيب عرض بناته عليهم: ﴿ أَلَيْسَ مِنكُمُ رَجُلُ رَشِيدُ ﴿ أَلَيْسَ مِنكُمُ رَجُلُ رَشِيدُ ﴿ أَلِيسَ مِنكُمُ رَجُلُ رَشِيدُ ﴿ أَلِيسَ مِنكُمُ رَجُلُ رَشِيدُ ﴿ أَلِيسَ عِن السوء، فلو طريق الحق، وفعل الجميل، والكفّ عن السوء، فلو كان لوط النا لله يدعو قومه إلى الزنا لقالوا له: وأنت الآخر لست رشيدًا، حيث تدعونا إلى الفسق، لكنهم لم يقولوا ذلك.

أن لوطًا النَّكِينَ أنكر على قومه إتيان الذكران،
 وترك الزوجات في قوله: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَلَمِينَ
 وَيَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَدُّكُم مِّنَ أَزْوَنِهِكُمْ مَلَ أَنتُمْ قَوْمٌ

عادُون ش الله (الشعراء)، فهذا صريح في أنه يعيب على قومه أمرين: إتيان الذكران وترك الزوجات، فهو إذن يدعوهم إلى إتيان ما خلق الله لهم من أزواجهم، أي: إتيان نسائهم الحلال وذلك نقيض الإتيان الحرام وهو الزنا(1).

وذكر السيوطي أن ابن عباس ـ رضي الله عنها ـ قال: لما سمعت الفسقة بأضياف لوط الطيخ جاءت إلى باب لوط، فأغلق لوط الطيخ عليهم الباب دونهم، شم اطّلع عليهم فقال: هؤلاء بناتي، فعرض عليهم بناته بالنكاح والتزويج، ولم يعرضهن عليهم بالفاحشة، وكانوا كفارًا وبناته مسلمات، فلما رأى البلاء، وخاف الفضيحة عرض عليهم التزويج (٢).

وهنا يرد سؤال هو: كيف يعرض لـوط الطَيِّلاً عـلى قومه الكفار التزوج ببناته المسلمات، وهل يصح تـزوج الكافر بمسلمة؟ والجواب واحد من اثنين:

- أنه دعاهم إلى التزوج بهن شريطة أن يؤمنوا،
   وإليه ذهب الزجاج، وهو مبني على أن تزويج المسلمات
   من الكفار لم يكن جائزًا إذ ذاك.
- أن تزويج المؤمنات من الكفار كان جائزًا في شريعته، وهكذا كان في أول الإسلام؛ فقد زوَّج النبي الطَّيِّ ابنته زينب لأبي العاص بن الربيع، وابنته رقية لعتبة بن أبي لهب قبل الوحي، وكانا كافرين، إلا أن عتبة لم يدخل برقية، وفارقها بطلب أبيه حين نزلت: ﴿ تَبَّتُ يَدَا آبِي لَهَبٍ وَتَبَ اللهِ ﴿ (المسد)؛ فتزوجها

١. المرجع السابق، ص٢٩٧: ٢٩٩.

الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الـرحمن جـلال الـدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨٣م، ج٣، ص٣٤٣.

عثمان ، وأما أبو العاص فكان قد دخل بزينب، فلما أُسِرَ يوم بدر، وفدى نفسه أخذ النبي الله العهد عليه أن يردها إذا عاد، وأرسل الله زيد بن حارثة ورجلًا من الأنصار في طلبها فجاءا بها، ثم إن أبا العاص أسلم، وأتى المدينة فردها إليه.

ولوط الطَّكِلاً وهو يعرض بنتيه أو بناته الـ ثلاث بالنكاح فإنها يعرضهن على زعيمين أو ثلاثة مُطَاعِين في قومهم (١).

الاحتمال الثاني من قول لوط النسخ: ﴿ هَتُولَكَ بَنَاقِ هُنَ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ (هود: ٧٧): أن لوطًا النسخ إنها يقصد ببناته نساء الأمة، فهو يعرض على الرجال أن يأتوا أزواجهم، وكأنه يقول لهم: هؤلاء أزواجكم فأتوهن، فهن أطهر لكم من إتيان الذكران. قال الزمسري: ﴿ هَتُولُكُم بَنَاتِي ﴾ إشارة إلى النساء؛ لأن كل أمة أولاد نبيها: رجالهم بنوه، ونساؤهم بناته، فكأنه قال لهم: هؤلاء بناتي فانكحوهن، وخلوا بَنِي فلا تتعرضوا لهم.

والجواب الأول أقوى - عرض الزواج من بناته - ؛ إذ الإشارة بـ "هؤلاء" تكون للحاضر، ونساء الأمة غير حاضرات؛ ولأنه لو كان المقصود نساء الأمة لقال في هذا الوقت: أزواجكم اللائي خلق لكم ربكم أطهر لكم، كما قال في موضع آخر: ﴿ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَكِمُم مَنْ أَنْتُم قَوْم عَادُوك ﴿ وَالله عَلَى الشعراء)؛ ولأنهم ردوا عليه بقولهم: ﴿ وَالْوا لَقَدَ عَلِمتَ مَا لَنَا فِ وَلاَنهم ردوا عليه بقولهم: ﴿ وَالْوا لَقَدَ عَلِمتَ مَا لَنَا فِ بَنَاتِكَ مِنْ حَقِ وَإِنّك لَنَعْلَمُ مَا نُولِدُ الله وكان

#### الخلاصة:

• عرض لوط الطّيّة بناته على قومه كما وضحه القرآن الكريم، هو إرشادهم إلى طريق الطهر والعفاف، وهو الزواج من بناته أو نساء بلدته أو أمته، بدلًا من هذه العادات السيئة التي وقعوا فيها، وهي "اللواط"، فهو لم يعرض عليهم الزنا - كما يـزعم الزاعمون - بـل عرض عليهم الـزواج، إذ كيف ينهاهم عـن المنكر ويدعوهم إلى منكر آخر هو الزنا؟!

• الأدلة العقلية والنقلية تثبت أن عرض سيدنا لوط التَّكِينٌ لا يخرج عن احتمالين:

أولهما: هو عرض بناته بالزواج وهذا ينافي الزنا.

ثانيهها: أن المقصود ببناته: نساء الأمة، وأهل بلدته، وهذا زواج شرعي بعيد عن الزنا واللواط، ولكن الأقوى والأقرب إلى الصواب، هو أنهن بنات لوط التيكا.

## AGE:

١. روح المعاني، الآلوسي البغدادي، مرجع سابق، ج٣، ص٥٨٩.

٢. آوِي إلى رُكْنِ شديد: ألجأ إلى حماة أشداء أقوياء يحمونني.
 ٣. عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص٢٩٩، ٣٠٠.

### الشبهة التاسعة والعشرون

# التشكيك في توكُّل لوط الطِّيِّز حق التوكُّل على الله (\*)

#### مضمون الشبهة:

يدعي بعض المتوهمين أن لوطًا الطِّيِّلاً لم يكن متـوكَّلا على الله حق التوكل، ويستدلون على ذلك بقول الله ﷺ: ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيَّ إِلَى رُكِّنِ شَدِيدٍ ١٠٠٠ ﴾ (مود). ويتساءلون: هل يصح ذلك عن نبي من أنبياء الله تعالى؟!

### وجها إبطال الشبهة:

١) التوكل على الله تعالى لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب المشروعة التي خلقها الله وأودعها في الكون. ٢) لا يقدح في عصمة نبي مثل لوط الكي طلب النصرة، ما دامت في الحق، بل إن الاجتماع والتناصر من أجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب شرعي.

#### التفصيل:

## أولا. التوكّل على الله لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب المشروعة :

لو لم يكن لوط الطِّينين متوكلًا على الله حق التوكل لمــا قال: ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ عَامِيٓ إِلَىٰ رُكُنِ شَدِيدٍ ( ﴿ ﴾ (مرد)، لما جاءه قومه يراودونه عن ضيفه، والنذين هم في الحقيقة ملائكة أرسلهم الله تعالى لإهلاك قـوم لوط التَّلِيَّةُ، ولوط التَّلِيَّةُ لا يعلم ذلك.

تعالى ما أكمله وما أعظمه؛ وذلك لأن التوكل له معنى

(\*) عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق.

قد جهله هؤلاء الذين يتجرءون على أنبياء الله تعالى ورسله، ونوضح هذا المعنى لهؤلاء الغافلين في النقطة التالية:

## معنى التوكل ومفهومه في الإسلام:

التوكل لغة: وَكُل بالله يَكِل وكلَّا: استسلم إليه، ووكل إليه الأمر: سلَّمه إليه، وفوَّضه إليه. أوكل على الله وكل به، ووكل على فلان العمل: خلاه كله عليه. وكله: استكفاه أمره ثقة به، ووكله في الأمر فوضه إليه. اتكل على الله: استسلم إليه، واتكل على فـلان في أمـر: اعتمد ووثق به. تواكل: اتكل بعضهم على بعض، وتواكل القوم فلانًا: تركوه ولم يعينوه فيها نزل به.

وبعقد مقارنة سريعة بين التوكل والتواكل من خلال المعنيين السابقين يتضح أن التوكل أخذ بالأسباب واستنفاد للجهد والطاقة، والتواكل عكس ذلك أي أن يكون الإنسان بمقدوره أن يبذل جهدًا، وطاقة ثم نجده لا يفعل، وعليه فهو متواكل لا متوكسل على الله.

أما التوكل اصطلاحًا: فهو الاعتباد على الله والرضا بقضائه وقدره، والرجوع إليه في كمل شيء مع الأخمذ بالأسباب؛ فالتوكل هو الأخذ بالأسباب، ثم الاعتهاد على الله في تحصيل النتائج، وحث الله على ذلـك حيـث قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَلْمَيْكُ مِّنَ ٱلشَّيَطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ اللَّهُ (الأعراف)(١).

يقول الإمام أحمد: التوكل عمل القلب، ومعنى

ذلك أنه عمل قلبي ليس بقول اللسان، ولا عمل

والذي يتأمل مقولة لوط المخيئة يجد تـوكلًا عـلى الله

١. دراسات في العقيدة الإسلامية، د. محمد أحمد الخطيب، د. محمد الهزايمة، دار عمار، الأردن، ط٥، ١٩٩٧م، ص٢١.

الجوارح، ولا هو من باب العلوم والإدراكات<sup>(۱)</sup>.

وقال أبو سعيد الخرَّاز: التوكل اضطراب بلا سكون، وسكون بلا اضطراب.

ويريد بذلك أن يتحرك العبد في الأسباب بالظاهر والباطن، وأن يسكن إلى المسبب ويركن إليه، وقد أجمع علماء الأمة على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب(٢).

والتوكل هو صفة الأنبياء والمرسلين وجميع الصالحين، والتواكل هو صفة الكسالى منهم والعجزة؛ ومثال ذلك الرجل الذي دخل عليه الفاروق في المسجد فوجده يتعبد دون أن يغادر المسجد، فسأله عمن يطعمه، فقال: أخي يطعمني، فحكم الفاروق حكمًا حاسمًا بيًّنا لا لبس فيه ولا غموض؛ حيث قال: "أخوك أعبد لله منك". وإذا أسقطنا هذا الكلام على موقف نبي الله لوط السيلا، لا تضح لنا كيف كان هذا النبي متوكلًا على الله حق التوكل.

إن المتأمل في موقف نبي الله لوط السلام مع قومه لما راودوه عن ضيفه، يتبين له رجولة هذا النبي واستهاتته في الدفاع عن أضيافة أمام هؤلاء الفسقة، على الرغم من أنه كان يقف وحده أمام هذه الجموع، إلا أنه دافعهم وحده؛ لأنه يعلم حقيقة التوكل على الله، قال دافعهم وحده؛ لأنه يعلم حقيقة التوكل على الله، قال تعالى: ﴿ وَجَآءَهُ فَوْمُهُ مُهُم عُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّاتِ قَالَ يَنقوه مِ هَنوُلا إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّاتِ قَالَ يَنقوه مِ هَنُولا إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ وَلا عَنْ رَجُلُ لَهِ هَا الله الله (مود).

فسيدنا لوط الطيلا يعلم مدى فسق قومه ومدى دنسهم، ومع ذلك يعرض عليهم بناته ليتزوجوا بهن، إنها قمة التوكل أن يستنفد الإنسان طاقته مع ركون قلبه وثقته في الله تعالى، وهل يُعْقَل أن يكون قلب نبي من أنبياء الله على غير ذلك؟!

والراجح أن الخطاب في قوله: ﴿ قَالَ لَوَ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَةً أَوْءَ اوِي إِلَى رُكُنِ شَدِيدِ ﴿ اللهِ الله تعنى لو كان عدد ضيفه كثيرًا ليجد بهم قوة على عجاهدة قومه، وكفهم والإيقاع بهم، ولذلك ردوا عليه بقسولهم: ﴿ قَالُوا يَنلُوطُ إِنّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ ﴾ بقسولهم: ﴿ قَالُوا يَنلُوطُ إِنّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ ﴾ (مود: ٨١)

٣. الزَّلَل: الخطأ.

٤. قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، مرجع سابق،

ص٠١٥٠.

في الطريق إلى الله: التوكل، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص١٧.

٢. المرجع السابق، ص١٨.

شديد"(1). فيمكن توجيه وتفسير الآية مع الحديث والربط بينها على النحو الآتي:

أنه لا جناح على لموط السلام في طلب قوة من الناس تدفع عن أضيافه؛ إذ لا حرج على إنسان يرى الحق مضيَّعًا، والباطل سائدًا في أن يستعين بأناس يُحق بهم الحق، ويُبطل الباطل؛ فقوة جند الحق من قوة الله.

إن لوطًا الطَّيْلُ التجا إلى الله في باطنه، وهـو مـا يخبر عنه الحديث، وإنـا قـال: ﴿ عَاوِى إِلَى رُكْنِ شَدِيدِ
 (هود) أمام الأضياف اعتذارًا.

وقد نقل ابن حجر عن النووي قوله: إنه التجأ إلى الله في باطنه، وأظهر هذا القول للأضياف اعتذارًا! ويُرجِّح د. الحديدي، الجواب الثاني لأمرين:

الأول: أن اللائق برسول الله أن يسركن إلى الله لا إلى الناس، وكُلُّ رسولٍ كان يقف وحده في مواجهة الكثرة الكثيرة من خصومه ومُناوئيه (٢)، فعلى من كان يعتمد؟ والرسل عليهم الصلاة والسلام حين كلَّفهم ربهم بالدعوة إلى سبيله، أعلمهم أنه معهم بتأييده وعنايته حتى لا يخافوا سطوة أقوامهم عليهم، وهل كان مثل فرعون في الناس تجبرًا وطغيانًا، لقد طمأن الله موسى وهارون عليهما السلام عندما وجهها إليه أنه معها: وهارون عليهما السلام عندما وجهها إليه أنه معها: وَقَرَعُ شَيْنَ اللهُ أَوْلَكُ لِيَنَا اللهُ اللهُ مَوْلَكُ لَهُ وَلَمُ اللهُ اللهُ

الثاني: أن لوطًا الطَّيِّة قدَّر في نفسه في هذه اللحظة أن أضيافه \_ وهو لا يعلم أنهم ملائكة \_ سيتساءلون ولو في أنفسهم: أما لهذا الرجل ولد وعشيرة تدفع عنه؟!، فقال هذا القول اعتذارًا لهم بأن لا ولد له ولا عشيرة تحميه، أما في الباطن فكان ملتجنًا إلى الله تعالى متوكلًا عليه (٤) ®.

٤. عصمة الأنبياء، د. محمد الحديدي، مرجع سابق، ص٣٠٢.

عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق،
 ص ٢٠١.

٣. مُناوئيه: أعداؤه.

இ في "عدم منافاة التوكل للأخذ بالأسباب" طالع أيضًا: الوجه الرابع، من الشبهة الثانية، من الجزء السادس (العقيدة الإسلامية وقضايا التوحيد). وفي "دعوة السلف الصالح إلى الأخذ

بالأسباب" طالع: الوجه الأول، من الشبهة الثانية والأربعين، من الجزء الرابع (التاريخ الإسلامي٢).

## ثانيًا. لا يقدح في عصمة النبي طلب النصرة للحق، بل هو واجب شرعي:

أنبياء الله تبارك وتعالى مصطفون منه على، وهذا الاصطفاء جاء لأشياء أودعها الله فيهم يتميزون بها عن غيرهم، حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللهَ ٱصَطَفَىٰ ءَادَمُ وَنُوحًا وَاللَّهِ اللهِ اللهِ الله وَعَلَىٰ الله أَصْطَفَىٰ ءَادَمُ وَنُوحًا وَاللَّهِ إِنَّ ٱلله أَصْطَفَىٰ وَاللَّه وَاللَّه عَرَان عَلَى ٱلْعَلَمِينَ (الله عمران). فالآية تخبرنا أن الله اختار آدم ونوحًا، وآل إبراهيم، فالآية تخبرنا أن الله اختار آدم ونوحًا، وآل إبراهيم، وهم إساعيل وإسحاق، والرسل من ذريتها، وآل عمران \_ وهم موسى وهارون ابنا عمران \_ عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين \_ عيلى العالمين \_ بالرسالة (۱).

وينقل أبو السعود قولًا في توضيح اصطفاء آدم ونوح \_عليها السلام \_هو: اصطفى الله آدم الكليلا بأن خلقه بيده في أحسن تقويم وبتعليمه الأسماء، وإسجاد الملائكة له، وإسكانه الجنة، واصطفى نوحًا الكليلا بكونه أول من نسخ الشرائع، إذ لم يكن قبله تزويج المحارم حرامًا، وبإطالة عمره، وجعل ذريته هم الباقين، واستجابة دعوته في حق الكفرة والمؤمنين، وحمله على متن الماء (٢)(٢).

ومن اصطفاه الله جعله على هدى وصلاح، وجعله عبدًا شكورًا لا تصدر عنه المعصية؛ لأن الله على لا يختار العصاة ليهدي بهم عباده، فإنهم يصيرون قدوة في

الضلال والإضلال، فكيف يختارهم لهداية الناس (1)؟
وأما عن آل إبراهيم اللي وآل عمران، فقد أخرج
ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق علي عن
ابن عباس \_رضي الله عنها \_ في قوله: "وآل إبراهيم
وآل عمران" قال: هم المؤمنون من آل إبراهيم، وآل
عمران، وآل ياسين، وآل محمد الله "(٥).

والذي ينظر فيها تقدم يوقن أن أنبياء الله تعالى ومنهم لوط الطيخة \_قد اصطفاهم الله على البشر لأداء مهمة محددة ألا وهي مهمة هداية البشر إلى الله تعالى وهذا يستوجب أن يكونوا معصومين من كل زلل وخطأ، وإلا لما تحققت الغاية من مبعثهم وتلك نعمة أنعم الله تعالى بها على البشرية جمعاء، فكون الأنبياء والمرسلين نموذجًا بشريًا يحتذى به ويَقْتَفِي أَثَره (٢) وللنهم المعصومون \_يضيء الطريق للمهتدين، ويقيم الحجة على الضالين.

فكم من أناس في هذه الحياة يبحثون عن نموذج يُقْتَفَى أثره وتُتلَمّس خطواته فيلا يجدون إلا أُناسًا لا يمكن بحال من الأحوال أن يكونوا أسوة في الخير، أو قدوة في الصلاح، فيصيبهم من الحوال والكرب نصيب عظيم، وتلك نفوس الأسوياء، ونحسب أن الله من رُأْفَة بهؤلاء حجعل هناك أنبياء ومرسلين ودعاة إلى الخير من أجل الاقتداء بهم والتأسي بأخلاقهم.

عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص١٤٨.

٥. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، مرجع سابق، ج٢،
 ص١٨٠.

٦. يَقْتَفِي أَثْرُه: يتَّبعه ويقتدي به.

١. عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق،
 ص١٤٧.

٢. مَتْن الماء: ظهره.

٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمود العادي، دار إحياء التراث، بيروت، د. ت، ج١، ص ٢٢٩.

#### الخلاصة:

- إن الأنبياء هم أعظم الناس إيهانًا بالله، وأقواهم يقينًا على الله، وأشَدُهم توكلًا عليه، ولا يقدح في عصمة نبي منهم أن يطلب النصرة على الحق، أو دفع المنكر بل إن ذلك واجب شرعي.
- لا حرج ولا جناح على نبي الله لوط الكليلا في طلب قوة من الناس لدفع الباطل وإحقاق الحق فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَوْ لا دَفْعُ اللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم يَبِعُضِ لَفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ (البقرة: ٢٥١) فهذا ما فعله لوط الكليلا ولم يزد عليه.
- أما قوله تعالى حكاية عن لوط: ﴿ لَوَ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَةً أَوْ اَوِي إِلَى رُكُنِ شَدِيدِ ﴿ اللهِ (مود) فكان اعتذارًا من لوط الطيخ أمام أضيافه، أما باطنه فهو مع الله دائم الالتجاء إليه وهذا ما يوضحه قول رسولنا في في الحديث المتقدم: "يرحم الله لوطًا، لقد كان يَا وي إلى ركن رشيد".

## 

## الشبهة الثلاثون

## ادعاء وقوع الفحشاء في بيت لوط الطَّيِّرُ (\*) مضمون الشبهة:

يلصق الجاهلون التُّهم السنيعة بأنبياء الله ﷺ، وهم المعصومون من الخطأ والزلل، ومن الأنبياء الذين أصابهم

أذى هؤلاء الفسقة، سيدنا لوط الطيلا، فقد اتهمه الجاهلون زورًا وافتراءً، بأنه زنى بابنتيه كها جاء في كتابهم المحرف، ويدعون كذلك أن زوجته خانته بارتكاب الفحشاء، ويستدلون على ذلك بقول الله على حكاية عن امرأة نوح ولسوط: ﴿ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبكادِنَا صَكلِحَيْنِ فَحَانَتَاهُما فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِن اللهِ شَيْئًا وَقِبلَ ادْخُلا فَخَانَتَاهُما فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِن اللهِ شَيْئًا وَقِبلَ ادْخُلا النارَمَعُ الدَّخِلِينَ اللهِ النحريم).

## وجوه إبطال الشبهة:

أنبياء الله ﷺ جميعًا هم خير البرية، ولوط الطّيّي من
 الأنبياء، ومن ثم فلا يجوز في حقه ما يخدش هذه الخيرية.

لا تناقض نصوص الكتاب المقدس حول نبي الله لوط التَكْيَة يدحض تلك الافتراءات، وينفي هذا الزعم الباطل، ويثبت صدق القرآن الكريم.

٣) خيانة زوجته له لا تعني أنها زنت \_كما يـ دعون \_
 بل تعني أنها أبت اتباعه وخالفته في العقيدة.

### التفصيل:

## أولا. أنبياء الله تعالى جميعًا هم خير البرية:

اختار الله تبارك وتعالى أنبياءه؛ لأنهم أفضل البشر وأخيرهم، فهذا أبوهم آدم العَيْنَ أول البشر، كم تحمّل من عناء وتعب لراحة أبنائه في الدين والدنيا. وهذا نبي الله نوح العَيْن يلبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، كما ذكر القرآن الكريم، فما كانت حصيلة تلك السنين الطوال إلا كما وصف القرآن: ﴿ حَتَى إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ النَّنُورُ قُلْنَا أَحِلَ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ أَثَنَيْنِ وَأَهْلَكَ النَّنُورُ قُلْنَا أَحِلَ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ أَثَنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ أَلْقُولُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَن مَعَهُم إِلَّا وَلِيلًا لا يتجاوز ثمانين رجلًا قَلِيلُ لَا يَتجاوز ثمانين رجلًا قَلِيلُ لا يتجاوز ثمانين رجلًا

<sup>(\*)</sup> قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، مرجع سابق. عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق. النبوة والأنبياء، محمد علي الصابوني، مرجع سابق.

على أكثر تقدير.

وهذا إبراهيم خليل الرحمن الكيلا يأبى السجود لصنم طيلة حياته، ويبدأ رحلة الإيمان من بدايتها يتفكر في خلق الكون باحثًا عن ربه حتى هداه الله تعالى إليه، ثم يبدأ رحلة جهاده في تبليغ دين الله إلى الناس.

وهذا نبي الله لوط عليه الطي أرسله الله تعالى إلى أقبح قوم على ظهر الأرض وقتها، وهم أهل سدوم، قوم ما أشد بغيهم، وما أعظم تبجحهم، يجهرون بالفحشاء والمنكر، هكذا دون أدنى خجل أو حياء؛ لذلك استحقوا وصف الله لهم بالإجرام: ﴿ وَأَمَطَرَنَا لَذَلك استحقوا وصف الله لهم بالإجرام: ﴿ وَأَمَطَرَنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُر كَيْفَ كَانَ عَنقِبَهُ ٱلمُجْرِمِينَ عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُر كَيْفَ كَانَ عَنقِبَهُ ٱلمُجْرِمِينَ وَبُلُوطًا ءَايَّذَنَهُ حُكُما وَعِلْما وَنَجَيَّذَنَهُ مِنَ الْقَرْيَةِ التِّي كَانَ تَعْمَلُ الْخَبَيْثُ إِنَّهُمْ كَانُولُ وَنَعْما وَعِلْما وَنَجَيَّذَنَهُ مِنَ الْقَرْيَةِ التِي كَانَ تَعْمَلُ الْخَبَيْمِثُ إِنَّهُمْ كَانُولُ وَنَعْما وَعِلْما وَنَجَيْدَ فَعْمَا وَعِلْما وَنَجَيْدَ فَعْ وَالْمَا وَنَعْما وَعِلْما وَنَعْما وَعَلَما وَنَعْما وَعَلَما وَنَعْما وَعَلَما وَنَعْمَا وَعَلَما وَعَلَما وَعَلَما وَنَعْمَا وَعَلَما وَعَلَمَ اللّهُ وَلَمَا مَا وَعَلَمُ اللّهُ وَلَمَا مَا وَعَلَم وَعَلَمُ اللّهُ وَلَمْ وَلَعْمَا وَعَلَمُ وَلَمْ اللّهُ وَلَمْ وَعِلْمُ وَلَعْمَا وَعَلَمُ وَلَمْ اللّهُ وَلَمْ وَلَوْلَا إِنَا مُهَلِكُوا الْهَلِهِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَلَوْلُولُ اللّهُ وَلَمْ اللّهُ وَلَيْ الْمُعْمَى وَالْمُ الْمُولِي وَلَمْ الْمُعْلِمُ وَالْعَلَمْ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَمْ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَالْعَلَمُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَالْمُولُ وَلَمْ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَمْ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَمْ اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَالْمُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ ال

فقد كانوا يأتون الرجال، ويقطعون السبيل، ويأتون في ناديهم المنكرات والفواحش جهارًا نهارًا: ﴿ أَيِكُمُ لَيَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَطَّعُونَ السَّكِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكِيلَ وَتَأْتُونَ فَي الْوَا الْقَيْنَا الْمُنْكِيلَ فَوَقِيهِ ۚ إِلَّا أَن قَالُواْ اَقْتِنَا الْمُنْكِيلَ وَقَالُواْ اَقْتِنَا

بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ (١) ﴾ (العنكبوت).

ويبدأ نبي الله لوط الطَّكِلَّ دعوته لقومه من منطلق الأخوة الإنسانية: ﴿ إِذْ قَالَ لَمُمْ أَخُوهُمْ أُوطُ أَلَا نَنَقُونَ ﴿ إِذْ قَالَ لَمُمْ أَخُوهُمْ أُوطُ أَلَا نَنَقُونَ ﴿ الله السَّكِلَا لَم يكن عدوًّا لأشخاصهم، بل كان مُصْلحًا لأخطائهم، مصوبًا مُصْلحًا لأخطائهم، مصوبًا لسلوكهم (١).

فكان شأنه الكل شأن الطبيب الرحيم بمرضاه، الصبور على امتناعهم عن تناول الدواء، دواء رباني وصفه له ربه الله فحمله بأمانة إلى قومه: ﴿ إِنِّ لَكُمْ رَسُولٌ آمِينٌ (الشعراء).

وكان من دواعي خيريته وأمانته أنه ابتدأ العلاج معهم بداية صحيحة؛ حيث قال: ﴿ فَٱنْقُواْاللّهَ وَالْطِيعُونِ معهم بداية صحيحة؛ حيث قال: ﴿ فَٱنْقُواْاللّهَ وَالْطِيعُونِ الله والتي هي رأس كل طاعة، فها من طاعة تصدر عن البشر إلا وانبعاثها عن تقوى الله، فحسن الأخلاق مصدره تقوى الله، والتعبد اللذيذ مصدره تقوى الله، والبعبد عن الفحش والبذاءة والدناءة مصدره تقوى الله، والبعد عن الفحش والبذاءة والدناءة مصدره تقوى الله،

لقد وُفِّق نبي الله لوط الطَّكِين، أعظم التوفيق لما ابتدأ بتقوى الله، ثم وُفِّق أيضا لما تَنَّى بدعوة قومه إلى طاعته، فحقٌ على المريض أن يطيع طبيبه، وحق على الطالب أن يطيع أستاذه.

ثم إنه بتقديمه تقوى الله تعالى على طاعته، قد جعل طاعته مشروطة بموافقة تقوى الله كلل. وكيف لا يكون

مدرسة الأنبياء: عبر وأضواء، محمد بسام الزين، دار الفكر، ببروت، ط٢، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص١١١.

ولعله من نافلة القول أن نذكر أن كلمة بني أو رسول تعني أنه رجل كلفه ربه بدعوة الناس إليه، والعقل يقول: إن من ضرورة ذلك أن يكون قدوة لهم، وإلا فكيف يدعوهم إلى خير الخصال وهويأتي أقبحها؟! وكيف يدعوهم إلى حسن الخلق وليس عنده هذا الخلق؟! تخيلوا أن رجلًا يفعل ذلك، فهل تعتقدون أن يتبعه أحد؟!

بالطبع لا. إذن غاية تكليف لم تتحقق، وهنا نجد أنفسنا أمام أحد احتمالين لا ثالث لهما:

الأول: أن لوطًا الطَّلِينَ ليس نبيًّا فكونه يـزني بابنتيـه ويشرب الخمر ينفي عنه صفة النبوة.

الثاني: أن لوطًا العَيْلُ نبي من أنبياء الله تعالى وما أثير عنه من افتراءات وأباطيل لا سند لها من عقل أو نص صحيح لم يُحرَّف، فكتابكم المقدس يقول إنه نبي والقرآن الكريم - كتاب الله المحفوط - يقول إنه نبي وَلَقرآن الكريم - كتاب الله المحفوط - يقول إنه نبي وَلَق لَوْطَ الْعَيْلُ شهد له بها قومه قال الله المُحَلِّق فَمَا كَانَ جُوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا الله المُوطِ مِن قَرْيَةِ كُمُ إِنّهُمُ النمل .

ثم إن طهارت لوط الكيلة قد تمثلت كذلك في إنكار

الفواحش التي كان القوم يقتر فونها والتي تمثلت فيها يلي (١):

• إتيان الذكران دون الإناث، فأنكر عليهم قائلًا كما حكى القرآن: ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَلَمِينَ ﴿ الشَّعِرَاءُ) وبين لهم أن هذه الفعلة فاحشة لا تَنْسَجِم (٢) مع الفطرة الإنسانية، إذ إنها تشكل سابقة خطيرة تهدد المجتمع بالانهيار، وتنذر النسل بالفناء فقال: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ النَّانُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدِمِنَ الْعَلَمِينَ الْعَلَمُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّه

وقد أرجع نبي الله لـوط التَّنَيْكُمْ هـذا الـشذوذ عـن الفطرة إلى أمرين:

الأول: الإسراف في الملذات فقال لقومه: ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَهُمْ مُونَ وَوَكَ النِّسَاءُ مِلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُنسرِ فُوكَ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَهُمْ مُونَ وَوَكِ النِّسَاءُ مِلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُنسرِ فُوكَ ﴿ الْأَعِرَافِ).

الشاني: الجهل بإحدى وظائف الشهوة لدى الإنسان، وهي الحفاظ على التناسل في الجنس البشري، وقد جاء على لسان لوط: ﴿ أَيِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّحَالَ شَهُوهَ مِّن

١. المرجع السابق، ص١١٢.

٢. لا تَنْسَجِم: لا تتوافق.

دُونِ ٱلنِّسَاءَ ۚ بُلُ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجَهَلُونَ ١٠٠٠ ﴿ النمل ).

وحيث إننا احتكمنا إلى العقل، فالعقل يشهد عند الأسوياء بأن رجلًا مثل هذا، يقف في وجه الرذيلة ويقاومها، ويقف في وجه المنكرات السائدة في قومه، رجلٌ يصح فيه القول: إنه موصول بالسهاء، هذا فضلًا عن أن كتابكم المحرف يشهد بأنه نبي من أنبياء الله \_عليهم السلام \_، ويؤكد هذه الحقيقة كتاب ربنا \_ القرآن الكريم \_ ومن ثم فلا صحة لما يدّعيه هؤلاء الجاهلون.

## ثانيًا. تناقض نصوص الكتاب المقدس حول نبي الله لوط الله يدحض تلك الافتراءات ويثبت صدق القرآن:

تحكي التوراة عن لوط الكيلا قائلة: "وأخرجاه ووضعاه خارج المدينة. وكان لما أخرجاهم إلى خارج أنه قال: "اهرب لحياتك لا تنظر إلى ورائك، ولا تقف في كل الدائرة. اهرب إلى الجبل، لئلا تهلك". فقال لها لوط: "لا يا سيّد. هُو ذا عبدك قد وجد نعمة في عينيك،

١. مدرسة الأنبياء: عبر وأضواء، محمد بسام الزين، مرجع سابق، ص١١٣،١١٢.

وعظَّمت لطفك الذي صنعت إلى باستبقاء نفسي، وأنا لا أقدر أن أهرب إلى الجبل لعل الشر يدركني فأموت. هُو ذا المدينة هذه قريبة للهرب إليها وهي صغيرة، أهرب إلى هناك أليست هي صغيرة؟ فتحيا نفسي". فقال له: "إني قد رفعت وجهك في هذا الأمر أيضًا أن لا أقلب المدينة التي تكلمت عنها. أسرع أهرب إلى هناك لأني لا أستطيع أن أفعل شيئًا حتى تجيء إلى هناك". لذلك دُعي اسم المدينة صُوغر. وإذ أشرقت الشمس على الأرض دخل لوط إلى صوغر، فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتًا ونارًا من عند الرب من السياء. وقلب تلك المدن وكل الدائرة وجميع سكان المدن ونبات الأرض... حين قلب المدن التي سكن فيها لوط. وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبـل وابنتـاه معه لأنه خاف أن يسكن في صوغر. فسكن في المغارة هو وابنتاه. وقالت البِكْر للصغيرة: "أبونا قد شاخ ليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض. هلمَّ نسقي آبانا خمرًا ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلًا". فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة: "إني قد اضطجعت البارحة مع أبي نسقيه خمرًا الليلة أيضًا، فادخلي اضطجعي معه فنحيي من أبينا نسلًا". فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة أيضًا، وقامت الصغيرة واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها؛ فحبلت ابنتا لوط من أبيهما. فولدت البكر ابنًا ودعت اسمه موآب، وهو أبو الموآبيين إلى اليوم. والصغيرة أيضًا ولدت ابنًا ودعت اسمه بن عَمّي، وهـو أبـو بني

بيان الإسلام: الردعلي الافتراءات والشبهات

عَمُّونَ إلى اليوم". (تكوين ١٩: ١٦ \_٣٨).

لاحظ الاضطراب في تدوين القصة؛ ففي البداية خاف أن يسكن الجبل وسكن في صوغر؛ لأنها مدينة صغيرة، ثم جعله كاتب هذه الأسطورة يهرب من المدينة المأهولة إلى الجبل لتهيئة المسرح لجريمة الزنا بابنتيه.

والغرض من ذلك هو السياسة الصهيونية التي تهدف إلى استبعاد أي نسل آخر خلاف نسل يعقوب التي من مشاركتهم في عهد الله مع الخليل إبراهيم التي والمؤمنين به ومنعهم من الحصول على أية ميزة، واعتبار أن الله قد خلق العالم من أجل أن يرث حقط بنو إسرائيل أرض الميعاد.

والدليل على كذب هذه الرواية يأتي من عدة وجوه، هي:

1. خوف لوطأن يسكن في الجبل لعل الشر يدركه فيموت، وفضًّل السكن في مدينة صوغر. (تكوين ١٩: ١٩ ـ ٠ ٢)، ثم تضارب الكاتب مع نفسه فقال: "وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه؛ لأنه خاف أن يسكن في صوغر فسكن في المغارة هو وابنتاه". (تكوين ١٩: ٣٠).

٧. وقد عاش لوط في صوغر ١٤ سنة \_ قبل مولد إسهاعيل إلى أن بلغ إبراهيم من العمر ١٠٠ سنة \_ وهو يعرف هذه المنطقة وسكانها جيدًا، ولو كان أهلها من الأشرار لأهلكهم الله، كها أهلك سدوم وعمورة، ولما عاش معهم ١٤ سنة! فكيف يخاف الجبل، شم يسكن فيه، ويترك القرية وأهلها الذين نعم بالعيش معهم ١٤ سنة؟ فقد سكن الجبل الذي يخاف منه لا معهم ١٤ سنة؟ فقد سكن الجبل الذي يخاف منه لا

لشيء إلا لرغبة كتبة التوراة في ذلك لاستكمال هذه القصة المختلقة.

7. كان لسيدنا لوط الطيخ أبناء ذكور قبل تدمير سدوم وعمورة. وهم يعيشون في نفس المكان، وقد أبلغهم لوط بها سيحدث للقرية قبل تدميرها، كها أبلغ بناته وأصهاره، ولا شك أن الكل صدَّقه وهرب معه، وإخفاء هذا الخبر في التوراة كان متعمَّدا؛ لقطع نسب لوط من أبنائه ولاستكهال القصة، وقال السرجلان للوط: "من لك أيضا ههنا؟ أصهارك وبنيك وبناتك، وكل من لك في المدينة أخرج من المكان؛ لأننا مهلكان هذا المكان إذ قد عظم صراخهم أمام السرب فأرسلنا الرب لنهلكه". فخرج لوط وكلم أصهاره الآخذين بناته وقال: "قوموا اخرجوا من هذا المكان لأن السرب الفجر كان الملاكان يعجلان لوطًا قائلين: "قم خذ المراتك وابنتيك الموجودتين لئلا تهلك بإثم المدينة". المراتك وابنتيك الموجودتين لئلا تهلك بإثم المدينة".

ولو صدقنا خبر تكذيب أصهاره فهل لم تصدقه إحدى بناته المؤمنات اللواتي تربين في بيت النبوة؟ بالطبع حَبَكَ الكاتب هذا السيناريو؛ لتنفرد الابنتان بأبيها.

٥. كذب القول المنسوب لابنتي لوط اللي بأنه ليس من الأرض رجل ليدخل عليها كعادة كل الأرض، فهل كانت القرية القريبة من الجبل صوغر ليس بها رجال؟ وهل لم تتزوج ابنتاه العذراوتان لمدة ليس بهد هروبهم من سدوم وعمورة؟

مع العلم أنهم كانوا يسكنون في منطقة قريبة، لا

تبعد عن المنطقة التي هربوا إليها إلا ساعتين سيرًا على الأقدام، فقد خرجوا في الفجر ووصلوا إلى صوغر عند شروق الشمس، والجبل وصوغر كلاهما كانا قريبين من سدوم، وكانت هناك مدن أخرى قريبة من صوغر كالتي وردت عندما أنقذ إبراهيم لوطًا عليها السلام من الأسر، ولم يذكر أن الرب قد دمرها.

ومما يثبت وجود شعوب أخرى في المنطقة التي عاش فيها لوط ما ورد بعد ذلك في (التثنية ٢: ٩ - ١٢) من أن الله قد أورث بني لوط الطيخة أرض الإيميين والرفائيين الذين يسكنون المكان الذي أقام فيه لوط، وعلاوة على ذلك فالمسافة بين صوغر وحيرون التي يقيم فيها إبراهيم الطيخة لا تتعدى ٧٠ كيلومتر، وقد رأى إبراهيم الطيخة بعينيه النار المشتعلة في سدوم القريبة من صوغر وهو في مكانه.

ولا يمكن أن يقال بأي حال من الأحوال إن لوطًا الطّيّة قد عاش منفردًا هو وابنتاه بدون مخالطة شعب آخر، فهذا ما لا يطيقه الشباب فضلًا عن شيخ عجوز.

٦. أما فيها يختص بحادثة الزنا؛ فالتلفيق واضح فيها وبيان ذلك بالآتي:

- أن المخمور الذي لا يستطيع أن يفرق بين بناته والأجنبيات لشدة سكره، لا يكون في هذا الوقت قابلًا للجماع، والغريب في باقي القصة أن الأب لم يسأل ابنتيه العذراوين عن سبب الحمل؟ ومثل هذا الوضع لو وقع لبعض آحاد الناس لضاقت عليه الأرض بما رحبت حزنًا وغمًّا، فهل لم يهتم نبى الله بابنتيه وشرفه؟
- فحبلت ابنتا لوط من أبيها، فولدت البكر ابنًا

ودعت اسمه "موآب"، وهو أبو الموآبين إلى اليوم، والصغيرة أيضًا ولدت ابنًا ودعت اسمه "بن عمي"، وهو أبو بني عمون". (تكوين ١٩: ٣٦\_٣٨).

لو كان الموآبيون والعمونيون من الزنا لغضب الله عليهم أو حتى أهمل شأنهم، ولكننا نرى في سفر التثنية أن الله قد أعطى أرض الإيميين للموآبيين ميرانًا: "فقال لي الرب: لا تعاد موآب ولا تشر عليهم حربًا؛ لأني لا أعطيك من أرضهم ميرانًا، لأني لبني لوط قد أعطيت عار ميرانًا. الإيميون سكنوا فيها قبلا شعب كبير وكثير وطويل كالعناقيين". (التثنية ٢: ٩، ١٠)، كها أعطى أرض الرفائيين لبني عمون ميرانًا: "فمتى قريب إلى تجاه بني عمون لا تعادهم ولا تهجموا عليهم؛ لأني لا أعطيك من أرض بني عمون ميرانًا؛ لأني لبني لوط قد أعطيتها ميرانًا، هي أيضا تحسب أرض رفائيين. سكن الرفائيون فيها قبلا لكن العمونيين يدعونهم زمزميين". الرفائيون فيها قبلا لكن العمونيين يدعونهم زمزميين".

وقد أعطى الله الموآبيين والعمونين ميراث الأرض قبل أن يبورث بني إسرائيل وقبل أن يبدخلوا أرض الميعاد، بل وحرم أرض الموآبيين والعمونيين على بني إسرائيل كها ورد في (التثنية ٢: ١٩) ولو كان الإرث يستلزم عهدًا من الرب فقد حصل عليه العمونيون والموآبيون، وبذلك يكونون قد دخلوا في جماعة الرب؛ لأن الرب لا يعطي عهدًا لأبناء الزنا "لا يدخل ابن زنا في جماعة الرب، عيماعة الرب، عتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد في جماعة الرب". (تثنية ٢٣: ٢)، وبذلك يكون في جماعة الرب الموآبيون والعمونيون ليسوا من أبناء زنى ويكون كتبة هذه القصة من الكاذبين، ويكون بني إسرائيل

قد ادعوا وجوب هذا العهد من الله، ويكونون أيضًا من الكاذبين.

ولو صدقنا قول التوراة أن العمونيين والموآبيين من نسل الزنا، وقد حصلوا على عهد من الله وعلى إرث، يكون قد نال عهد الله أبناء الزنا والأطهار (بني إسرائيل)، فلا ميزة إذن للأطهار عن أبناء الزنا، ويصبح قول التوراة بأن بني إسرائيل شعب الله المختار؛ لأنهم أخذوا عهدًا من الله بتملك الأرض، قولًا كاذبًا.

وإذا كان هذا شأن الله مع أبناء الزنا وهم أبرياء مما اقترف آباؤهم، فكيف يكون شأنه مع المحتالين واللصوص؟ فجاء في سفر التكوين: "وحدث لما شاخ إسحاق وكلَّت عيناه عن النظر، أنه دعا عِيسُو ابنه الأكبر وقال له: "يا ابنى". فقال له: "هأنذا". فقال: "إننى قد شِخْتُ ولستُ أعرف يوم وفاتي. فالآن خُذ عُدَّتك: جُعْبَتك وقوسك، واخرج إلى البَرِّيَّة وتصيدلي صيدًا، واصنع لي أطعمة كما أحب، وأتنى بها لآكل حتى تباركك نفسى قبل أن أموت". وكانت رفقة سامعة إذ تكلُّم إسحاق مع عيسو ابنه. فذهب عيسو إلى البرية كى يصطاد صيدًا ليأتي به. وأما رفقة فكلمت يعقوب ابنها قائلة: "إني قد سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قائلًا: ائتنى بصيد واصنع لى أطعمة لآكل وأباركك أمام الرب قبل وفاتي. فالآن يا ابنى اسمع لقولي في ما أنا آمرك به: اذهب إلى الغنم وخذ لي من هناك جَدْيَيْنِ جيِّدين من المِعْزَى، فأصنعها أطعمة لأبيك كما يحب، فتحضرها إلى أبيك ليأكل حتى يباركك قبل وفاته". فقال يعقوب لرفقة أمه: "هو ذا

عيسو أخى رجل أشعر وأنا رجل أملس. ربم ايجُ سُّني أبي فأكون في عينيه كمتهاون، وأجلب على نفسي لعنة لا بركة". فقالت له أمه: "لعنتك عليّ يا ابني. اسمع لقولي فقط واذهب خُذ لي". فذهب وأخذ وأحضر لأمه، فصنعت أمه أطعمة كما كان أبوه يحب. وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التي كانت عندها في البيت وألبست يعقوب ابنها الأصغر، وألبست يديه ومَلاسَة عُنُقه جلود جَدْيي المعزى. وأعطت الأطعمة والخبز التي صنعت في يد يعقوب ابنها. فدخل إلى أبيـه وقال: "يا أبي". فقال: "هأنذا. من أنت يا ابني؟" فقال يعقوب لأبيه: "أنا عيسو بِكْرك. قد فعلت كما كلمتني. قم اجلس وكل من صيدي لكي تباركني نفسك". فقال إسحاق لابنه: "ما هذا الذي أسرعت لتجديا ابني"؟ فقال: "إن الرب إلحك قد يسر لي". فقال إسحاق ليعقوب: "تقدم لأجسك يا ابني. أأنت هو ابني عيسو أم لا"؟ فتقدم يعقوب إلى إسحاق أبيه، فجسَّه وقال: "الصوت صوت يعقوب، ولكن اليدين يدا عيسو". ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشعرتين كيدي عيسو أخيه، فباركه. وقال: "هل أنت هو ابني عيسو"؟ فقال: "أنا هو". فقال: "قدِّم لي لآكل من صيد ابني حتى تباركك نفسى". فقدم له فأكل، وأحضر لـه خمرًا فشرب. فقال له إسحاق أبوه: "تقدَّم وقبلني يا ابني". فتقدم وقبله، فشم رائحة ثيابه وباركه، وقال: "انظر! رائحة ابني كرائحة حقل قد باركه الرب. فليعطك الله من نَدَى السهاء ومن دَسَم الأرض. وكثرة حنطة وخمر. ليستعبد لك شعوب، وتسجد لك قبائل. كن سيِّدًا لإخوتك، وليسجد لك بنو أمك. ليكن لاعنوك

ملعونين، ومباركوك مباركين". وحدث عندما فرغ إسحاق من بركة يعقوب، ويعقوب قد خرج من لدن إسحاق أبيه، أن عيسو أخاه أتى من صيده، فصنع هو أيضًا أطعمة ودخل بها إلى أبيه، وقال لأبيه: "ليقم أبي ويأكل من صيد ابنه حتى تباركني نفسك". فقال له إسحاق أبوه: "من أنت"؟ فقال: "أنا ابنك بِكُرك عيسو".

فارتعد إسحاق ارتعادًا عظيًا جدًّا وقال: "فمن هـو الذي اصطاد صيدًا وأتى به إليَّ فأكلت من الكل قبل أن تجيء، وباركته؟ نعم، ويكون مباركًا". فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومرة جدًّا، وقال لأبيه: "باركني أنا أيضًا يا أبي". فقال: "قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك". فقال: "ألا إن اسمه دُعِي يعقوب، فقد تعقَّبني الآن مرتين! أخذ بَكُوريَّتي، وهـو ذا الآن قد أخذ بَركتي". ثم قال: "أما أبقيت لي بركة؟" فأجاب إسحاق وقال لعيسو: "إني قد جعلته سيدًا لك، ودفعت إليه جميع إخوته عبيدًا، وعضدته بحنطة وخمر. فهاذا أصنع إليك يا ابني"؟ فقال عيسو لأبيه: "ألك بركة واحدة فقط يا أبي؟ باركني أنا أيضًا يا أبي". ورفع عيسو صوته وبكي. فأجاب إسحاق أبوه: "هـو ذا بـلا دسم الأرض يكون مسكنك، وبلاندى السهاء من فوق. وبسيفك تعيش، والأخيك تُسْتَعْبَد، والكن يكون حينها تجمح أنك تُكسِّر نِيْرَه عن عُنُقك". فحقد عيسو على يعقوب من أجل البركة التي باركه بها أبوه. وقال عيسو في قلبه: "قَرُبَت أيام مَنَاحة أبي، فأقتلُ يعقوب أخي". فأُخبرت رِفْقة بكلام عيسو ابنها الأكبر، فأرسلت ودعت يعقوب ابنها الأصغر وقالت له: "هـو

ذا عيسو أخوك مُتَسَلِّ من جهتك بأنه يقتلك. فالآن يا ابني اسمع لقولي، وقم اهرب إلى أخي لابان إلى حاران، وأقم عنده أيامًا قليلة حتى يرتد سخط أخيك. حتى يرتد غضب أخيك عنك، وينسى ما صنعت به. ثم أرسل فآخذك من هناك. لماذا أعدم اثنيكما في يوم واحد"؟ (التكوين ٢٧: ١-٥٤).

فكيف يكون شأنه مع من صارعوه وقهروه؟ فه ل هؤلاء أيضًا لهم عهد من الرب وميراث؟ أم أن هذه القصة من وحي خيال كاتب مخمور؟ فقد جاء في سفر التكوين أن يعقوب العيلي صارع الرب: "فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر. ولما رأى أنه لا يقدر عليه، ضرب حق فخذه، فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه. وقال: "أطلقني، لأنه قد طلع الفجر". فقال: "لا أطلقك إن لم تباركني". فقال له: "ما اسمك؟" فقال: "يعقوب". فقال: "لا يدعى مع الله والناس وقدرت". وسأل يعقوب وقال: "أخبرني باسمك". فقال: "لماذا تسأل عن اسمي"؟ وباركه هناك. فدعا يعقوب اسم المكان "فنيئيل" قائلا: "لأني نظرت الله وجها لوجه، ونجيت نفسي". (التكوين ٣٢: ٢٤ ـ ٣٠).

• "لا يدخل ابن زنا في جماعة الربحتى الجيل العاشر، لا يدخل منه أحد في جماعة الرب". (التثنية ٢٣: ٢)، ومعنى "حتى الجيل العاشر" أي: للأبد. ومع ذلك فإننا نجد أن راعوث كانت مؤابية وهي أم نبي الله داود الذي كان من ذريته كل ملوك يهود حتى السبي، والذي قال عنه الرب: "أنا أكون له

أبًا وهو يكون لي ابنًا إن يَعْوَج أُوَّدبه بقضيب الناس وبضربات بني آدم. ولكن رحمتي لا تنزع منه كما نزعتها من شاول الذي أزلته من أمامك. ويأمن بينك ومملكتك إلى الأبد أمامك. كرسيك يكون ثابتًا إلى الأبد". (صموئيل الثاني ٧: ١٤-١٦).

فلا يمكن لمن شرفه الله بهذا الشرف أن يكون من سلالة زنا، كما أن سليمان قد تزوج من نعمة العمونية وأنجب منها رحبعام (ملوك الأول ١٤: ٢١)، ولا يمكن أن يكون رءوس جماعة الرب من أمهات زنا، فضلًا عن أنهم من نسل الرب تبعًا للتشريع النصراني. فلا بد أن يكون هذا التشريع مدسوسًا علي التوراة. لكن ما أسباب ذلك؟

يقول السموأل بن يحيى المغربي صاحب كتاب "إفحام اليهود" وأحد أحبار اليهود الذين هداهم الله للإسلام، وقد كان أبوه حَبْرًا يهوديًّا كبيرًا وإمامًا ضليعًا في اليهودية، وكذلك كانت أمه، مما جعله قادرًا على الخكم على التوراة: "وأيضًا فإن عندهم أن موسى جعل الإمامة في الهارونيين، فلما ولي طالوت ـ شاول ـ وثقلت وطأته على الهارونيين وقتل منهم مقتلة عظيمة، شم انتقل الأمر إلى داود، بقي في نفوس الهارونيين التشوُّق إلى الأمر الذي زال عنهم، وكان عَزْرًا هذا خادمًا لملك الفرس، حظيًّا لديه، فتوصل إلى بناء بيت المقدس، وعلم هذه التوراة التي بأيديهم، فلما كان هارونيًّا، كره أن يتولى عليهم في الدولة الثانية داودي. فأضاف في التوراة فصلين للطعن في نَسَب داود، أحدهما قصة بنات لوط، والآخر قصة ثامار مع يهوذا، ولقد بلغ ليت لعمري \_غرضه، فإن الدولة الثانية كانت لهم في بيت

المقدس، لم يُملَّك عليها داوديون، بل كان ملوكهم هارونين"(١).

ومن ثم فهل يصدق عاقل ما قاله الكتاب المحرف عن سيدنا لوط الطيلا، وهو كما سبق أن علمنا مملوء المغالطات والتناقضات فضلًا عن شهادة المتخصصين في اليهودية بالتحريف المتعمد من قبل من سطروا هذه التوراة لأغراض سياسية وسعيًا منهم للملك والسيادة.

## ثَالثًا. خيانة زوجة لوط اللَّيِّة لم تكن في أمر البغاء والفحشاء، بل مخالفة في العقيدة:

وأما عن خيانة زوجة نبي الله لوط السَّيْلُا فإننا نقول لن يدعي أن خيانتها كانت بغاء وارتكابًا للفاحشة: لا بد لكم بداية أن تسألوا أهل الذكر والعلم إن كنتم تبغون الحق وما هي أقوال أهل العلم في قول الله الله و صَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِللَّذِينَ كَفَرُوا المرَأَتَ نُوجٍ وَالمَرَأَتَ لُو عَنَانَا عَنْهُما مِنَ عَبَادِنَا صَلِحَيْنِ فَخَانَتَا هُما لَلْهَ يُعْنِيا عَنْهُما مِنَ اللهِ شَيْنًا وَقِيلَ ادْخُلَا النّارَ مَعَ الذَيْلِينَ اللهِ التحريم).

فعن ابن عباس - رضي الله عنها - في قوله: "فخانتاهما" قال: ما زَنَتَا، أما خيانة امرأة نوح فكانت قولها للناس عن زوجها: إنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل على الضيف فتلك خِيانتها(٢). ورُوي عن ابن عباس أنه قال: "ما بغت امرأة نبي

۱. إفحام اليهود، السموأل بن يحيى المغربي، د. م، د. ت،
 ص۱۱۵، ۱۵۲، ۱۰۲.

إسناده صحيح: أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير،
 باب سورة التحريم (٣٨٣٣)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص.

قط"(١). وجاء عن الضحاك شه في قوله: "فخانتاهما" أنه قال: "كانتا كافرتين مخالفتين ولا ينبغي لامرأة تحت نبي أن تَفْجُر".

وجاء عن قتادة شفي في قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا ﴾ (التحريم: ١٠) أنه قال: لن يُغني صلاح هـذين عـن هـاتين \_ المرأتين \_ شيئًا، وامرأة فرعون لم يضرها كفر فرعون، والله أعلم (٢).

وختامًا نقول: لولا القرآن لهلك الناس؛ لأن منهم

### الخلاصة:

- أنبياء الله على هم خير البرية؛ فهم المكلفون بتوصيل رسالات الله إلى خلقه فكان حقّا لهم أن يكونوا كذلك لإتمام المهمة التي خلقهم الله من أجلها، ومن ثم فليس لهم أن يكونوا كها يصفهم المدعون بأوصاف لا يوصف بها إنسان عادي، فضلًا عن أن يوصف بها نبي.
- إن الكتاب المقدس كتاب مزيف لتناقض نصوصه؛ لأنه إذا سلمنا بصحة زعمهم من أن لوطًا السلام زنا بابنتيه؛ لاستوجب ذلك أن من أنبياء الله تعالى مَنْ جاء مِنْ نسل زنا وبغاء، والفطرة والعقل والشرع يأبون ذلك كل الإباء، وهنا يأتي دور القرآن العظيم كتاب الله المحفوظ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها يدافع عن أنبياء الله عن أنبياء الله عن أنبياء الله وحُرِّف. ومن شم نقول: لولا القرآن لهلك الناس؛ لأنه لن تكون القدوة الصالحة قائمة بين البشر إذا سقط الأنبياء من عيون الناس.



من يريد أن يهدم كل فضيلة، ويقيم كل رذيلة ونقيصة، من المؤسف أن هؤلاء خاضوا في أطهر الخلق وخير البرية (الأنبياء) لذلك جاء هذا القرآن ليقوم المعوج، ويصحح المسار ويُرِي الناس حقيقة الأنبياء دحضًا لشبهات أصحاب الأهواء ومن لا يتبعون إلا الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا.

أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٤٣)، تفسير سورة هود، الآية ٤٦ (١٨٢٢٤).

أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٣٨)، تفسير سورة التحريم، آية ١٠.

٣. البَغِي: الفاجرة التي تتاجر بعِرْضها.

٤. الملاذ: الملجأ والمقر.

٥. وَطْأَة: حِمْلا.

<sup>®</sup> في "المقصود بخيانة امرأة نـوح وامـرأة لـوط" طـالع أيـضًا: الوجه الثاني، من الشبهة العاشرة، من هذا الجزء.

### الشبهة الحادية والثلاثون

## دعوى خطأ القرآن في قصة تآمر إخوة يوسف اليكية عليه والمكر به (\*)

### مضمون الشبهة:

### وجها إبطال الشبهة:

١) تآمر إخوة يوسف الطّيك عليه نيَّة مسبقة، تتفق مع الطبائع البشرية، وسياق الأحداث يثبت هذا التآمر،
 وأنه ليس وليد اللحظة كها ذكرت التوراة.

٢) نُسمخ التوراة الثلاثة (العبرانية، واليونانية،
 والسامرية) لا تتفق في القصة اتفاقًا تامًّا، فأيهما نصدق
 القرآن الكريم، أم التوراة المحرفة؟!

### التفصيل:

أولا. مكر إخوة يوسف به والتآمر عليه نية مسبقة، تتفق مع الطبائع البشرية، وسياق الأحداث يثبت هذا التآمر وأنه ليس وليد اللحظة كما ذكرت التوراة:

إن المتأمل في آيات القرآن الكريم التي ذكرت قصة

(\*) هل القرآن معصوم؟ موقع إسلاميات. Islamyet.com (\*) هل القرآن معصوم؟ موقع إسلاميات. ١. يَرْتَع: يلهو.

يوسف العلى مع إخوته، وما ورد فيها من طلب إخوة يوسف العلى من أبيهم أن يسمح بخروج يوسف العلى معهم للعب، وما ورد في التوراة من قصة يوسف العلى من أن يعقوب العلى هو الذي أرسل يوسف العلى إلى من أن يعقوب العلى هو الذي يتفق مع الواقع هو ما ذكره القرآن الكريم، أما التوراة فهي التي تتضمن المعلومات المغلوطة. فالذي يتفق مع الواقع أن إخوة يوسف العلى بيتوا النية مسبقًا للتخلص من يوسف فقالوا متآمرين: ﴿ أَقُنُكُواْ يُوسُفَ أُو اَطْرَحُوهُ أَرْضَا يَعُلُ لَكُمُ وَتَكُونُواْ مِنْ بَعْدِوء قَوِّمًا صَلِحِينَ الله المنه وعلى المنه وهذا يتفق مع إحساسهم بأن يوسف العلى أثير لدى وهذا يتفق مع إحساسهم بأن يوسف العلى أثير لدى أبيهم، فقد حسدوه على حب أبيه إياه، وعلى ما أتاه الله من علم وجمال وجلال، فتآمروا على قتله وإبعاده عن أبيه بطرحه في أرض بعيدة لا يمكنه الرجوع منها إليه، ولا يعرف أحد من أهله مكانه فيأتي به إلى أبيه.

وقد بنوا على ذلك آمالًا وأحلامًا تدل على سفه عقولهم، وفساد رأيهم وقسوة قلوبهم، فقد تصوروا أنهم بتخلصهم من يوسف الكلية سوف يحوزون حُبّ أبهم، واعتهاده عليهم في كثير من شئون الحياة، وهم عصبة؛ ولذلك رأوا أنهم أحق بحب أبيهم، ولم يعلموا أن عاطفة الحب لا يمكن أن تتحول بمجرد إرادة الإنسان لها، فحب يعقوب الكلية لولديه يوسف الكلية، وبنيامين، نابع من كونها صغيرين ضعيفين، والآخرون عصبة، ولكن خاب ظنهم، فأي صلاح يكون لإخوة يوسف الكلية بعد أن يبعدوه عن أبيه، وهو قُرَّة عينه (٢)؟ وهل مثل هذه الجريمة عما يطويه النسيان، أو يقلل من

٢. قُرَّة عين: سببًا للسرور والسعادة.

حدَّة وقعها مرُّ الزمان؟!

أما كيدهم ليوسف الكيلا دون أخيه فربها يرجع إلى أن أخاه كان صغيرًا جدًّا ليس له عند أبيه من المكانة ما ليوسف الكيلا، ولعلهم أحاطوا علمًا بالرؤيا التي رآها يوسف الكيلا، وعلموا تأويلها، وأدركوا أنه سيعلوهم ويسودهم، ويضطرون إلى استجدائه والسجود له؛ فمكروا به، ودبروا له دون أخيه.

وهذا يتفق مع الواقع وسياق الأحداث، وطبائع النفوس المريضة التي إذا تحكّم فيها الهوى فكّرت ودبّرت للكيد والانتقام.

أما تصوير التوراة للموقف فإنه يختلف تمامًا، فالذي جاء فيها أنهم انتظروا إلى حين إرسال يعقوب ابنه يوسف \_ عليهما السلام \_ إليهم، وبناءً على هذا لولم يرسله أبوه لما حدث ما حدث، وهذا لا يتفق مع نيتهم المبيَّتة، وتآمرهم السابق، فيوسف الطِّيلاً يلذهب إلى إخوته، وهم يرعون مواشيهم ليطمئن عليهم وعلى سلامة الغنم، والإخوة يفكرون في التخلص منه حين يرونه (وهذا وفق ما جاء في سفر التكوين في الإصحاح السابع والثلاثين) وهذا غير مستقيم لدينا؛ لأن يعقوب العَلِيلا نهى يوسف العَلِيلا عن قص رؤياه على إخوته، حين سمعها منه، فهو يخاف على ابنه من بُغضهم وكراهيتهم له، فكيف يرسله إليهم في البرية؟ ولذلك تحكى الآيات القرآنية الدافع وراء التآمر على حياة يوسف النَّلِيلاً وهي: ﴿ إِذَ قَالُواْ لِيُوسُفُ وَٱخُوهُ أَحَبُ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَا وَنَعْنُ عُصْبَةً إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (١٠ ١١) فهناك السبب العاطفي وهو إيثار أبيه له ولأخيه بالحب كما فصلناه. والسبب الثاني: أنهم رأوا

قوتهم في عصبتهم، ومدى نفعهم لأبيهم أكثر من صغيرين نالا محبة أبيهم، ويبدو أن الشيطان دخل إليهم من خلال اختلاف الأمهات.

وقد جعل كاتب التوراة فكرة القتل لدى إخوة يوسف وليدة اللحظة التي رأوا فيها يوسف قادمًا عليهم من بعيد، ولكن بالتأمل في سرد التوراة فيها بعد يتضح أن هناك تآمرًا، فإنهم على دراية بالمنطقة الصحراوية، والبئر كانت محددة في أذهانهم من قبل، بدليل قولهم: "اطرحوه في هذه البئر". (التكوين ٣٧: ٢٤ليل قولم، البئر المطلوبة.

كها أن التوراة تقول على ألسنتهم: هل نقتله ونطرحه في إحدى الآبار، أي أنهم سيجمعون بين القتل والطرح في البئر، وكلاهما وسيلتا قتل، ولكن القرآن ذكر أنه ألقي حيًّا، كها نصَّ على أن إخوة يوسف الطيط ليسوا قتلة محترفين، يقتلون لمجرد القتل، وإنها القتل إحدى وسائل التخلص من يوسف الطيط، ومن هنا كان الخيار الثاني "اطرحوه أرضًا"، وجاءت كلمة "أرضًا" نكرة كدليل على أن هؤلاء الإخوة سيتجهون في كل ناحية؛ حتى يجدوا منطقة مليئة بالذئاب، أو تكثر فيها الآبار.

ومن هنا بدأ الاحتيال؛ لذا قالوا لأبيهم: ﴿ قَالُواْ يَتَابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمُنَا عَلَى يُوشُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ ﴿ قَالُواْ اللَّهِ مَعَنَا عَدَا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَنِظُونَ ﴿ اللَّهُ السَّالِهُ مَعَنَا عَدَا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَنِظُونَ ﴿ اللَّهُ اللَّهِ مَعَنَا عَدَا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَنِظُونَ ﴿ اللَّهُ اللَّهِ مَعَنَا عَلَيْهِ مَعَلَمُ لَسُوء (يوسف)، فقد كانوا يعرفون خشية أبيهم عليه منهم لسوء صنيعهم وإهما لهم له، وهم تحت عينيه فكيف بهم إذا كانوا خارج البيت في أرض قفر؟! وقد حاولوا إقناعه ليثق بهم، ويصدق قولهم، باعتبارهم سيقومون على ليثق بهم، ويصدق قولهم، باعتبارهم سيقومون على

حراسة يوسف، وحفظه من العوادي، والمؤذيات، ولكن أباهم لم يكن غافلًا عنهم، ولا خافيًا عليه أمرهم فهو نبي مرسل، له من النور ما يميز به الصدق من الكذب، لقد تفرَّس الكذب في وجوههم، وعرف ما انطوت عليه سرائرهم، فأفصح عما يكنُّه قلبه، وما يعتمل في نفسه، وصارحهم بالحقيقة التي ما غابت عنه لخظة؛ لذا قال لهم: ﴿ قَالَ إِنِّ لِيَحْرُنُكِينَ أَن تَذَهَبُوا بِهِ لَحَظَة؛ لذا قال لهم: ﴿ قَالَ إِنِّ لَيَحْرُنُكِينَ أَن تَذَهَبُوا بِهِ وَاَخَافُ أَن يَأْكُلُهُ الذِّمْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ عَنِفُون ﴿ إِنَّ هَلَا القرآن (رسف)، وهذا ما لم تذكره التوراة، فهذه مزية في القرآن (النسل)، ولم يذكر القرآن أن يعقوب اتهم بنيه بالغفلة، وإنها قال لهم: ﴿ وَأَخَافُ أَن يَأْكُونَ اللهُ عَنْهُ وَانتُمْ قَالُون وَانْهُ وَانتُمْ عَنْهُ وَانْهُ وَانُونُ وَانُونُ وَانُونُ وَانُونُ وَانْهُ وَانْهُ وَ

ثانيًا. نسخ التوراة الثلاثة لا تتفق على القصة اتفاقًا تامًا فأيهما نصدق: القرآن الكريم الصادق أمر التوراة المحرفة؟!

مما يؤكد ما جاء في القرآن الكريم من قصة يوسف الكيلا، أنه هو الحق الذي لا مراء فيه أن نسخ التوراة تتناقض فيها بينها؛ فها نجده في نسخة منها قد لا نجده في الأخرى، وهذا دليل على بشريتها وأنها من تأليف النساخ والكُتّاب، فها جاء في القرآن، ولم يجئ في التوراة، لا يدل على إيراد شبهة على القرآن؛ ذلك لأن نسخ التوراة الثلاثة: العبرانية، واليونانية، والسامرية لا تتفق مع القصة اتفاقًا تامًّا.

ففي اليونانية نجد قصة "صواع الملك" وليست في العبرانية، وفي التوراة العبرانية ترجمة البروتستانت:

"ولما كانوا قد خرجوا من المدينة، ولم يبتعدوا؛ قال يوسف للذي على بيته: قم اسع وراء الرجال، ومتى أدركتهم فقل لهم: لماذا جازيتم شرًا عوضًا عن خير؟ أليس هذا هو الذي يشرب سيدي فيه، وهو يتفاءل به؟ أسأتم فيها صنعتم". (التكوين ٤٤: ٤، ٥)، وفي الكتاب المقدس في الشرق الأوسط: "فها أن خرجوا من المدينة، وابتعدوا قليلًا حتى قال يوسف لوكيل بيته: قم اتبع هؤلاء الرجال، فإذا لحقت بهم فقل لهم: لماذا عربالشر؟ لماذا سرقتم كأس الفضة التي يشرب بها سيدي، وبها يرى أحوال الغيب؟ أسأتم فيها فعلتم".

وهنا نلاحظ تناقض التوراة بشأن الشيء المسروق، فتارة يكون "صواع الملك" وفي نُسَخٍ أخرى يكون "كأس الفضة"، ولا توجد إشارة إليه في بعض النسخ (۱)، فها جاء في القرآن الكريم إذن هو الصواب، فهو المصوِّب لأخطاء السابقين بل إن القرآن يضيف حقائق لم تذكر عندهم، وهو الكتاب الخاتم الذي حفظه الله تعالى من التحريف، والتبديل، ﴿ إِنّا الذي حفظه الله تعالى من التحريف، والتبديل، ﴿ إِنّا لَمْ يُكُنُ نُرِّانِا الذِّكُرُ وَإِنّا لَهُ لَكُونِطُونَ (١) ﴾ (الحبر) (٢).

### الخلاصة:

مكر إخوة يوسف الكيلة به والتآمر عليه نية
 مسبقة تتفق مع الطبائع الإنسانية، وسياق الأحداث،
 وليس وليد اللحظة كها ذكرت التوراة، فالتآمر على قتله

حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، د. محمود حمدي زقزوق، مرجع سابق، ص ٤٩٠.

للمزيد انظر: جولة نقدية في نصوص الرواية التوراتية، محمد صالح توفيق، دار الهاني، القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

والتخلص منه يتفق مع إحساسهم بأن يوسف النيخ يستأثر بحب أبيه، كما ينبع من حقدهم عليه وحسدهم له لجاله، وعلمه، وجلاله، فقد أراد كاتب التوراة أن يخفف من حدة فكرة القتل لدى إخوة يوسف النيخ، ولكن المعلومات التي تسردها التوراة فيها بعد تبين أن هناك اتفاقًا مسبقًا على طريقة القتل ونوع البئر المطلوبة، وليس وليد اللحظة التي رأوا فيها أخاهم مقبلًا عليهم فراودتهم فكرة التخلص منه، فهل يعقل أن يرسل لهم يعقوب النيخ ابنه مع علمه أنهم يحقدون عليه ويحسدونه لمكانته لدى أبيهم!

• التوراة المحرَّفة تتناقض فيها بينها في هذا السأن، فنسخ التوراة الثلاث لا تتفق على القصة إطلاقًا، فأيها نصدق: القرآن الكريم المحكم أم التوراة التي حُرِّفت؟!

## 

## الشبهة الثانية والثلاثون

# ادِّعاء كتمان يوسف النَّكِلَ للحق بعدم إظهار حريته عند بيعه (\*)

### مضمون الشبهة:

يدعي بعض المتوهمين أن يوسف الكليلا لم يُظهر حريته عند بيعه، ويرون أن هذا كتمان للحق، وكتمان الحق معصية. ويتساءلون: كيف يصدر هذا من أحد

الأنبياء مع ما قيل عن عصمتهم؟

### وجه إبطال الشبهة:

يوسف السِّكُم لم يكن نبيًّا في ذلك الوقت، وسكوته عن إظهار حريته عندما بيع كان خوفًا من أن يقتله إخوته، أو خوفًا من أن يتركه الواردون فيهلك في الصحراء، وربما يكون قد أخبرهم بحريته، ولكنهم لم يعيروه اهتمامًا طمعًا في ثمنه.

### التفصيل:

## لقد كان يوسف الطِّيِّة صبيًّا صغيرًا عندما بِيع، وهذا يعني أنه لم يكن نبيًّا في ذلك الوقت، وإنما نُبِّئَ بعد ذلك:

وعلى هذا يحمل قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنْبِتَنَهُمُ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

وأما سكوت يوسف الكليم عن إظهار حريته فلعله خاف أن يقتله إخوته، وهذا إذا اعتبرنا أن إخوته هم الذين قاموا ببيعه بعد أن ألقوه في الجب واستخرجته السيارة - أي القافلة - وعلى هذا يكون الضمير "الواو" في قوله تعالى: ﴿ وَأَسَرُوهُ بِضَلْعَةَ ﴾ (يوسف: ١٩) عائدًا على إخوته.

وقد نقل ابن كثير عن العوفي عن ابن عباس ـ رضي الله عنها ـ قـول الله: ﴿ وَأَسَرُّوهُ بِضَعَةً ﴾ يعني إخـوة يوسف العَيْنَ أُسرُّ وا شأنه، وكتموا أن يكون أخاهم، وكتم يوسف العَيْنَ شأنه مخافة أن يقتله إخوته، واختار البيع، فذكره إخوته لبوارد القـوم، فنادى أصحابه: ﴿ يَنَابُشْرَىٰ هَذَا غُلَمُ ﴾ أي يُباع، فباعه إخوته.

وقال النسفي: إن إخوة يوسف الطِّيِّين قالوا للرفقة:

<sup>(\*)</sup> عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق. عصمة الأنبياء، فخر الدين الرازي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠١هـ/ ١٩٨٦م.

هذا غلام لنا أبق فاشتروه منا، وسكت يوسف الطَّيْكِمْ مخافة أن يقتلوه (١).

وإذا اعتبرنا أن الضمير للواردين يكون المعنى: وأسرَّه الواردون من بقية السيارة، وقالوا: اشتريناه من أصحاب الماء حتى لا يشاركوهم فيه إذا علموا شأنه، أو لعلهم أسرَّ وا أمره أي خبر التقاطه خشية أن يكون من أولاد بعض الأحياء القريبة من الماء قد تردّى في الجب، فإذا علم أهله بخبره طلبوه وانتزعوه منهم؛ لأنهم توسَّموا(٢) فيه مخائل (٣) أبناء البيوت، وكان الشأن أن يعرِّفوا من كان قريبًا من ذلك الجب، ويعلنوا كما هو الشأن في التعريف باللُّقطَة (٤). وعلى هذا لا يخلو أمر يوسف المَنِيُنُ من إحدى اثنتين:

الأولى: أنه سكت عن إظهار حريته طمعًا في النجاة: إذ كان يوسف النيس في صحراء مقفرة، فلو أخبرهم بحريته لتركوه في الصحراء، حيث لا يكون لأخذه فائدة، وربها عرضه ذلك للهلاك، أما الذهاب معهم ولو عبدًا يباع ويشتري ففيه نجاة له من أخطار الصحراء، ولذا آثر يوسف النيس ألا يخبرهم بحريته.

الثانية: أنه ربها يكون قد أخبرهم بحريته، ولكنهم لم يعيروه اهتهامًا طمعًا في ثمنه، وهذا هو الذي حملهم على أن يبيعوه بثمن قليل، وأن يرغبوا عنه، قال كالله و وَشَرَوْهُ مِثْمَنِ بَغْسِ دَرَهِمَ مَعَدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ

مِنَ ٱلزَّهِدِينَ اللهِ اليوسف (٥)، ويؤكد هذا قوله: ﴿ وَأَسَرُّوهُ ﴾، إذ يُشعر أن يوسف الله الخيلة أخبرهم بقصته، فأعرضوا عن ذلك طمعًا في أن يبيعوه، وذلك من فقدان الدين بينهم أو لعدم العمل بالدين (١).

وربها يكون إظهار الحرية أمرًا مختلفًا باختلاف الشرائع، فلعله أُمر بالسكوت عنه، وعدم إظهاره امتحانًا له الكيلا، وتحقيقًا لرؤياه التي بشرت بها سيكون له من شأن عظيم، وسيادة على قومه بها فيهم أهله. وعليه فلا ذنب ولا معصية على يوسف الكيلا(٧).

#### الخلاصة:

- كان يوسف الطّيلاً وقت أن بيع صبيًا صغيرًا،
   وعلى هذا فلا تكليف عليه، بالإضافة إلى أنه لم يكن قد نبيع بعد.
- لم يُظهر يوسف النَّكِينَ حريته عند بيعه؛ لخوفه من أن يقتله إخوته \_إذا كانوا هم من باعه \_كها أنه كان في صحراء مقفرة وربها لو اعترف بحريته لتركه الواردون فيها فيتعرض للهلاك.
- من المحتمل أن يوسف الطّيني قد أخبرهم بحريته، ولكنهم لم يَأْبَهوا (٨) لكلامه، ولم يعيروه اهتهامًا طمعًا في ثمنه، ولهذا أسرُّوا خبر التقاطه؛ ومن ثم فلا يُعدّ يوسف الطّيني كاتمًا للحق كها يدعي المتوهمون، لأنه

عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص٤ ٣٠٥، ٣٠٥ بتصرف يسير.

۲. توسَّموا: ظنوا.

٣. نَحَائل: جمع نَجِيلة، وهي مظهر النعمة.

التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج
 ٦، ج١١، ص٢٤٢، ٢٤٣.

٥. عصمة الأنبياء والرد على الشبهات الموجهة إليهم، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص٧٤.

آ. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق،
 مج٦، ج٦١، ص٢٤٣.

٧. عصمة الأنبياء، فخر الدين الرازي، مرجع سابق، ص٧٤.
 ٨. يَأْبَهُوا: يهتموا.

إن كان قد سكت فَلِعِلَّة، وإن كان قد تحدت بحقيقة أمره فقد تجاهله القوم.

### الشبهة الثالثة والثلاثون

## ادعاء وقوع السرقة من يوسف الميه (\*)

### مضمون الشبهة:

يزعم بعض المتوهمين أن يوسف التلكظ قد سرق، ويستدلون على ذلك بقول إخوته: ﴿ قَالُوا إِن يَسَوِقُ وَيستدلون على ذلك بقول إخوته: ﴿ قَالُوا إِن يَسَوِقُ فَقَدْ سَرَقَ أَنُ لَهُ مِن قَبُلُ ﴾ (يوسف التلكظ مع أخيه حيلة استبقائه بادعاء أنه سرق، فقالوا: إن كان سرق بنيامين فقد سرق أخوه يوسف التلكظ من قبل، ويتساءلون: إذا كان يوسف لم يسرق فلهاذا لم يكذّب إخوته فيها ادّعوه ويدفع عن نفسه هذه التهمة؟ وهم بذلك يشككون في عصمة يوسف التلكظ.

### وجها إبطال الشبهة:

1) اتهام إخوة يوسف الكيلا له بالسرقة لا أساس له من الصحة، وإنها كان بدافع الحسد والرغبة في الانتقاص من شأنه، وما رواه بعض المفسرين من سرقته صنم جده أبي أمه وكسره، إسرائيليات، وحتى لو افترضنا صحة هذه الأخبار فليس ذلك سرقة يمكن أن تَصِمَ (1) يوسف وتحط من شأنه.

١. تَصِمُ: تعيب.

۲) اتصف يوسف الله بالحلم والعفو؛ لهذا كتم غيظه واكتفى بتكذيب إخوته على سبيل التلميح لا التصريح؛ وقد كانت الحكمة تتطلب ألا يكاشفهم بحاله في هذا الوقت.

#### التفصيل:

أولا. ما وقع من يوسف الصديق الطَّهُ لم يكن سرقة، ولكن إخوته عَدُّوها سرقة للانتقاص من شانه كيدًا وحسدًا:

بداية نشير إلى أن بعض المفسرين قد تناقلوا روايات عدة عن أهل الكتاب في سرقة يوسف الميليل، وهي روايات لا سند لها، وعلى فرض صحتها فهي لا تحمل معنى السرقة الحقيقي، ومن هذه الروايات التي فندها د. محمد أبو النور الحديدي:

• رُوي عن مجاهد قال: كان أول ما دخل على يوسف النيخ من البلاء فيها بلغني أن عمته بنت إسحاق، وكانت أكبر ولد إسحاق النيخ، وكانت إليها مِنْطَقة إسحاق وكانوا يتوارثونها بالكبر، فكان من أختانها من وَلِيها، كان له سَلَمًا لا ينازع فيه يصنع فيه ما شاء، وكان يعقوب النيخ حين وُلد له يوسف النيخ قد كان حضنته عمته، فكان معها واليُّها، فلم يحب أحد شيئًا من الأشياء حبها إياه. حتى إذا ترعرع وبلغ سنوات ووقعت نفس يعقوب عليه، أتاها، فقال: "يا أخية أسلمي إلى يوسف النيخ، فوالله ما أقدر أن يغيب عني ساعة" فقالت: فوالله ما أنا بتاركته فدعه عندي أيامًا أنظر إليه، وأسكن عنه لعل ذلك يسليني عنه أو أيامًا أنظر إليه، وأسكن عنه لعل ذلك يسليني عنه أو إسحاق فحزمتها على يوسف النيخ، من عندها عمدت إلى منطقة إسحاق فحزمتها على يوسف النيخ، من تحت ثيابه، ثم

<sup>(\*)</sup> عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق.

قالت: فُقِدت مِنْطَقة أبي \_إسحاق \_فانظروا من أخذها، ومن أصابها فالتمست، ثم قالت: اكشفوا أهل البيت، فكشفوهم، فوجدوها مع يوسف العَيْلا، فقالت: والله إنه لَسَلَمٌ لي أصنع فيه ما شئت، وأتاها يعقوب العَيْلا فأخبرته الخبر، فقال لها: أنت وذاك إن كان فعل ذلك فهو سلم لك ما أستطيع عند ذلك، فأمسكته فها قدر عليه يعقوب العَيْلا حتى ماتت(١).

- وقال سعيد بن جبير عن قتادة الله : سرق يوسف الطّنِيّل صنهًا لجده أبي أمه من ذهب وفضة كسره، ثم ألقاه في الطريق، فعيّره بذلك إخوته (٢).
- وقال مجاهد: إن سائلًا جاءه يومًا، فأخذ بيضة فناولها إياه.
- وقال وهب: كان التَّخْيَّةُ يَخْبِئ الطعام من المائدة للفقراء، وقيل غير ذلك.

وعلي أي من هذه الأقوال فيوسف العَلَيْ لم يسرق في الحقيقة، ولا شيء عما ذُكر يعرو عليه بالذم والانتقاص (٣)، هذا إذا افترضنا صحة هذه الأقوال التي نقلها المفسرون عن أهل الكتاب، أمَّا إذا افترضنا عدم صحتها فإن المتفق عليه أن يوسف العَلَى ليس له سرقة من قبل، وإنها قال إخوته: "قد سرق أخ له من قبل"

وكأنهم بهذا أرادوا أن يقولوا: إنا لسنا على طريقة بنيامين هذا في السرقة، وإنها هو وأخوه يوسف المختصان بها؛ لأنها من أم أخرى، وهذا الدافع لإخوة يوسف أن يقولوا ما قالوا لا يعفيهم من مسئولية التجني على يوسف - البريء - والافتراء عليه أخيرًا بعد أن كذبوا أولا في قولهم لأبيهم: ﴿ قَالُواْ يَتَأَبّانَا إِنّا ذَهَبّنا أَن كَذَبوا أُولا في قولهم لأبيهم: ﴿ قَالُواْ يَتَأَبّانَا إِنّا ذَهَبّنا أَن كَذَبوا أُولا في قولهم لأبيهم: ﴿ قَالُواْ يَتَأَبّانَا إِنّا ذَهَبّنا أَن كَذَبوا أُولا في قولهم لأبيهم: ﴿ قَالُواْ يَتَأَبّانَا إِنّا ذَهَبّنا أَن كَذَبوا أُولا في قولهم لأبيهم: ﴿ قَالُواْ يَتَأَبّانَا إِنّا ذَهَبّنا أَن كَذَبوا أُولا في قولهم لأبيهم: ﴿ قَالُواْ يَتَأَبّانَا إِنّا وَلَوْ كُنّا صَدِقِينَ اللهِ الذّي وضعوه على القميص: وكذّبوا ثانيًا في أمر الدم الذي وضعوه على القميص: ﴿ وَجَآءُو عَلَى قَيصِهِ عِيدَ مِكْذِبٍ ﴾ (يوسف: ١٨).

وعليه في الدرينا أنهم كانوا صادقين في قولهم هذا، فربه يكونون قد كذّبوا في هذه المقالة أيضًا،

٤. بُهِتُوا: دُهِشُوا وأُخِذُوا بالحُجَّة فتغيَّر لونهم.

٥. اعتراهم: أصابهم.

۲. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٧، ج١٣، ص٣٤.

٧. عصمة الأنبياء والردعلى الشبه الموجهة إليهم، د. محمد
 أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص ٣٣٠.

۱. أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ١٩٦،١٩٧)
 تفسير سورة يوسف، آية (٧٧)، برقم (١٩٦٠٥).

أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، تفسير سورة يوسف (١٢٦٦٦).

٣. عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، د. محمد أبو
 النور الحديدي، مرجع سابق، ص٣٢٩، ٣٣٠.

كما كذَّبوا على أبيهم من قبل.

# ثانيًا. الحكمة تقتضي عدم تصريح يوسف الصديق بتكنيب إخوته فيما نسبوه إليه من السرقة:

سبق أن بيّنا أن يوسف الطّيّلاً لم يكن له سرقة من قبل كما زعم إخوته، وهنا يشار سوال: إذا كان إخوة يوسف الطّيلاً قد كذبوا في قولهم: "إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل" فلهاذا لم يدافع يوسف عن نفسه وينفي هذه التهمة التي رماه بها إخوته؟ ولماذا لم يكاشفهم بحاله ويبين لهم زيف دعواهم؟

ونحن نجيب على هذا السؤال قائلين: ليس صحيحًا أن يوسف النه قد أقر إخوته على اتهامهم له بالسرقة، بل إنه النه قد كذّبهم في ادعائهم هذا، وقد جاء هذا التكذيب على سبيل التلميح والتعريض لا التصريح في قوله ته في فأسرها يُوسُفُ في نَفْسِهِ وَلَمْ يُبُدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ اللهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ اللهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ اللهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللّهُ اللحمل على معنى: أنكم شرحالة من أخيكم هذا والذي قبله؛ لأنها بريئان مما رميتموهما به، وأنتم جائرون عليها إذ قذفتم أولها في الجب، وأيدتم تهمة ثانيها بالسرقة وهو بريء منها، ثم ذيّل كلامه بجملة ﴿ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَمِعْوَنَ ﴾ وهو كلام جامع، أي: الله أعلم بصدقكم فيا وصفتم أو بكذبكم، والمراد: أنه يعلم كذبهم فيا ادّعوه.

أمّا لماذا لَّح الطّي لإخوته بكذبهم ولم يصرِّح لهم، فذلك لحلمه الطّي وعظيم عفوه، وكظمه للغيظ، فلم يُظهر لإخوته غضبًا أو انتقامًا، أو حتى مجرد زجر عن قولهم، بل بالغ في كتم غيظه ﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي

نقسِهِ، وَلَمْ يُبُدِهَا لَهُمْ الله ورسف: ٧٧) هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فلم يشأ يوسف الكيلا أن يكاشف إخوت بحاله، ويأمرهم بجلب أبيهم في ذلك الوقت: إما لأنه خشي إن هو تركهم إلى اختيارهم أن يكيدوا لبنيامين فيزعموا أنهم يرجعون جميعًا إلى أبيهم، فإذا انفردوا ببنيامين أهلكوه في الطريق، وإما لأنه قد كان بين القِبْط(۱) وبين الكنعانيين في تلك المدة عداوة فخاف إن هو جلب عشيرته إلى مصر أن تتطرق إليه وإليهم ظنون السوء من ملك مصر، فتريث إلى أن يجد فرصة لذلك، وكان الملك قد أحسن إليه فلم يكن من الوفاء له أن يفعل ما يكرهه أو يسيء ظنه، فترقب وفاة الملك أو السعي في إرضائه بذلك، أو أراد وأهله لينظر كيف يأتي بهم أو ببعضهم في الوقت الناسب(۱).

### الخلاصة:

• ليس صحيحًا أن الصّديق يوسف السّيّلا قد سرق من قبل كها زعم إخوته، بل كان قولهم هذا كذبًا وافتراءً عليه، دفعهم إليه الحسد ومحاولة الانتقاص من شأنه، أما ما نقله بعض المفسرين من أقوال عن بعض الإسرائيليات سواء كانت هذه الأقوال صحيحة أم ضعيفة فهي لا تصح أن تكون دليلًا على سرقة يوسف السّيلا.

القِبْط: كلمة يونانية الأصل؛ بمعنى: سكان مصر، ويقصد بها اليوم: المسيحيُّون من المصريين.

التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٧، ج١٣، ص٣٤: ٣٨ بتصرف.

• اتصف يوسف الكليلة بالحلم والأناة (1) والحكمة، فلم يصرِّح بتكذيب إخوته، بل اكتفى بالتعريض بهم، وأسرَّ قولهم في نفسه، إذ رأى أن الحكمة في تأخير إخبارهم بكونه أخاهم - يوسف - الذي ألقوه في الجب قبل ذلك.

## AND DES

## الشبهة الرابعة والثلاثون

## ادِّعاء خطأ القرآن في اتهام يوسف الكِيَّالَّ بالهمِّ بالفاحشة (\*)

### مضمون الشبهة:

يدعي بعض المتوهمين اضطراب القرآن في ذكر قصة يوسف الطّيّل فتارة يثبت الهمّ (٢) بالفاحشة ليوسف الطّيّل ووسف الطّيّل فتارة يثبت الهمّ يَمّا بهما في قوله: ﴿ وَلَقَدُ هَمّتُ بِهِ وَهَمّ بِهَا ﴾ (بوسف: ٢٤)، وتارة يُقرُّ بعصمته وخوفه من الله باعتراف امرأة العزيز وصويحباتها كما في قوله: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَودَتُنَّ وَصويحباتها كما في قوله: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَودَتُنَ وَصويحباتها كما في قوله: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَودَتُنَ وَلَا يَعْمَى اللّه مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوَوً وَلَيْ مَن اللّه اللّه مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوَوً قَالَتِ امْرَأْتُ الْعَزِيزِ الْفَنَ حَصْحَصَ الْحَقُ أَنَا رَودَ تُعُهُ عَن نَقْسِهِ عَن اللّه اللّه الله ويعتبرون أن قَلْمِه الطّين وَلِنّهُ لَمِن الصّلاقِينَ (١٠) ﴾ (بوسف) (٢). ويعتبرون أن إبْسات القرآن الكريم الهممّ بالفاحشة ليوسف الطّين المُسات القرآن الكريم الهممّ بالفاحشة ليوسف الطّين

١. الأناة: الحِلْم والوَقار.

متناقض مع ما جاء في الكتاب المقدس من تبرئته ليوسف الطيخ إذ إن امرأة العزيز لما طلبت إليه الشر العظيم استنكر طلبها، وقال: "كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله؟ وكان إذ كلَّمت يوسف يومًا فيومًا أنه لم يسمع لها أن يضطجع بجانبها ليكون معها. ثم حدث نحو هذا الوقت أنه دخل البيت ليعمل عمله، ولم يكن إنسان من أهل البيت هناك في البيت. فأمسكته بثوبه قائلة: "اضطجع معي!". فترك ثوبه في يدها، وهرب وخرج إلى خارج". (التكوين ٣٩: ٩ - ١٢).

### وجوه إبطال الشبهة:

اإن أخلاق يوسف الكيلا وعصمته باعتباره نبيًا،
 تتنافى مع الهمّ بالخيانة، أو التفكير فيها، كما أن سياق
 الآيات التي ورد فيها قوله ﷺ: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَمّ
 بها يوسف الكيلا في هذه
 المعصة.

للهم معانِ عديدة في اللغة منها: خطور الشيء بالبال، وميل الطبع، والعزم على الفعل، وهذه المعاني العديدة للهم هي التي أدت إلى الفهم الخاطيء لقوله:
 ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ في منظور هؤلاء المدعين.

۳) لقد شهد ببراءة يوسف الكيلا كل من له صلة بقصة يوسف الكلا مع امرأة العزيز من: زوج وشاهد ونسوة المدينة؛ حتى امرأة العزيز نفسها، ومن قبل هؤلاء جميعًا المولى وكفى بالله شهيدًا.

لا اضطراب في آيات القرآن الكريم، فلقد استعصم يوسف النهاية، وقد أنجاه الله من البداية إلى النهاية، وقد أنجاه الله من المعصية، أما ما جاء في الكتاب المقدس فهو يدين يوسف النهية ولا يبرئه.

<sup>(\*)</sup> الرد على كتاب "أخطاء إلهية في القرآن الكريم"، مجموعة علماء، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٣م. هل القرآن معصوم؟ موقع إسلاميات. islameyat.com

٢. الهمُّ: قَصْد الجماع.

٣. حَصْحَص الحَقُّ: ظهر.

#### التفصيل:

# أولا. سياق الآيات التي جاء فيها قوله ﷺ: ﴿ رَهَمَ

في البداية نود أن نشير إلى أن أخلاق يوسف الطِّيِّلا وعصمته باعتباره نبيًّا تتنافى تمامًا مع الهـمِّ بالخيانــة، أو مجرد التفكير فيها، ويؤكد هذا ثناء الله تبارك وتعالى على يوسف الطِّيِّلا في كثير من آيات القرآن الكريم، وكذلك ثناء نبيه محمد ﷺ، فمن ثناء الله ﷺ على يوسف السَّلا قوله تعالى: ﴿ وَكُذَالِكَ يَجْنَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِدُّ نِعْمَتَهُ، عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبُويَكَ مِن فَبْلُ ﴾ (يوسف: ٦)، وقولــه ﷺ: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ ءَانَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكِنْاكِ بَعْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّه (بوسف)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ (الله الكريمة التي الكريمة التي الكريمة التي تحدثت عن يوسف وعن كريم خلقه وحميـ د خـصاله، هذا المدح من الله تعالى لنبيه لا يكون إلا عن استحقاق له، فلا يليق بحكمة الله تعالى أن يمدح إنسانًا عاصيًا بأعظم المدائح(١).

وكذلك أثنى رسول الله على أخلاق يوسف وذلك في قوله: "عجبتُ لصبر أخي يوسف وكرمه، والله يغفر له، حيث أرسل ليستفتي في الرؤيا، ولو كنت أنا لم أفعل حتى أخرج، وعجبتُ لصبره وكرمه والله يغفر له، أتى ليخرج فلم يخرج حتى أخبرهم بعُذْره، ولو كنتُ أنا لبادرتُ الباب، ولولا الكلمة لما لبث في

السجن "(٢). وسُئِل النبي على عن أكرم الناس، فقال في إحدى إجاباته: "يوسف نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله "(٢).

كما أن التهمة التي وُجّهت إلى يوسف العَيْنُ وهي اتهامه بالتحرّش والهمّ بالوقوع بامرأة العزيز، كبيرة من أكبر الكبائر، والخيانة من أقبح الذنوب، ومقابلة الإحسان بالإساءة من المنكرات، فكيف يخون يوسف العَيْنُ عزيز مصر الذي آواه في بيته، وشمله وأحاطه برعايته، منذ أن كان صغيرًا إلى أن شبّ وكبر في بيته، وأكرمه أيها إكرام؟ وكيف يقابل إحسانه إليه بمثل هذه الفعلة التي يترَّفع (1) عنها غير الأنبياء؟ فكيف في حكم العقلاء من البشر \_يقع فيها أحد المصطفين الأخيار (٥)؟!

أمّا ما جاء في قوله ﷺ: ﴿ وَلَقَدُ هَمَّتْ بِيرِ وَهَمَّ بِهَا ﴾ من الإشارة إلى همّ يوسف التَّكِين فإنه لا يفيد أنه عزم على ارتكاب الفاحشة، وحتى نفهم عبارة "وهم بها" على الوجه اللائق بها ذكره الله تعالى عن يوسف التَّكِين ينبغي أن نستعرض سياق الآيات السابقة لها حتى نتبين الخطوات التي دبرتها امرأة العزيز للإيقاع بيوسف الكَين

عصمة الأنبياء والرد على الشبهات الموجهة إليهم، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص٣١٣.

صحيح: أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٢٤٩)، باب
 العين: أحاديث عبد الله بن عباس رضي الله عنها (١١٤٧٥).

٣. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ ﴾ (البقرة: ١٣٣) (١٩٤٣)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل يوسف الله (١٣١٦).

٤. يترفُّع: يتنزُّه.

٥. عصمة الأنبياء والرد على الشبهات الموجهة إليهم، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص٣١٣ بتصرف.

الأولى: ﴿ وَرَوَدَتُهُ ﴾. قال القرطبي: وأصل المراودة الإرادة والطلب برفق ولين، ويقول الطبري في تفسيره: وراودته امرأة العزيز \_ وهي التي كان يوسف في بيتها \_ عن نفسه أن يُواقعها (١).

الثانية: ﴿ وَغَلَقَتِ ٱلْأَبُونَ ﴾. يقول الطبري: وغلَّقت المرأة أبواب البيوت عليها، وعلى يوسف الكيلا لما أرادت منه وراودته، بابًا بعد باب، وهذا يدل على إدراكها تمام الإدراك أنها مقبلة على فعل قبيح؛ ولذلك فهي حريصة على أن تخفي ما ستفعل.

الثالثة: ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ . قال القرطبي: ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ . قال القرطبي: انتقلت من الاحتيال والمراوغة إلى الوضوح في الطلب. وفي مقابل خطوات امرأة العزيز هذه، ورغم تمكنها حينئذ إذ هي سيدته وهو في بيتها، وذكائها فيها فعلت، فإن يوسف الناه قد قابلها برفضه التام لما تريده منه، وكان من وراء رفضه اعتبارات ثلاثة، كل واحد منها كفيل بأن يجعله لا يفكر مجرد تفكير في الاستجابة لها، فضلًا عن الهم بالفاحشة، فكيف بها مجتمعة ؟! قال فضلًا عن الهم بالفاحشة، فكيف بها مجتمعة ؟! قال تعالى في رفض يوسف الناهم: ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهُ إِنَّهُ وَيَقَالَ مَعَاذَ اللَّهُ إِنَّهُ وَيَقَالَ مَعَاذَ اللَّهُ إِنَّهُ وَيَقَالَ مُوسَف الناهِ وَقَالَ مَعَاذَ اللَّهُ إِنَّهُ وَيَقَالَ مَعَاذَ اللَّهُ إِنَّهُ وَيَقَالَ مَعَاذَ اللَّهُ إِنَّهُ وَيَقَالَ مَعَاذَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ أَلَا اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ ال

فأول هذه الاعتبارات قوله: ﴿ مَمَاذَ ٱللَّهِ ﴾. يقول

 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاعة والإمامة، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد (٦٢٩)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة (٢٤٢٧).

الطبري في تفسيره: وقوله: ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾ يقول جل ثناؤه: قال يوسف إذ دعته المرأة إلى نفسها وقالت له هلم إلى: أعتصم بالله من الذي تدعوني إليه وأستجير به منه.

وهو إلى جانب استجارته واستغاثته بالله تعالى يُذكِّر امرأة العزيز بالله تعالى، وأنه تعالى لم يأمر بهذا الفعل الفاحش، وهنا نذكر حديث رسول الله في "السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله": "الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شاله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه".

وثاني هذه الاعتبارات يستجلّى في قوله النّه (إنّهُ, رَبِّ أَحْسَنَ مَثُواكُم ﴾. قال الطبري: يقول: إن صاحبك وزوجك سيدي، أحسن منزلتي، أكرمني، وائتمنني، فلا أخونه.

وعن ابن إسحاق: قال: ﴿ أَحْسَنَ مَثْوَاى ﴾ أمنني على بيته وأهله، وقال ابن كثير: ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُ, رَبِّ وَ الحَسَنَ مَثْوَاى ﴾ وكانوا يطلقون الرب على السيد الكبير، أي أن بعلك أحسن مثواي، أي منزلي، وأحسن إلى فلا أقابله بالفاحشة في أهله.

١. يُواقعها: يجامعها.

والاعتبار الثالث: ﴿إِنَّهُ لَا يُقَلِحُ ٱلظَّلِلْمُونَ ﴿ اللَّهُ لَا يُقَلِحُ ٱلظَّلِلْمُونَ ﴿ اللَّهُ لَا يُقَلِحُ الظَّلِلْمُونَ ﴿ اللَّهُ لَا يَعْدَلُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ لَا يَعْدَلُ اللَّهَاء، الظَّلِلْمُونَ ﴿ اللَّهُ عَالَى الطّبري: إنه لا يعدرك البقاء، ولا ينجح من ظلم، ففعل ما ليس له فعله، وهذا الذي تدعوني إليه من الفجور ظلم وخيانة لسيدي الذي الذي التمنني على منزله.

وكل هذه الاعتبارات تؤكد بها لا يدع مجالًا للشك على عفة يوسف العَيْلُ وعصمته من أن يهم بالفاحشة، وهذا ما أكده القرآن الكريم في أكثر من موضع كها ذكرنا.

## ثانيًا. تعدد تأويلات معنى "الهمِّ" لدى المفسرين هو الذي أدى لهذا الفهم الخاطئ:

لتوضيح معنى الهم الذي نسبه القرآن الكريم لنبي الله يوسف النبي قوله الله الله يوسف النبي في قوله الله الله الله الله أن نوضح معنى الهم في اللغة، شم بعد ذلك نحكم هل أثبت القرآن الهم بالفاحشة ليوسف النبي أم لا؟

## الهم في اللغة له معانٍ متعددة:

الأول: خطور الشيء بالبال قال الله في الأول: همَّت طَايِفَتَانِ مِنكُمُ أَن تَفْشَلَا وَاللّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ (آل عمران: ١٢٢)، فهاتان الطائفتان قد خطر الفشل ببالها، ولو كان المراد هنا العزم لما كان الله وليًا لها؛ لأن العزم على المعصية معصية.

الثاني: ميل الطباع، قال الزمخشري، في معنى "وهم بها": مالت نفسه إلى المخالطة، ونازعت إليها.

الثالث: العزم على الفعل، يقال: همٌّ بالشيء: إذا

نواه وأراده وعزم عليه، قال الله هَا: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمُ أَن يَبْسُطُوا وَأَرَادُوا ذَلك يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيَّدِيَهُمْ ﴾ (المائدة: ١١) أي: أرادوا ذلك وعزموا عليه (١).

وقبل الحديث عن نوع الهمّ الذي نُسب لنبي الله يوسف العليم في القرآن الكريم نؤكد أن كثيرًا من العلماء قد اتفقوا على أن همّ امرأة العزيز كان لفعل الفاحشة، وقد استعمل القرآن الكريم لامرأة العزيز وليوسف العليم نفس الكلمة "همت به" و "هممّ بها"، ولكن يجدر بنا أن نشير إلى ضرورة اختلاف معنى الهم باختلاف من قيلت في حقه؛ وذلك لاختلاف هدف باختلاف من قيلت في حقه؛ وذلك لاختلاف هدف والطهارة، وامرأة العزيز نحو الشهوة والإثم، وهو والطهارة، وامرأة العزيز نحو الشهوة والإثم، وهو يمرب في حين أنها تلاحقه، ولو كان لدى يوسف العليم يوسف العليم يوسف العليم يوسف العليم أي ميل للإثم لما كانت هذه المطاردة؛ إذن كان هدف يوسف العليم وغايته شيمًا آخر (۲).

والسؤال الذي يفرض الآن نفسه: أي نوع من الهــمِّ هَمَّ به يوسف الطَّيِّلاً؟

## ونجيب على ذلك قائلين:

إذا كان معنى "الهم" الواقع من يوسف، هو الخاطر بالبال وحديث النفس: فلا يُعاب عليه يوسف الكليل ولا يُطعن به في حقه؛ لأنه لا صنع للعبد فيه، ولا يدخل تحت اختياره، ونقل النسفي في تفسيره عن أبي منصور قوله: وهم بها هم خاطره، ولا صنع للعبد فيها يخطر بالقلب، ولا مؤاخذة عليه.

عصمة الأنبياء والرد على الشبهات الموجهة إليهم، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص٩٠٩.

٢. العصمة النبوية، محمد فتح الله كولن، مرجع سابق، ص٦٨.

ويرى بعض العلماء أن الخاطر المعفو عنه هو الذي لم يستقر في النفس، وهم يوسف منه، ويدل على عدم المؤاخذة بالعقاب على حديث النفس ما جاء في المصحيح أن النبي شقال: "فمَن هَمَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هَمَّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعائة ضعف فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هَمَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هَمَّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة"(۱). فاتضح أن لا شبهة على عصمة يوسف النفي في ذلك؛ لأن الأنبياء غير معصومين من حديث النفس، ولكنهم معصومون من طاعة النفس والانقياد لها.

أمّا إذا كان الهمّ بالمعنى الثاني وهو ميل الطبع: فلا يطعن به أيضًا في حق يوسف الطّيّلا؛ لأنه غير اختياري، ثم هو قاوم اتباعه، وكف عن رغبته، ومن يكن بهذه المثابة لم يتوجه إليه ذم، بل يؤجر ويمدح عليه.

ومعنى "الهم" هذا هو ما قاله الإمام الرازي: من أنه "ميل الطبع، كالصائم في الصيف، يرى الماء البارد، فتحمله نفسه على الميل إليه، وطلب شربه، ولكن يمنعه دينه عنه، وكالمرأة الفائقة حسنًا وجمالًا، تتهيأ للشاب النامي القوي، فتقع بين الشهوة والعفة، وبين النفس والعقل، مجاذبة ومنازعة، فـ "الهم" هنا عبارة عن جواذب الطبيعة، ورؤية البرهان جواذب الحكمة، وهذا لا يدل على حصول الذنب، بل كلها

كانت هذه الحال أشد، كانت القوة على لوازم العبودية أكمل"(٢٠).

بيد أننا نتساءل: إذا كان همُّ يوسف الطَّيْلِينَ من هذا النوع وهو الميل الطبعي، فهل وقع هذا الهم له أم لا؟

الثابت أنه لم يقع، ودليل ذلك قوله ﷺ: ﴿ وَلَقَدُ هُمَّتَ بِهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ الله

وقال أبو حاتم: كنت أقرأ غريب القرآن على أبي عبيدة فلما أتيت على قوله: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾ قال أبو عبيدة: هذا على التقديم والتأخير، أي تقديم الجواب وتأخير الشرط، كأنه قال: ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها (٢).

وقال القرطبي: والاختلاف أن همّها كان لمعصية، وأما يوسف فهمّ بها: ﴿ لَوْلَا أَن رَّمَا بُرْهَـن رَبِهِ عَ ﴾ ولكن لما رأى البرهان ما همّ ؛ وهذا لوجوب العصمة للأنبياء، قال الله على: ﴿ كَنَالِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوّ وَٱلْفَحْشَاء مُ

١. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، بـاب مـن هـم
 بحـسنة أو بـسيئة (٦١٢٦)، وفي موضـع أخـر، ومـسلم في
 صحيحه، كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة (٣٥٥).

التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، مرجع سابق، ج٦، ص١٧٢.

التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج
 ٦، ج١١، ص٢٥٣.

إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿ إِنَّهُ اللَّهِ اللَّهِ الْكلام تقديم وتأخير، أي لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها.

والناظر لهذه الآيات الكريهات بها فيها من أحداث نظرة سطحية يقول: إن هناك مساواة في هم كل من يوسف الله وامرأة العزيز، فهي حدثتها نفسها بفعل الفحشاء، وهو حدثته نفسه كذلك، ولكن النص لم يقف عند هذه العبارة، فقد قال بالنسبة لامرأة العزينز: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ عَهُ أَي: حدثتها نفسها أنها تريده، وعندما تكلم القرآن عن يوسف قال: ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوَلا آَن رَّهَا بُرْهَدَنَ رَبِّهِ عَهُا لَوَلا آَن رَّهَا بُرْهَدَنَ رَبِّهِ عَهُا لَوَلا آَن رَّهَا بُرُهَدَنَ رَبِّهِ عَهُا لَوَلاً

أي أن المعنى: ولقد همت به، ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها، "ولولا" حرف امتناع لوجود، وهذا هو الصحيح الذي نرجحه ونقول به؛ لاتفاقه مع عصمة الأنبياء.

وهنا يتساءل بعض المغرضين: إذا كان يوسف الكِيلاً لم يهم بالفحشاء، فلماذا قال الله: إنه "همَّ بها"، ولم يقل: لقد همَّت به ولم يهم بها؟

والجواب عن ذلك أن الله تعالى لو قال: لقد همّت به، ولم يهمّ بها؛ لأوهم ذلك أن عدم استجابته نقص في رجولته أو لعدم رغبته في النساء، ولكن الله تعالى أراد أن يبين أنه لولا إيهان يوسف ورعاية ربه له لهم بها، فعدم الهمّ ليس راجعًا إلى عيب في يوسف الكين، وإنه هو برهان ربه الذي أراه له.

أظهره الله له، ولذا لم يهمِّ بها(١).

ثم قال عَنْهُ السَّوَءَ وَالْفَحْشَآءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا اللَّمُخْلَصِينَ لِنَهِ عَنْهُ السُّوَءَ وَالْفَحْشَآءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا اللَّمُخْلَصِينَ لِنَصَرِفَ عَنْهُ اللَّهِ فَلَمْ فَلَصِينَ اللَّهِ فَلَمْ فَصَرِفَ عَنْهُ هُوهُ ؟

همه؟

إن البرهان الذي أراه الله ليوسف السلام فصرف عنه همه، هو حجة الله الباهرة، الدالة على قبح الزنا، وسوء سبيله، والمراد برؤيته لها كهال إيقانه بها، ومشاهدته لها مشاهدة واصلة إلى مرتبة عين اليقين، وكأنه السلام شاهد الزنا بموجب ذلك البرهان النيِّر، على ما هو عليه في حد ذاته أقبح ما يكون، وأوجب ما يجب أن يحذر منه، ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام، والحكم بعدم إفلاح من يرتكبه (٢). وعليه فلا ذنب ولا معصية من يوسف السلام مع عصمته.

وإذا كان الهم بالمعنى الثالث وهو العزم على الفعل: فهو كذلك لا يطعن في يوسف الكليّ لأن الفعل الذي عزم عليه هو: زجر امرأة العزيز عن الفاحشة، وقصده دفعها عن نفسه، وضربها إن لم تندفع؛ لأن الهم بهذا المعنى هو اللائق بالرسول المبعوث إلى قومه لهدايتهم إلى الخير، وكفهم عن الشر(٣).

ومعنى الهم على هذا القول في قوله: ﴿ وَلَقَدُ هُمَّتَ بِهِ وَهُمَّ يَهَا ﴾ أي: وتالله القد همت المرأة بالبطش به

قصص الأنبياء، محمد متولي الشعراوي، مرجع سابق، ص١٨٣.

٢. محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، مرجع سابق،
 مج٦، ج١٢، ص١٧٢، ١٧٣.

عصمة الأنبياء والرد على الشبهة الموجهة، د. محمد أبو النـور الحديدي، مرجع سابق، ص٠٩١، ٣١١.

لعصيانه أمرها، فهو في نظرها عبدها وهي سيدته، وقد أذلّت نفسها له بدعوته الصريحة إلى نفسها بعد الاحتيال عليه بمراودته عن نفسه، فرأت أن هـذا الاحتقـار لا يطاق، ولا علاج لهذا الفاتن المتمرد إلا إذلاله بالانتقام، هذا ما ثار في نفس هذه المرأة المفتونيه بطبيعية الحال، وشرعت في تنفيذه أو كادت، بأن همت بالبطش بـ في ثورة غضبها، وهو انتقام معهود من مثلها، وممن دونها في كل زمان ومكان، وقد كاد الكيلا أن يرد حيالها ويدفعه بمثله، وهمه التَّلِيَّةُ لدفع حيالها أمر مشروع لكن وُجِد مقتضاه مقترنًا بالمانع منه وهو رؤيته برهان ربه فلم ينفذه، فكان الفرق بين همها وهمه أنها أرادت الانتقام منه شفاءً لغيظها من خيبتها وإهانته لهـا، فلـما رأى أمارة وثوبها عليه استعد للدفاع عن نفسه وهم به، فكان موقفها موقف المُواثَبة (١)، والاستعداد للمُضارَبة (٢)، ولكنه رأى من برهان ربه وعصمته ما لم تر هي مثله، فألهمه أن الفرار من هذا الموقف هو الخير الذي تتم به حكمته على أعده له، فامتناعها عن تنفيذ ما همت بـه كـان بـسبب هـروب يوسـف الطِّيلاً واستباقه إلى الباب، وكان سبب امتناعه هو إرادته الطِّيلاً وما رآه من برهان ربه <sup>(۳)</sup>.

ويعلق د. الحديدي بقوله: الهمُّ بهذا المعنى هو الـذي نميل إليه لأمرين:

الأول: أن اللين يُقدَّم عادة على العنف، وقد تقدم اللين في نصحها وتذكيرها بحق صاحب الفضل عليها،

وسوء عاقبة هذا المُنكر قائلًا: ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّ مَ اللَّهُ إِنَّهُ وَ اللَّهُ الطَّالِمُونَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الطَّالِمُونَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الطَّالِمُونَ اللَّهُ اللَّا الللَّهُ اللَّهُ اللَّلْمُلْمُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُو

الآخر: أنه قد جرت عادة الإنسان أيضًا أن يلجأ إلى الهرب إن وجد العنف لا يجدي، ويوسف الطّيّلا لما رأى برهان ربه، تحقق أن استخدام العنف ليس في صالحه \_ كما سبق أن قلنا \_ وأنه سيجعله مدينًا، فلجأ إلى الهــرب: ﴿ وَأَسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ، مِن دُبُرٍ ﴾ (برسف: ٢٥). وهذا أرجح الأقوال وأصحها في "هـمّ" يوسف الطيران).

وخلاصة هذه الحقائق التي ذكرناها أن قوله ﷺ:
﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۚ وَهَمَّ بِهَا ﴾ لا يقدر في عصمة
يوسف الطّيّة كما يدعي هؤلاء المتوهمون.

## ثَالثًا. شهادة كل من له تعلق بقصة يوسف السلام مع امرأة العزيز تنفي عنه خطأه وتثبت له البراءة:

لقد شهد ببراءة الصديق يوسف الطّيّة كل من له علاقة بقصته مع امرأة العزيز؛ فقد نقل الفخر الرازي عن القاضي أبي طاهر الطوسي قوله: شهد ببراءة يوسف الطّيّة براءة الذئب من دمه كل من له تعلق بتلك الواقعة من: زوج وحاكم ونسوة وملك، وقد أعلن يوسف ذلك، واعترف له خصمه بصدق ما قاله مرتين، وشهد بذلك رب العالمين الذي هو أصدق

١. المُواثَبَة: أن يَشِب أحدهما على الآخر.

٢. المُضارَبَة: أن يضرب أحدهما الآخر.

تفسیر المنار، محمد رشید رضا، مرجع سابق، ج۱۱، ص۲۷۷: ۲۸۷ بتصرف.

عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص٣١٣.

القائلين (١) وتفصيل ذلك:

١. إعلان يوسف الطِّيِّلا لبراءته في تحدِّ وصمود:

وذلك في قوله على الله على المرود تنى عن تقسى الرسف: ٢٦)، وقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَى مِمَا يَدَعُونَ وَ إِلَيْهِ ﴾ (يوسف: ٣٣)، فقد أعلن يوسف العلى براءته ما نسب إليه، مرة عندما وجد العزيز أمام الباب، وأخرى عندما استعان بربه بعدما رأته النسوة وتوعدت له امرأة العزيز، وصِدْقه في هذين الادعاءين يؤكده كل من حوله.

## ٢. شهادة الحاكم:

فبعد ادعاء يوسف: ﴿ قَالَ هِى رَوَدَتْنِي عَن نَفْسِى ﴾ شهد شاهد من أهل امرأة العزيز، بها يؤيد كلام يوسف قال ﷺ: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدُ مِنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ. قُد مِن قُبُلِ فَصَدَقَتْ وَهُو مِنَ ٱلْكَذِبِينَ ۞ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ. قُد مِن قُبُلِ فَصَدَقَتْ وَهُو مِنَ ٱلْكَذِبِينَ ۞ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ. قُد مِن دُبُرِ فَكَذَبَتْ وَهُو مِن ٱلصَّندِقِينَ ۞ ﴾ وَيوسف).

ومن حكمة الله تعالى أنه جعل ذلك الشاهد من أهل امرأة العزيز حتى لا يُقال: إنه منحاز له؛ ولأن هذا الشاهد من أهلها فقد بدأ أولًا بها في صالحها، وهو حالة أن يكون قميصه قد تمزق من الأمام، هذا التمزق الذي يكون نتيجة دفاعها عن نفسها وإقباله عليها، ثم ذكر الاحتهال الثاني، وهو أن يكون قميصه قد تمزق من الخلف، هذا التمزق يعني أنها هي التي راودته عن نفسه وجذبته إليها عندما حاول الهروب منها.

وعلى هذين الاحتمالين اللذين ساقهما الشاهد ثبتت

براءة يوسف العَلَيْكُلُ، وأدينت امرأة العزيز.

### ٣. شهادة الزوج:

### ٤. شهادة النسوة:

### ٥. اعتراف الخصم:

١. المرجع السابق، ص٣١٤.

﴿ قَالَتْ فَذَالِكُنَّ ٱلَّذِي لُمُتُنَّنِي فِيهِ ۗ وَلَقَدْ رَوَدَنُّهُ عَن نَّقْسِهِ -فَأَسْتَعْصَمَ ﴾ (يوسف: ٣٢).

والموقف الثاني عندما سأل الملك النسوة عن مراودتهن ليوسف الليلا شهد النسوة ببراءته، واعترفت امرأة العزيز بحقيقة الأمر، قال الله على: ﴿ قَالَتِ أَمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْكُنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا رَوَدَتُهُ عَن نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ ٱلصَّدِقِينَ ﴿ ﴿ ﴿ (بوسف) ، فسهد الملك بأمانت وجعله في منزلة عالية.

## ٦. شهادة رب العالمين وكفى بالله شهيدًا:

والله ﷺ أعظم وأصدق من شهد ليوسف الكيلا بالعفة والبراءة مما نسب إليه، قال على: ﴿ كَنَالِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ السوء (يوسف)، فشهد الله تعالى بأنه صرف عنه السوء والفحشاء، وأنه من عباده الـذين أخلـصهم \_ أي الله \_ لعبادته وطاعته، فلا يقع منهم مكروه ولا يميلون إلى

فأية شبهة تبقى مع هذه الشهادات في براءة الصديق يوسف عن الذنوب؟! قال القاضي: وهؤلاء الطاعنون في يوسف إن كانوا من حزب الله فليقبلوا قوله، وإن كانوا من حزب الشيطان فيجب ألَّا يتركوا قوله: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّ لِكَ لَأُغْوِينَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ اَلْمُخْلَصِينَ (AT) (ص) (١٠).

وبناءً على هذه الأدلة تَثْبُت براءة يوسف الطَّيْلاً من كل ما رُمي به من الهم بالفاحشة، وقد ذكر القرآن كل هذه الشهادات، مما ينفي تمامًا أن يكون القرآن قد طعن

في عصمة يوسف التَّلِيثُلا <sup>®</sup>.

اضطراب في ذلك:

رابعًا. القرآن يثبت الهَمَّ ليوسف، ويثبت براءته ولا

وأما ما ادعاه بعضهم من وجود تعارض بين قولـه

تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ أَ وَهُمَّ بِهَا ﴾، وقوله ١٠٠٠، على

لسان امرأة العزيز وصويحباتها: ﴿ حَنْشَ لِلَّهِ مَاعَلِمْنَا عَلَيْهِ

مِن سُوّعٌ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْفَنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ٱنْا رَوَدَ تُهُوعَن

نَّقْيِيهِ وَإِنَّهُ لِينَ ٱلصَّدِقِينَ ﴿ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ السَّاسَ لَهٰذَا

التعارض من الصحة؛ وذلك بناء على ما سبق بيانه من

معنى الهمِّ، واختلافه لدى كل من يوسف الطُّيِّلا وامرأة

العزيز، وبيان موقف كل منهما من الآخر، يثبت عدم

تعارض القرآن الكريم، بين قوله على: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ

بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ وقول الله على: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَوَدَتُّنَّ

يُوسُفَ عَن نَفْسِهِ أَ قُلُ كَنْ كَنْ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوَّوْ

قَالَتِ أَمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْكَنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا رَوَدَتُّهُ، عَن

نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ ٱلصَّندِقِينَ ١٠٠٠ ﴿ ربوسف )؛ بل إن الآيتان

الكريمتان تؤيد كل منهما الأخرى، وتثبت عصمة نبي

هل صحيح أن الكتاب المقدس لا يدين يوسف و يبرئه؟

جاء في الكتاب المقدس: "إنها لما طلبت إليه الشر

استنكر طلبها، وقال: كيف أصنع هـذا الـشر العظيم،

وأخطئ إلى الله؟وكان إذ كلمت يوسف يومًا فيومًا أنــه

لم يسمع لها أن يضطجع بجانبها ليكون معها. ثم حدث

نحو هذا الوقت أنه دخل البيت ليعمل عمله، ولم يكـن

الله يوسف التَلْيَالاً وبراءته مما نسب إليه.

<sup>®</sup> في "براءة يوسف من الفحشاء" طالع أيضًا: الشبهة السادسة

والثلاثين، من هذا الجزء.

١. المرجع السابق، ص٨٥، ٨٦ بتصرف.

إنسان من أهل البيت هناك في البيت. فأمسكته بثوبه قائلة: "اضطجع معي!". فترك ثوبه في يدها وهرب وخرج إلى خارج". (التكوين٣٩: ٩ ـ ١٢).

وقد استدل بعض المدَّعين بهذا الجزء من الكتاب المقدس على خطأ القرآن فيها أورده بشأن يوسف الكِينَة إذ يقولون: إن القرآن أثبت الهم ليوسف الكِينَة في قوله: ﴿ وَهَمَّ مِهَا ﴾ بينها نفى ذلك الكتاب المقدس.

وقد بينا معنى الهم المراد في الآية، وأما حديث الكتاب المقدس عن تبرئة يوسف الكلية فها هو إلا إدانة له، حيث يذكرون أنه ترك ثوبه مع امرأة العزيز وخرج، وهذا منطقيًّا ما ينال من قدرات يوسف العقلية.

فكيف يخرج عاريًا ويترك ثوبه في يدها ليثبت الجريمة على نفسه، وهو الذي حاول التخلص منها بكل وسيلة؟! وعليه فلا تناقض في القرآن، وهو أكبر شاهد على براءة يوسف وعفته وطهارته الكليل، ولا عبرة لشطحات الكتاب المقدس.

#### الخلاصة:

- أخلاق يوسف الطيخ وعصمته باعتباره نبيًّا تتنافى مع ما نسب إليه من اتهامه بالهم بالفحشاء، ويشهد لهذا القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، كها أن ما وجه إليه من اتهام بالفحشاء يَنْأَى عنه (١) كل عاقل من غير الأنبياء، فكيف به في حق الأنبياء؟!
- لما وقعت من امرأة العزيز المراودة، ودعته إلى نفسها؛ أجابها بقوله: ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ (بوسف: ٢٣)
   فكيف يهم بموافقتها مع قوله هذا؟!

المدعي عليه: يوسف الطِّينيِّة، ينفي التهمة عن نفسه

- لقد قال الله عن يوسف الطَّيِّة : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصَّرِفَ عَنْدُ اللهُ عَنْ الْمُحَمَّاءَ ﴾ وهذا يعني أن الهم بالمعصية لم يقع منه، فلو وقع منه ذلك لما قال الله: كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء.
- أعلنت امرأة العزيز براءة يوسف الني من الهم والمعصية، وأنه لم يجبها إلى طلبها إذ قالت: ﴿ وَلَقَدُ رَوَدَنَّهُ مَن نَفْسِهِ وَأَنه لم يجبها إلى طلبها إذ قالت: ﴿ وَلَقَدُ رَوَدَنَّهُ مَن نَفْسِهِ وَأَنسَت بعفته وصدقه الني إذ قالت: ﴿ أَنَا رَوَدَتُهُ مَن نَفْسِهِ وَإِنّهُ لَي السّهد وَإِنّهُ لَي السّهد وَإِنّه لَي السّهد وَاللّه السّهدن لَين الصّلاقين الله م وكذلك فإن النسوة قد شهدن بعفته وطهارته إذ ﴿ قُلُن حَنشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوّع ﴾.
- أظهرت نتائج التحقيق براءته من الهم بالسوء،
   إذ إن امرأة العزيز لما وجهت له اتهامها بإرادة السوء،
   طلب العزيز فتح محضر للتحقيق، وعين العزيز شاهدًا
   من أهلها ليحقق في الادعاء.

المدعي: امرأة العزيز، تدعي أن يوسف الطَّنِينُ أراد بها سوءًا!

١. يَنْأَى عنه: يبعد عنه.

ويقول: ﴿ هِي رَوَدَتْنِي عَن نَفْسِي ﴾ (بوسف: ٢٦)، المحقق: كشف ملابسات القضية بقوله كما جاء القرآن: ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُ وَقُدَّ مِن قُبُلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَندِبِينَ ﴿ وَاللَّهُ مَا كَانَ قَمِيصُهُ وَقُدَّ مِن قُبُلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّندِ قِينَ ﴿ وَاللَّهُ مَا الصَّندِ قِينَ ﴿ وَاللَّهُ مَا الصَّندِ قِينَ ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ إِلَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مِن اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّاللَّا الللَّالِ اللَّهُ اللَّهُو

وقد تبين بعد فحص القميص أن المذنبة المدانة هي أمرأة العزيز، وبالتالي ظهرت براءة نبي الله يوسف الطبيخ من الهم بالسوء والفحشاء: ﴿ فَلَمَّا رَمَا فَمِيصَهُ وَلَدٌ مِن دُبُرِ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ فَمِيصَهُ وَلَدٌ مِن دُبُرِ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَ عَظِيمٌ فَمِيصَهُ وَلَكُ إِنَّ كَيْدَكُنَّ أِنْ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ الله وقي روسف الطبيخ أن يكتم الحدث احترامًا لهيبة القصر: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضَ عَنْ الحدث احترامًا لهيبة القصر: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضَ عَنْ الحدث احترامًا لهيبة القصر: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضَ عَنْ الحدث احترامًا لهيبة القصر: ﴿ وَاسْتَغْفِرِي الدَّنِيكِ إِنَّكِ خَطيئتها، وتستغفر لذنبها: ﴿ وَاسْتَغْفِرِي الدَّنِيكِ إِنَّكِ خَطيئتها، وتستغفر لذنبها: ﴿ وَاسْتَغْفِرِي الدَّنِيكِ إِنَّكِ اللهِ مِن المَرأة العزيز أن تتبرأ من حَطيئتها، وتستغفر لذنبها: ﴿ وَاسْتَغْفِرِي الدَّنِيكِ إِنَّكِ إِنَّكِ اللهِ المَنْ اللهُ المُعْمَدِي اللهُ المُعْمِى المَنْ المَنْ المُنْ المُعْمَدِي المَنْ المُعْمَالِي المُعْمِي المَنْ المُعْمَالِي اللهِ المُعْمَالِي المُعْمَالِي المُعْمَالِي اللهُ المُعْمَالِي اللهُ المُعْمَالِي اللهُ المُعْمَالِي اللهُ المُعْمَالِي المُعْمَالِي المُعْمَالِي المُعْمَالِي المُعْمَالِي المُعْمَالِي المُعْمِلُولُ المُعْمَالِي المُعْمَالِي المُعْمِي المُعْمِي المُعْمَالِي المُعْمَالِي المُعْمَالِي المُعْمَالِي المُعْمَالِي المُعْمَالِي المُعْمَالِي المُعْمَالِي المُعْمَالِي المُعْمِي المُعْمَالِي المُعْمَالِي المُعْمَالِي المُعْمَالِي المُعْمَالِي المُعْمِي المُعْمَالِي المُعْمِي المُعْمَالِي المُعْمَالِي المُعْمَالِي المُعْمَالِي المُعْمِي المُعْمَالِي المُعْمَالِي المُعْمَالِي المُعْمَالِي المُعْمِي المُعْمَالِي المُعْمَالِي المُعْمِي المُعْمِي المُعْمَالِي المُعْمَالِي المُعْمَالِي المُعْمِي المُعْمَالِي المُعْمِي المُعْمَالِي المُعْمِي المُعْمَالِي المُعْمِي المُعْمِي المُعْمِي المُعْمِي المُعْمِي المُعْمِي المُعْمَالِي المُعْمِي

## AND RE

## الشبهة الخامسة والثلاثون

## إنكار وليمة امرأة العزيز الواردة في قصة يوسف النيخ (\*)

### مضمون الشبهة:

يزعم بعض المتوهمين أن قصة الوليمة التي أعدتها امرأة العزيز لسيدات المدينة الواردة في قصة نبي الله يوسف التنايخ غير معقولة، ويعلّقون على قول الله تعالى:

www.islameyat.com

### وجوه إبطال الشبهة:

1) وليمة امرأة العزيز للنسوة عمل حلقة في تسلسل منطقي لسياق الأحداث في قصة سيدنا يوسف الكيلا مع امرأة العزيز؛ إذ إنها مكرت بهن لما أنكرن عليها فتنتها وشغفها بيوسف الكيلا، كما أن الخبر قد شاع في المدينة، فلم يعد هناك ما تخشاه بعد شيوعه، فاستدعى ذلك أن توقعهم في نفس الفتنة بجمال يوسف الكيلا.

Y) عدم ذكر التوراة لهذا المشهد من القصة وغيره ليس دليلًا على إنكاره؛ بل دليل على أن القرآن وحي من الله إلى رسوله الله وأنه لم يؤخذ من مصادر بشرية، وهو الكتاب الخاتم المعصوم الذي ذكر الحقائق؛ ولم يترك شيئًا ذا بال تؤخذ منه الحكمة إلا ذكره.

٣) تزييف الحقائق شأن كُتَّاب التوراة دائمًا، فقد كتبوا ما يتفق مع أهوائهم وميولهم، فلا يذكرون أية فضيلة لأنبياء الله عليهم السلام ، ولا لغيرهم؛ حتى يجدوا مسوغًا لفسادهم في الأرض، وطغيانهم على العالمين.

<sup>(\*)</sup> هل القرآن معصوم؟ موقع إسلاميات.

التفصيل:

أولا. مكر النسوة بامرأة العزيز ومكرها بهن يتسق منطقيًا مع بقية الأحداث في قصة سيدنا يوسف الكلا مع امرأة العزيز:

أما الزعم أن امرأة العزير تفضح نفسها بهذا التصرف فمردود بأنها فعلت هذا بعد أن شاع الأمر في المدينة، وجرى على ألسنة النسوة؛ فهي تريد أن تثبت لهن وهن من بنات جنسها - أن جماله لا يقاوم؛ فيعذرنها في هواها ويكففن عن لومها والتشهير بها.

إذن فأحداث هذا المشهد وقعت في إطار من التسلسل المنطقي لسياق الموقف، وهو ما أخفاه كاتب التوراة؛ لأسباب سنذكرها فيها بعد.

### عرض أحداث المشهد:

إذا كان يوسف الكلا يستطيع أن يكتم هذا الأمر عن الناس جميعًا، ويسره في نفسه \_على مَضَض \_(1) فهل تستطيع تلك المفتونة بحبه أن تكتم ذلك فلا تحدث به المقرّبات إليها من بنات جنسها على ما عرف من النساء من الثرثرة، وكثرة التناجي فيها بينهن؟! كها لا ننسى أن واقعة مراودة امرأة العزيز ليوسف الكلا شاعت بين ساكني القصر من خدم وحرّاس، ومعلوم أن الخدم والحراس يعلمون أسرار البيوت وينشرونها في الناس.

وبذلك شاع الخبر في المدينة، وتناقلته النسوة فيها بينهن حتى وصل حديثهن إلى صاحبة الشأن؛ فأرسلت إليهن ومكرت بهن كها أردن المكر بها، فكان من أمرها وأمرهن ما حكاه القرآن، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسَوَةٌ فِي

الْمَدِينَةِ اَمُرَاتُ الْعَزِيزِ تُرَوِدُ فَنَهَاعَن نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا الْمَدِينَةِ اَمُراتُ الْعَزِيزِ تُرَوِدُ فَنَهَاعَن نَفْسِهِ قَدَ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَنهَا فِي ضَلَالِ مُبِينٍ ( ) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَ وَأَعْتَدَتْ لَمُنَ مُتَكُمًا وَالتَ كُلُ وَحِدةٍ مِنْهُنَ سِكِينًا وَقَالَتِ الْحُرُجُ عَلَيْهِنَ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ وَقَطَعْنَ أَيْدِيهُنَ وَقُلْنَ حَشَ يلِهِ مَا هَنَذَا عَلَيْ فَلَمَا رَأَيْنَهُ وَقَطَعْنَ أَيْدِيهُنَ وَقُلْنَ حَشَ يلِهِ مَا هَنَذَا بَشَرًا إِنْ هَنَذَا إِلَّا مَلَكُ كُرِيمٌ ( ) قَالَتْ فَذَالِكُنَّ اللّهِ مَلْ مُتُمَا إِنْ هَنَذَا إِلَّا مَلَكُ كُرِيمٌ ( ) قَالَتْ فَذَالِكُنَ اللّهِ مَلُ مُنْ اللّهِ مَلُكُ كُرِيمٌ ( ) قَالَتْ فَذَالِكُنَ اللّهِ مَلُكُ مُنْ اللّهُ عَلِينَ فَا عَامُرُهُ وَ لَيْ اللّهُ عَلَى مَا عَامُرُهُ وَلَيْ لَكُونَ الْمَا عَامُوهُ وَلَيْ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلِينَ السّاعَ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللللّهُ

فالنسوة حين سمعن الخبر لم يطقن صبرًا على عدم رؤية هذا الغلام الذي جمع أروع آيات الجمال، فوصفن امرأة العزيز، بها كان ينبغى أن يصفن به أنفسهن، فهن اللاتي قد شغفن به حبًّا، دون أن يَرَيْنَه \_ والأذن تعشق قبل العين أحيانًا \_ فأردن أن ينلن منه ما يطمع النساء فيه من الرجال، فَسَخَّرنَ من ينقل إلى امرأة العزيز هذه المقولة؛ لعلها تسمح لهن برؤيته ليعذرنها فيه وهذا من مكرهن، فبادلتهن امرأة العزيز مكرًا بمكر، فكانت أعظم كيدًا، فأعتدت لهن متكأً (٢) حافلًا بالفواك والأطعمة الشهية، وآتت كل واحدة منهن سكينًا حادة، وأمرت يوسف أن يخرج عليهن فلم رأينه أعظمنه، وهممن بالوقوف له، وجرحن أيديهن جروحًا بالغة عبّر عنها القرآن بالتقطيع، وذلك حين أصابهن الـذهول، وملأت شِّغَاف قلوبهن مهابته، وروعته، وجماله، فأيقنَّ أنهنَّ أمام ملك كريم، وليس أمام واحد من

ونجحت امرأة العزيز في خطتها، وشفت منهن غيظ قلبها، فقالت لهن \_ والدماء تنزف من أيديهن \_: فذلكن الذي لمتنني فيه، فأنتن من أول نظرة قد وقع

٢. أَعْتَدَت لهنَّ مُتَّكَتًا: أعدت مجلسًا مريحًا فيه كراسي للاتكاء.

١. المَضَض: الكَراهة والتألُّم.

لكنَّ من أمره ما وقع، فكيف بي وهو يلازمني في بيتي، ويدنو مني وأدنو منه، وأدعوه إلى في أبى عليَّ، ولكني سوف أنال منه ما أريد، أو يكون مصيره السجن في ذلة، وصَغار.

لقد اعترفت لهن بإدانتها، واعترفت ببراءته من السوء والفحشاء، واستعصامه بربه منها ومن شرها، لكنه اعتراف لا يدينها، إذ إنهن لا يملكن من الأمر شيئًا، وليس لهن سلطان عليها، ومن الهين اليسير أن تعترف المرأة للمرأة بها تخفيه عن الرجل، ولو كان من المقربين إليها.

ولعلها أرادت أن تغيظهن، وتظهر لهن عدم الاكتراث بمكرهن وتشنيعهن عليها هنا وهناك، وأنها السيدة المطاعة التي إذا قالت فعلت، وإذا أرادت شيئًا فلا مرد له.

وهكذا تستبد المرأة بالأمر الذي تظن أنها قادرة عليه تبعًا لشهواتها الجامحة وأهوائها المنحرفة، ولا سيها إذا كانت تحت رجل يعد من عظهاء القوم وسادتهم.

ونلاحظ أن هذه المرأة لم يؤتها الله شيئًا من الحكمة، ولم يكن لها من العقل ما تعرف به أقدار الرجال، وما تدرك به عواقب الأمور، ولو كان لديها شيء من الفهم لعرفت من أول نظرة من هو يوسف الكلا، ولعرفت أنه الرجل الذي اجتمعت فيه كل خصال الخير، وكل أوصاف الكمال البشري، وأنه بطبعه مصون من كل أوصاف الكمال البشري، وأنه بطبعه مصون من كل رذيلة، معصوم بفطرته من كل شر.

إن النسوة اللاتي مَكَرَتْ بهن كنّ أعقل وأقدر على فهم طبائع الرجال منها، فقد أصدرن حكمهن عليه من أول نظرة، فقلن ما قد حكى القرآن عنهن: ﴿ مَا هَنَا

بَشُرًا إِنَّ هَنَذَآ إِلَّا مَلَكُ كَرِيدٌ (اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُل

# ثانيًا. عدم ذكر التوراة لهذا المشهد من القصة وغيره ليس دليلا على إنكاره:

إن ذكر القرآن بعض التفاصيل التي لم ترد في الكتاب المقدس يُعدُّ أكبر دليلٍ على أن القرآن وحي من الله إلى رسوله، وأنه لم يؤخذ عن مصادر بشرية، بل هو الكتاب الخاتم الذي صَوَّب، وأضاف، فالتوراة لم تغفل فقط قصة وليمة امرأة العزيز للنسوة، بل أغفلت أيضًا مسألة استباقها (٢) إلى الباب أثناء مراودتها له الشاهد من أهل المرأة الذي فصل في القضية، وحكم الشاهد من أهل المرأة الذي فصل في القضية، وحكم ليوسف المناهلة من ربه؛ وبذلك ينفون عصمته عن الزلل، يوسف الناهلة من ربه؛ وبذلك ينفون عصمته عن الزلل، وحفظ أعراض الغير.

أما ما ذكرته التوراة في هذا الشأن فهو \_ فقط \_ غواية المرأة ليوسف الملكة: "ثم حدث نحو هذا الوقت أنه دخل البيت ليعمل عمله، ولم يكن إنسان من أهل البيت هناك في البيت. فأمسكته بثوبه قائلة: "اضطجع معي!". فترك ثوبه في يدها وهرب وخرج إلى خارج". (التكوين: ٣٩: ١١، ١٢).

وهذا كلام يفتقد لعدد من التفاصيل الدقيقة التي وردت في القرآن الكريم، والتي تعد عناصر رئيسة في صلب القصة كغلقها للأبواب، التي تعبر عن

قصص القرآن، محمد بكر إسماعيل، مرجع سابق، ص١١٢، ١١٣.

٢. استباقهما: كل منهما سابق الآخر.

استعدادها النفسي، واتخاذ الخطوات التي تؤدي إلى إنجاح وتحقيق هدفها، وبالتالي تضييق دائرة الصراع على يوسف، ولن تجد أيضًا ذكرًا للبرهان الذي أتى إلى يوسف العَيْنَ من ربه؛ ليخلّصه من هذا الكيد بعد أن اكتنفه (۱) ظلام الفتنة؛ ﴿كَانَكُ لِنَصْرِفَ عَنْدُ السُّوَءَ وَالْفَحْشَاءَ أَيْنَهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (الله السُونَ).

إن كل ما تحكيه التوراة قصة مراودة فقط، بل الأعجب من ذلك ما تحكيه التوراة أن يوسف السلام ترك قميصه معها وهرب عاريًا! ألا يعد ذلك انتقاصًا لقدراته العقلية؟! إذ كيف يخرج عاريًا ويثبت الجريمة على نفسه، وكأنه المهاجم، والمرأة هي المدافعة، إن القرآن الكريم يصف هذا المشهد من القصة وصفًا دقيقًا عكمًا حين يقرر أن يوسف السلام المتنع عنها لما رأى برهان ربه، وقام مبادرًا إلى باب البيت هاربًا مما أرادته، فاتبعته المرأة فتعلقت بقميصه، وذلك هو قول الله تعالى فتعلقت بقميصه من خلفه فجذبته إليها لتمنعه من الخروج، فهو يريد فتح مَعْلَق الباب، وهي تريد أن تحول بينه وبين ما يريده؛ وهو الإفلات من يدها دون قضاء حاجتها، وهنا شقت قميصه من الخلف؛ لأن يوسف الملائة الطالبة (٢).

كما حكى القرآن تتمة المشهد قائلًا: ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ المُلْمُ المِلْمُ اللهِ اللهِ اللهِ المُلْمُلِي المُلْمُ

يمكنك الآن رؤية المشهد كاملًا بكل تفاصيله وأبعاده بعد أن نقله القرآن الكريم بكل دقة فتجده كالآتي:

- امرأة العزيز تراود يوسف الكي بعد أن غلقت الأبواب وتأكدت من عدم وجود أحد بالمكان.
- یوسف النایی بری برهان ربه، فی أبی ویمتنع،
   ویعظها ویذکرها بالله.
- امرأة العزيز لا تتعظ وتصرُّ على مراودته،
   فيهرب يوسف الكني متجهًا إلى الباب.
- تتبعه امرأة العزيز وتجذبه من قميصه؛ لتمنعه من الفرار؛ فيتمزق قميصه من الخلف.
- يتابع يوسف الكلي فراره منها، وهي في أثره فينفتح الباب؛ ليجدا العزيز أمامها.

ومن ثم يأتي السرد القرآني المحكم؛ الذي يُسلّم أي مبدع وقاص وناقد ببراعته، وقوة حَبكته ودقة تفاصيله، كما أن كل شيء أتى به القرآن في القصة لم يأت به عبشًا؛ بل أتى به لحكمة تستطيع أن تستخرجها بوضوح بعد إتمامك للسرد القرآني للقصة الكاملة؛ التي كانت ترجمة لحدث حقيقي حدث على أرض الواقع، تشهد بذلك التوراة، التي لم تذكر أحداث القصة بهذه الدقة، كما افتقرت إلى كثير من الأحداث والتفاصيل الدقيقة التي نص عليها القرآن، وكأن الله والدقيقة بتفاصيل حياة الأنبياء: آن لكم أن تتعلموا، وأن تعلموا أن ما تعلمونه قليل، وأن التوراة قليل في علم الله، بل كنقطة من بحر لا ساحل له؛ لذا كان القرآن الكريم مهيمنًا على ما سبقه من كتب بحول الله وقوته وعلمه وإرادته.

١. اكتَّنفَه: أحاط به.

حياة وأخلاق الأنبياء، أحمد الصباحي عوض الله، مرجع سابق، ص١٣٥ بتصرف.

٣. أَلْفَيَا: وَجَدَا.

ولا يفوتنا أن نذكر أن التوراة \_كما أهملت ذكر تغليق الأبواب، ووعظ يوسف الكلي لامرأة العزيز وتذكيرها بالله، وإصرارها على مراودته بعد ذلك، وهروبه من أمامها، واستبقاهما للباب، وقدها قميصه من الخلف، ودخول العزيز \_قد أهملت قصة الشاهد الذي حكم ببراءة يوسف، وهو من أهلها امرأة العزيز. إذن فهي الطالبة، وهو المدافع، وهذا هو مبلغ الحكمة في الأسلوب القرآني.

إن مسألة البرهان: أي عصمة سيدنا يوسف التَيْلا، وصرف السوء والفحشاء عنه على أصح الأقوال لم تذكرها التوراة، بل ركزت على ضغط المرأة اللَّعوب (١) على يوسف التَيْلا، ولم توضح موقف يوسف التَيْلا من تهمة زوجة العزيز له، في حين ذكر القرآن الكريم أن الله تعالى قد عصم نبيّه يوسف التَيْلا، فصرف عنه السوء والفحشاء، قال تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِدِدْ وَهَمَّ وَالْفَحْشَاءُ اللّهُ مَنْ عِبَادِنَا ٱلمُخْلَصِينَ اللّهُ الشَوْء وَالْفَحْشَاءً أَنْ رَبَّ المُرهَانَ رَبِّهِ عَلَيْهُ الشُوء وَالْفَحْشَاءً أَنْ رَبَّ المُرهَانَ رَبِّهِ عَلَيْهُ الشُوء وَالْفَحْشَاءً أَنْ رَبَّ المُرهَانَ رَبِّهِ عَلَيْهِ اللّه وَالْفَحْشَاءً وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَلَيْفُولُكُونَ وَاللّهُ وَالّ

أيضًا أغفلت التوراة المحرفة دعوة يوسف الطيخ لصاحبيه في السجن إلى التوحيد الخالص، وترك الشرك والوثنية، فلم يعرف اليهود يومًا إلمّا واحدًا معبودًا بحق، بل تجدهم على مرّ العصور يحاربون الله ورسله، ويقتلون الأنبياء، ويصادرون أمن الآمنين.

إذن فهدفهم من ذلك إبعاد مسألة الدعوة عن عقيدتهم، إذ لو دعا بها نبي من أنبياء بني إسرائيل "كسيدنا يوسف الكلا" لوجب اتباعها، ولكانت شاهدًا على كفرهم وفسادهم في الأرض، وهذا ما لا يريدونه.

إضافة إلى إغفالهم أن يوسف العَيْلُ فسر رؤيا الملك قبل خروجه من السجن، لينفوا بذلك فضيلة الإحسان إلى من أساء، فقد سُبجن ظلمًا، ورغم ذلك لم يُساومهم (٢) على تفسير الرؤية بخروجه من السجن، فليس هذا من أخلاق الأنبياء الذين أدبهم ربهم فأحسن تأديبهم، فما يريده اليهود هو: الإساءة لمن أساء ولمن أحسن أيضًا، هذا هو دينهم وديدنهم في كمل العصور: العبث، والفساد في الأرض.

نعود إلى حديث القرآن عن قصة النسوة مع امرأة العزيز، والسؤال الآن هو: لماذا أغفلت التوراة قصة الوليمة؟! والإجابة عن هذا السؤال من وجهين:

١. لقد تفرد القرآن الكريم بالحديث عن شيوع خبر المرأة مع يوسف الكيالة في المدينة وتحدث النسوة به، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ﴿ اللهِ النسوة الله قكي الآيات أن امرأة العزيز دعت النسوة اللاتي تحكي الآيات أن امرأة العزيز دعت النسوة اللاتي تمكمن عليها، واستنكرن فعلها؛ لأنها عشقت فتاها،

١. المرأة اللَّعوب: الرشيقة الحركات الحسنة الدلال.

٢. يساومهم: يطلب ثمنًا منهم.

نقول: إن هذه القصة التي أثبتها القرآن أغفلتها التوراة، مع أن تسلسل الأحداث لا يتم إلا بها، ولكن كتّاب التوراة ابتعدوا عن قصة هولاء النسوة؛ لأنها تثبت للمؤرخين حضارة مصر العظيمة، وتوضح أن أهلها عرفوا وسائل المدنية من قديم الزمان، ومنها أداب المائدة، وأدوات الطعام، ومنها السكين، والأثاث المريح، وهذا ما أثبته المستشرق هنري برستد حين قال: "إن التقدم السياسي والاجتماعي وتطور الحضارة البشرية على وجه عام كان ظهورها كلها في وادي النيل متقدمًا بعدة قرون على أمثاله في غربي آسيا، الحقيقة أن الحضارة في بابل أتت متأخرة في تطورها الديني، والاجتماعي، والسياسي عن حضارة مصر، بما لا يقل والاجتماعي، والسياسي عن حضارة مصر، بما لا يقل

عن ألف سنة "(١).

٧. أغفلت التوراة \_عمدًا \_هذه القصة؛ لأنهم بإثبات العصمة والفضيلة ليوسف الطِّيِّكُ يُحرِّمون نساء الغير عليهم، وهم يريدون أن يعثوا في الأرض فسادًا، فالمعروف أن دعوة موسى الطَّيْكُمُ كان فيها الـدعوة إلى الصفات الحميدة والأخلاق النبيلة من: عدم احتقار الغير، وعدم التعدي على أمواله وحرماته، وفي زمان سبى بابل حرّف اليهود التوراة، وامتنعوا عن دعوة الأمم إلى معرفة الله، وأباحوا لأنفسهم أخذ الربا من الأعميين، والزنا بنسائهم، وسفك دمائهم، وغيرها من ذميم الصفات، وكتبوا ما يدل على ذلك في التوراة، وحذفوا من التوراة \_حال تحريفهم لها \_ما يمنعهم عن ظلم الأمميين. ومما حذفوه قول النسوة ليوسف الطَّيْكِين : ﴿ مَا هَنَدًا بَشُرًا إِنْ هَنَذَاۤ إِلَّا مَلَكُ كُرِيعُ ١٠ ﴾ (يوسف)، فشهادة النسوة ليوسف الطيئة بهذا الخلق الحميد يتعارض مع أهوائهم، وما اتفقوا عليه من العبث بنسائهم ونساء غيرهم.

ثالثًا. تزييف الحقائق شأن كُتَّاب التوراة دائمًا، فلا يذكرون أية فضيلة لأنبياء الله ولا لغيرهم؛ حتى يجدوا مبررًا لفسادهم وطغيانهم في الأرض:

درج اليهود على تزييف الحقائق بها يتفق مع ميلهم للفساد كها يثبت التاريخ، وحذف ما ينسب الفضل لغيرهم، لذا فالتوراة عبثت بها أيدي البشر وحرفت الكثير من نصوصها، إن لم نقل معظمها؛ وبالتالي فنحن لا نصدق كل ما جاء بها، فها عرضناه منها على القرآن

۱. فجر الضمير، جيمس برستيد، ترجمة: سليم حسن، د. م، د. ن، د. ت، ص ۱۳۸.

واتفق معه فهو صحيح، وإن تعارض، فالقرآن هو الكتاب الخاتم السامل الكامل الذي جاء مصوِّبًا لأخطاء السابقين ومضيفًا للكتب السابقة ما لم يرد منها، ومستدركًا عليها ما وقع فيها من تحريف على أيدي البشر.

وقد رد القرآن الكريم على افتراءاتهم المتتالية على أنبياء الله، ومن ذلك قولهم: إن لوطًا الطَّيْلِينَ زنا بابنتيه. (التكوين ١٩: ٣١ ـ ٣٨)، وإن سليمان الملك الطَّيِلِينَ ابن زنا، وقد أحب نساء غريبات. (الملوك الأول ١١: ١)، وأن داود الطَّيِلِينَ ينظر إلى نساء غيره، وأنجب سليمان نتيجة علاقته المحرمة مع زوجة قائده أُورِيًا الحِثِينَي. (صموئيل الثاني ١١: ٢ - ٢٧)، كما أن نوحًا الطَّينَ وهو من أولي العزم من الرسل - نجده - على حدِّ تعبير تُوراتهم المُحرَّفة - يشرب الخمر حتى يترتَّع (١) سَكرًا. (التكوين ٩: ٢١)، وأن إبراهيم الخليل الطَّينَ دَيُّوثُ وث لا يغار على عِرْضه. (التكوين ١١: ١٢ – ١٥)... إلىخ، أليس هذا ظلمًا وعدوانًا على أفضل الخلق قاطبة؟!

كما لم يُعصَم نبيهم المفضل - صاحب التوراة وحامل ألواحها - موسى الطّي من كذبهم وافترائهم، فهو قاتل لأخيه هارون الطّي الذي عَبَد العجل مع قومه حسب زعمهم، ألا قاتلهم الله أنى يؤفكون. فهل يتصور ممن كان هذا ديدنهم أن يكتبوا حقّا أو يقولوا صدقًا؟ وإذا كان ما كُتب في توراتهم بغية التعدي على نساء الأمم، فإن عقل أي عاقل لا يتصور أن يثبتوا عفة يوسف الطيك عن نساء الأمم.

#### الخلاصة:

- تعد قصة وليمة امرأة العزيز للنسوة تسلسلاً منطقيًّا لسياق الأحداث إذ إنها مكرت بهن كها أردن المكر بها، حين قاموا بلومها على شغفها بيوسف الطيخ؟ فأرادت أن يَرَيْنَ جماله؛ حتى يعذرنها على حبها ولا يلمنها، فلها فعلت، ما كان منهن إلا أن انبهرن بجهال يوسف، فقطَّعن أيديهن دون أن يشعرن، وهذا أمر معروف في علم التنويم المغناطيسي، كها أرادت غيظهن بأنها بيدها أمره وسجنه إن لم يفعل ما تأمره به، فلا تبيعه مثلًا حتى لا يسارعن بشرائه، وكأنها المالك الوحيد له، وقد شاع الخبر في المدينة حتى بلغها خوض النساء فيها، وكلامهم عنها، وذمهم لها؛ فلا ضير من إثبات فتنتها بسحره لهؤلاء النسوة.
- عدم ذكر التوراة المحرفة لهذا المشهد من القصة وغيره ليس دليلًا على إنكاره، بل دليل على أن القرآن وحي من الله إلى رسوله، وأنه لم يؤخذ من مصادر بشرية، بل هو الكتاب الخاتم الذي صوَّبَ وأضاف، فقد تفرد القرآن بذكر مشهد استباق الباب، ومسألة الشاهد من أهلها الذي برَّ أيوسف العَيْلًا، ومسألة البرهان وكونه عصمة من الله لرسوله، ودعوة يوسف لصاحبي السجن إلى التوحيد الخالص وترك الشرك والوثنية، وتفسير سيدنا يوسف العَيْلًا رؤيا الملك قبل خروجه من السجن، أي أنه لم يساوم ولم يسيء إلى من خروجه من السجن، أي أنه لم يساوم ولم يسيء إلى من أساء إليه، حين سجنه ظلمًا.
- كما أغفلت التوراة المحرفة قصة النسوة مع امرأة العزيز وهي مناط الشاهد؛ وذلك لنفي معرفة مصر بطائفة من وسائل التمدن الحضاري آنذاك من مقاعد

١. يترنَّح: يتهايل من السُّكْر.

٢. الدَّيُّوث: الذي لا يغار على أهله.

مريحة، وأدوات طعام وآداب مائدة، ودرءًا للفضيلة؛ إذ لو شهد النسوة ببراءة يوسف وعفته لما أحلُّوا لأنفسهم العبث بنساء الغير، والفساد في الأرض.

- إن تصويبات القرآن الكريم لأخطاء التوراة كثيرة منها: أن القرآن ذكر أن يوسف المنتيخ قُدَّ قميصه من دبر فهو المدافع والمرأة المهاجمة، أما التوراة فقد ذكرت أن يوسف المنتيخ ترك قميصه مع المرأة وفرَّ هاربًا، فهل يُعقل من نبي من أنبياء الله آتاه الله العقل والحكمة أن يخرج هكذا أمام العزيز \_ زوج المرأة ويشبت على نفسه الجريمة؟! ألا يعد هذا انتقاصًا لقدراته العقلية؟!
- تزييف التوراة للحقائق أمر معهود، فقد كتبوا ما يتفق مع أهوائهم وميولهم، فلا يذكرون أية فضيلة لأنبياء الله ولا لغيرهم؛ حتى يجدوا مبررًا لفسادهم في الأرض، وطغيانهم على العالمين. فالتوراة التي أغفلت المشاهد السابقة في قصة يوسف المناهد، والتي تفيض عبرًا وعظات، هي التي أثبتت السفه وفعل الفواحش لأنبياء الله عليهم السلام.
- أليست التوراة المحرفة هي التي قالت: إن لوطًا الطيخ زنا بابنتيه، وإن نوحًا الطيخ شرب الخمر حتى ترنح سكرًا، وإن إبراهيم ديوث لا يغار على عرضه، وإن سليان الطيخ مع زوجة قائده أوريا الحثي، وإن سليان الطيخ يستبيح نساء الغير؟ كها ادّعوا ـ قاتلهم الله ـ أن موسى الطيخ قاتلٌ قتل أخاه هارون الطيخ، الذي عبد بدوره العجل فهو كافر في نظرهم... إلى آخر هذه الترهات اليهودية.

# 200 K

### الشبهة السادسة والثلاثون

# ادِّعاء أن يوسف الطِّلاً أدان نفسه واتهمها بارتكاب الذنب (\*) ®

#### مضمون الشبهة :

يدعي بعض المتوهمين أن يوسف السين غير بريء مما نسب إليه، وأنه اعترف على نفسه بذلك؛ وأنه مُدان بارتكاب ذنب يحتاج إلى طلب مغفرته من الله تعالى، ويستدلون على ادعائهم هذا بقول الله تبارك وتعالى حكاية عن يوسف السين ﴿ وَمَا أَبُرِئُ نَفْسِى ۚ إِنَّ النَّفْسَ كَايَةُ عَن يوسف السين : ﴿ وَمَا أَبُرِئُ نَفْسِى ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَا مَا رَحِعَ رَقِى ۖ إِنَّ رَبِي عَفُورٌ رَحِمٌ ﴿ الله بعارض اعتراف يوسف السين على نفسه بارتكاب الذنب مع قول القرآن براءته؟!

### وجها إبطال الشبهة:

براءة يوسف التَّكِيلاً ثابتة عقلًا، ونقلًا، وإجماعًا؛
 وعليه فلا يعقل أن يعترف على نفسه بالإدانة.

٢) اختلف المفسرون في هذه الآية المستشهد بها، فمنهم من ذهب إلى أن الكلام في الآية يُنسب إلى يوسف العَيْلا، ومنهم من يرى نسبة الكلام إلى امرأة العزيز وهو الراجح، وفي كلا الحالتين فهي إثبات لبراءة يوسف العَيْلاً لا إدانته.

<sup>(\*)</sup> عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق. عصمة الأنبياء، فخر الدين الرازي، مرجع سابق.

இ في "براءة يوسف من الفحشاء" طالع أيضًا: الوجه الثالث،
 من الشبهة الرابعة والثلاثين، من هذا الجزء.

#### التفصيل:

# أولا. براءة يوسف الصديق النَّخِيرُ ثابتة بالنقل والعقل والعقل والإجماع:

لقد ثبتت براءة نبي الله سيدنا يوسف الطِّيلاً من الوقوع في الفحشاء بشهادة كل من علم بحاله، وهذا ما قرره القرآن، فقد أعلنت امرأة العزيز براءة يوسف الطِّيلًا من الهمَّ بالمعصية، وأنه لم يجبها إلى طلبها إذ قالت كما حكمي القرآن الكريم: ﴿ وَلَقَدُ رَوَدَنُّهُ عَن نَّفَسِهِ عَ فَاسَّتَعْصَمُ الله (يوسف: ٣٧)، وشهدت بعفته وصدقه إذ قالت: ﴿ أَنَا رَوَدَتُهُۥ عَن نَفْسِهِ، وَإِنَّهُۥ لَيِنَ ٱلصَّادِقِينَ ( السف )، وقد شهدت النسوة بعفته وطهارته إذ قلن: ﴿ حَنْ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوِّعٍ ﴾ (يوسف: ٥١). وشهد أيضًا ببراءته الشاهد الذي رأى القصة، حيث يقول الله على: ﴿ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ ، مِن دُبُرٍ ﴾ (بوسف: ٢٥)، حيث شهد بإدانتها، وشهد ببراءته أيضًا العزيز يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَلَمَّا رَمَا قَمِيصَهُ، قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿ ﴿ ﴾ (بوسف)، ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَنَذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنْبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِئِينَ ﴿ اللَّهُ ﴾ (بوسف). وشهد يوسف الطِّيلًا نفسه ببراءته فقال: ﴿ هِي رَوَدَتِّني عَن نَفْسِي ﴾ (يوسف: ٢٦) .

وفي التوراة نفسها ما يؤكد براءة يوسف الكلامن الله من الوقوع في الفحشاء: "فأمسكته بثوبه قائلة: "اضطجع معي!". فترك ثوبه في يدها وهرب وخرج إلى خارج". (التكوين ٣٩: ١٢).

كذلك ورد في الكتاب المقدس قوله: "وحدث بعد هذه الأمور أن امرأة سيده رفعت عينيها إلى يوسف وقالت: "اضطجع معي". فأبى وقال لامرأة سيده: "هو ذا سيدي لا يعرف معي ما في البيت، وكل ما له قد دفعه إلى يدي". (التكوين ٣٩: ٧، ٨).

كيف بهم يدَّعون ظلمًا وزورًا إدانة يوسف الكَيْنَ لنفسه؟! وكيف يتفق هذا مع العقل في أن يثبت براءته كل من حوله ومن شهد الواقعة، ثم يدين هو نفسه؟! وكيف يشهد لنفسه بالبراءة ثم يعود فيدين نفسه مرة أخرى؟!!

ولذا رفض أن يخرج يوسف الطيلاً من السجن؛ حتى تثبت براءته أمام الناس جميعًا ويعلم الناس ذلك.

# ثانيًا. ثبوت براءة يوسف النه وعدم إدانته، سواء نُسب الكلام في الآية إليه أو إلى امرأة العزيز:

فإن معنى: ﴿ وَمَا أَبُرِئُ نَفْسِى ﴾ (يوسف: ٥٣) أي من الميل الطبيعي مع الامتناع، أو من حديث النفس، فأشار يوسف العَيْلُ بذلك إلى أن عدم التعرض لامرأة العزين لم يكن لعدم الميل الطبيعي؛ بل لخوف الله تعالى.

وقد يكون المعنى: لا أبرئ نفسي من العزم على دفعها، أي إيذائها، أو ما عبر عنه بـ "السوء" في قول تعالى: ﴿ كَنَالِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوَّءَ وَٱلْفَحْشَاءَ ﴾ (يوسف: ٢٤) لا من القصد إلى المعصية.

ويحتمل أن يوسف الكلكاة قال ذلك هضمًا لنفسه

مدرسة الأنبياء: عبر وأضواء، محمد بسام رشدي الزين، مرجع سابق، ص١٣١، ١٣٢ بتصرف.

البريئة عن السوء، وتواضعًا لله تعالى: أي لا أنزّه نفسي من حيث هي هي، ولا أسند هذه الفضيلة إليها بمقتضى طبعها من غير توفيق من الله سبحانه، بل إنها ذلك بتوفيقه ورحمته (١).

فيوسف العَلَيْلاً بقوله هذا أراد ألا يزكّي نفسه، مع أنه على يقين من نفسه، وكذلك يُعلِم غيره من الناس أنه بريء، وظهر ذلك ظهور الشمس وأقرت به المرأة التي ادَّعت عليه الباطل، ونزهته النسوه اللاتي قطعن أيديهن.

قال الحسن: لما قال يوسف: ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمُ أَنِي لَمْ أَخُنَهُ مِاللَّهُ أَن يَكُونُ لَمْ أَخُنَهُ مِاللَّهُ أَن يكون زكبى نفسه فقال: ﴿ وَمَا أَبْرَيْ نَفْسِى ﴾؛ لأن تزكية النفس مذمومة، قال الله في ﴿ فَلَا تُرَكُّوا أَنفُسَكُمْ ﴾ (النجم: ٣٢).

• وعلى اعتبار أن هذا القول من كلام امرأة العزيز فلا مجال لاتهام يوسف الطيخ لنفسه؛ لأن كلامها حينئذ يعد اعتذارًا عما وقع منها في حق يوسف الطيخ، واعترافًا بعدم براءتها، ويكون يوسف الطيخ بريتًا \_كل البراءة \_مما نسب إليه.

ومعنى الآيتين: ذلك الذي قلت ليعلم يوسف الكيلا أني الآن لا أكذب عليه في غيبته، وما أبرئ نفسي من الخيانة، فإني قد خنته حين ادّعيت عليه زورًا أنه هو الذي أراد بي سوءًا، وقلت: ﴿ مَا جَزَآهُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَاجًا إِلِيمٌ اللهِ اللهُ اللهِ ال

السجن، وإن كل نفس لأمارة بالسوء إلا نفسًا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف، شم استغفرت ربها مما ارتكبت: ﴿إِنَّ رَبِي عَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٠٠٠) (بوسف)(٢).

والراجح أن هـ ذا مـن كـلام امـرأة العزيـز، وعـود الضميرين على يوسف الطَّيِّة استنادًا إلى ما يلي:

ا. أن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحسضرة الملك، ولم يكن يوسف الكلام حاضرًا في المجلس وقت هذا الكلام، وإنها استدعاه الملك بعد ذلك بدليل قوله بعد هذا الكلام: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱلنُّونِي بِهِ مَا أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ﴾ (يوسف: ٥٤).

الكلام إلى حذف كثير وتقديرات كثيرة من رجوع الكلام إلى حذف كثير وتقديرات كثيرة من رجوع الرسول إلى يوسف الكلام وإخباره بها قاله النسوة، شم إجابة يوسف الكلام ورجوع الرسول إلى الملك ثانيًا وإخباره إياه بمقالة يوسف الكلا، شم يقول الملك:
﴿ أَنْنُونِ بِدِةَ أَسْتَخْلِصَهُ لِنَفْسِى ﴾ والحذف الكثير غير لائق في الكلام.

٣. أن هذا مقام الاعتذار من امرأة العزيز، فإنها بعد أن اعترفت بمراودتها يوسف العلا عن نفسه، وتجنيها عليه، يصبح من المناسب أن تعتذر عن هذا بأن ضميرها قد استيقظ، ونفسها قد صلحت بعد أن كانت أمّارة بالسوء، وفي هذا ما يشفع لها عند الناس، وعند الله بمغفرة ذنبها: ﴿إِنَّ رَقِي عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ الله والمغفرة تكون لمن أذنب واعتدى وثبتت إدانته، لا لمن كان بريئًا معتمد وطهارته.

٣. عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، د. محمد أبـ و النور الحديدي، مرجع سابق، ص ٣٢١.

عصمة الأنبياء، د. أبو النبور الحديدي، مرجع سابق،
 ص ٣٢١، ٣٢٢ بتصرف يسير.

الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ج٩، ص٢١٠.

خعل هذا الكلام من قول امرأة العزيز يتفق مع ما هو مقرر من عصمة الأنبياء من غير حاجة إلى تأويل، أو محاولة توفيق، أما جعله من كلام يوسف الطيخ فيحتاج إلى تأويله بها يتفق وعصمة الأنبياء عليهم السلام وما لا يحتاج إلى تأويل أولى مما يحتاج.

وعود السخميرين على يوسف النسخ أقوى؛ لأن السياق يعضده، حيث إن الضهائر قبل ذلك راجعة إلى يوسف النسخ في معضده، حيث إن الضهائر قبل ذلك راجعة إلى يوسف النسخ في مشل قول الله على: ﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوّعٍ ﴾، وقوله على: ﴿ أَنَا رُودَتُهُ، عَن نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَينَ الصّندِقِينَ ﴿ وَقُولُه عَلَى السّندِقِينَ ﴿ وَهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ ال

#### الخلاصة:

• براءة يوسف الكين ثابتة لامراء فيها، حيث شهد ببراءته كل من شهد الواقعة من النسوة، وابن عمها الذي شهد ببراءته، وزوجها الذي طلب من يوسف الكين أن يكتم هذا الحديث، وامرأة العزيز نفسها التي صرّحت ببراءته، وأعلنت أمام الناس جميعًا مراودتها له، وقد أكد هذا ما ورد في التوراة من نصوص تدل على براءة يوسف كها جاء في القرآن الكريم.

• تفيد الآية التي استشهد بها المدعون براءة يوسف الطّيّلاً من الوقوع في الفاحشة، سواء نُسب الكلام فيها ليوسف الطّيّلاً الذي أراد بذلك هضم نفسه البريئة، وإظهار تواضعه لله الذي نجاه من هذه الواقعة،

فهو يشير إلى فضل الله عليه، ولا ينسب الفضل لنفسه، أو نُسب إلى العزيز وهو الراجح؛ لأن سياق الكلام يوحي بذلك كها أن المقام مقام اعتذار واعتراف منها بالذنب، حيث طلبت من الله على أن يغفر لها ذنبها. وهذا لا يحتاج إلى تأويل ويؤكد عصمة الله على للسيدنا يوسف الله المناه المناه الله المناه الله المناه المناه المناه المناه المناه المناه المناه الله المناه المناه المناه الله المناه المناه

# SE CONTRACTOR OF THE PARTY OF T

# الشبهة السابعة والثلاثون

# دعوى اضطراب القرآن الكريم في حديثه عن يوسف اللياخ مع امرأة العزيز (\*)

#### مضمون الشبهة:

يدعي بعض المتوهمين اضطراب القرآن في حديثه عن قصة سيدنا يوسف الني مع امرأة العزيز؛ حيث ذكر بعض المفسرين عند تفسير آيات سورة يوسف من (٢٥: ٢٩)، أن الشاهد على براءة يوسف الني كان ابن عم لها وكان صبيًا في المهد. ويتساءلون: من أين جاء هذا الصبي ولم يكن في البيت أحد؟! كما يتساءلون: كيف يسجن عزيز مصر يوسف مع علمه ببراءته؟ وكيف يرضى بهذا العار؟ وكيف تهدد الزوجة يوسف بالسجن إن لم يفعل ما أمرته به من الفحشاء فيقبل أن يسجن لا لفحشه، بل لعفته؟!

### وجوه إبطال الشبهة:

١) لم يتناقض القرآن بشأن قصة سيدنا يوسف الطِّيَّالا

<sup>(\*)</sup> هل القرآن معصوم؟ موقع إسلاميات.

www.islameyat.com

١. المرجع السابق، ص٢٢٢، ٢٢٣.

ولا في غيرها؛ فقد جاء مصوِّبًا لأخطاء السابقين، ومن ذلك ما في الكتاب المقدس من ترهات في هذا الشأن.

حديث القرآن الكريم عن سيدنا يوسف الطيئة
 مع امرأة العزيز في غاية السلاسة والإحكام، مما يدل
 على أنه الكتاب الخاتم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه
 ولا من خلفه.

٣) قول بعض المفسرين: إن الساهد على براءة سيدنا يوسف السلام كان طفلًا في المهد أنطقه الله تجاوز وإسراف لا يحتمله السياق، بل الأصوب أنه كان ابن عمًّ لها وكان يجلس مع زوجها ساعة الحدث.

٤) براءة يوسف الكلالا تقتضي أن يسجنه عزين مصر، كما شهد له الجميع: عزين مصر، الزوجة، والنسوة، كما شهد له رب العزة وكفى بها شهادة. لكنه سجنه درءًا لفضيحة زوجته، وسترًا لعرضه؛ حتى ينسى الناس هذه الحادثة.

#### التفصيل:

أولا. لم يتناقض القرآن في هذا الشأن؛ فقد جاء مصوبًا لأخطاء السابقين، ومن ذلك ما في الكتاب المقدس من تُرّهات وتناقضات؛

إن القرآن الكريم الذي تكفيل الله و بحفظه من التحريف والتغيير: ﴿ إِنَّا نَعْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَكَ فِظُونَ التحريف والتغيير: ﴿ إِنَّا نَعْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَكَ فِظُونَ وَالحَدِس من الله ورسله، وفي غيرها من الأمور الأحرى، وقد فضح الله أمرهم وأحبر بتحريفهم للتوراة والإنجيل؛ يقول الله تعالى: ﴿ يُحَرِّفُونَ النَّكِلَمُ عَن مَوَاضِعِهِ ﴾ (النساء: ٢١)، ويقول الله تعالى: ﴿ فَوَيْلُ لِلَّذِينَ يَكُنُهُونَ ٱلْكِئَبَ بِأَيْدِيمٍ مُ ثُمَّ يَقُولُونَ هَلْذَا

مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ عَمَنَا قَلِيلًا فَوَيْلُ لَهُم مِّمَّا كَلْبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلُ لَهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الْمُلْمُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللْمُوالِلْمُلِمُ الللْمُولُولُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

ثم إنك لتعجب أشد العجب من قصص وقصّاص التوراة الذين أطلقوا العنان لخيالهم المريض وأفكارهم الخبيثة التي تبثُّ سمومها وأمراضها على صفحات كتاب يفترض أن يكون مقدسًا \_كما يزعمون \_ولا ندري مصدر القداسة في هذه القصص القبيحة، أو الحكايات الأسطورية الفاضحة، أو الخيالات الماجنة عن أشخاص أكمل الله لهم الخُلق والخُلْق، وجعلهم للناس قادة وللبشر سادة (١١)، والأمثلة على ذلك كثيرة منها: أن داود الطُّحِيرٌ وقع على بتشبع زوجة القائد أوريا، وزنا بها، وجره عشقه لها وهيامه بها أن دفع زوجها إلى مقدمة الجيش حتى قُتل غدرًا بوشية من داود إلى أحد قادته في جيش أوريا، ومنها أن هارون الطِّيِّلا صنع عجلًا وبنى له مذبحًا وعبده مع بني إسرائيل وسجدوا له، وذَبَحَ الذبائح وقَدَّمَ القرابين بين يديه، وتحدى تعاليم الله على وخالف أوامره !! ومنها أن إبراهيم الطَّيِّكُانَ تاجَرَ بامرأته لكل ملك نزل بأرضه وجعلها عرضًا مباحًا، لا يرد عنها يد لامس، ولا يَكْبَح عنها (٢) شهوة راغب<sup>(۳)</sup>.

وقد برأ الله في القرآن أنبياءه مما لحق بهم يقول الله في القرآن أنبياءه مما لحق بهم يقول في المُعْمَ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ اللهِ (س)، ويقول

عمد والأنبياء في المصادر اليهودية والمسيحية، السيد سلامة غنمي، مرجع سابق، ص٣٠ بتصرف يسير.

٢. يَكْبَح عنها: يرد عنها.

محمد والأنبياء في المصادر اليهودية والمسيحية، السيد سلامة غنمي، مرجع سابق، ص٣٣ بتصرف يسير..

تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرَنَّكُمْمُ عَلَىٰ عِــلَّمِ عَلَى ٱلْمَالَمِينَ ﴿ اللَّهُ ﴾ (الدخان)، وقال الله عَلَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ ءَادُمُ وَنُوحًا وَمَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ عَلَى ٱلْعَلَمِينَ (الله عمران).

وبناء على ذلك فإن عدم ذكر التوراة لقصة الشاهد التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ـ في قصة امرأة العزيز مع سيدنا يوسف اللِّل ـ لا يعني اضطراب القرآن أو تناقضه؛ فقد جاء مصوِّبًا لأخطاء السابقين، ومضيفًا لما ورد في كتبهم من قصص، وإنها يدل هذا على إحكامه، وعلى أنه الكتاب الخاتم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولم تذكر التوراة أيضًا قصة استباق الباب من يوسف الطِّيلا وامرأة العزيز، مما تَفَرَّد بـه القرآن، وإنها ساقت التوراة أنها لما أمسكت بثبوت يوسف خلعه لها، فنادت الخدم وأخبرتهم، بأن بعلها جاء برجل عبراني يداعبها، وأن يوسف لما رأى المكان خاليًا طلب منها أن يضاجعها، فأبت وصرخت بصوت عظيم، وكان استعد للأمر، فخاف حين استغاثت وهرب وترك عندها قميصه. وهذا يبدلُّ على التشويه الذي أصاب قصة يوسف الكيلاة، وغيرها في نصوص التوراة المحرَّفة (١).

# ثانيًا. حديث القرآن عن سيدنا يوسف السلام مع امرأة العزيز، في غاية السلاسة والإحكام:

فالتصوير الحقيقي للقصة في القرآن الكريم هو منها، فتتعلق بقميصه من الخلف، فتجذب لمنعه من

١. قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، مرجع سابق،

ص١٦١:١٥٨ بتصرف.

الهرب دون الوصول إلى مأربها، وبذلك شُـقً القميص، ووجدا زوجها عند الباب جالسًا مع ابن عمها؛ فهابته، وألصقت التهمة به؛ لتتحول من جانية إلى مجني عليها بكل مكرٍ ودهاء، وقالت: ﴿ قَالَتْ مَاجَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَاكُ أَلِيدٌ ١٠٠٠ ﴿ ربوسف )، ونلاحظ هنا أن خلق يوسف التَّلِيَّةُ ما كان ليجعل يُفشي هـذا السر ويفضح المرأة لكنها قَلَبت الحقائق؛ ليتحول الجاني إلى مجنى عليه، فكان عليه أن يُبرئ نفسه؛ لأن هذا طعنًا في أمانته مع من أحسن إليه، وإذا نظرنا إلى الموقف نظرة فاحصة لوجدنا أن امرأة العزيز تُصعِّد رغبتها من مراودة إلى تغليق الأبواب إلى تهيـؤ وطلـب صريـح، إلى محاولـة الاقتراب منه بالقوة، وهو يقابلها بتصعيد الرفض والإباء: ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُ ,رَبِّ ٱحْسَنَ مَثْوَاتَّ إِنَّهُ لَا يُقْلِحُ ٱلظَّالِمُونَ اللهُ (يوسف) (٢).

فيوسف الطِّيِّلاً لم يجد معاذًا إلا الله؛ لأنه سبحانه الذي أعطاه الحكم والعلم، وقال له: هذا حلال وهذا حرام، والله تعالى قادر دائمًا أن يعيذ عباده، ويمنع عنهم ما يكرهون، وكلمة "معاذ الله"عند المؤمن إذا قالها فلا بدأن الأمر عصيب.

ولم يوافق يوسف الطِّيِّلاً على ما تريده، وطلب العون

من الله، وقوله على: ﴿ أَخْسَنَ مَثْوَاكَ ﴾ أي نجاني من

الجبّ ومن شرّ إخوتي، وهيّأ لي مكانًا رغدًا؛ لأعيش فيه

فلا أكافئه بأن أعـصيه، وأن أجعـل نعمـه عـليَّ وسـيلة

لمعصيته خاصة أن زوجها \_عزيـز مـصر \_قـد أكـرم

يوسف الصديق الكياة فهو القائل: ﴿ عَسَى أَن يَنفَعَنَّا

التصاعد الصادق لأحداث الموقف بين الطرفين، فسيدنا يوسف الطِّيِّلاً يمتنع عنها، ويقوم مبادرًا إلى الباب للهرب

٢. حياة وأخلاق الأنبياء، أحمد الصباحي عوض الله، مرجع سابق، ص١٣٥ بتصرف.

أَوْ نَنَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ (يوسف: ٢١)(١).

وبذلك يتضح لنا أدب اللجوء إلى الله في القرآن الكريم، وهو ما أدَّب الله تَلَقَّ به أنبياءه وعباده الصالحين.

## ثالثًا. تحديد الشاهد:

لا بد أن زوج المرأة بطبيعة الحال لجأ للتحقيق في القضية، والتحقق من الأمر، فوجد خيطًا يدله على التعرف على تحديد الجاني، والمجني عليه، ﴿ قَالَ هِي رَوَدَتْنِي عَن نَقْسِي وَشَهِدَ شَاهِدُ مِنْ أَهْلِهَ آإِن كَانَ قَمِيصُهُ، قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتَ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَذِبِينَ ﴿ وَاللَّهِ اللَّهِ مَن اللَّهِ اللَّهِ مَن اللَّهِ مَن اللَّهِ مَن اللَّهُ مَن اللَّهِ مَن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَن اللّهُ مَن اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَن اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ الللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللّه

واختلف العلماء في شاهد يوسف الطيخ؛ فقال السدي: إنه ابن عمها، الذي كان جالسًا أمام الباب مع زوجها بدليل قوله على: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدُ مِنْ أَهْلِهَ آ ﴾ (بوسف: ٢٦) وقال سعيد بن جبير والضحاك: كان الشاهد صبيًا في المهد أنطقه الله.

أما عن الحُكُم فقد لخصته الآية الكريمة فيا يلي: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدُ مِنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قَبُلٍ فَصَدَقَتَ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَذِبِينَ ﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتَ وَهُو مِنَ ٱلصَّدِقِينَ ﴿ فَا فَلَمَّا رَءًا قَمِيصَهُۥ قُدَ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُو مِنَ ٱلصَّدِقِينَ ﴿ فَلَمَّا رَءًا قَمِيصَهُۥ قُدَ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَهُ مِن كَيْدِكُنَ أَ إِنَّ كَيْدَكُنَ عَظِيمٌ ﴿ اللهِ اللهِ مِن كَيْدِكُنَ أَ إِنَّ كَيْدَكُنَ عَظِيمٌ ﴾ دُبُرٍ قَالَ إِنَهُ مِن كَيْدِكُنَ أَ إِنَّ كَيْدَكُنَ عَظِيمٌ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ مِن كَيْدِكُنَ أَ إِنَّ كَيْدَكُنَ عَظِيمٌ ﴿ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ ال

وهنا تظهر فراسة الشاهد في إحقاق الحقّ، فقد

حكم بها قرأناه في الآية الكريمة قبل أن يرى ثوب يوسف؛ لذا نجد نوعًا من العدالة، ثم رتب على رؤيته للقميص ترجيح حكم على آخر، ثم كان الحكم، والكيد هو الاحتيال على إيقاع السوء بشخص ما على أن يتم ذلك في الخفاء؛ لأن المحتال ليس له القدرة على أن يواجه عدوّه؛ لذلك يدبّر له في الخفاء، وقوله الله لسان الزوج: ﴿إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ على لسان الزوج: ﴿إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ وضعفها عظيم وضعفها أن المرأة كيدها عظيم وضعفها أعظم.

# رابعًا. براءة يوسف العَيْنَ:

وشهد الشيطان ببراءته بقوله على: ﴿ قَالَ فَبِعِزَيْكَ لَا عَبُعِزَيْكَ لَا عَبَعِزَيْكَ اللَّهُ عَلَيْمَ الْمُخْلَصِينَ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ عَلَيْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّالِمُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّهُ ال

ا. قصص الأنبياء، محمد متولي الشعراوي، مرجع سابق،
 ص١٨١ بتصرف يسير.

حياة وأخلاق الأنبياء، أحمد الصباحي عوض الله، مرجع سابق، ص١٣٦ بتصرف.

الله فَلَمَّارَءَا قَمِيصَهُ، قُدَّ مِن دُبُرِقَ الَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ اللهِ الرسف).

وشهد ببراءته النسوة اللائي قطعن أيديهن بقولهن: ﴿
مَا عَلِمْنَا عَلِيْهِ مِن سُوّعِ ﴾ (بوسف:١٥)، وشهدت ببراءته امرأة العزيز بقولها: ﴿ الْفَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدَتُهُ عَن نَصْحِصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدَتُهُ عَن نَصْحِصَ الْحَقُ أَنَا رَوَدَتُهُ عَن نَصْحِصَ الْحَقُ أَنَا رَوَدَتُهُ عَن نَصْحِصَ الْحَقُ لَين الله يعلن الصّلاقِين الله الله عليه أن يختار أن يكون من حزب الله الله، أو من حزب الشيطان، وكلاهما شهد ببراءة نبي الله يوسف الطّين فلا مفر من الإقرار بالحق على أية حال (١). يوسف الطّين في المدينة، وتحدث النساء به:

رغم هذا التحفظ والتستر شاع الخبر في المدينة، وانتشر بين النساء، فربها يكون أحد العاملين بالقصر هو الذي أشاع الخبر أو ربها أشاعه امرأة من النسوة اللاتي يعملن في خدمة امرأة العزيز، فالمنطقي أن الخدم سمعوا الضوضاء وأمر كهذا لا يخفى على هؤلاء على كثرتهم في القصر.

المهم أن الخبر شاع ولَاكَتْه (٢) أفواه النساء، لائمين امرأة العزيز على غرامها بغلام مملوك اشتروه بدراهم، وهي امرأة العزيز (٢)، ولما عرفت امرأة العزيز ما سمعته من أخبار، وعرفت أنهن يردن إهانتها والتشهير بها مكرت بهن حتى يدخلن في تجربة عملية، ويراودن يوسف الطيلا عن نفسه فلا يكون هناك لوم ولا عذل.

١. قيصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، مرجع سابق،
 ص١٦٠، ١٦١.

۲. لاكته: تحدثت به.

٣. قيل: إن لفظ العزيز كان يطلق في هذا الزمان على رئيس
 الشرطة.

٤. أَصْبُ: أحنُّ وأميل إليهنَّ.

# هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ اللهِ السَّا ﴿ (بوسف) (١).

إذن فقد يتساءل بعضهم: لماذا لم يُنجه ربه من محنة السجن؟ لقد كان أمام يوسف الكليلة محنتان: محنة السجن ومحنة فتنة النساء وكيدهن، والله تعـالي قـادر على أن ينجيه من كل المحـن والفـتن، ولكنـه الـبلاء والابتلاء الذي هو سنة في حياة الأنبياء والمرسلين، فهم أشد الناس بلاء، والبلاء تمحيص واختبار ورفعة في المنازل والدرجات، ولا يبصح أن يبتلي نبي من أنبياء الله تعالى بالوقوع في المعصية، إنها يصح أن يبتلي بأي بلاء آخر: كالسجن أو الإيناء والتعنيب؛ لأن ذلك \_ مما لا شك فيه \_ يصقل مواهبه ويرفعه الدرجات العلى، كما أن الابتلاء بالسجن كان له من الحكمة وجوه منها ما تدركه عقول البشر، ومنها ما لا يعلمه إلا الله على، وربها يكون من الحكم صرف فتنة النساء عن يوسف الطُّيِّكم؛ فإنه لشدة جماله تعرض للفتنة من جميع من رأينه \_ كما ذكر القرآن \_ فقد يخرج من بيت العزيز، ثم يتعرض إلى نفس الفتنة في أماكن أخرى؛ فكان السجن صرفًا له وإبعادًا عن أعين النساء، كما كان السجن مجالًا خصبًا لدعوة يوسف الطِّيلاً، وهو المنطلق الذي وصل منه ـ بارادة الله على التمكين في الأرض وتحقيق رؤياه.

ولماذا سجنه العزيز، وقد تأكد من براءته؟ الراجح أنه أراد أن يستر خطأ امرأته، ويدرأ عن بيته الفضيحة حتى يعلم الناس أن يوسف هو الجاني، ولكن يبقى مع هذا موقف العزيز دالًا على أنه كان

ولعل مكوث يوسف فترة من الزمن في السجن كان خيرًا له: ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكُوهُواْ شَيْعًا وَهُو خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ (البقرة: ٢١٦)، وكها أخبر المعصوم ﷺ: "عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا المؤمن، إن أصابته سرَّاء (٤) شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرَّاء (٥) صبر فكان خيرًا له... "(١).

وهكذا نجد سيدنا يوسف الله لا يَفْترُ عن الدعوة في سجنه، وشهد له رفاق السجن بذلك: ﴿ إِنَّا نَرَيْلُكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ( مَن المنحرفين الله من المنحرفين الذين يستحقون الإهانة بسجنهم وتعذيبهم.

قيصص الأنبياء، محمد متولي الشعراوي، مرجع سابق، ص١٨٧: ٩٣ بتصرف.

٢. لَبِق: ظريف.

٣. في ظلال القرآن، سيد قط، مرجع سابق، ج٤، ص١٩٨٣ بتصرف.

٤. السرَّاء: الشيء السار.

٥. الضرَّاء: الشيء الضار.

٦. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره لله خير (٧٦٩٢).

كما خرج من سجنه كأكرم ما يكون الرجل، وهيئ له ملك مصر، والخير كله كان في يده آنذاك.

وبهذا يتبين لنا أن براءة سيدنا يوسف الكيلا قد أثبتها القرآن الكريم، دون تناقض أو اضطراب، كها يدعون، فقد عرض القضية عرضًا سلسًا جميلًا، حيث أقرَّ الجميع ببراءة سيدنا يوسف الكيلا، وكان من نتيجة ذلك ليس خروجه من السجن فحسب، لكن ملك خزائن مصر وصارت الأمور بيده. فأين التناقض أو الاضطراب إذًا في عرض القصة \$؟!

#### الخلاصة:

- لم يتناقض القرآن الكريم بشأن قصة سيدنا يوسف التي مع امرأة العزيز، ولا في غيرها؛ فقد جاء مصوبًا لأخطاء السابقين، ومضيفًا إليها مثل: قصة الشاهد، وحادثة استباق الباب وغيرها، ومصوبًا ما جاء في الكتاب المقدس من ترهات، وتناقضات في هذا السأن؛ فمثلا نجد الكتاب المقدس، يسذكر أن يوسف التي فر من امرأة العزيز تاركًا ثوبه، فهل من يوسف التي فرج عاريًا أمام الزوج؟ فَيُثْبِتُ على نفسه الجريمة، أفلا يتناقض هذا مع المنطق والعقل السليم؟!
- إن القرآن مُحكم تمام الإحكام إضافة إلى ما نلمحه من أدب التناول بألفاظ خفيفة، لا تخدش الحياء، على عكس التوراة التي تتسم بالسفور الصارخ، ولا عجب في ذلك فهي محرّفة، من وضع البشر.
- حديث القرآن الكريم عن سيدنا يوسف الكيلا

مع امرأة العزيز غاية في السلاسة والإحكام؛ فالأحداث مرتبة لا تناقض فيها يسلم بعضها إلى الآخر، مما يدل على أنه الكتاب الخاتم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ فمثلًا: مسألة الشاهد التي يزعمون أن القرآن تناقض بشأنها جاءت واضحة رَقْراقة (۱) في القرآن الكريم، فقد ذكر أنه كان من أهلها، ورغم ذلك فقد حكم ببراءة يوسف الكيلا على أساس من المنطق السليم.

- أن قول بعض المفسرين إنه كان طفلًا في المهد أنطقه الله من قبيل المغالاة، ولا يستدعيه سياق الموقف، وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم على.
- أما مسألة تبرئة سيدنا يوسف العلم فقد برأه رب العزة فقال المنه فقال المنه فقال المنه فقال المنه فقال فقال في فقال في في عن الأخرين: العزيز، والزوجة، والنسوة، الشاهد، بل الشيطان نفسه، ورغم تأكد الزوج من براءة يوسف كان لا بد من سجنه درءًا للشبهات وسترًا لعرضه الذي لاكته الألسنة، أما تهديد الزوجة يوسف العلم بالسجن أمام النسوة فكان من قبيل الضغط عليه حتى يقبل ما تريده منه، ثم من قبيل امتهانه وإذلاله بعد أن أحست بالطعن في كبريائها وضياع كرامتها كأنثي، فقد أبي يوسف العلم أن يفعل بالفاحشة وإن شئت فقل عصمه ربه وهي لا تزال تريده وقد شغفها حبًا، كها حكى القرآن الكريم، وقد أرادت إذلاله أمام النسوة إن ظل على عناده واعتصامه.



الله المادة يوسف من الفحشاء" طالع أيضًا: الوجه الثالث، من الشبهة الرابعة والثلاثين. والشبهة السادسة والثلاثين؛ من هذا الجزء.

١. الرَّقراقة: الواضحة المتلألأة.

# الشبهة الثامنة والثلاثون

# ادِّعاء أنَّ استعانة يوسف الطِّيِّلا بالساقي تخالف توكله على الله <sup>(\*)</sup>

# مضمون الشبهة:

يدَّعي بعض المتوهمين أن استعانة يوسف الطِّيلان بالساقي، تخالف توكُّله على الله، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى على لسان يوسف الكلا: ﴿ أَذْكُرُنِ عِنْ دَ رَبِّكَ ﴾ (يوسف: ٤٢)(١). ولذلك عاقبه الله على بأن لبث في السجن بضع سنين، وهم يرون لجـوء يوسـف الطَّيُّلا في كشف الضرعنه إلى مخلوق ـ مجالًا للطعن في عصمته العَلَيْةُ.

#### وجها إبطال الشبهة:

١) طلب يوسف الكلا من الساقي أن يقص خبره على الملك لا يقدح في عصمته الطِّيِّلا؛ لأن الدنيا دار الأسباب، والأخذ بالأسباب لا يتنافي مع التوكل على

٢) مُكْث سيدنا يوسف العَكِيلاً في السجن لم يكن عقابًا من الله على ذنب قد ارتكبه، بل كان رحمة به، وإعزازًا لشأنه، ولأمور أخرى اقتضتها حكمة الله عجَّك.

#### التفصيل:

# أولا. الدنيا دار الأسباب، والأخذ بالأسباب لا يتنافى مع التوكل على الله:

قبل الحديث عن الأسباب التي دعت يوسف التَلْكُان للاستعانة بالساقي في تبليغ خبره إلى الملك رجاء

٧. عصمة الأنبياء والردعلي الشبهة الموجهة إليهم، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص٣١٧.

وقيل: إن مخالفة يوسف الكيلة للأولى هي أنه أخلى

كلامه \_ وهو يطلب من الساقي أن يشرح حاله عند

الملك \_ من ذكر الله على مثل: إن شاء الله، وكان عليه ألَّا

الخلاص من السجن، لا بد أن نوضح أن معنى قول رَبِّك ﴾: أن يقصَّ على سيده قصته، ويـذكر عنـده أن يوسف اللَّي مظلوم في الواقعة التي أودع لأجلها السجن، فأنسى الشيطان الساقي ذكر يوسف الكيالة عند الملك، فطالت أيام السجن على يوسف الكيال حتى لبث فيه بضع سنين.

ويرى بعض العلماء أن استعانة سيدنا يوسف الطيخ بالساقي هي مخالفة لـ لأَوْلَى، ولا طعـن فيهـا عـلى يوسف الطِّيني اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ لا تقدح في عصمة الأنبياء، والاستعانة بالناس جائزة في دفع الظلم، فالدنيا دار الأسباب، لكن ذلك إنها هو لعامة البشر، أما الأنبياء \_عليهم الصلاة والسلام \_فلا يصح أن يعرضوا حاجاتهم، ويلجئوا في كشف الـضر عـنهم إلا إلى الله ﷺ وحده مسبب الأسباب.

يقول الزمخشري: "كما اصطفى الله ﷺ الأنبياء على خليقته، فقد اصطفى لهم أحسن الأمور، وأفضلها وأُولَاها، والأحسن والأَوْلَى للنبي ألا يكل أمره إذا ابتلى ببلاء إلا إلى ربه، ولا يعتضد بأحد من البشر، وخصوصًا إذا كان المعتضد به كافرًا، لئلا يـشمت بــه الكفار ويقولوا: لو كان هذا على الحق، وكان لـه ربٌّ يعينه لما استغاث بنا"(٢).

(\*) هل القرآن معصوم؟ موقع إسلاميات. islameyat.com ١. رتُك: سيِّدك.

يخلي كلامه منه.

لصاحبيه.

وذهب فريق آخر من العلماء إلى أنه لم يقع منه الكيلا خالفة للأولى، ويُحمل قوله للساقي على أحد أمرين:

الأول: أنه الكيلا قال ذلك؛ ليتوصل به إلى هداية الملك، وعرض دعوته عليه، كما توصل إلى إيضاح الحق

الشاني: أنه التي إنها باشر الأسباب، والدنيا دار الأسباب، والأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل على الله، وهذا كما يكون في حق عامة البشر يكون كذلك في حق الأنبياء، ويفهم من معنى الآية أن يوسف التي إنها قال للساقي: ﴿ أَذْ صُرِّ فِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ ليتوصل بذلك إلى المساقي: ﴿ أَذْ صُرِّ فِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ ليتوصل بذلك إلى اللهاو براءته أمام الملك والناس، فإن من أودعوه السجن قد قصدوا الإيهام بأنه المعتدي في واقعة مراودة امرأة العزيز، حتى حسبه الكثير من الناس معتديًا، فأراد يوسف التي أن يعرف الملك ورعيته الحقيقة؛ وذلك بأن يوسف التي أن يعرف الملك ورعيته الحقيقة؛ وذلك بأن تذكر قصته عند الملك، فيستدعيه من السجن، ويسأله، فيقرر الأمر على حقيقته، فإن تألم يوسف التي من إظهاره بمظهر المعتدي كان أكثر من تألم من السجن في حد ذاته، فهو الذي قال: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجِنُ أَحَبُ إِلَى مِمَّا يَدْعُونَنِيَ فَهُ والله والمندي قال: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجِنُ أَحَبُ إِلَى مِمَّا يَدْعُونَنِيَ فَهُ والله عَلَى والله عَلَى والله عَلَى الله عَلَيْهُ عَلَى الله المُعَلَى الله عَلَى الله عَ

وإظهار براءة المتهمين واجب على كل إنسان، وخاصة إذا كانوا من الأنبياء عليهم السلام - ثم إن يوسف الكلام أمكلًف في السجن، وبعد الخروج منه بدعوة الناس إلى الله، وإحقاق الحق، وإبطال الباطل، وحتى تقبل دعوته، وينقاد الناس لنصحه لا بدأن يكون بريء الساحة، نقي العرض، طاهر العفة عندهم.

فهذا هو الذي دعاه أن يطلب من الساقي أن يذكر قصته عند الملك، وليس من أجل الخروج من السجن فقط، واستناد القائلين بأن يوسف المنت خالف الأولى بابتغائه الفرج من عند غير الله عنها مرفوعًا: أن جرير إلى ابن عباس - رضي الله عنها - مرفوعًا: أن النبي قال: "لو لم يقل - يعني يوسف - الكلمة التي قال ما لبث في السجن طول ما لبث؛ حيث يبتغي قال ما لبث في السجن طول ما لبث؛ حيث يبتغي الفرج من عند غير الله" - استنادٌ إلى غير مستند لضعفه الشرج من عند غير الله" - استنادٌ إلى غير مستند لضعفه الشديد، فقد ضعفه ابن كثير قائلًا: هذا الحديث ضعيف جدًّا؛ لأن يوسف ابن وكيع - أحد رواته - ضعيف، وإبراهيم بن يزيد أضعف منه أيضًا(۱).

ثم إن الأصح أن الضمير في "فأنساه" عائد إلى الناجي لا إلى يوسف الطيخ"، والمعنى: فأنسى الشيطان الناجي ذكر يوسف الطيخ" عند الملك، فكانت العاقبة المترتبة على نسيان الساقي أن يوسف الطيخ لبث في السجن بضع سنين، فالفاء للعاقبة وليست للجزاء (٢). ويؤكد على أن النسيان كان من الساقي لا من يوسف الطيخ قوله تعالى بعد ذلك عن الساقي: ﴿ وَقَالَ يوسف الطيخ قوله تعالى بعد ذلك عن الساقي: ﴿ وَقَالَ يوسف الطيخ قوله تعالى بعد ذلك عن الساقي: ﴿ وَقَالَ النَّهِ عَهَا مِنْهُما وَاذَكَرَ بَعَدَ أُمَّةٍ ﴾ (يوسف: ٥٤).

ومعلوم أن النسيان من الله، وأما الشيطان فسبب من أسبابه، إذ يوسوس إلى الإنسان بها يشغله عن الشيء حتى يزول عن قلبه ذكره الطيلا. وعلى فرض تسليمنا بها زعمه هؤلاء في قولهم: إن يوسف الطيلا هو الناسي وأن

ا. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ج٤، ص٢٧٢.

٢. عصمة الأنبياء والرد على الشبهات الموجهة إليهم، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص٣١٨، ٣١٩ بتصرف يسير.

السيطان قد أنساه ذكر ربه، فإن ذلك أيضًا لا يجعله الطبيخ يستحق العقاب باللبث في السجن، إذ الناسي غير مؤاخذ (١)، وعلى كلِّ فلم يصدر من يوسف الطبيخ ما يتنافى مع عصمة الله له.

ثانيًا. مكث سيدنا يوسف في السجن لم يكن عقابًا ولا تأديبًا من الله له، بل كان رحمة به، وإعزازًا لشأنه، ولأمور أخرى اقتضتها حكمة الله على:

لم يختر يوسف العلي السجن كما يتوهم بعض الناس، ولكنه فضله على ما تدعوه إليه النسوة، وكأنه قال: السجن بكل ما فيه من لوعة، وقسوة، وذلة، وصغار، وكرب، وغربة، أحب إلى من قصر منيف أتعرض فيه لهذا النوع من المراودة؛ فإن الصبر على السجن أحب إلى من الصبر على السجن أحب إلى من الصبر على هؤلاء النسوة، ورؤية هذه الوجوه الشعثة في تلك القصور المقفرة الخالية من الأخلاق السامية، والمثل العليا، فالسجن أحب إلى؛ لأنه مكان لا يعوقني فيه عائق عن طاعتك يا رب، ولا يحول بين التفكر في بديع مخلوقاتك وجلائل نعمك عائق بخلاف التفكر في بديع مخلوقاتك وجلائل نعمك عائق بخلاف تلك القصور التي ينسى الإنسان فيها نفسه، ويفقد فيها تلك القصور التي ينسى الإنسان فيها نفسه، ويفقد فيها كمان مراد يوسف العلي من قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجُنُ كَانَ مراد يوسف العَيْنَ إليّهِ ﴾ (يوسف: ٣٣).

وعلى هذا فإن مكوث يوسف الطَّيِّلاً في السجن بضع سنين لم يكن عقابًا له على خطأ، أو تقصير؛ لأن وقـوع الخطأ أو التقصير يتنافى مع وَصْفِ الله له، بأنه من عبـاد

الله المخلصين، بل كان لبثه في السجن رحمة به، وإعزازًا لشأنه، فقد أصقل الله مواهبه في السجن، وأطلعه على كثير من الأمور التي ما كان ليطلع عليها، وهو في قصر العزيز، أو خارج أسوار السجن.

#### الخلاصة:

- يرى بعض العلماء أن طلب يوسف الكيلا من الساقي أن يذكره عند ربه فيه مخالفة للأولى؛ لأنه استعان بالبشر، ولم يستعن بالله تعالى مباشرة؛ لأن الأنبياء علاقتهم مباشرة مع الله كال خالق الأسباب، أما التعويل على الأسباب فلعامة البشر، بيد أن مخالفة الأولى لا تعد ذنبًا ولا يُطْعن بها في عصمة الأنبياء عليهم السلام.
- بينها يرى بعضهم أن يوسف النفي لم تقع منه مخالفة للأولى؛ لأنه أراد من قوله: ﴿ أَذْكُرُنِ عِندَ رَبِّكَ ﴾ التوصل به إلى هداية الملك، أو أن قوله جاء مباشرة طاعة لله كال في الأخذ بالأسباب، مما لا يتنافى مع توكله على الله كال فالأخذ بالأسباب جائز في حق الأنبياء.
- لم يكن لبث يوسف التلكي في السجن بضع سنين عقابًا له من الله على ذنب ارتكبه، بل لقد اختار يوسف التلك السجن، وفضّله على الحياة في القصر وما تدعوه إليه النسوة، وقد كان لهذا فوائد عديدة، منها إعزاز شأنه واطلاعه على كثير من الأمور التي ما كان ليطلع عليها خارج السجن.

AND BUS

الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ج٩، ص٩٩١ بتصرف يسير.

٢. قصص القرآن، محمد بكر إسهاعيل، مرجع سابق، ص١١٨.

# الشبهة التاسعة والثلاثون

# ادِّعاء خطأ يوسف العَيْنَ بطلبه الإمارة (\*)

### مضمون الشبهة:

يدَّعي بعض المتوهمين أنَّ يوسف التَلْظِين طَلَبَ الإمارة إذ قال: ﴿ قَالَ اجْعَلَنِي عَلَى خَزَابِنِ ٱلْأَرْضِ ۚ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (١٠) ﴾ (يوسف)، وطَلَبُ الإمارة مذموم ومنهي عنه، ولا سيها أنه طلبها من كافر، كما أنه زكَّى نفسه فقال: ﴿ إِنِّي حَفِيظُ عَلِيمٌ ﴿ ﴿ ﴿ وَمِنْ ﴾ (بوسف)، ولم يستأنس بالمشيئة، ويُتْبع مقولته بالعبارة المأثورة: إن شاء الله. وذلك يعد خطأ يتنافى مع عصمته بزعمهم.

# وجها إبطال الشبهة:

١) يجوز طلب الإمارة للمصلحة لمن كان أهلًا لها، بل إن المصلحة إذا اقتضت ولاية إنسان بعينه صارت واجبة في حقه، كما أنه لا إثمَ في تولية العمل من يد كافر، ما لم يأت الإنسان المولَّى بمحـ لور

٢) إن مدح يوسف الكل لنفسه ليس مذمومًا؛ لأنه لم يقصد منه التطاول والتفاخر، وإنما قصد إلى بيان اتصافه بالصفتين اللازمتين لمن ينوء بعبء الإمارة.

#### التفصيل:

الحديدي، مرجع سابق.

أولا. يجوز طلب الإمارة للمصلحة لن كان أهلا لها، بل تجب في حقه إذا لم يوجد غيره:

لقد ظهرت على يوسف الكيلة الخصال التي تؤهله

(\*) عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، محمد أبـو النـور ١. مَكِين: ذو مكانة عند الناس ومُعظَّم لديهم.

للقيام بهذه المهمة \_ القيام على خزائن الأرض \_ قبل أن يطلبها، وهذه الخصال رآها الملك عليه؛ ولذا وثـق فيـه فقال له: ﴿ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿ وَاللَّهُ الرَّوسَ ) (١).

ومن هذه الصفات:

- العلم: حيث فسَّر الرؤيا تفسيرًا عجز عنه القوم ويشهد بصحته العقل.
- الصبر والثبات: حيث كان في السجن، وطلب الملك خروجه منه، فلم يسرع إلى الخروج، وإنها توقف حتى تظهر براءته مما نسب إليه.
- حسن الأدب: حيث ستر ذكر امرأة العزيز، وعرض أمر النسوة: ﴿ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيهُنَّ ۚ إِنَّا رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۗ ﴿ ﴿ (بوسف) مع أن البلاء وصل إليه من جهتها بالذات.

فلما ظهرت للملك هذه الفضائل من يوسف الطِّيَّان رغب في أن يجعله خالصًا لنفسه، فطلب إحضاره إليه ليكون من خاصته، وأهل مشورته، كما هـو واضـح مـن قوله : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ أَتْنُونِي بِدِيَّ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كُلَّمَهُ (الله عليه عليه عليه عليه الله والمحتمد الله والله والله والله الله والله والل هو عليه من كمال خلـق قـال لـه: ﴿ إِنَّكَ ٱلْيُوْمَ لَدَيْنَا مَكِينًا أَمِينٌ ﴿ وَهُ ﴾ (يوسف)، ذو مكانة ومنزلة، ومؤتمن على كل شيء، فعندئذ طلب يوسف الكيكا من الملك أن يوليه خزائن مصر: ﴿ قَالَاجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآبِنِ ٱلْأَرْضِ ۚ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيتُ ١٠٠٠ ﴾ (بوسف)؛ لأن تولي الخزائن بالذات يُمَكِّن يوسف من أن يجتاز بالبلاد المحنة الخانقة، والمجاعة

فهو التليين لم يرغب في الإمارة ويطلبها لذاتها، وإنها ليتوصل من خلالها إلى رعاية مصلحة الأمة، ودفع غائلة (۱) القحط والجوع عنها، حتى يمكن القول إن هذا التصرف أصبح واجبًا على يوسف؛ لأنه وهو حَفِيظُ عَلِيمٌ (۱) (يوسف) القادر على تجنيب البلاد خطر القحط، والضيق الشديد، وغيره ممن ليس على مثل صفاته هذه لا يستطيع ما يستطيعه يوسف، مما يععل هذا التصرف واجبًا عليه، ومن ثم يزول الاعتراض عليه في طلبه الإمارة (۲).

قال الزمخشري: "إنها قال \_ يوسف \_ ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله تعالى وإقامة الحق، وبسط العدل، والتمكين مما لأجله بعثت الأنبياء إلى العباد، ولعلمه أن أحدًا غيره لا يقوم مقامه في ذلك، فطلب التولية ابتغاء وجه الله، لا لحب الملك والدنيا".

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَرْآبِنِ ٱلْأَرْضُ ۚ إِنِّ حَفِيظُ عَلِيمٌ ﴿ وَالآية تدل على جواز أن يطلب الإنسان عملًا يكون له أهلًا، فإن قيل: جاء عن عبد الرحمن بن سَمُرة الله الله الله الله الإنسان عن غير مسألة أُعِنْتَ مسألة وُكِلتَ إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أُعِنْتَ عليها " (٢).

وحديث أبي موسى عن النبي الشانه قال: "لا نستعمل على عملنا من أراده" (٤). وذكر الحديث وغيره.

#### فالجواب:

1. أن يوسف السلام إنها طلب الإمارة؛ لأنه علم أنه لا أحد يقوم مقامه في العدل والإصلاح وتوصيل الفقراء إلى حقوقهم، فرأى أن ذلك فرض متعين عليه، فإنه لم يكن هناك غيره، وهكذا الحكم اليوم، لو علم إنسان من نفسه أنه يقوم بالحق في القضاء أو الحسبة، ولم يكن هناك من يصلح ولا يقوم مقامه لتعين ذلك عليه، ووجب أن يتولاها ويسأل ذلك، ويخبر بصفاته التي يستحقها به من العلم والكفاية وغير ذلك كها قال يوسف العينية.

٢. أنه لم يقل: إن حسيب كريم، وإن كان كما قال
 النبي الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم

١. الغائلة: الداهية.

عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص٣٢٤ بتصرف.

٣. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب كفارات الأيهان، باب
 الكفارة قبل الحنث وبعده (٦٣٤٣)، وفي مواضع أخرى،
 ومسلم في صحيحه، كتاب الأيهان، باب ندب من حلف يمينًا فرأى غيرها خيرًا منها (٤٣٧٠).

أخرج البخاري في صحيحه، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين، باب حكم المرتد والمرتدة (٢٥٢٥)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها (٤٨٢٢).

يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم"(١). ولا قال: إني جميل مليح، إنها قال: ﴿ إِنِّ حَفِيظٌ عَلِيدٌ ﴿ ) فَ فَسَأَلُمَا بِالحَفْظُ وَالعلم، لا بالنسب والجمال.

٣. إنها قال ذلك عند من لا يعرف، فأراد تعريف نفسه، وصار ذلك مستثنى من قوله ﷺ: ﴿ فَلَا تُرَكُّواً أَنفُسَكُمْ هُو أَعَلَمُ بِمَنِ أَتَقَى آنَ ﴾ (النجم).

أنه رأى ذلك فرضًا متعَيننا عليه؛ لأنه لم يكن هنالـك غمره (٢).

إن الظروف قد تأتي بها لا يُحتمل التجربة مع الناس "فمن يثق بنفسه أنه قادر على القيام بالمهمة فله أن يعرض نفسه، ولنفترض أن قومًا ركبوا سفينة، شم هاجت الرياح وهبَّت العاصفة، وتعقدت الأمور، وارتبك القبطان، وجاءه من يخبره أنه قادر على أن يحل له هذا الأمر، ويُحسن إدارة قيادة المركب، وسبق القبطان أن علم منه ذلك، هنا يجب على القبطان أن يسمح لهذا الخبير بقيادة السفينة "(۲).

"وأما تولية العمل من يد كافر ويكون تبعًا له، وتحت أمره وطاعته، فإنه يجوز أن يتولى الإنسان المصلح عملًا من قبل سلطان كافر أو جائر، إذا تعين ذلك سبيلًا إلى الحكم بأمر الله، ودفع الظلم، وإذا لم يتم ذلك إلا بتمكين الملك الكافر، وأما الفاسق فلا مانع شرعًا

أن يستظهر النبي أو العالم به، وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة والظلمة لهذا "(٤).

وقد قيل: "كان الملك يصدر عن رأيه، ولا يعترض فيها يراه، فكان الملك في حكم التابع ليوسف الطيلا، والمطيع له"(٥).

# ثانيًا. لقد مدح يوسف الله نفسه ليعلم الملك قدرته على هذا الأمر:

إن قول يوسف الكن عن نفسه ﴿ إِنِّ حَفِيظُ عَلِيمٌ الله عن نفسه ﴿ إِنِّ حَفِيظُ عَلِيمٌ الله الله عن الله عن الله عن الله والله الله والله والله

على أن مدح الإنسان نفسه ليس مذمومًا إلا إذا قصد منه التطاول والتفاخر والتوصل إلى ما لا يستحق، ويوسف الطيخ نبي الله لا يقصد هذا قطعًا، فَمَدْحُهُ نفسه إذن ليس محرمًا، وإنها المحرم والمنهي عنه هو مدح النفس وتزكيتها وهي لا تستحق ذلك، أو ما كان على سبيل التطاول والتفاخر.

قال النسفي في معنى قوله: ﴿ فَلَا تُرَكُّوا أَنفُسَكُمْ ﴾، وهذا إذا كان على سبيل الإعجاب أو الرياء، لا على سبيل الاعتراف بالنعمة فإنه جائز؛ لأن المسرَّة بالطاعة طاعة، وذكرها شكر. وقال ابن كثير في تفسير قوله:

ا أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي بُوسُكَ وَإِخْرَتِهِ عَالِئَتُ لِلسَّا إِلِينَ ﴿ ) (يوسف)
 ٣٢١٠)، وفي مواضع أخرى.

٢. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ج٩،
 ص ٢١٧: ٢١٧.

٣. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مرجع سابق،
 ج١١، ص٩٩٨.

عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص٣٢٥.

٥. الكشاف، الزنخشري، مرجع سابق، ج٢، ص٣٢٩.

﴿ إِنِي حَفِيظُ عَلِيمٌ ﴿ اللهِ مدح نفسه، ويجوز للإنسان ذلك إذا جُهل أمره للحاجة (١).

وأما ترك الاستثناء \_أي عدم إتباع مقولته بقول: إن شاء الله \_ فقد علله الفخر الرازي بأنه لو ذكره لاعتقد فيه الملك أنه إنها ذكره لعلمه بأنه لا قدرة له على ضبط هذه المصلحة كما ينبغي. ويصح أن السبب في ترك الاستثناء هو: علمه بأن الملك لكفره لا يستسيغ التعليق على مشيئة الله الواحد الأحد، ويوسف الكلي يحاول استهالة الملك بكل رفق ولين ليسند إليه هذا الأمر الذي في قيام يوسف به مصلحة الخلق (٢).

#### الخلاصة:

- إن للإمارة شروطًا، وضوابط إن توافرت في شخص ما وجب إعطاؤها إياه، وجاز له أن يطلبها إن وجد في نفسه قدرة عليها ومصلحة للناس، وتلك المشروط والمضوابط والخصال، قد توافرت في يوسف الطيخ قبل أن يطلبها، ولا بأس في ذلك.
- لا حرج في تولية الإمارة أو العمل من يد كافر مادام ذلك لا يؤدي إلى محذور شرعي، وثقة العزين بيوسف السلطين جعلته يكِلْهُ إلى تصرفه الشخصي؛ فامتنع إتيان المحذور من يوسف.
- يجوز للإنسان أن يصف نفسه بها فيه من علم
   ومن فضل، ويوسف الكلي إنها أراد أن يُعرِّف نفسه
   للملك؛ ليعلم الملك قدرته على هذا الأمر.

# 30 px

## الشبهة الأربعون

# ادِّعاء أن يوسف السَّيِّ خان إخوته وأساء إلى أبيه بحبسه أخاه بنيامين (\*)

#### مضمون الشبهة:

يدَّعي بعض المتوهمين أن يوسف الطَيِّئ خان إخوته، وأساء إلى أبيه. ويستدلون على ذلك بها فعله من جعل السِّقاية (٢) في رَحْل (٤) أخيه، ومن ثم اتهامه بالسرقة، ثم حبسه بهذه التهمة رغم علمه بتعلق أبيه به قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ السَّوْوُنَ اللَّهُ وَلَا اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ ا

### وجها إبطال الشبهة:

1) طلب يوسف التي أخاه من إخوته، ثم حبسه عن الرجوع إلى أبيه مع علمه بها يلحق أباه من الحزن إنها هو وحي من الله تعالى، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿كَنَالِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾ (يوسف: ٢٧) (٦) فالأمر أمر الله والصنع صنع يوسف التي .

٢) أحداث الموقف عظات وعبر لأصحاب العقول، وقد بان هذا في فعل يوسف العلى ورد أبيه، إذ كان رده \_على بنيه \_رد المؤمن الواثق بالله: ﴿عَسَى اللهُ أَن يَأْتِينِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴿ اللهِ عَلَى اللهُ الوسف ).

عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص٣٢٦.

٢. المرجع السابق، ٣٢٧ بتصرف يسير.

<sup>(\*)</sup> عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق.

٣. السِّقاية: وعاء من الذهب مُرصَّع بالجواهر.

٤. الرَّحْل: المتاع.

٥. العِيْر: الدُّوابُّ التي تحمل المتاع.

٦. كِدنَا: دبَّرنا.

#### التفصيل:

# أولا. يوسف النه نبي من أنبياء الله ها، وتصرف الأنبياء لا يكون إلا بوحي، أو لحكمة قدرها الله:

يوسف الكيكاة فعل ما فعل، من طلب أخيه من إخوته، وحبسه عن الرجوع إلى أبيه مع علمه بها يلحق أباه من الحزن، كان بوحي من الله كيك إليه زيادة في امتحان أبيه، ولم يُعُلِم أباه خبره لتسكن نفسه ويزول حزنه بأمر من الله إمعانا في الابتلاء لسيدنا يعقوب الكيكا.

وأما جعل السقاية في رحل أخيه، فالغرض منه التسبب في احتباس أخيه عنده، ويجوز أن يكون ذلك بأمر الله تعالى.

ويذهب ابن حزم الظاهري إلى أن يوسف الطَيْلا فعل ما فعل ليعود إليه إخوته، ويكون ذلك سببًا لاجتماعه بهم وجمع شملهم جميعًا، وما قصد أن يُحْزن بهذا أباه عليها الصلاة والسلام.

ولا يستبعد أن يكون يوسف النفخ قصد بهذا أمرين: الأول: الرفق بأخيه الـشقيق والحفاظ عليه، فهو يعلم أنه أثير (1) عند والده قريب إلى قلبه، وربها حمل هذا بقية الإخوة على الكيد له كها كادوا ليوسف، فأراد النفخ أن يضم إليه أخاه رفقًا به، وحفاظًا عليه.

الثاني: أن يجمع شمل الأسرة عنده باحتجاز أخيه الشقيق عنده، ثم مجيء الإخوة الباقين إليه راجين إطلاقه معهم فيعلمهم بنفسه، ويطلب إليهم إحضار أهلهم أجمعين، فتجتمع الأسرة بعد الفرقة.

وأما نداء المنادي بأنهم سارقون، فإما أن يكون من

 عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص٣٢٧، ٣٢٨.

٣. حَنَث في يمينه: لم يُوَفِّها.

قِبَل المؤذِّن بناءً على ظَنَّه عندما فقد الصواع؛ وعليه فلا إشكال. إشكال. وإما أن يكون بأمر يوسف الطيلاً وهو الأرجح،

ويراد بالسرقة أخذهم يوسف التي من أبيه على وجه الخيانة كالسرقة أخذهم يوسف التي من أبيه على وجه الخيانة كالسرقة (٢)، قال الزخشري: "وحكم هذا الكيد حكم الحيل المسرعية التي يتوصل بها إلى المصالح، ومنافع دينية كقوله لأيوب التي : ﴿ وَخُذْ بِيدِكَ ضِغْنَا وَمنافع دينية كقوله لأيوب التي : ﴿ وَخُذْ بِيدِكَ ضِغْنَا فَاصْرِب بِهِ وَلا تَعْنَتْ ﴾ (ص)؛ ليتخلص من جلدها ولا يخنث (٣)، وكقول إبراهيم التي عن زوجته: هي أختي لتسلم من يد الكافر، وما الشرائع كلها إلا مصالح وطرق إلى التخلص من الوقوع في المفاسد، وقد أعلم الله حين في هذه الحيلة التي لقنها يوسف التي مصالح عظيمة فجعلها سلم وخوه القبع اليها فكانت حسنة جميلة، وانزاحت عنها وجوه القبح "(٤).

# ثَانيًا. أحداث الموقف عظات وعبر لأصحاب العقول:

لا دخل إخوة يوسف الكلا عليه بعد أن أحضروا أخًا لهم من أبيهم كما طلب منهم، رأى يوسف الكلا أمارات الحزن والأسى بادية على شقيقه، فشاركه بنفسه طعامه وشرابه، وأجلسه معه على فراشه، وجاذبه أطراف الحديث، فلما رأى أنه لا زال يعاني من الكرب والغربة، ولا يزال يأسف على فراق شقيقه يوسف الكلا أفصح له عن نفسه وأخبره بحقيقة أمره، وحدَّثه عما وقع منذ خروجه من بيت أبيه مع إخوته، حتى الساعة

٤. الكشاف، الزمخشري، مرجع سابق، ج٢، ص٣٨٣.

١. أَثِير: مفضَّل.

التي هو فيها الآن، ففرح بنيامين فرحًا لم يفرح مثله قط، وتبدد حزنه وزال همه وأحس بالأمان. وفي ذلك يقول الله على: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَكَ إِلَيْهِ أَخَاهُ أَ قَالَ إِنِّ آنَا ٱخُوكَ فَلَا تَبْتَيِسُ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ لَا اللهَ عَلَىٰ اللهِ عَلَىٰ اللهِ عَلَىٰ اللهِ عَلَىٰ اللهِ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهِ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهِ عَلَىٰ اللهِ عَلَىٰ اللهِ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهِ عَلَىٰ اللهِ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهِ عَلَىٰ اللهِ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهِ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهِ عَلَىٰ اللهِ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهِ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُوْلِ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَمُ عَلَى اللهُ عَلَى الل

# ١. احتياله في ضم أخيه إليه:

وقد طمع بنيامين في البقاء مع أخيه، وطمع يوسف التيليم فيها طمع فيه أخوه، فعلّمه الله حيلة يحتال بها على تحقيق هذه الرغبة، تتمثل في وضع السقاية في رحل أخيه قبل انصراف إخوته من مصر، ثم يبعث مؤذنًا ينادي في العير: ﴿ إِنّكُمْ لَسَرِقُونَ ﴿ وَسَف الله الله الله الله المقولة فسيعودون حتمًا إلى ساحة فإذا ما سمعوا هذه المقولة فسيعودون حتمًا إلى ساحة يوسف المليم الإثبات براءتهم، فيبدأ يوسف في التفتيش عن السقاية -كما يسميها الخاصة -أو الصواع -كما يسميها العامة -بأوعيتهم، ثم يفتش وعاء أخيه بنيامين فيستخرج منه السقاية، فيكون بذلك قد جاز له أن يبقيه عنده على حسب ما تقضي به شريعة يعقوب المليم في السارق يُسْتَرَقُ (١)، فيكون جزاؤه عند المسروق منه السارق يُسْتَرقُ (١)، فيكون جزاؤه عند المسروق منه عبدًا رقيقًا يتصرف فيه كيف شاء.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَلَمَّا جَهَزَهُم بِجَهَانِهِمْ جَعَلَ اللهِ تبارك وتعالى: ﴿ فَلَمَّا جَهَزَهُم بِجَهَانِهِمْ جَعَلَ اللهِ تَعَالَى اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ عَلَى اللهُ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ

إِن كُنتُمْ كَذِينَ ﴿ قَالُواْ جَزَّوُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَوُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُو جَزَّوُهُ ۚ كَذَلِكَ جَعْزِى ٱلظَّلِمِينَ ﴿ فَ فَبَدَأَ بِأَوْعِيتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهُ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَنتٍ مِّن نَشَاءً وَفَوْقَ كُلِ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿ آ اللَّهُ أَنْرَفَعُ دَرَجَنتٍ مِّن نَشَاءً وَفَوْقَ كُلِ ذِي عِلْمٍ

والجواب قد سجله الله في قوله: ﴿ كَنَالِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾، فالأمر أمر الله والصنع صنعه، فهو الذي دبَّر هذا الكيد، وقام يوسف الطَّيِّة بتنفيذه لحكمة يعلمها الله عَلَى ولعل الله أراد ذلك ليشفي صدر يوسف الطَّيِّة من هؤلاء الذين كادوا له كيدًا تأباه الفطر السليمة، وتنفر منه الطباع المستقيمة.

وليعلم يعقوب الطّيّة ببصيرته وثاقب فِكْره (٣) وحسن تقديره للأمور، وجودة فهمه لقرائن الأحوال أن يوسف الطيّة حي، ويتوقع أنه هو الذي يحكم مصر، ولو على سبيل الظن والتخمين، كما يدل عليه قوله عَلَى: ﴿ يَنَبَيْنَ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَأْيَسُواْ مِن رَوْح اللّهِ إِلّا وَلا تَأْيَسُواْ مِن رَوْح اللّهِ إِلّا الْقَوْمُ الْكَيْفِرُونَ ﴿ اللّهِ إِلّا الْقَوْمُ الْكَيْفِرُونَ ﴿ اللّهِ إِلّا اللّهِ إِلّا الْقَوْمُ الْكَيْفِرُونَ ﴿ اللّهِ إِلّا اللّهِ اللّهُ أَلْمَا اللّهُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ

ولا يقال: إن يوسف النفخ قد اتهم أخاه بالسرقة، وإنها جرت هذه التهمة على لسان المنادي، ولذلك أقبلوا عليه وعلى من معه فقالوا: ماذا تفقدون؟ ولم يقولوا: ماذا سرق منكم، وكأنهم بالعدول عن لفظ السرقة يريدون أن يعلموا هذا المنادي ما ينبغي أن

٢. دين المَلِك: سُلْطَته.

٣. ثاقب فِكُره: فكره البعيد الراشد الصائب.

يقال، إذ كان ينبغي عليه أن يقول: فقدنا صواع الملك، ولعله دخل في رحل واحد منكم سهوًا أو نسيانًا، وما أشبه ذلك من الكلام المقبول، ولقد تعلموا فعلًا منهم ما ينبغي أن يقال، فقالوا: نفقد صواع الملك، ووعدوا من جاء به أن يُعطى حمل بعير من الحبوب، وقال المنادي: أنا بهذا الحمل كفيل.

وقد يقال: إن يوسف الطيخ هو الذي أمر المنادي أن يقول: إنكم لسارقون على سبيل التعريض، فقد كانوا سارقين فعلًا عندما أخذوه من أبيه وألقوه في الجب، والله أعلم بها كان.

وقد رفع الله مكانة يوسف الطّينية في العالمين بالحلم والتعفف والعلم والحكمة والنبوة والملك، ورد إليه أخاه تمهيدًا لجمعه بأبويه وسائر أهله وذويه.

# ٢. موقفه وموقف إخوته بعد استخراج السقاية:

ولما رأى الإخوة السقاية قد استُخرِجت من رحل بنيامين سُقِط في أيديهم، وتحرّكت الأحقاد القديمة في قلوبهم؛ فتفوّهوا (١) بمقالة سوء ينفون بها عن أنفسهم العار الذي ظنوا أنه لاحقٌ بهم، فاحتملها يوسف الني منهم، وأخفى وقعها من نفسه عنهم، وأنبأهم بها هم عليه من مكان لا يُحمدون فيه، ومن شر هُمْ مُواقعوه، قال عَلَى: ﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقُ فَقَدُ سَرَقَ أَنُّ لَهُ مِن قَالَ أَنتُمُ فَا اللَّهُمُ قَالَ أَنتُمُ شَرَهُما يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبِدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمُ شَرَقً فَالَ أَنتُمُ اللَّهُمُ وَاللَّهُ اللَّهُمُ عَلَا اللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ال

قالوا ذلك سُبّة لأمهما "راحيل" إذ أنجبت ولـدين كلاهما سارق، يريدون أن يتنصَّلوا(٢) بـذلك مـن هـذا

وقعت هذه المقالة من نفس يوسف الطّيّلا موقعًا المه وأحزنه، لكنه تحلّم وصبر واحتسب، واحتفظ بالرد المناسب في الوقت المناسب، وقال في نفسه: أنتم شر مكانًا حيث سرقتم أخاكم من أبيكم، وفعلتم به ما فعلتم، ثم طَفَقْتم (٢) اليوم تفترون على البريء فتتهمونه بها كان بكم ألصق، والله وحده هو الذي يعلم بها تنسبونه إليه ظلمًا وزورًا.

وهذا الموقف يظهر لنا ما تحلّى به يوسف الطّيكِمُ من حِلْم ورَباطة جَالُسُ (٤)، وقدرة فائقة على كَظْم الغيظ (٥)، والعفوعن المسيء وهو قادر على الانتقام؛ إذ أبت عليه نفسه الزَّكيَّة أن يواجه إخوته بالحقيقة المُرَّة في غير أوانها، وهم في موقف كُرْب وبلاء ومعاناة نفسية بلغت بهم حدًّا لا يؤاخذون فيه على ما يصدر منهم.

وطمع الإخوة في إحسان يوسف التَّيَّةُ، فطلبوا منه أن يتجاوز إحسانه حدَّ الوفاء في الكيل وإكرام النُّزلاء (٢) إلى شيء أعظم عندهم من ذلك بكثير، وهو أن يرد إليهم أخاهم، ويأخذ منهم من يشاء عوضًا عنه، رحمة بأبيهم الشيخ الكبير. قال الله تبارك وتعالى: ﴿ قَالُوا يَتَأَيُّهُا الْمَزِرُ إِنَّ لَهُ وَ أَبا شَيَخًا كِيرًا فَخُذَ أَحَدَنا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَئكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿ وَاللَّهُ مَن المُحْسِنِينَ ﴿ وَاللَّهُ مَن المُحْسِنِينَ ﴿ وَاللَّهُ مَن الآية مَن المَحْسِنِينَ ﴿ وَاللَّهُ مَن الآية عَلَي اللَّهِ مِن الآية عَلَي اللَّهُ مَن الآية عَلَي اللَّهُ مَن الآية على الحقيقة حكما يفهم من الآية -

العار الذي ظنوا أنه لاحق بهم جميعًا، وهم على قمة الشرف والطهر. وقعت هذه المقالة من نفس يوسف الطَّيِّكُمُ موقعًا آلمه

٣. طَفَقْتُم: أخذتم.

٤. رباطة الجأش: ثبات.

٥. كَظْم الغيظ: عدم إظهار الغضب والتَّحكم فيه.

٦. النُّزلاء: جمع نزيل، وهو الضيف.

١. تَفَوَّهوا: نطقوا.

٢. يتنصَّلوا: يتبرَّأوا.

وإنها يستشفعون لأبيهم الذي بلغ من الكبر عتيًا (۱)، وهم من وراء ذلك أيضًا يستشفعون لأنفسهم؛ ليكونوا أوفياء بالميثاق الذي أخذه عليهم أبوهم.

وقد تلطفوا به فاسترحموه بقولهم: ﴿ إِنَّ لَهُ وَ أَبَّا شَيْخًا كَيْمِ اللهِ وَاستنزلوه عن حقه في استرقاق أخيه بقوله: ﴿ إِنَّا نَرَيْكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿ اللهِ الكَن يوسف الكَن كَان يريد أن يلقنهم درسًا في الأخلاق الفاضلة، فقال كان يريد أن يلقنهم درسًا في الأخلاق الفاضلة، فقال كما حكى القرآن عنه: ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ أَن نَأَخُذَ إِلّا مَن وَجَدْنَا مَتَعَنَا عِندَهُ وَإِنّا إِذَا لَظُل لِمُونَ ﴿ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللهِ اللهِ اللّهُ اللهِ اللّهُ اللهُ اللهُ الله وَجَدْنَا مَتَعَنَا عِندَهُ وَإِنّا إِذَا لَظُل لِمُونَ ﴿ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللهِ اللهِ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

أي عيادًا بالله أن نبرئ مذنبًا وندين بريئًا، فنأخذ البريء بذنب المسيء، إن ذلك ظلم لا يلتقي أبدًا مع الإحسان الذي تدعونني باسمه، فلم رأوا أن العزين متمسك بمن وجد متاعه عنده كفُّوا عن التحدّث معه في شأنه، وعكفوا على تدبير أمرهم، وتشاوروا فيها بينهم على كيفية مواجهة أبيهم بهذا الأمر الجلل الذي لم تكن لهم فيه إرادة ولا عزم.

وقوله عَجْكَ: ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْنَسُوا ﴾ معناه: لما بلغ منهم

اليأس مبلغًا، بسبب استعاذته بالله مما طلبوه، وهذا التعوذ يدل على أنه أمر في غاية الكراهة عنده، وإنه ظلم ينبغي التعوذ منه، والاحتراز من فعله، فلما قطعُوا الأمل من أخذ بنيامين، خلصوا نجيًّا (٢)، أي خلص بعضهم إلى بعض، واجتمعوا بعيدًا عن الناس يتناجون في أمرهم هذا.

فقد قال كبيرهم هذا: أنسيتم أن أباكم قد أخذ عليكم موثقًا من الله أن تأتوه بابنه سالًا: ﴿ وَمِن فَبَلُ مَا فَرَطَتُمْ فِي يُوسُفَ ﴾؟ أي: هل نسيتم ما فعلتموه بيوسف من قبل؟ فكيف تواجهون أباكم، وبهاذا تعتذرون إليه؟ وكيف يكون وقع الخبر عليه؟ إلى آخر ما وقع بينهم من همس ومشافهة، وأخذٍ وردٍّ طواه القرآن لعدم جدواه.

إنه يريد أن يبقى مكانه فى أرض مصر بعيدًا عن المواجهة القاسية التي سوف يلقاها إخوته، فقال لهم ما حكى القرآن عنه: ﴿ ٱرْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَتَأَبَاناً إِلَىٰ أَخِر هذه المقولة التي إلى أخر هذه المقولة التي أوصاهم بها، وفيها خبر وشهادة، وإقرار واستيثاق.

١. عَتَى الرجل: كَبُر سِنُّه.

خَلَصوا نجيًّا: انفردوا يتشاورون سرًّا ومناجاة.

٣. أَبْرَح: أذهب من هذه الأرض.

فقولهم: ﴿إِنَّ أَبْنَكَ سَرَقَ ﴾ (بوسف: ١٨) إقرار بشيء لم يقع، وما كان ينبغي أن يقول لهم: قولوا ذلك؛ لما في هذا القول من جفاف وجفاء، وشدة وقع على نفس يعقوب الطيخ، إن قولهم: ابنك مات أو قتل أخفتُ عليه من قولهم: إن ابنك سرق، لكنها الغلظة التي عرفت في طباعهم، لن يستطيعوا التخلي عنها أو التخلص منها.

وقال لهم كبيرهم: قولوا له معتذرين بعد أن تخبروه بهذا الخبر: ﴿ وَمَا شَهِدْنَا ﴾ (يوسف: ٨١) أي فإن سألكم هل علمتم أنه سرق ببينة لا تقبل الجدل، أو كيف حكمتم بأنه سرق، وعلى أي شيء استندتم، فقولوا: ما أقررنا بذلك إلا حين رأينا العزيز، أو أحد فتيانه قد استخرج صواع الملك من رحله، وقد سئلنا قبل التفتيش عن الصواع عن حكم السرقة عندنا فأجبناهم بها علمنا من شريعتنا، فوقع لأخينا ما وقع بقضاء الله وقلة، و أمر مغيّب عنا: ﴿ وَمَا لَا لَمُنَيْ مِنْ أَمْرِنَا، فَاسأَلُ القرية التي كنا فيها، وهي عواقب الأمور، ولا بواطن الأحوال، فإن كنت في عاصمة مصر، واسأل العير التي أقبلنا فيها لتعلم صدقنا وصحة قولنا.

وانظر إلى ما قالوه هنا، وما قالوه عند اعتذارهم عن فقد يوسف، لقد قالوا هنا: ﴿ وَإِنَّا لَصَلْدِقُونَ عَنْ فقد يوسف، فأكدوا قولهم بأن واللام والجملة الاسمية. وقالوا هناك بشيء من التمني والتحسر والشك والمدارة: ﴿ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنِ لَنَا وَلَوَ كُنَّا

صَدِقِينَ الله (يوسف) (١). فانظر إلى موقفهم هنا وقد جاءوا إلى أبيهم بالصدق كله، وإلى موقفهم من قبل مع يوسف، وقد جاءوا إلى أبيهم بالكذب كله.

وكان من حقهم في هذه المرة أن يقولوا: ﴿ وَإِنَّا لَصَدِقُوكَ اللَّهُ ﴿ (يوسف) بصيغة الجزم؛ لأنهم يعلمون أن أباهم لا يصدقهم لما عرف من كذبهم في المرة الأولى، ومن عرف بالكذب لم يصدقه أحد، وكان من حقهم أيضًا أن يقيموا على صدقهم الشواهد والبينات، والحق أبلَج (٢) كما يقولون.

# ٣. موقف أبيهم بعد سهاع الخبر:

وما كاد يعقوب الطّي يسمع من أبنائه هذا الخبر المؤلم حتى واجههم بها واجههم به في المرة الأولى حين جاءوه يلقون إليه بالخبر المُفْجِع في يوسف، إنهم مُتَّهَمون عنده في الحالين؛ لأنه كان يتوقَّع منهم أن يُسِيئوه (٢) في يوسف الطّي وفي أخيه، ففي يوسف يقول لهم: ﴿ قَالَ إِنِي لَيَحْزُنُنِيَ أَن تَذْهَبُواْ بِهِء وَأَخَافُ أَن يَأْكُلُهُ لَلْهَ وَاللّهُ وَلَهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَالل

وعن ابنه الآخر يقول لهم: ﴿ قَالَ هَلْ مَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا صَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا صَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا صَامَا أَمِنْكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللّهُ خَيْرُ حَفِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِمِينَ (الله عَلَىٰ (بوسف). وهكذا يأخذهم بحدسه في الأولى، وتحقق ظنه فيهم وظنه بهم وقد صدقه حدسه في الأولى، وتحقق ظنه في الثانية، فوقع المكروه في الحالين: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَلَتَ فِي الثانية، فوقع المكروه في الحالين: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَلَتَ لَكُمْ أَنفُهُمُ أَمْرُ فَصَدَبُرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِينِي بِهِمْ

١. مُؤمِن: مُصَدِّق.

٢. الأبُّلَج: الواضح.

٣. يُسِيء: يُحْزِن.

٤. الحَدْس: الفَراسة.

جَمِيعًا أَإِنَّهُ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ (آ) ﴾ (يوسف) (1). هي كلمته ذاتها يوم فقد يوسف الطّيّلا، ولكنه في هذه المرة يضيف إليها هذا الأمل.

ومن ثم تتضح لنا العظة والعبرة من هذه القصة، فسيدنا يوسف العلى لما علم حال بنيامين وحال يعقوب عليها السلام، وما أصابها من الحزن والقهر على غياب يوسف العلى قرر أن يخفف عن أخيه الهم والكرب فكشف عن حاله، ثم إنه أراد أن يلقن إخوته درسا ويذكّرهم بها فعلوه في يوسف العلى وما كان من أمرهم، أضف إلى ذلك أن سيدنا يوسف فعل ذلك بوحي من الله هلى، وحتى تكون هذه الأحداث سببًا منطقيًا في جمع شمل الأسرة مرة ثانية بعد أن نزغ الشيطان بينه وبين إخوته من قبل.

#### الخلاصة:

• يوسف العلانية بسي من أنبياء الله ولا يتصرّف إلا بوحي أو حكمة يراها، والأنبياء بصيرتهم مشرقة، فهم يرون بنور الله، ومعلوم أن الطاعة سبب في ذلك حتى مع غير الأنبياء، فهذا رسول الله الله يقول عن رب العزة الله اوما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها"(٢)، فالراجح أن يوسف العلا فعل ما فعل بوحي من الله الحل والدليل قول الله الحل فعل ما فعل موحي من الله الحل والدليل قول الله الحل في إلى أن أن يوسف إلى المنافئ ما كان ليا أخذ أخاه في دين المالك إلى الآأن

يَشَاءَ اللهُ اللهُ اللهُ (يوسف) فتعبير: ﴿ كِذْنَا لِيُوسُفَ ﴾ يوحي بأن الأمر وحي من الله ﷺ له، والله أعلى وأعلم.

• أحداث الموقف عظات وعبر لأصحاب العقول، لا تصيّدًا للأخطاء، وقد بان هذا في: فعل يوسف الطّيّل وفعل أبيه، وردّه ـ ردّ المؤمن الواثق بالله ـ على بنيه: ﴿عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِينِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنّهُ هُو الْعَلِيمُ اللّهُ الْرَحِيعِينَ إِلَيْهُ هُو الْعَلِيمُ اللّهُ الله الله الله الله المرس وأبى الرجوع إلى أن يأذن له أبوه أو يحكم الله له، والموقف العصيب الذي وضع فيه إخوة يوسف الطيّل، وقد تعلموا منه الكثير.

# 336K

# الشبهة الحادية والأربعون

# دعوى خطأ القرآن في ذكر عدد مرات مجيء إخوة يوسف الني للصر وسجنه أخاه بنيامين (\*)

### مضمون الشبهة :

www.Islameyat.com

١. سوَّلت: حبَّبت لكم، وأغرتكم، وهوَّنت عليكم هذا الأمر.
 ٢. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع
 ٢. (٦١٣٧).

<sup>(\*)</sup> هل القرآن معصوم؟ موقع إسلاميات.

يوسف الني أخذ أخاهم شمعون رَهِينة (١)، وهذا تفسير قول الله تعالى: ﴿ جَمِيعًا ﴾ أي: يوسف الني ، وبنيامين، وشمعون.

### وجوه إبطال الشبهة:

 لم يخطئ القرآن الكريم في سرد الوقائع التاريخية، فقد صوب الخطأ وأضاف الكثير من الحقائق؛ لأنه الكتاب الخاتم، أما التوراة فقد حُرِّفت، فلا يُعتدُّ بها جاء فيها.

اخذ سيدنا يوسف الخفي أخاه لحيلة دبرها معه ليسعد بمجاورته، ويعيد جمع أسرته بعد أن نزغ الشيطان بينه وبين إخوته.

٣) عدد مرات مجيء إخوة يوسف الطّنِيلاً لمصر أربع مرات، كما يقتضي المنطق، وسياق الأحداث، وليس ثلاثة، كما نصّت التوراة فقد تناقضت في هذا الشأن كما تناقضت في غيره.

#### التفصيل:

أولا. لم يخطئ القرآن في سرد الوقائع التاريخية، فقد صوّب وأضاف؛ لأنه الكتاب الخاتم أما التوراة فقد حُرِّفت، فلا يُعْتَد بما جاء فيها:

لم يخطئ القرآن الكريم في سرد الوقائع التاريخية فقد صوَّب وأضاف؛ لأنه الكتاب الخاتم، الذي لم يُحرَّف كها حُرِّف غيره من الكتب السهاوية السابقة، أما التوراة المحرفة فلا يُصدق ما جاء بها؛ لأنها قول بشر والأدلة على ذلك كثيرة منها:

• إغفال التوراة لبعض أحداث قصة سيدنا

® في "وليمة امرأة العزيز للنسوة في قصة يوسف" طالع أيضًا: الشبهة الخامسة والثلاثين، من هذا الجزء.

• أطلقت التوراة على حاكم مصر آنذاك فرعون وهو اسم مصري قديم مُكوَّن من جزئين "بر" أي: بيت، و"عها" أي: عالي، فيكون المعنى للاسم "البيت العالي"، وهو أشبه بلقب "البيت الأبيض" عند الأمريكان في العصر الحاضر.

أما القرآن الكريم فلم يستخدم هذا الاسم للدلالة على حاكم مصر أيام يوسف الطيلا، وإنها لقبه بـ "الملك"، وهذا هو الصحيح تاريخيًّا وعلميًّا، فقد ثبت صدق القرآن الكريم في هذه التسمية؛ إذ إن حاكم مصر قبل يوسف الطيلا وبعده كان يلقب بـ "فرعون"، أما في زمن يوسف فقد حكم الهكسوس بعد أن انتصروا على الفراعنة، حتى تجمع الفراعنة وطردوهم منها.

ومما يؤكد هذا أن القرآن الكريم قد سرد بدقة بالغة قصّة كل حاكم في زمنه \_ وصف حكّام مصر بأنهم الفراعنة، ثم جاء الهكسوس فلم يكن هناك فرعون، ولكن كان هناك ملك، أطلق عليه القرآن الكريم لقب "العزيز"، وعندما جاء موسى الطيكا، كان الفراعنة قد عادوا لحكم مصر. فإذا كان هذا الأمر لم نعرفه إلا في مطلع القرن الخامس عشر عندما اكتشف الفرنسيون معجر رشيد، ولكن القرآن أرّخ له التأريخ الصحيح منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان \_ وهذه معجزة تُضَم لعجرزات كثيرة في القرآن \_ ووضعه في موضعه لمعجزات كثيرة في القرآن \_ ووضعه في موضعه

١. الرَّهينة: الضمان.

الصحيح والسليم(١).

وبناء عليه، فإن ما جاء به القرآن هو الصواب قطعًا، وما عداه هو الباطل.

ثانياً. أخذ سيدنا يوسف العلام أخاه لحيلة دبرها معه ؛ ليسعد بمجاورته ولعودة التنام شمل الأسرة بعد أن نزغ الشيطان بينه وبين إخوته :

وعلى ذلك فإن يوسف الملكي يجبرهم على العودة باحتجاز أخيه الأكبر رهينة كما تصور التوراة خطأ وزورًا، بل أكرم وفادتهم، وهذا يتفق مع خُلُقه الكريم، وقد بالغ في إغرائهم بالرجوع إليه، فأمر فتيانه أن يجعلوا بضاعتهم التي جاءوا بها في رحالهم، حتى إذا وجدوها همُّوا بردها عليه، لظنهم أنه نسيها في رحالهم، وحلوهم، وحدوا أو الطمع في المزيد من هذا الإكرام الذي فاق تصورهم، وحاز إعجابهم، فقد وجدوا فيه الإحسان ماديًا ومعنويًا، فلهاذا لا يرجعون إليه ومعهم أخوهم بنيامين، وكانت حجتهم لأبيهم حتى نوسع على أهلنا ونزداد

كيل بعير.

إذن فها كان ليوسف أن يتخذ منهم رهائن، فه و يشق في نصر الله وإكرامه إياه بالتشام شمل الأسرة ثانية، ورؤية أخيه وأبيه، وللعاقل أن يقارن بين أسلوب القرآن الكريم الذي يذكر إكرامه وفادتهم، وتصوير التوراة المخزي لنبي من أنبياء الله تكل فتجعله سجًانًا لأخيه دون شفقة أو رحمة لصغره، وبراءته من أي ذنب، كما تجعله متّخذًا للرهائن من أقرب الناس إليه.

والسؤال المطروح الآن: لماذا يسجن يوسف أخاه، وقد أراد أن يسعد بجواره؟ وهل يتفق هذا مع خلق الأنبياء، وعصمتهم وعدلهم؟

كما أن التوراة تتناقض فيما بينها في هذا الشأن فتارة تقول شمعون، وتارة تقول رأوبين.

واستنادًا إلى ما سبق فإن الخلاف بين التوراة وبين القرآن في سرد حوادث القصة، لا يدل على عيب في القرآن بل يدل على ما في التوراة من زيادة ونقص في النسخة الواحدة، وفي النسخ الثلاث، ومع هذا ففي

تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مرجع سابق، ج١،
 ص٣٢٦، ٣٢٧ بتصرف.

٢. وِفادتهم: قُدُومهم ونجِيتُهم.

التوراة ما يدل على ما جاء في القرآن، ومن ذلك(١):

7. أن التوراة ليس فيها ما يدل على سجن بنيامين، وهو أنه لما دبَّر حيلته في استبقائه وتمت الحيلة، طلبوا منه أن يطلقه فردَّ عليهم بقوله: "حاشا لي أن أفعل هذا. الرجل الذي وُجد الطاس في يده هو يكون لي عبدًا وأما أنتم فاصعدوا بسلام إلي أبيكم". (التكوين ٤٤: ١٧). إذن فقوله: "هو يكون عبدًا لي" معناه: أنه استبقاه في مصر، وليس سجنه فهذا تناقض، وفهم خطأ لتوراتهم المحرفة، فضلًا عن فهمهم الخاطئ للقرآن الكريم، وهذا ديدنهم.

٣. في التوراة ما يدل على بقاء كبيرهم في مصر، مع
 يوسف وبنيامين، وكبيرهم هو رأوبين وليس شمعون،
 ولا يهوذا كما قال كاتب التوراة. ومما يدل على بقاء

كبيرهم: أنه استعطف يوسف الطّيني بقوله: "فالآن ليمكث عبدك عوضًا عن الغلام، عبدًا لسيدي، ويصعد الغلام مع إخوته. لأني كيف أصعد إلى أبي والغلام ليس معي؟ لئلًا أنظر الشر الذي يصيب أبي". (التكوين ٤٤: ٣٣، ٣٤)(٢).

# ثَالثًا. عدد مرات مجيء إخوة يوسف السَّلَا للصر أربع مرات كما يقتضي المنطق وسياق الأحداث وليس ثلاثة كما نصّت التوراة:

ذكر القرآن الكريم أن إخوة يوسف الطِّيخ جاءوا مصر للمرة الأولى طلبًا للميرة والطعام حيث قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ الكريمة أن سيدنا يوسف النَّخْ عرف إخوته غير أنهم له منكـرون، ولذا أمر فتيانه بوضع بضاعتهم التي جاءوا بها إلى مصر للمقايضة والبيع، حتى يعطيهم الأمل في العودة مرة أخرى وكذلك أعلن لهم صراحة أن يأتوا بأخ لهم من أبيهم حيث يرون كرمه وفضله، وعندما عادوا إلى بلدهم وجدوا بضاعتهم، لذلك قرروا العودة إما ردًّا للتجارة أو طمعًا في المزيد فجاءوا بأخيهم، وهو دخولهم المرة الثانية، فأواه يوسف اللَّيِّلا عن طريق الحيلة المذكورة في التوراة والقرآن، وهي فقدان صواع الملك؛ فرفض العودة معهم أخوهم الأكبر فعادوا إلى أبيهم يخبرونه بها حدث، فأمرهم أبـوهم أن يرجعـوا، ويتحسسوا من يوسف وأخيه، ولا ييأسوا من روح الله، فاستجابوا لأبيهم، وجاءوا للمرة الثالثة، وعندئـذ كشف لهم يوسف الطِّيلاً عن حقيقة الأمر، وأمرهم بأن

حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، د. محمود حمدي زقزوق، مرجع سابق، ص٤٩٣.

٢. المرجع سابق، ص٤٩٤.

يرحلوا ويأتوا بأهلهم أجمعين، فكان دخولهم جميعًا مع أبويهم، وهذه هي المرة الرابعة، وهذا هو الواقع الحق.

وبالعرض السابق للحقائق التي ذكرها القرآن، ولم يرد لها ذكر في التوراة، يتبين لنا أن التوراة محرفة استبعد كاتبها ما يريده، وأضاف إليها ما يحلو له، فوقع في العديد من الأخطاء، والتناقضات التي لا تثبت أمام النقد الدقيق (1).

#### الخلاصة:

- لم يخطئ القرآن الكريم في سرد الوقائع التاريخية، فقد صوب وأضاف؛ لأنه الكتاب الخاتم الذي سلِم من التحريف، أما التوراة المحرفة فلا يُصدَّق ما جاء بها؛ لأنها قول البشر. ويدل على تحريفها تناقضها مع الحقائق التاريخية ومع نفسها.
- ومما يدل على تحريف التوراة أن: التوراة تذكر أن الحاكم زمن سيدنا يوسف الملك كان فرعون، والقرآن يذكر أنه ملك، فاختلاف الألقاب هنا على أساس العصور؛ إذ كان الهكسوس آنذاك هم حكام مصر وليس الفراعنة، حيث طرد الهكسوس الفراعنة من مصر بعد تغلبهم عليهم، والحاكم عند الهكسوس يطلق عليه لفظ "ملك" وليس "فرعون"، ولم يُعرف هذا إلا بعد اكتشاف حجر رشيد، وقد تحدَّث عنه القرآن منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان. وهذا مما يؤكَّد على تحريف التوراة القرآن وإعجازه العلمي، كما يؤكَّد على تحريف التوراة وعبث البشر بها.
- سجن يوسف لأخيه لا يليق بعصمته الكيلان، فهو
   نبي أدَّبه ربُّه فحَسُن خُلُقُه، والقرآن يحكي أنه أكرم

وفادة إخوته، وبالغ في إعطائهم، وترك لهم بضاعتهم فلم يأخذها مقابل ما أعطاهم من قمح؛ حتى يُحفِّزهم كرمه على العودة ثانية ومعهم أخوه بنيامين طمعًا في عطاياه، ولم يسجن أخاه بالطبع لبراءته، وكيف يتوقع من أراد أن يسعد بجوار أخيه ويهنأ بالقرب منه بعد غياب وحرمان، كيف يتسنى له أن يسجنه؟! ولم يأخذ رهائن منهم - كها زعمت التوراة - بل إن كبيرهم كها حكى القرآن فضّل البقاء على رؤية الحزن في عين أبيه، فهي مسألة اختيارية إذن.

- ومن تناقض التوراة في ذكر اسم الرهينة، يتضح لنا عبث الكاتب فهذا خيال البشر، فتارة يذكر أنه شمعون، وأخرى أنه يهوذا، والأخ الأكبر كان رأوبين، ليس هذا ولا ذاك.
- أما عدد مرات مجيء إخوة يوسف الكيلا إلى مصر فأربع، وليس ثلاث كها زعمت التوراة، ومن خلال العرض السابق يتضح لنا أن القرآن قال هذا وقوله الحق، أما التوراة فقد تناقضت في هذا الشأن كها تناقضت في غيره.

# AND SE

#### الشبهة الثانية والأربعون

# إنكار حقيقة قميص يوسف الطّيّة، ومعجزة شفاء يعقوب الطّيّة (\*)

#### مضمون الشبهة:

أنكر بعض المغرضين معجزة قميص يوسف التي

<sup>(\*)</sup> هل القرآن معصوم؟ موقع إسلاميات.

www.Islameyat.com

١. انظر: قصص القرآن، د. محمد بكر إسهاعيل، مرجع سابق..

#### وجوه إبطال الشبهة:

1) معجزة الشفاء بالقميص تدل على قدرة الله الدي يقول للشيء "كن فيكون"، وتفسير بعض المفسرين لنصوص القرآن ليس حجة على القرآن، إذ المجتهد في الإسلام له أجران إن أصاب، وأجرٌ واحدٌ إن أخطأ.

اختلفت حادثة القميص في التوراة عنها في القرآن؛ لأن التوراة المحرفة تركز على الأشياء المادية المحسوسة، أما القرآن فيذكر أنها معجزة لنبي كسائر معجزات الأنبياء.

٣) تناقض نصوص التوراة مع القرآن ليس حجة على القرآن، بل هو حجة له، فالثابت أن التوراة محرفة؛ فلا يؤخذ منها إلا ما وافق القرآن المعصوم من التحريف.

### التفصيل:

أولا. معجزة الشفاء بالقميص تدل على قدرة الله، وتفسير بعض الفسرين لنصوص القرآن ليس حجة عليه:

إن القرآن الكريم هـو كـلام رب العـالمين الـذي لا

يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، حين قصّ إلقاء القميص على وجه يعقوب الكين فارتد بسصيرًا، لم يدكر لنا أن هذا القميص كان قميص إبراهيم الكيل الذي لبسه في النار فنجاه الله منها، أو غيره، وإنها الذي ذكره أنها معجزة حدثت مع نبي من أنبياء الله عليهم السلام لتدل على صدق نبوته.

وانطلاقًا من هذا فتفسير مجاهد لقميص يوسف على الوجه المذكور لم ينص عليه القرآن، وبالتالي فليس حجة على القرآن، ولا مُلزمًا له، فقد يكون هذا الخبر صحيحًا، وقد لا يكون صحيحًا، والذي ذكره القرآن الكريم أن يوسف الطيخ قال لإخوته: ﴿ أَذَهَ بُوا بِهَمِيمِي هَنَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجُهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ (يوسف:٩٣)، فكانت هذه معجزة ليوسف الطيخ، والمعجزة فعل فكانت هذه معجزة ليوسف الطيخ، والمعجزة فعل الله على يطهره على يد نبي من أنبيائه تأييدًا له وتصديقًا لدعواه، وهذا في الغالب وحي إلهام من الله على إلى نبيه يوسف بهذا الأمر، وإلى أبيه يعقوب قبل أن يصل أنبيه يوسف ومعهم قميصه، ليزفوا إليه البشري فعبر عن هذا بقوله: ﴿ إِنِّ لَأَعِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَولًا أَن عن

وتحقق ما أخبر به يوسف الطيلا: ﴿ فَلَمَّا أَن جَآءَ الْبَشِيرُ اللَّهَ مُكُ وَجَهِهِ عَلَى وَجَهِهِ عَالَرَتَدَ بَصِيرًا ﴾ (يوسف: ٩٦)، فالمعجزة في تحقق خبر يوسف الطيلا، والقميص ما هو إلا أداة لتحقق المعجزة، وليست المعجزة في القميص ذاته، ولو كان الأمر خاصية في القميص لما كان في ذلك معجزة، ولا تأييد من الله في وإنها يعود إلى هذه الخاصية، كالحديد الممغنط مثلا.

وهذا يشبه عصا موسى الطّيّلا التي كان يستخدمها موسى الطّيّلا قبل نبوَّته في الحاجات المعتادة، فأظهر الله المعجزات عليها.

وشفاء سيدنا يعقوب الكلا بوضع القميص على وجهه معجزة من المعجزات الخارجة عن قدرة الإنسان، وليس المهم هو القميص أو وضعه على وجهه، فقد كان ذلك لتسهيل وقع المعجزة على الحاضرين فحسب، ولكن المهم هو طريقة الشفاء، وهي إرادة الله المنحصرة في "كن فيكون"، وهي خارجة عن كل السنن الطبيعية التي أمر الإنسان أن يتعلمها، فعظمة المعجزة ليست في النتيجة فحسب، ولكن في طريقة الشفاء.

وكما أن ردَّ بصر يعقوب الطَيِّلان بالقميص معجزة، كان شمه لريح يوسف الطَّيِّلا على بُعد أيضًا معجزة يجب التصديق بها من غير بحث عن العلَّة والكيفية.

فلما برئ يعقوب العَيْنَ من مرضه، وكشف الله همّه وحزنه وفك كربه، أجاب مَن لاموه بما كان عليه من علم قطعي من ربه بصدق ما قاله لهم حين فصلت العير، وهذا هو الوقت المناسب للجواب، فقد قال لهم مقررًا صدق قوله: ﴿ فَلَمّا أَن جَاءَ ٱلبشِيرُ ٱلْقَنهُ عَلَىٰ مقررًا صدق قوله: ﴿ فَلَمّا أَن جَاءَ ٱلبشِيرُ ٱلْقَنهُ عَلَىٰ مقررًا صدق قوله: ﴿ فَلَمّا أَن جَاءَ ٱلبشِيرُ ٱلْقَنهُ عَلَىٰ لَا تَعْلَمُونَ اللهِ مَن ٱللّهِ مَا لا تعلمون من ونهيتكم من أرسلتكم إلى مصر، وأمرتكم بالتحسس ونهيتكم من اليأس من روح الله، وأقل لمن وراءكم في أثناء غيبتكم: إني لأجد ريح يوسف، وإني أعلم بوحي الله لا من خطرات الأوهام ما لا تعلمون من حياة يوسف العَيْن، فكان عليكم جميعًا أن تصدقوني في كل ما قلته؛ لأني نبي فكان عليكم جميعًا أن تصدقوني في كل ما قلته؛ لأني نبي

يُوحى إلى، وما كان ينبغي أن تشكُّوا في شيء مما ذكرته لكم (١).

# ثانيًا. اختلفت حادثة القميص في التوراة عنها في القرآن؛ لأن التوراة المحرفة تركز على الماديات، والأشياء المحسوسة، أما القرآن فيذكر أنها معجزة لنبي كسائر معجزات الأنبياء:

تفرد القرآن بذكر إرسال قميص يوسف التيكال إلى أبيه، ولم يرد ذكره في التوراة، فقد جاءه البشير أولاً. حاملًا الأخبار السارة بالعثور على يوسف التيكال وأخيه أحياء يرزقون، ومكانة يوسف التيكال العالية في مصر، ثم أثر يوسف الذي يحمل رائحته الطيبة، وهو قميص الشفاء الذي أُلقي على وجه يعقوب التيكال فارتد بصيرًا.

وعما تجدر الإشارة إليه اختلاف وجدان يعقوب التلكي في القرآن الكريم عمّا جاء في التوراة، فالقرآن الكريم أكد أن يعقوب التكلي شم رائحة يوسف التكلي التي لم تغيرها السنون فأحس بقرب وصدق حسه، وطلب منه الأبناء أن يستغفر لهم ربه الغفور الرحيم.

أما التوراة فقد صوَّرت يعقوب الطَيِّ بالمغشي عليه حين عرف أمر يوسف الطَيِّ كها جاء في سفر التكوين: "فصعدوا من مصر وجاءوا إلى أرض كنعان، إلى يعقوب أبيهم. وأخبروه قائلين: يوسف حي بعد، وهو متسلط على كل أرض مصر. فجمد قلبه لأنه لم يصدقهم. ثم كلموه بكل كلام يوسف الذي كلمهم به، وأبصر العجلات التي أرسلها يوسف لتحمله.

قصص القرآن، محمد بكر إسهاعيل، مرجع سابق، ص١٤٣٠.

فعاشت روح يعقوب أبيهم. فقال إسرائيل: كفى! يوسف ابني حي بعد. أذهب وأراه قبل أن أموت". (التكوين ٤٥: ٢٥-٢٨).

وهذه إشارة واضحة تؤكد أن التوراة من كلام بـشر يُركز على المادة، ووسيلة النقل التي تنعش الروح.

فشتان ما بين هذا وأسلوب القرآن الكريم الذي صرح بأن يعقوب التيلا صار أقوى من ذي قبل، فلو تأملنا لفظ القرآن "بصيرًا" هكذا بصيغة المبالغة، وليس بصيغة اسم الفاعل، لرأينا أنه قد تبدل الحزن، والوهن، والضعف إلى قوة واستبشار مع هذه المعجزة. ألا يدل هذا على أنها تأييد من الله ونصرة لعبديه الصابرين الكريمين (۱)؟!

# ثالثًا. تناقض نصوص التوراة ليس حجة على القرآن؛ لأننا لا ناخذ بما جاء فيها إلا إذا اتفقت مع نصوص القرآن الكريم:

إن بعض نُسَخ التوراة تصرِّح بعَمَى يعقوب الطَّيْلا، وأنه سيبصر إذا وضع يوسف يده على عينيه، ومن ذلك: "أنا أنزل معك إلى مصر، وأنا أصعدك أينضًا، ويضع يوسف يده على عينيك". (التكوين ٤٤:٤)، وفي نسخة ثانية تنفي التوراة عمى يعقوب الطَّيِلا، وفي نسخة ثالثة تكتفي بالنص على ضعف بصر يعقوب: "وأما عينا إسرائيل فكانتا قد ثقلتا من الشيخوخة، لا يقدر أن يبصر، فقربها إليه فقبلها واحتضنها". (التكوين ٤٨: ١٠).

واستبعاد شفاء يعقوب برؤية القميص، لا محل لـه؛

وذلك لأن في التوراة ما يشبه مثل هذه الحادثة. فنبي الله اليسع التيليلا، لما مات ودفنوه في قبره، دفنوا معه بعد فترة من الزمن ميتًا، فلما مست عظامه عظام اليسع، رُدّت إليه روحه، وهذا أشد إعجازًا من قميص يعقوب التيليلا، ففي سفر الملوك الثاني: "ومات أليشع فدفنوه. وكان غزاة موآب تدخل على الأرض عند دخول السنة. وفيها كانوا يدفنون رجلاً إذا بهم قد رأوا الغزاة، فطرحوا الرجل في قبر أليشع، فلما نزل الرجل ومس عظام أليشع عاش وقام على رجليه". (الملوك الثاني عظام أليث عاش وقام على رجليه". (الملوك الثاني).

إذن فلهاذا العنت عندما تكون المعجزة من خلال القرآن، وهم يؤمنون بوجودها وواردة في كتبهم؟ فَلِمَ ينكرون هذا الحدث مع نبيين من أنبياء الله كريمين \_ يوسف ويعقوب الطيخة \_ أليسا من أنبياء الله المؤيَّدين بالمعجزات؟!

ما سبق يتضح لنا أن قميص يوسف الكلا الذي ألقاه إخوته على وجه أبيهم فارتد بصيرًا صحيح كما ورد ذكره في القرآن الكريم، وهذا إنها يدل على قدرة الله الذي يقول للشيء: "كن فيكون"، وعلى صدق نبوة يوسف وأبيه عليها السلام من حيث أيدهما الله بالمعجزات كغيرهم من الأنبياء والرسل الكرام.

#### الخلاصة:

• معجزة الشفاء بالقميص التي أنكرها هؤلاء تدل على قدرة الله الذي يقول للشيء كن فيكون، أما تفسير "مجاهد" بأن هذا قميص النبوة المتوارث عن

انظر: جولة نقدية في نصوص الرواية التوراتية، محمد صالح توفيق، مرجع سابق.

حقائق الإسلام في مواجهة المشككين، د. محمود حمدي زقزوق، مرجع سابق، ص٤٩٦، ٤٩٦.

سيدنا إبراهيم الطّيّلاً، فهو اجتهاد بشر في نص من نصوص القرآن، فليس حجة على القرآن، ولا ملزمًا له، فالمجتهد في الإسلام له أجر واحد إن أخطأ، وأجران إن أصاب.

- شفاء يعقوب الكيلا بوضع القميص على وجهه معجزة من المعجزات الخارجة عن قدرة الإنسان، وليس المهم هو القميص، أو وضعه على وجهه، فقد كان ذلك لتسهيل وقع المعجزة على الحاضرين فحسب، ولكن المهم هو طريقة الشفاء، وهي إرادة الله المنحصرة في "كن فيكون".. فعظمة المعجزة ليست في النتيجة فحسب، ولكن في طريقه الشفاء.
- اختلاف حادثة القميص في التوراة عنها في القرآن؛ لأن التوراة المحرفة تركز على الماديات والأشياء المحسوسة، فتحكي أن يعقوب الكليلا انتعشت روحه حينها رأى المركبات المحملة بالخبرات.
- فأين هذا من أسلوب القرآن الحكيم الذي وصف يعقوب الني أنه ابيضت عيناه من الحزن الكثرة الألم، وشدة البكاء؟! وظل آملًا في روح الله ونصرته، وقد صار أقوى من ذي قبل؛ بإلقاء القميص على وجهه، فالعينان الضعيفتان اللتان أنهكها البكاء والشيخوخة قد صارتا مبصرتين وقويتين، كأنها لم يصابا بعمى ولا ضعف من قبل، وهذا فضل الله ونعمته على عباده الصابرين.
- على أن ما رأينا من معجزات مع سيدنا
   يعقوب ويوسف عليها السلام ليس بغريب،

• التوراة تتناقض في هذا الشأن فبعض النسخ تذكر أن يعقوب النفي أصيب بالعمى، والأخرى لا تذكره، ومن أجل هذا التحريف لا نصدق كل ما جاء بها إلا إذا اتفق مع نصوص القرآن الكريم. كما أن التوراة التي تنكر هذه المعجزة لنبي الله يعقوب تشتمل على معجزات مماثلة، كما جاء في سفر الملوك الثاني: "أن اليسع بعد موته وضعوا في قبره ميتًا فردت إليه روحه بملامسته". فأيهما أشد إعجازًا إحياء الموتى، أو رد الإبصار بعد العمى؟!

# AGE:

### الشبهة الثالثة والأربعون

# الفهم الخاطئ لسجود إخوة يوسف له الطَّيْيَا (\*)

### مضمون الشبهة:

يتوهم بعض الجاهلين أن يوسف الكلي أسجد أبويه وإخوته له، وكان السجود بوضع الجباه على الأرض، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبُولَهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْلَهُ مُسُجَّدًا ﴾ (يوسف: ١٠٠) والسجود لا يكون الا لله، وبذلك يكون يوسف الكلي قد أعطى نفسه حقًا من حقوق الله تعالى. ويتساءلون: كيف يعطي نفسه وهو نبى حقًا لا يكون إلا لله؟

<sup>(\*)</sup> عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق.

#### وجه إبطال الشبهة:

سجود إخوة يوسف الطيخ كان سجود تحية وتكريم له، أو سجود حَمْد وشكر لله على وجوده، وليس سجود عبادة، فذلك لا يكون إلا لله، وكان سجود الملائكة لآدم الطيخ من هذا القبيل.

#### التفصيل:

# الفهم الصحيح لسجود إخوة يوسف له:

إن الفهم الخاطئ لمعنى السجود في قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبُويَهُ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْلَهُ سُجَدًا ﴾ (بوسف: ١٠٠) هو الذي دفع هؤلاء إلى توهم أن يوسف الكي قد أعطى لنفسه حقًا من حقوق الله وهو السجود له، وقد جهل هؤلاء أن السجود في اللغة له معانٍ عدة غير العبادة، يمكننا أن نعرضها لنوضح لهم المعنى الصحيح لسجود إخوة يوسف الكي وأبويه له، وهي كها ذكر د. عمد أبو النور الحديدي:

١. أن السجود إنها كان لله شكرًا له من أجل لقائهم بيوسف العَيْلِ وتكون الله شكرًا له من أجل لقائهم بيوسف العَيْلِ وتكون اللهم في قوله: ﴿ رَأَيْنُهُمْ لِى سَنْجِدِينَ ۚ إِنَّ الله عنها و الله الفخر الرازي إلى ابن عباس رضي الله عنها و ويستدل على صحته بقول الله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبُونَهُ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُواللهُ مُسْجَدًا ﴾ الله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبُونَهُ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُواللهُ مُسْجَدًا ﴾ الله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبُونَهُ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُواللهُ مُسْجَدًا ﴾ الله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبُونَهُ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُواللهُ السرير ، والله المعود على السرير ؛ لأن ذلك أدخل في السجدوا له قبل الصعود على السرير ؛ لأن ذلك أدخل في التواضع.

ويرى الفخر الرازي: أن هذا القول أولى الأقوال بالقبول، فيقول: وعندي أن هذا التأويل متعين؛ لأنه

يُستبعد من عقل يوسف الكلي ودينه أن يرضي بأن يسجد له أبوه مع سابقته في حقوق الولادة، والشيخوخة والعلم، والدين، وكمال النبوة (١).

السجود شه شكرًا لنعمة وجود يوسف، إلا أنهم جعلوا يوسف الطيخ كالقبلة، وتكون اللام بمعنى "إلى" واستدل عليه الفخر الرازي بالقرآن وبالشعر؛ أما القرآن فقول الله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلتَّلِ ﴾ (الإسراء: ٧٧)؛ أي عند دلوك السمس، والصلاة شه لا لدلوك، فإذا جاز ذلك فإنه يجوز أن يقال: صليت للقبلة، مع أن الصلاة تكون شه تعالى لا للقبلة. وأما الشعر فقول حسان:

ما كنت أعرف أن الأمرَ منصرفٌ

عن هاشم ثمَّ منها عن أبي حسنِ أليس أول من صلى لقبلتكم

وأعرف الناس بالقرآن والسنن

وعلى هذا فمعنى ﴿ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَدًا ﴾ (يوسف: ١٠٠) جعلوه كالقبلة، ثم سبجدوا لله شكرًا لنعمه عليهم، واستحسن الفخر الرازي هذا التأويل، وقال: وهذا التأويل حسن.

٣. أن السجود للآدمي كان عندهم جائزًا، وكان تحية الملوك في زمنهم.

قال الزنخشري: إن السجدة كانت عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام، والمصافحة، وتقبيل اليد، ونحوه مما جرت عليه عادة الناس من أفعال

١. مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، مرجع سابق، ج٥،
 ص١٧١.

شُهدت في التعظيم والتوقير (١).

ثم جعل الله تحية هذه الأمة السلام الذي هو تحية أهل الجنة، نقل الآلوسي عن قتادة قوله: كان السجود تحية الملوك عندهم، وأعطى الله تعالى هذه الأمة السلام، تحية أهل الجنة كرامة منه تعالى عجّلها لهم. ولم يذكر ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية غير هذا الرأي، وهو يُشعِر باختياره له وترجيحه على ما عداه، ويقول: كان هذا سائعًا في شرائعهم إذا سلّموا على الكبير يسجدون له، ولم يزل هذا جائزًا من لدن آدم الكين يسجدون له، ولم يزل هذا جائزًا من لدن آدم الكين إلى شريعة عيسى الكين فحرم هذا في هذه الملة أي الإسلام وجُعِل السجود مختصًا بجانب الرب كلى.

الثاني: أن سلمان شه لقي النبي شي في بعض طرق المدينة، وكان حديث عهد بالإسلام، فسجد للنبي شي فقال: "لا تسجد لي يا سلمان، واسجد للحي الذي لا يموت"(٢)(٤).

الأكثر (٥). هـذا وقـد سـجد الملائكـة لآدم الكِلِين سـجود تحيـة

وهـ ذا الـذي اختـاره الإمـام ابـن كثـير هـو رأي

هذا وقد سجد الملائكة لأدم الكلائ سجود تحية وتكريم، ولم يسجدوا له سجود عبادة؛ لأن سجود العبادة لا يكون إلا لله على فإخوة يوسف سجدوا له تكريرًا وتحية، على أي معنى من معاني السجود، ومن ثم فلا إشكال، ولا سيما أن ذلك كان جائزًا في الشرائع السابقة، ولم يُحرَّم إلا في شريعة الإسلام؛ تحقيقًا لمعنى مساواة الناس في العبودية ...

#### الخلاصة:

• إن الفهم الخاطئ لمعنى سجود إخوة يوسف التليك وأبويه له، هو الذي دفع بعضهم إلى أن يتوهم أن يوسف التليك قد أعطى لنفسه حقًا من حقوق الله، ولو أنعم هؤلاء النظر في معاني السجود في اللغة، لتجلت لهم الحقيقة كاملة.

• الحقيقة أن سجود إخوة يوسف النفي له، لم يكن سجود عبادة، بل سجود شكر لله تبارك وتعالى على جمعهم بيوسف النفي ، أو هو سجود تحية وتكريم ليوسف النفي وكان السجود للسادة والملوك جائزًا في الشرائع السابقة وقد حُرِّم في الإسلام.

# AGE:

٥. عصمة الأنبياء والردعلى الشبه الموجهة إليهم، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص٣٣٤، ٣٣٥.

<sup>®</sup> في "حقيقة سجود الملائكة لآدم" طالع أيضًا: الوجه الأول، من الشبهة الثانية، من هذا الجزء. والوجه الرابع، من الشبهة الخامسة، من الجزء السابع (الإيان والتدين).

١. الكشاف، الزنخشري، مرجع سابق، ج٢، ص٤٤٣.

صحيح: أخرجه ابن ماجه في سننها، كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة (١٨٥٣)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٠٠٣).

٣. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ج٤، ص٢٨٦.

٤. أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، سورة الفرقان (١٤٢٤٢).

# الشبهة الرابعة والأربعون

# ادِّعاء أن نبي الله أيوب الطِّيِّة كان غضويًا (\*)

### مضمون الشبهة:

يدَّعي بعض المتوهمين أن أيوب الطَّيْلاً كان غضوبًا، وغضبه أدى به إلى الحلف على زوجته بأن يضربها مائة جلدة، ويستدلون بقول هَ الله الحَلْفُ على زوجته بأن يضربها مائة بِهِ وَلَا تَحْنَثُ إِنَا وَجَدْنَهُ صَابِراً يَعْمَ ٱلْمَبُدُ إِنَّهُ وَأَرَّبُ الله الله الله وصلى المَعْنِينَ على زوجته (ص). ويتساءلون: كيف يغضب أيوب الطَّيْلا على زوجته التي رعته وسهرت على تمريضه ومعالجته مدة طويلة، وهو البارُّ الصبور المذي صبر على ضياع أولاده، وعبيده، ومواشيه؟!!

## وجها إبطال الشبهة:

1) الآية المذكورة لم تُثبت لأيوب الطّي غيضبًا شخصيًّا، بقدر ما أثبت له غضبًا لأجل الدين، فهو لم يُقسم على ضربها إلا بعد أن علم أن الشيطان خادعها، وساومها على سلامة اعتقادها، وهذا لا يعني أنه لم يحفظ جميل زوجته.

لا أيوب الطّين لم يوصف في القرآن بالغضب، ولكنه وصف بالصبر وأنه أوَّاب؛ فقد كان مؤمنًا بالله عابدًا تقيًّا صابرًا؛ ولذلك خفف الله عليه البرَّ بقسمه.

### التفصيل:

# أولا. الآية لم تثبت لأيوب غضبًا شخصيًّا، بقدر ما أثبتت له غضبًا لأجل الدين:

إن القرآن الكريم علَّم أتباعه أن يوقروا المرسلين

(\*) موقع الكلمة. www.alkalema.net

جميعهم، ونهاهم عن أن يفرقوا بين أحد من رسل الله تعالى الكرام، واعتبر التفريق بينهم كفرًا حقيقيًّا، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكَمُفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُويدُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُويدُونَ أَن يُقَرِقُونَ بَيْنَ ٱللّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُوْمِنُ بِبَعْضِ وَيُريدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سِبَعْضِ وَنَكَمُ فُرُ بِبَعْضِ وَيُريدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿ اللهِ أَن اللّهُ عَلَى اللّهُ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ عَقَا وَأَعْتَدُنَا لِلْكَنفِينَ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلْ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّ

إن الذي حدث أن أيوب الطَيْلا حلف في مرضه أن يضرب امرأته مائه جلدة؛ وقد قيل في سبب ذلك عدة أقوال، منها:

ما حكاه ابن عباس ـ رضي الله عنها ـ أن إبليس لقيها في صورة طبيب فدعته لمداواة أيوب، فقال أداويه على أنه إذا برئ قال: أنت شفيتني، لا أريد جزاء سواه، قالت: نعم، فحلف ليضربنها، وقال: ويحك ذلك الشيطان.

- ما حكاه سعيد بن المسيّب ـ رحمه الله ـ أنها جاءته بزيادة على ما كانت تأتيه من الخبز، فخاف خيانتها، فحلف ليضربنها.
- ما حكاه يحيى بن سلام وغيره أن الشيطان أغواها، أن تحمل أيوب التي على أن يذبح سَخْلَة (١) تقرّبًا إليه وأنه يبرأ، فذكرت ذلك له فحلف ليضربنَّها إن عُوفي مائة (٢).

"ثم إن أيوب النيلا أصبح متحيرًا في يمينه الذي حلفه وتوعد به، فأتاه جبريل النيلا، وقال له: يا أيوب، خذ مائة عود من أعواد سنابل القمح، واجمعها حزمة واضرب بها رحمة ضربة واحدة خفيفة لطيفة، فتخلص من اليمين، ففعل ذلك أيوب وخلص من يمينه، وذلك قول الله تعالى: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَأُضْرِب بِهِ وَلاَ تَعَنَّتُ ﴾ (ص: ٤٤)، وذلك لأن الله تعالى رحمها بسبب صبرها على بلاء زوجها، فخفَّ ف عنها؛ لأنها كانت تتكسب عليه وتعمل للناس من أجله"(٤).

فأيوب العلي - إذن - لم يغضب ويقسم أنه سيضرب زوجته التي صبرت على البلاء معه طويلًا إلَّا بعد أن على البلاء معه طويلًا إلَّا بعد أن على أن الشيطان خادعها، وساومها على سلامة اعتقادها في الله على حتى جعلها تظن أن شفاء زوجها فيما ينصحها به، مما يؤثر على سلامة اعتقادها، وهذا ما لم يَرضه أيوب العَلَيْن منها؛ فحلف أن يضربها لتسلم لها

نفسها ويقينها، وتعلم أن الشفاء من ربها، لا دخل لبشر فيه ولا لغير البشر.

إن نبي الله أيوب العلام لم يغضب لنفسه، وإنها غضب لله، والغضب لله ليس عيبًا يُلصق بالغاضب، وليت من يَلْمِز (٥) القرآن بأنه ألصق الغضب بسيدنا أيوب العلم، يعرف كيف يحفظ القرآن أعراض الأنبياء وسيرهم؟ وترانا يقتلنا الحزن ونحن نسمع أنهم يلصقون بأنبيائهم قتل الرجال ليتزوجوا نساءهم، وينسبون إليهم أفحش ما ينسب إلى الناس من زنا المحارم، وغير ذلك من الأوصاف التي لا تليق بآحاد الناس، فها بالنا بأفضل خلق الله!

فهل هذا من الأدب مع المصطفين الأخيار؟ وهل من يقتنع بهذا العاريزعم أنه يحفظ عرض أحد؟ كيف وقد نالوا من الأنبياء؟!

## ثانيًا. أيوب النيخ لم يوصف في القرآن بالغضب، ولكنه وصف بالصبر:

لم يوصف أيوب الكلي في القرآن بالغضب، ولكنه وُصِف بالصبر، وأنه أوَّاب، وأنه نعم العبد، فقد كان: امراً حَسن الخلق، مؤمنًا بالله عابدًا تقيَّا صابرًا، راضي النفس طيب الفؤاد، عطوفًا على الفقراء، رحيهًا بالمساكين يكفل الأرامل والأيتام، ويكرم الضيف، بالمساكين يكفل الأرامل والأيتام، ويكرم الضيف، ويبلغ ابن السبيل، فأثنى الله عليه بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَهُ صَابِرًا يَعْمَ ٱلْعَبَدُ إِنَهُ وَالله وَلَا عَلَى الله عليه بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَهُ مَالِمًا أَنْهُ وَالله وَلَا الله عليه بقوله وكان دائهًا يسبح لله بقوله: "سبحانك ربي صاحب الملكوت"، فكانت بقوله: "سبحانك ربي صاحب الملكوت"، فكانت الملائكة تردد تسبيحه في السهاء، فحسده إبليس وسُلَط

١. السَّخْلَة: الذكر والأنثى من ولد الضَّأْن والمعز ساعة يُولَد.

الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ج١٥، ص٢١٢ بتصرف يسير.

٣. تتكسَّب عليه: تعمل وتنفق عليه.

حياة وأخلاق الأنبياء، أحمد الصباحي عوض الله، مرجع سابق، ص١٦٠.

٥. يَلْمِز: يعيب.

عليه في ماله وأولاده وبدنه، فصبر أيوب صبرًا جميلًا، فخسئت الشياطين، وانتصر الصبر مع الإيمان بالله"(١).

وقصة ابتلاء أيوب الطيخ وصبره ذائعة مشهورة، وهي تُضرَب مثلًا للابتلاء والصبر، ولكنها مشوبة بإسرائيليات تطغى عليها، "والحد المأمون في هذه القصة \_ كها أشار صاحب الظلال \_ أن أيوب الطيخ كان \_ كها جاء في القرآن \_ عبدًا صالحًا أوَّابًا، وقد ابتلاه الله فصبر صبرًا جميلًا".

ويبدو أن ابتلاءه كان بذهاب المال والأهل والصحة جميعًا، ولكنه ظل على صلته بربه، وثقته به، ورضاه بما قسم له.

وكان الشيطان يوسوس خُلصائه (٢) القلائل الذين بقوا على وفائهم له ـ ومنهم زوجته ـ بأن الله لـ وكان يحب أيوب الطيخ ما ابتلاه، وكانوا يحدثونه بهذا، فيؤذيه في نفسه أشد ما يؤذيه الضرُّ والبلاءُ، فلما حدَّثته امرأته ببعض هذه الوسوسة، حلف لـ تن شـفاه الله ليـضربنها عددًا حدده قيل: مائة.

وعندئذ توجّه إلى ربه بالشكوى مما يلقى من إيذاء الشيطان، ومداخله إلى نفوس خلصائه، ووقع هذا الإيذاء في نفسه، فقال: ﴿ وَأَذْكُرُ عَبْدُنَا آيُوبُ إِذْ نَادَىٰ رَبّهُ وَ اللهِ مَسْنِي الشّيطانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (اللهِ منه صدقه وصبره، ونفوره من محاولات الشيطان، وتأذّيه بها، أدركه برحمته، وأنهى ابتلاءه، ورد عليه عافيته، إذ أمره أن يضرب الأرض بقدمه، فتتفجّر عين

١. حياة وأخلاق الأنبياء، أحمـد الـصباحي عـوض الله، مرجـع

سابق، ص٩٤٩.

وأما قسمه ليضربن زوجه، فرحمة من الله به وبزوجه التي قامت على رعايته، وصبرت على بلائه وبلائها به، أمره الله أن يأخذ مجموعة من العيدان بالعدد الذي حدده، فيضربها به ضربة واحدة، تجزئ عن يمينه، فلا يحنث فيه فقال: ﴿ وَخُذَ بِيدِكَ ضِغْنَا فَاضْرِب بِهِ وَلا تَعْنَتُ إِنّا وَحُدْنهُ صَابِراً يَعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنّهُ وَأُوبُ ﴿ الله من عبده وذلك الإنعام كانا جزاءً على ما علمه الله من عبده أيوب التيسير على البلاء، وحسن الطاعة والالتجاء إليه سبحانه (٢)؛ حيث وصفه تعالى فقال: ﴿ وَالله من عبده والالتجاء إليه سبحانه (٢)؛ حيث وصفه تعالى فقال:

فالمولى على يكافئ عباده المخلصين وما يتناسب مع إخلاصهم وصبرهم؛ لتكون لنا العظة والعبرة، ومن ثم فلا تعلق هنا لصاحب الشبهة بها ذكره في تلك القصة، فليس هناك انتقاص من قدر النبي العليم، وليس هناك غضب، ولا تنفيس لثورته وحدَّته.

#### الخلاصة:

- الآية تثبت أن غضب أيوب النفخ غضب لأجل الدين، وارتكاب المحرَّمات؛ فهو النفخ لم يغضب إلَّا بعد أن علم أن الشيطان خادع زوجته، وساومها على سلامة اعتقادها في الله ﷺ.
- وصف القرآن أيوب العلال بالصبر، وبأنه أوَّاب وأنه نعم العبد، ولم يصفه بالغضب كما زعموا.

راق عظم اعبده وم يحده باعدب عم ر عدوا. ٣. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٥، ص٣٠٢١،

٢. الخُلُصاء: المخلصين التابعين له.

<sup>411</sup> 

• أقسم أيوب النفخ ليضربنَّ زوجه، ولكن برحمة من الله به وبزوجه التي قامت على رعايته وصبرت على بلائه وبلائها، خفف الله تعالى عليه البرَّ بقسمه، فالمولى على يكافئ عباده المخلصين وما يتناسب مع إخلاصهم وصبرهم؛ لتكون لنا العظة والعبرة.

### الشبهة الخامسة والأربعون

ادِّعاء أن ذا الكفل الطِّيِّيِّ ليس نبيًّا (\*)

#### مضمون الشبهة:

يدعي بعض المتوهمين أن القرآن أخطأ في النص على نبوة ذي الكفل السلام، وذلك في قوله وأذكر وأذكر إلى المستعيل وأليستع وذا الكِفل وكل من الأخيار المسلام وكذلك حين أنه لم يرد ذكره في كتب التاريخ أو التوراة، وكذلك اختلف العلماء حول نبوته ولقبه، فذكر البيضاوي أنه كفل مائة من الأنبياء فروا من القتل، والصحيح عندهم أن الذي كفل مائة من الأنبياء هو عوبديا وزير الملك الخاب" وليس ذا الكفل المسلام.

#### وجوه إبطال الشبهة:

1) لا يعني عدم ذكر نبي في التوراة أنه لم يُذكر في غيرها من الكتب الساوية الأخرى، فليست التوراة الحالية حجَّة فيها ذكرت، ولا حجَّة فيها لم تذكره، ولم يخبرنا التاريخ بكل الأسهاء والأحداث حتى ننفي ما لم يذكره.

www.islameyat.com

٢) الظاهر من ذكر ذي الكفل الله في القرآن الكريم بالثناء مقرونًا مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه نبي وهو الصحيح، والبيضاوي مفسر مجتهد يصيب ويخطئ وليس حجّة على القرآن.

٣) سُمِّي بذي الكفل؛ لأنه تكفل للنبي اليسع الطَّيِّة بثلاثة أمور عظام: أن يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يغضب، فاستخلفه على الناس في حياته، ثم تكفَّل لقومه بتنفيذ أمر الله بإطالة أعارهم. فمن هنا كان اسمه ذا الكفل.

#### التفصيل:

### أولا. التوراة الحالية ليست حجَّة فيما ذكرته من أسماء الأنبياء وما لم تذكره:

لا يعني عدم ذكر نبي في التوراة الحالية أنه لم يذكر في غيرها من الكتب الساوية، فالتوراة ليست حجّة فيا ذكرت ولا حجّة فيا لم تذكر، وقد كُتِبَت التوراة بعد موسى المنتخ بزمن طويل، وبين أيدينا الأدله الكثيرة على أن التوراة التي بين أيدي اليهود والنصارى ليست من عند الله، ولكنها من وضع البشر.

وقد ذكر لنا القرآن الكريم بعض الأسماء لأنبياء ولأقوام دون أن يعرض التفاصيل عن حياتهم؛ ذلك لأن القرآن يتناول السابقين على مستويات متفاوتة، فمنهم من يذكره بالتفصيل، ومنهم من يتناوله إجمالا، ومنهم من يذكره بالتفصيل، ومنهم مثل: "ذو الكفل". قال من يذكره باسمه فقط مثل: "ذو الكفل". قال من يُولَدُ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفَلِ وَكُلُّ مِنَ الْخَيْلِ وَالْكَفَلِ"، ومنهم من لم يذكره إطلاقًا.

أما بالنسبة لكتب التاريخ فهل أخبرنا التاريخ بكل الأسهاء والأحداث، حتى ننفي ما لم يقدمه؟ وهل

<sup>(\*)</sup> هل القرآن معصوم؟ موقع إسلاميات.

توقفت كلمة التاريخ والبحث فيه عندما عرفنا؟ أم أن العلم لا يعرف الكلمة الأخيرة، ومع ذلك فإن أهل التاريخ قد ذكروه في بعض كتبهم، وإلا لما عرفنا أن السمه بشر، وأنه ابن أيوب العلي وقد بعثه الله بعد أيوب العلي، وسهاه ذا الكفل وكان مقامه في الشام، وأهل دمشق يتناقلون أن له قبرًا في جبل قاسيون، والقرآن الكريم لم يزد على ذكر اسمه في عداد الأنبياء، فثبت من ذلك صدق القرآن الكريم فيها قال وبطلان ادعائهم فيها يقولون (1).

### ثانيًا. تفسيرات المفسرين ليست حجة على القرآن:

وأما عن اختلاف العلماء حول نبوّته ولقبه، وما قيل عن تفسير البيضاوي فقد أشرنا سابقًا إلى أن تفسيرات المفسرين ليست حجة على القرآن، فهي إن أخطأت فمرد ذلك إلى اعتمادها في هذا المجال على الإسرائيليات المليئة بالكذب، ومن ثم فمجال الرد لهذه التفاسير وعدم قبولها يظل قائمًا؛ لأنها من اجتهادات البشر.

ثم إنه يمكن أن يُقال إن استخدام القرآن لهذا التعريف لا يعني بحال أن الرجل اسمه: ذو الكفل، فلربها أراد القرآن أن يخلد ذكر الرجل لما قدمه من عمل صالح في حياته مثل: صيام النهار وقيام الليل، وهذا كها جرت العادة في تسمية بعض الناس بذي المروءة أو أبي الجود أو أبي الفرسان، وكها هو معروف في تاريخ حضارتنا الإسلامية، عندما سمي عثمان بذي النورين، وأبي بكر بالصديق، وعمر بالفاروق، وليست هذه أسهاء، بل هي ألقاب لأصحابها، وكذلك فإن هذا \_ذا

الكفل ليس اسمه وإنها هو لقبه.

## ثَالثًا. سبب تسمية النبي ذي الكفل السِّيخ بهذا الاسم:

وسمي بشر بني الكفل؛ لأنه تكفل للنبي اليسع التَّكِينُ أمام الناس بأمور عظام منها: تنفيذ أمر الله بإطالة أعهارهم، ولذلك فإن قولهم بأن عوبديا وزير الملك "أخاب" هو الذي كفل مائة نبي لا يرفع لقب ذي الكفل عن بشر لعدة أسباب منها:

1. أن كلامهم هذا يحتاج إلى دليل منهم، ولو قالوا: إن هذا ورد في التوراة، فنحن نعلم أن التوراة التي بين أيدي اليهود ليست من عند الله بل من وضع البشر. فما الذي يمنع أن بِشْرًا هو الذي كفل مائمة من الأنبياء؟!

7. سمي بشر بذي الكفل ليس فقط لأنه كفل مائة من الأنبياء، ولكن - أيضًا - لأنه تكفل للنبي اليسع الطّيّة بثلاثة أمور عظام: أن يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يغضب، فاستخلفه على الناس في حياته، ثم تكفل لقومه بتنفيذ أمر الله بإطالة أعهارهم، فمن هنا كان اسمه ذا الكفل الطّيّة.

فسواء كان عوبديا هو الذي كفل أو كان "بشر" هو الذي كفل، فإن ذا الكفل العَلَيْ هو لقب بشر في كلتا الحالتين (٢).

#### الخلاصة:

• لا يعني عدم ذكر نبي في التوراة أنه لم يذكر في

النبوة والأنبياء، محمد علي الصابوني، مرجع سابق، ص٢٦٨،
 ٢٦٩ بتصرف.

حياة وأخلاق الأنبياء، أحمد الصباحي عوض الله، مرجع سابق، ص١٦١: ١٦٣ بتصرف. النبوة والأنبياء، محمد علي الصابوني، مرجع سابق، ص٢٦٨، ٢٦٩ بتصرف. قمص الأنبياء، ابن كثير، مرجع سابق، ص٨٠٠، ٢٠٩ بتصرف.

غيرها من الكتب السهاوية، وما ذكر فيها لا يُعَدُّ حجَّة، فليست التوراة حجَّة فيها ذكرت ولا فيها لم تذكره، فقد ثبت بالأدلة أن التوراة التي بأيدي اليهود والنصارى ليست من عند الله، ولكنها من وضع البشر.

- لم يخبرنا التاريخ بكل الأسهاء والأحداث حتى ننفي ما لم يقدمه.
- إن تفسيرات المفسرين ليست حجة على القرآن،
   فهي معتمدة في هذا المجال على الإسرائيليات المليئة
   بالكذب.
- إن استخدام القرآن لهذا التعريف، لا يعني أن الرجل اسمه: ذو الكفل، فلربها أراد القرآن أن يخلد ذكره لما قدمه من عمل صالح.

## A DES

## الشبهة السادسة والأربعون

## دعوى وقوع سيدنا يونس الطَّيِّةُ في المعصية برحيله عن قومه <sup>(\*)</sup>

#### مضمون الشبهة :

يزعم بعض المتوهمين أن يونس الكليلا ارتكب معضية حين رحل عن قومه بدون إذن من الله تعالى، ويستدلون على هذا بالآتي:

أن يونس العَيْلَ قد غاضب (١) ربه كما في قوله تعمال: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَهَبَ مُغَنَضِبًا ﴾ (الانبياء: ٨٧)،

١. غاضب: أغضب.

ومغاضبة الله من أعظم الذنوب.

- أن يونس الطّي قد شك في قدرة الله الله عليه كها
   قال: ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَقْدِر عَلَيْـهِ ﴾ (الانبياء: ٨٧).
- ٣. أنه اعترف بوقوع الظلم منه، كما حكاه الله تعالى عنه: ﴿ لَا إِلَنه إِلَا أَنتَ سُبْحَننَكَ إِنِي كُنتُ مِنَ الظَّيلِمِينَ ﴿ إِلَانِياءً)، والظلم ذنب كبير، والظالم ملعون، قال تعالى: ﴿ أَلَا لَعْنَهُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّيلِمِينَ ﴿ اللهِ عَلَى الظَّيلِمِينَ ﴿ اللهِ عَلَى الطَّيلِمِينَ اللهِ عَلَى الطَّيلِمِينَ اللهِ اللهِ عَلَى الطَّيلِمِينَ ﴿ اللهِ اللهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى الطَّيلِمِينَ اللهِ عَلَى الطَّيلِمِينَ اللهِ ا
- أن الله عاقبه بإلقائه في بطن الحوت، والعقوبة إنها تكون على ذنب اقترف، وإثم ارتُكب.
- أنه أتى ما يُلام عليه بنص قوله تعالى: ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿ السَافات (٢).

### وجوه إبطال الشبهة:

- المراد بالمغاضبة في الآية مغاضبته لقومه وليست لربه، وهي ليست معصية، وإنها هي من باب مخالفة الأولى؛ إذ الأولى أن يُصابر، وينتظر الإذن من الله في في المهاجرة عنهم.
- ٢) قوله ﷺ: ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقَدِرَ عَلَيْهِ ﴾ (الأنبياء: ٨٧)

<sup>(\*)</sup> عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، د. محمد أبـ و النور الحديدي، مرجع سابق.

٢. سَاهَم: ضربوا القُرْعة بينهم.

٣. مَكْظُوم: مملوء غمًّا.

ليس معناه العجز فلا يقدر عليه، وإنها المعنى: فظن أن لن نعاقبه بالتضييق عليه؛ إذ معنى نقدر هنا: نضيق وليس المعنى "القدرة".

٣) الظلم في قوله على لسان يونس العَلَىٰ: ﴿ إِنِّ كُنتُ مِنَ ٱلظَّلِمِينَ ﴿ الْأَنبِاء) ليس على ظاهره، وإنها هو بمعناه اللغوي: أي وضع الشيء في غير موضعه، فيونس العَلَىٰ قد اجتهد فأخطأ في الاجتهاد، ومن اجتهد فأخطأ فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله

الملامة كانت بسبب ترك الأولى، أو الخطأ في الاجتهاد، وليست للمعصية كما يزعمون.

ه) نَهْي الله لمحمد على عن التشبه بيونس التَّكِلاَ في تركه لقومه، إنها هو تذكير وحثٌ على ملازمة قومه، والصبر عليهم.

#### التفصيل:

أولا. المغاضبة في قوله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّ هَبَ مُغَاضِبًا ۞ ﴾ (الأنباء) كانت لقومه:

المغاضبة في قول الله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهُبَ مُعَكَضِبًا ﴾ (الأنبياء: ٨٧) كانت لقومه، فهم قد أغضبوه بإصرارهم على الكفر، وقد أغضبهم بمفارقته لهم، وهى ليست معصية، لعدة أسباب:

• إما لأن الغضب لم يكن منهيًّا عنه، فظن أنه جائز، حيث لم يكن إلا لله، ومن أجل دينه، قال الزمخشري: إن يونس بَرِمَ (١) بقومه، لطول ما ذكَّرهم، فلم يذكروا، وأقاموا على كفرهم فراغمهم، وظن أن

وإما لأن خروجه الله مغاضبًا لقومه من باب خالفة الأولى؛ إذ كان الأولى به أن يصبر، وينتظر الإذن من الله الله في المهاجرة عنهم (٢).

يقول الإمام ابن حزم في كتابه "الفصل في الملل والأهواء والنِحَل": فأما يونس العَيْلا فلم يغاضب ربه، ولم يقل الله على الله الكذب وزائدًا في القرآن ما الزيادة كان قائلًا على الله الكذب وزائدًا في القرآن ما ليس منه، وهذا ما لا يجوز، فإنها هو غاضب قومه، وكانت هذه المغاضبة لعلَّة، وهي أن قومه كذبوه، فلذلك كانت مغاضبته لهم واضحة المعنى، أما إذا قلنا بأنه قد غاضب ربه؛ فلا معنى لهذه المغاضبة، كما أن لنا أن نتساءل: لماذا يغاضب ربه؟ فكان الأرجح أن المغاضبة كانت للقوم؛ لأنه لا يليق بمؤمن أن يغاضب ربه، فها باللك بنبي اختاره الله، ورفع درجته!

ومغاضبته هذه لقومه لم تكن معصية؛ لأنه لم يقصد بها إلا مرضاة الله، وإن كان الله على قد عاتبه عليها بأن جعله في بطن الحوت، في كان ذلك إلا نظرًا لرفيع مقامه، فكان جزاء الله تعالى لنبيه يونس العليم بموجب التربية الخاصة لتزكية نفسه الطاهرة والسمو بها عن كل شائبة (٢)، وقد تضرّع العليم إلى ربه منيبًا معترفًا بخطئه، فقال العليم: ﴿ لا إِلَهُ إِلّا أَنْتَ سُبُحننك إِنِ كُنتُ مِنَ فقال العَليم المحرّدة والسمو من المحرّدة عن كل فقال العليم المحرّدة عنه المحرّدة الله المحرّدة الله المحرّدة الله المحرّدة المحرّدة المحرّدة المحرّدة المحرّدة المحرّدة المحرّدة الله المحرّدة اله المحرّدة الله المحرّدة المحرّدة الله المحرّدة الله المحرّدة الله المحرّدة المحرّدة الله المحرّدة الم

ذلك يسوغ؛ حيث لم يفعله إلا غـضبًا لله، وأنفـة لدينـه وبُغْضًا للكفر وأهله.

عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص٥٠٤، ٢٠٤.

٣. الشائبة: الشبهة.

١. بَرِم: ضَجَر وضاق.

الظَّلِلِمِينَ ﴿ اللهٰ ﴿ (الأنساء)، فاستجاب له ربه تعالى، وجعل دعاءه هذا مأثورًا لرفع الكرب إلى يوم القيامة.

ونقول: كيف يعصي يونس الطِّيِّلاً ربه ويغاضبه، ثـم يشهد الله عَظِنَّ بأنه اجتباه وجعله من الصالحين؛ تنبيها إلى عدم اتهامه بما يتنافي وهذه الشهادة العظيمة (١)، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿ الصَّانَاتِ)، وقال تعالى: ﴿ فَأَشْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَيَّنَكُ مِنَ ٱلْغَيِّ وَكَذَلِكَ بالخيرية حيث يقول ﷺ: "لا ينبغي لعبـد أن يقـول أنـا خير من يونس بن متى"(٢). وقال ﷺ: "ما ينبغي لنبي أن يقول: إني خير من يـونس بـن متـي"(٣). وقـال على: "ومن قال أنا خير من يونس بن متى فقـ د كـ ذب "(٤)، وهذا من تعظيم رسول الله لـشأن سيدنا يـونس التكيال، وثنائه عليه، فكيف يقول قائل بعد ذلك: إنه الطِّيَّاكُمْ قـد غاضب ربه، فلو كان مغاضبًا لله ﷺ كما يقولون، ما وصل لهذه الدرجة الرفيعة بين الأنبياء، وبين البشر جميعًا، وعند ربه ﷺ.

ثَّانِيًا. قوله تعالى حكاية عن يونس النَّهِ: ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقَدِرَ عَلَيْهِ ﴾ (الأنياء: ٨٧) يعني: أنه ظن أن الله لن يضيق عليه ويتعبه:

إن تفسير قوله تعالى: ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ بأن يونس السَّيُ قد ظن أن الله لن يقدر عليه، جهل باستعهالات اللغة؛ لأنه لا يمكن أن يطرأ على ذهن عاقل أن الله لا يقدر على شيء؛ لأنه سبحانه على كل شيء قدير، إذن معنى: ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾، أي: ظن أن الله لن يُضَيّق عليه ويتعبه، بل سيبعثه إلى قوم أكثر طاعة واستجابة، فالقرى كثيرة، والأقوام متعددون، ومادام هؤلاء يستعصون على الدعوة، فسيوجهه الله إلى قوم آخرين (٥).

ومما يؤكد ذلك أن رجلًا جاء لابن عباس - رضي الله عنها - وسأله: كيف يظن نبي الله يونس أن الله لن يقدر عليه؟ فقال ابن عباس - رضي الله عنها -: ليس هذا، ألم تقرأ قول الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ٱبْنَلَكُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ وَنَيْقُولُ رَبِي أَهَنَنِ (الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ٱبْنَلَكُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ

وقال الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية ﴿ فَظُنَّ أَن لَنَّقَدِرَ عَلَيْهِ ﴾ قيل: معناه: استزله إبليس ووقع في ظنه إمكان ألا يقدر الله عليه بمعاقبته، وهذا قول مردود مرغوب عنه؛ لأنه كفر، وقال عطاء وسعيد بن جبير وكثير من العلماء: معناه: فظن أن لن نضيق عليه، قال الحسن: هو من قوله ﴿ اللَّهُ يُنسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاهُ وَيَقَدِرُ ﴾ (الرعد: ٢٦)، أي: يضيق، وقوله: ﴿ لِينفِقَ ذُو

٥. قصص الأنبياء، محمد متولي الشعراوي، مرجع سابق، ص٧٤٧.

المصطفون الأخيار، الشيخ عطية صقر، مرجع سابق، ص١٠٩.

٢. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء باب قول الله ﷺ:
 ﴿ وَهَلَ أَتَنكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ عَالَى اللهِ اللهُ اللهِ ا

٣. صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، مسند أهل البيت، حمديث عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (١٧٥٧)، وأبو داود في سننه،
 كتاب السنة، باب في التخير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
 (٢٦٧٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٢١).

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب سورة النساء (٤٣٢٨)، وفي مواضع أخرى.

سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزُقُهُ، فَلَيْنفِقَ مِمَّا ءَالَنهُ اللَّهُ لَا يُكَافِّهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَعْدَ عُسْرِيسُنرًا ﴿ الطلاقِ).

وقيل: هو من القَدَر الذي هو القضاء والحكم، أي: فظن أن لن نقضي عليه بالعقوبة، قاله قتادة ومجاهد والفراء، وقيل: مأخوذ من القدر وهو الحكم دون القدرة، والاستطاعة.

وقريب من هذا ما قيل: من أن المعنى: فظن أن لن نقضي عليه بالعقوبة، فتفسر القدرة بالقضاء والتضييق الذي أصاب يونس، والمشقة الشديدة التي قدرها الله عليه هي التقام الحوت له، ولبثه فترة في بطنه.

روي عن ابن عباس: أنه دخل يومًا على معاوية بن أبي سفيان \_ رضي الله عنهم \_ فقال معاوية: لقد ضرَبَتْنِي أمواج القرآن البارحة، فغرقت فيها، فلم أجد لنفسي خلاصًا إلا بك، قال: وما هي يا معاوية? فقرأ الآية وقال: أو ظنَّ نبي الله ألا يقدر الله عليه؟ فقال ابن عباس \_ رضي الله عنهما \_: هذا من القدر لا من القدرة (١).

ثَالثًا. الظلم الذي نسبه يونس الله إلى نفسه لا يصحّ أخذه على ظاهره، وإنما هو بمعناه اللغوي، وهو وضع الشيء في غير موضعه مطلقا، فيشمل الذنب وغيره:

ويونس الكلاف فعل الخروج عن قومه بَدَل الصبر عليهم وتحمُّل أذاهم، وكان المناسب منه البقاء بين ظَهْرانَيْهم متحمِّلًا عَنتَهم (٢) وأذاهم؛ حتى يأذن الله له

في المهاجرة عنهم، إلا أنه تعجل الخروج، والذهاب عنهم ضيقًا وتبرمًا بعنتهم، وإصرارهم على الكفر، فهو إذن قد وضع الخروج عن قومه موضع البقاء بينهم. فكان ذلك وضع الشيء في غير موضعه، وهذا يحمل معنّى من معاني الظلم، ولذا أطلق عليه الظلم (٢).

## رابعًا. العقوبة والملامة كانت بسبب ترك الأُوْلى:

على التسليم بأن إلقاءه في البحر والتقام الحوت له كان عقوبة على خروجه عن قومه بغير إذن من الله، لقوله تعالى: ﴿ فَٱلْنَقَمَهُ ٱلحُوتُ وَهُو مُلِيمٌ ﴿ الصافات لقوله تعالى: ﴿ فَٱلْنَقَمَهُ ٱلحُوتُ وَهُو مُلِيمٌ ﴿ الصافات فإن هذه العقوبة، لم تكن على معصية كبيرة، أو صغيرة، وإنها كانت على ترك الأفضل، وهو البقاء مع قومه، فقد ظن يونس الطيخ أنه يجوز له أن يخرج عن قومه غضبا لله، وأنفة لدينه، ولكن لم يكن ظنه هذا صحيحًا، ولم يكن خروجه مناسبًا، وإنها كان البقاء معهم هو الأولى يكن خروجه مناسبًا، وإنها كان البقاء معهم هو الأولى والأنسب، والله عن يؤاخذ أنبياءه ورسله بها لا يؤاخذ به غيرهم؛ وذلك لعظم منزلتهم عنده، ولاصطفائه لهم ليكونوا قدوة لغيرهم.

كما أن الملامة في قول الله تعالى: ﴿ فَسَاهُمْ فَكَانَمِنَ المُدَحَضِينَ ﴿ الساناتُ (1) ، كانت بسبب تسرك الأُوْلَى، أو الخطأ في الاجتهاد، فليس بالضروري أن تكون الملامة على ذنب أو معصية، فالوالد مثلًا يلوم أحد أبنائه على عدم حصوله على المركز الأول أو الدرجة العظمى، وملامة الأب لابنه ليست على الرتكابه جُرمًا أو ذنبًا أو معصية، وإنها هي لترك الرتكابه جُرمًا أو ذنبًا أو معصية، وإنها هي لترك

۱. عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق،
 ص۷۰۶، ۲۰۸.

٢. العَنَت: المشقَّة.

٣. عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص٨٠٨.

٤. المُدْحَضِين: المغلوبين في القُرْعَة.

الأَوْلى والأفضل، وهذا لحب الأب لابنه وحرصه على ظهوره في أكمل صورة، وأحسن حال، ولله المثل الأعلى (١).

## خامسًا. نَهْي الله لنبيه ﷺ عن التشبه بيونس السَّلا في ترك ملازمة قومه وعدم الصبر عليهم:

وجه المولى على نبيه ورسوله الآيتشبه بسيدنا يونس الطّيّ في تركه لقومه، بل عليه أن يصبر، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَاصَرِّ لِمُكُرِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْمُوتِ إِذَ فَي قوله تعالى: ﴿ فَاصَرِّ لِمُكُرِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْمُوتِ إِذَ لَا نَدَى وَهُو مَكُمُومٌ مُكُمُومٌ الله الفروري أن يكون فاذا النهي بسبب معصية صدرت من يونس الطّي اذ لا شيء في أن ينبه ويوجّه الله تعالى أحد رسله لسلوك معين قد فات أحد الرسل من قبله.

إن الله يذكِّر نبيه على تجربة يونس الكلى، لتكون له زادًا ورصيدًا، وهو خاتم النبين، الذي سبقته تجارب النبين أجمعين في حقل الرسالة، ليكون هو صاحب الخصاد الأخير، فيعينه هذا على عبئه الثقيل الكبير، عبء هداية البشرية جميعها.

فالله يذكِّر نبيه بتجربة صاحب الحوت في موقف العنت والتكذيب، ويوجهه إلى الصبر على تكاليف الرسالة، والصبر على التواءات (٢) النفوس، والصبر على الأذى والتكذيب، والصبر حتى يحكم الله في الوقت المقدر كما يريد (٣).

#### الخلاصة:

أنبياء الله ورسله كلهم معصومون بها فيهم نبي الله يونس التَّكِينُ ؛ إذ لم يصدر عنه ذنب أو معصية للآتي:

- المغاضبة المدكورة في الآية مغاضبة لقومه وليست لربه؛ لأنهم قد أغضبوا يونس النالي بإصرارهم على الكفر، وقد أغضبهم بمفارقته لهم؛ لخوفه حلول العذاب بهم، وهي ليست معصية، وإنها هي من باب غالفة الأولى.
- الظلم في الآية: ﴿إِنِّ كُنتُ مِنَ ٱلظَّلِمِينَ الطَّلِمِينَ الظَّلِمِينَ الظَّلِمِينَ الظَّلِمِينَ الطَّلِمِينَ الطَّلِمِينَ الطَّلِمِينَ الطَّلِمِينَ الطَّلِمِينَ الطَّلِمِينَ الطَّينَ أَي وضع الشيء في غير موضعه؛ إذ كان اللغوي: أي وضع الشيء في غير موضعه؛ إذ كان المناسب منه الطَّينَ ألِا يترك قومه، وأن يصبر على أذاهم؛ حتى يأذن الله له بالخروج.
- إلقاؤه في البحر والتقام الحوت له لم يكن بسبب معصية، وإنها بسبب ترك الأولى، فالله على يؤاخذ أنبياءه ورسله بها لا يؤاخذ به غيرهم.
- الملامة كانت بسبب ترك الأولى، أو الخطأ
   في الاجتهاد، والخطأ في الاجتهاد ليس بذنب أو

عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق،
 ص٩٠٤.

٢. التواء: اعوجاج.

٣. في ظلال القرآن، سيّد قطب، مرجع سابق، ج٥، ص٠٢٧٠ بتصرف يسير.

معصية، فللمجتهد المصيب أجران، وللمجتهد المخطئ أجر.

• نهي الله تعالى لنبيه محمد على عن التشبه بنبيه يونس العلي كان في ترك ملازمة قومه، وعدم الصبر عليهم، ولا شيء في أن ينبه الله كال أحد أنبيائه إلى سلوك معين قد فات أحد أنبيائه من قبل.

## AND BUS

### الشبهة السابعة والأربعون

## دعوى اضطراب القرآن في مسألة نبذ يونس اليني بالعراء (\*)

#### مضمون الشبهة:

يدعي بعض المتوهمين وجود خلل واضطرابٍ في حديث القرآن عن نَبْذ (١) يونس النه بالعراء (٢)، وعدم وجود هذا الاضطراب في نصوص التوراة، مستدلين على ذلك بإقرار القرآن نبذه في قوله من : ﴿ فَبَدَدَنهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَسَقِيمٌ ﴿ وَالْصَانَاتَ ) (٢)، وعدم نبذه في قوله من : ﴿ وَهُوَمَدُمُومٌ وَلَا اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ

#### وجها إبطال الشبهة:

١) لم ينكر القرآن الكريم نبلذ يلونس الطِّيلا بالعراء

سقيًا، إنها أنكر نبذه بالعراء مذمومًا؛ وعليه فلا تعارض بين ما أثبته القرآن وما نفاه.

٢) ذكر القرآن هذه القضية في إيجاز محكم، بعكس
 ما ورد في التوراة من اضطراب في سرد تفاصيل القصة؛
 مما يجعلها أقرب ما تكون إلى كتب التاريخ والقصص.

#### التفصيل:

## أولا. ليس في القرآن الكريم اضطراب لا في قصة ذي النون النيخ ولا في غيرها:

الذي أثبته آية الصافات أن يونس المَلِينَ نُبذ بالعراء وهو في حالة من السقم والإعياء، بسبب مكثه في بطن الحوت فترة من الزمن. والذي تذكره سورة القلم: أن الله تداركه بنعمة من عنده، ولولا ذلك لنبذ مذمومًا؛ فالحكم ليس واقعًا على النبذ، ولكنه يقع على نبذه مذمومًا. إن الله على لم يذمه؛ فينبذه مذمومًا، بل نبذه معافى كريمًا، وتلقته عناية الله، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنْبَتَنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِن يَقطِينِ الله الله الله المحالة بكامل توابعها كما لو تمَّ تضمين المنطقي يقع على الجملة بكامل توابعها كما لو تمَّ تضمين صفة مع موصوفها، أو معطوف مع معطوف عليه، وهنا لحق بجملة نبذناه الأولى، ونبذ الثانية جملة حالية، فتدخل كل منهما في الحكم.

يقول الزمخشري في تفسير آية القلم: ﴿ لَوْلَا أَن تَدَرَكُهُ نِعْمَةُ مِن رَّيِهِ النَّهِ اَلْعَرَاءَ وَهُوَمَذْمُومٌ ﴿ النَّلَمِ ): وقد اعتُمِد في جواب لولا على الحال؛ أعني قوله: "وهو مذموم" يعني أن حاله كانت على خلاف الذم حين نبذ بالعراء، ولولا توبته لكان حاله على الذم، ولذا قال تعالى

<sup>(\*)</sup> عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق. ١. النَّنْذ: الالقاء.

٢. العَراء: المكان الخالي.

٣. سقيم: ضعيف.

٤. اليَقْطِين: شجرة القَرْع.

بعدهما: ﴿ فَأَجْنَبُهُ رَبُهُ وَجَعَلَهُ وَمِنَ الصَّلِحِينَ ﴿ وَ القلم ( ) . وإذا عرضنا تفسير الآيتين نعرف أنه لا تعارض ففي الآية الأولى يقول الله تعالى: ﴿ فَنَبَذْنَهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ فَفي الآية الأولى يقول الله تعالى: ﴿ فَنَبَذْنَهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُو سَقِيمٌ ﴿ وَ الصافات ) ، روي أن الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل. وقال ابن قسيط عن أبي هريرة على طرح يونس بالعراء، وأنبت الله عليه يقطين، وفي الآية من سورة القلم يقول الله تعالى: ﴿ لَوَلا آن تَذَرَكُهُ نِعْمَةُ مُن رَبِّهِ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ وَهُو مَذْمُومٌ ﴿ وَ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ الله

وورد في تفسير الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَذْمُومٌ اللهِ الله المقصود امتناع نبذه مذمومًا، وإلا فقد وقع النبذ عليه سقيمًا؛ فدل على أن حاله كانت على خلاف الذم.

ثانيًا. ذكر القرآن هذه القضية في إيجاز محكم بعكس ما ورد في التوراة من اضطراب في سرد تفاصيل القصة ؛ مما يجعلها أقرب ما تكون إلى كتب التاريخ والقصص:

إن القصة القرآنية إعجاز رائع من ناحية الجودة والأهمية، وهي وسيلة هامة ومؤثرة من الوسائل القرآنية الكثيرة التي تحقق الأغراض الدينية، وتبرز الأصول والرواسخ في العقيدة الإسلامية والتي احتواها القرآن الكريم؛ بحكم كونه الدستور الخالد الذي ينظم حركة الحياة للإنسان في الدنيا والآخرة.

والقرآن الكريم كتاب دعوة إلى الله، وإلى الوحدانية، وإلى الحق.. في المقام الأول، ولما كان هـزُّ الوجـدان

وإثارة العاطفة وربطها بالشعور الديني الفياض الذي هو فطرة عميقة في النفس البشرية أمرًا مطلوبًا... فإن القصة تصبح في هذا المجال عاملًا مثيرًا ومؤثرًا في نفس الوقت، وتصبح وسيطًا تربويًّا رائعًا للتأثير في الذات، وفي تطهير النفس من المشاعر الدخيلة على الفطرة البشرية، ولقد اهتمت القصة القرآنية بإبراز عنصر الأحداث في مجال الدعوة بطريقة لا تستطيع أن تجدها في الكتب السهاوية السابقة قبل التحريف، كالتوراة مثلًا "".

إن القصة القرآنية لها طبيعتها الخاصة وبناؤها المتميز، وما وصلت القصة القرآنية لما وصلت إليه من رقي وبلاغة، وتميز وبراعة في التأثير الوجداني الفعّال إلا بطرائق فنية وجمالية خاصة بها.. وذلك عبر طريقة فذّة في العرض والسرد، ذلك العرض القصصي القائم على قانون الانتخاب في اختيار الجزء من القصة الذي يتلاءم والسياق القرآني في الموضع الذي وردت فيه، والغرض الديني العام، ومن ثمّ يتلاءم أسلوب العرض القرآني مع انتقاء الحدث المسرود، فينحّى تمامًا كل ما لا يمت للحدث بصلة، وما لا يتلاءم مع الهدف الديني، وجوهر ويخلص إلى التركيز على محور الشخصية، وجوهر الدعوة، وردود الأفعال (٣).

وللقرآن أسلوب في طريقة عرض القصة كما قررنا، لكنًا إذا توجهنا إلى نصوص التوراة فسنجد أنها تشبه إلى حدِّ بعيد كتب التاريخ والقصص التي كانت تؤلف

٢. القصة في القرآن، محمد قطب، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠١م،
 ص ٧٩: ٨٣ بتصرف يسير.

٣. المرجع السابق، ص١١١ : ١١١ بتصرف.

١. تفسير الكشاف، الزمخشري، مرجع سابق، ج٤، ص١٤٨.

وعلى الرغم من تحريف التوراة؛ الذي نتج عنه اضطراب الكتاب المقدس، فإننا سنقف على بعض ما ورد في القرآن، ولك أنت أن تحكم أي الكتابين أحكم وأيها فيه اضطراب، وأيها خالٍ منه.

تجد في التوراة أن يونس الكلي يسمى "يونان بن أمتاي"، على حين يقرر القرآن أن اسمه "يونان بن أمتاي"، على حين يقرر القرآن أن اسمه "يونس" في وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ السَّ (الصانات)، وأن "ذا النون" لقب له وليس اسها، وأنا أسألك أيها أدق وأحكم القرآن أم التوراة؟

تقرر التوراة أن الله كلَّف يونس الطَّخِلاً بالرسالة وأمره بالذهاب إلى أهل نينوي؛ فهرب إلى يافا وركب سفينة تتجه إلى ترشيش يونان: "قم اذهب إلى نينوي المدينة العظيمة وناد عليها لأنه قد صعد شرهم أمامي. فقام يونان ليهرب إلى ترشيش من وجه الرب، فنزل إلى يافا ووجد سفينة ذاهبة إلى ترشيش، فدفع أجرتها ونزل فيها ليذهب معهم إلى ترشيش من وجه الرب". فيها ليذهب معهم إلى ترشيش من وجه الرب". (يونان 1: ٢، ٣)، وربها يسأل سائل وهذا من حقه لاذا هرب يونس المنتخل إلى ترشيش؟ وهل يصح منه لاذا هرب يونس المنتخل إلى ترشيش؟ وهل يصح منه وهو نبى أن يكلفه الله ويشر فه بالرسالة ويفر؟! وإن

كان الأمر كذلك فبها فضله على العديد من البشر ولم اصفاه الله؟ وهل اصطفاه على علم؟

كن واثقًا من أنك لن تجد لأسئلتك أي إجابة، وفي ذلك يقول العلامة الألوسي: "زعم اليهود أن الله أمر يونس الكلي أن يذهب إلى أهل نينوي وينذر أهلها، فهرب إلى ترشيش من ذلك، وانحدر إلى يافا، ونزل في السفينة فعظمت الأمواج، وأشرفت السفينة على الغرق... ولا يخفى أن مثل هذا الهرب مما يجل عنه الأنبياء عليهم السلام واليهود قوم بُهت"(١).

إن جماهير علماء التفسير عند المسلمين يقررون أن يونس التَّكِيلاً كُلِّف، وذهب فبلغ ما أمر به، إلا أن قومه لم يستجيبوا له وأمعنوا في العناد ففارقهم، لذا فإن معاقبته إنها كانت لأنه لم ينتظر أمر الله بمفارقتهم.

تقرر التوراة أن يونس الطّيّة قد هرب مرتين "يونان"، مرة حين هرب إلى ترشيش، والأخرى حين هرب من المدينة بعد مواعدته لقومه بنزول العذاب، حيث اتخذ لنفسه كَنَّا (٢٠) يكون فيه.

ونحن نسألهم إذا كان الله قد عاقب يونس الكيالة عندما فرَّ في المرة الأولى فلم لم يعاقبه حين فرَّ مرة أخرى؟ أيعاقبه إذا أخطأ ولا يعاقبه على تكرار الخطأ؟! ولماذا فرَّ يونس الكيلا دون أن يأذن الله له؟ وهل يجوز أن يتصرف نبي في أمر كهذا من تلقاء نفسه دون انتظار لأمر الله؟ وهل يقع يونس الكيلا في الخطأ مرتين؟!

إن القرآن لم يذكر أنه هرب إلا مرةً واحدة، فأيها

<sup>1.</sup> قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، مرجع سابق، ص٤٢١، ٤٢٢.

٢. الكَنُّ: المكان الذي يُسْتَتر فيه.

أصدق وأيها أعقل وأحكم؟

تذكر التوراة أن إنبات الله شجرة من يقطين على يونس الكيلا، كان بعد خروجه من المدينة في المرة الأخيرة: "وخرج يونان من المدينة وجلس شرقي المدينة، وصنع لنفسه هناك مظلّة، وجلس تحتها في المدينة، فأعد الرب الإله الظل، حتى يرى ماذا يحدث في المدينة. فأعد الرب الإله يقطينة فارتفعت فوق يونان لتكون ظلًا على رأسه، لكي يخلصه من غمه. ففرح يونان من أجل اليقطينة فرحًا عظيمًا". (يونان ٣: ٥، ٦)، في حين يذكر القرآن أن ذلك كان فور خروجه من بطن الحوت إلى الشاطئ؛ لحاجته إلى شيء يظلله من الشمس؛ لظهوره المباشر تحت أشعتها بعد أيام قضاها في الظلمات، كما أنه خرج سقيمًا لا يستطيع أن يتحمل الشمس، فأنبت الله عليه يقطئة تظلله رحمة منه فيها.

وقد يسأل سائل: لماذا أنبت الله يقطينة على يونس حين هرب للمدينة، ولم يكن في حاجة إليها، ولم ينبتها عليه حين خرج من بطن الحوت وهو في حاجةٍ لها؟

إن إنبات يقطينة عليه إثر خروجه على حد تعبير القرآن فيه من البلاغة الكثير، حيث يفيد السياق القرآني أن الخروج كان نهارًا والشمس ساطعة، على حين لم تحدد التوراة وقت الخروج ليلًا كان أم نهارًا.

تقرر التوراة أن الله ندم على السرِّ الذي أخبر أنه سيصنعه بقوم يونس الكِينَّ فلم يصنعه: "فلم الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة، ندم الله على الشر الذي تكلَّم أن يصنعه بهم، فلم يصنعه". (يونان ٣: ١٠)، على حين يقرر القرآن أن الله قدر مقادير الكون قبل أن يخلق الخلق ودون ذلك في اللوح

التوراة إذن تطعن في الله وفي نبيه في سفر واحد، ويفوتها أن تذكر الكثير الذي ذكره القرآن ولم يرد فيها مثل قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَأَرْسَلَنَهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ مَيْلِكُ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ الله تبارك (الصافات).

فأنت تجد في التوراة أن يونس الكلية فرَّ مرتين لماذا؟ وإذا كان هذا هو شأن الأنبياء عدم الاستجابة لأوامر الله عنا شأن باقي البشر، وماذا أن تتوقع منهم غير التكذيب والعصيان، أليس هذا تناقضًا؟ كيف يصح إثبات الإلوهية لله ثم يتم وصفه بالنقص الذي يتنزه عنه البشر؟

يمكنك أن تسأل كثيرًا، كما يمكنني أن أخبرك بأنك لن تجد جوابًا؛ لأن العقيدة اليهودية محرَّف؛ وبالتالي فهو المقدس \_ مصدر هذه العقيدة \_ محرَّف؛ وبالتالي فهو

مليء بالتناقض والاضطراب، الذي يستطيع أي باحثٍ موضوعي أن يقرره فور قراءته لسفرٍ واحدٍ من أسفار الكتاب المقدس.

#### الخلاصة:

- القرآن محكم بعيد كل البعد عن التعارض والتناقض والاضطراب، ومسألة نبذيونس الكي بالعراء في غاية الإحكام؛ إذ يقول في: ﴿ فَبَدّنَهُ وَالْعَرَاءِ وَهُوَسَقِيمٌ ﴿ فَاللَّهُ السامانات ). وهذا معناه أنه نبذ بالعراء سقيمًا، ولم ينبذ بالعراء مذمومًا، حيث قال في: ﴿ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿ السَامَانُ وَهُو مَذْمُومٌ ﴾ (القلم)، فهل هناك تعارض في هذا الكلام؟!
- بالمقارنة بين ما ورد في العهد القديم من ذكر لقصة النبي يونان بن أمتاي، وذلك في كتاب يونان (1- ٤) وبين ما ذكره القرآن من إيجاز محكم في مسألة نبذ يونس الطبيخ بالعراء \_ يثبت عظم إحكام القرآن وبعده كل البعد عن التعارض والتناقض.

## AGE:

### الشبهة الثامنة والأربعون

## ادِّعاء أن القرآن أخطأ في إخباره أن من عثر على موسى العَيْلُ هي امرأة فرعون (\*)

#### مضمون الشبهة :

يدًّعي بعض المتوهمين أن القرآن الكريم أخطأ في إخباره أن من عشر على موسى الكِلِين \_ بعد أن

#### وجها إبطال الشبهة:

الم ينص القرآن الكريم على أن من عشر على موسى الكياة هي امرأة فرعون، ولكنه نص على أن من التقطه هم آل فرعون بصفة عامة.

٢) نحن لا نحتكم إلى ما ورد في الكتاب المقدس
 للحكم بصدق ما جاء به القرآن، فالكتاب المقدس
 تناولته الأيدي البشرية، وهو بصورته الحالية محل
 لانتقادات وتناقضات كثيرة.

#### التفصيل:

أولا. لم ينص القرآن الكريم على أن من عثر على موسى النفية هي امِرأة فرعون، ولكنه نص على أن من التقطه آل فرعون بصفة عامة:

اختلف المفسرون في أول من عثر على التابوت الذي وضع فيه موسى الني صغيرًا، فمنهم من ذهب إلى "أن الجواري التقطته من البحر في تابوت مغلق عليه، فلم يتجاسَرْنَ (١) على فتحه، حتى وضعنه بين يدي امرأة فرعون آسية بنت مزاحم، فلما رأته ووقع نظرها عليه أحبته حبًّا شديدًا، فلما جاء فرعون قال: ما هذا؟ وأمر بذبحه، فاستوهبته منه، ودفعت عنه وقالت: ﴿ فُرْتُ لَهُ اللّهِ عَلَمُ اللّهِ عَلَمُ وقالت: ﴿ فُرْتُ لَهُ اللّهِ عَلَمُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ عَلَمُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهُ

١. يتجاسَرْ نَ: يَتَجَرَّ أُنَ.

<sup>(\*)</sup> موقع المتنصرين. www.mutenessrin.com

عَيْنِ لِّى وَلَكَ ﴾ (القصص: ٩) (١) ، فقال لها: أمَّالك فنعم، وأمَّالى فلا" (٢).

"ويروى أن آسية امرأة فرعون رأت التابوت يعوم في البحر، فأمرت بسوقه إليها وفتحه، فرأت فيه صبيًا صغيرًا فرحمته وأحبته، فقالت لفرعون: ﴿ قُرْتُ عَيِّنِ لِى صغيرًا فرحمته وأحبته، فقالت لفرعون: ﴿ قُرْتُ عَيِّنِ لِى وَلَكَ ﴾ (٦) وذهب فريق ثالث إلى أن حرس القصر الفرعوني رأوا صندوقًا يمر على سطح النيل من جهة القصر، فحملوه إلى فرعون، ولما فُتح الصندوق رأى فرعون بداخله غلامًا فأمر بقتله، واعترضت امرأته، فرعون بداخله غلامًا فأمر بقتله، واعترضت امرأته، عندما رأت وجهه يتلألأ نورًا، وألقى الله عليه محبة منه الله الله عليه عبة

وكل هذه آراء اجتهادية لا تستند إلى دليل واضح، أما الحقيقة الواضحة فإن القرآن لم يذكر اسم أول من عثر على تابوت موسى الكلا؛ حيث إن قوله: ﴿ وَالْ وَرْعَوْنَ ﴾ قابل لأن يفسر بامرأة فرعون، أو ابنة فرعون أو جواريه أو غيرهن من "آل فرعون" أو اشترك في التقاطه وتداوله أكثر من واحد، فهذا يأخذه من "اليم" وآخر يحمله منه، وثالث يتلهف على هذه المفاجأة فيحمله ناظرًا إليه، وهذا ما يفهم من الآية الكريمة، ويصور هذا الحدث المفاجئ أصدق تصوير "فالتقطه آل فرعون" وليس واحدًا

منهم بعينه.

## ثانيًا. نحن لا نحتكم إلى ما ورد في الكتاب المقدس للحكم بصدق ما جاء به القرآن، فالكتاب المقدس بصورته الحالية محل لانتقادات وتناقضات كثيرة:

لقد صدق القرآن الكريم في كل ما أخبر به؛ لأنه تنزيل رب العالمين، ومن الأمثلة الدالة على صدق القرآن فيها يخبر، إخباره بغلبة الروم على الفرس يقول القرآن فيها يخبر، إخباره بغلبة الروم على الفرس يقول تعالى: ﴿ الْمَدَ اللَّهُ عُلِبَتِ الرُّومُ اللهُ فِي الْذَيْنَ الْأَرْضِ وَهُم مِنْ بَعْدِ غَلِيهِم سَيَغْلِبُون اللهُ فِي فِي يِضْع سِنِين ﴾ (الروم) يقول القرطبي: "وكان في هذا الإخبار دليل على نبوة محمد الله الأن الروم غلبتها فارس، فأخبر الله الله النبيه محمدًا الله الروم ستغلب فارس في بضع سنين... فكان هذا من علم الغيب الذي أخبر الله الله علم يكن علموه" (٥).

والأمثلة على ذلك كثيرة مما أخبر به القرآن ووقع بالفعل، كإخباره بحفظ القرآن من التحريف وظهور الإسلام على سائر الأديان، وموت أبي لهب والوليد بن المغيرة على الكفر، وغيرها مما حدث بالفعل.

وكذلك أخبر القرآن الكريم عن إثبات حركة الشمس بقوله تعالى: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجُوى لِمُسْتَقَرِّلَهَا الشّمس بقوله تعالى: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجُوى لِمُسْتَقَرِّلَهَا الشّمس تعلى اللّه على أن الشمس متحركة وليست ثابتة، وهي تجري لمستقر لها وفق ناموس (٢) إلهي ثابت، وهذا ما انتهى إليه البحث العلمي مؤخرًا، مع العلم بأن العلماء إلى وقت قريب

١. قُرَّة عين: سببًا للسرور والسعادة.

قصص الأنبياء، ابن كثير، مرجع سابق، ص٢٢٤، ٢٥٥ تتصرف يسر.

٣. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ج٩، ص٢٥٣.

مدرسة الأنبياء: عبر وأضواء، محمد بسام رشدي، مرجع سابق، ص١٨٥ بتصرف يسير.

٥. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ج١٤،
 ص٥.

٦. النَّاموس: القانون الثابت.

بيان الإسلام: الرد على الافتراءات والشبهات

كانوا يعتقدون أنها ثابته (١).

وأمثلة الاكتشافات العلمية الحديثة التي أشار إليها القرآن الكريم كثيرة ومتعددة مثل حركة الشمس وشكلها، وعملية تكوّن السحب، وحفظ توازن الأرض بالجبال، وانتشار الزوجية من كل شيء.

أما إذا ذهبنا إلى التوراة فإننا نجد كلماتها مشكوكًا فيها، والدليل على ذلك: أن اسم الرجل في موضع يأتي من موضع آخر باسم آخر، وكذلك المرأة وهذا يتكـرر كثيرًا، فإسماعيل التَلِيُّكُمْ كانت له ابنة اسمها محلث، وتزوجت العيس بن إسحاق الكيلة كما جاء في سفر التكوين: "فذهب عِيْسُو إلى إسهاعيل ،وأخذ محلة بنت إساعيل بن إبراهيم، أخت نبايوت، زوجة له على نسائه". (التكوين٢٨: ٩)، وفي ترجمة لبنان "محلة"، وفي ترجمة البروتستانت "بسمة" كما جاء في سفر التكوين أيضًا: "وبسمة بنت إسهاعيل أخت نبايوت". (التكوين ٣: ٣٦)، والـشيخ الكبـير في أرض مـدين مختلف في اسمه، ففي الخروج "رعوئيل": "فلما أتين إلى رعوئيـل أبيهن قـال: مـا بـالكن أسرعـتن في المجـيء اليوم". (الخروج٢: ١٨)، وفي موضع آخر من سفر الخروج "يثرون": "فمضى موسى ورجع إلى يشرون حميه، وقال له: أنا أذهب وأرجع إلى إخوي الذين في مصر لأرى هل هم بعد أحياء. فقال يشرون لموسى: اذهب بسلام". (الخروج ١٨: ٤) (٢).

والأمثلة على ذلك كثيرة لا تحصى مما تناقضت فيه التوراة.

وبناء على هذا فإن القرآن الكريم حجة فيها يذكر؟ لأنه كلام الله ظن الذي لم ولن تمتد إليه يد البشر، قديمًا ولا حديثًا، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿وَعَدَ اللّهِ حَقًا وَمَنَ أَصَدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلًا ﴿ النساء )، ﴿ وَمَنْ أَصَدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثًا ﴿ النساء ).

أما ما ورد في الكتاب المقدس فهو محل انتقادات كثيرة لما فيه من تناقضات وأباطيل مخالفة للتاريخ والعلم والعقل، فلا يصح أن نُحكِّم الكتاب المقدس الظني المحرَّف في القرآن الكريم القطعي المعصوم من التحريف.

#### الخلاصة:

- لم ينص القرآن الكريم على أن من عثر على موسى العلي المرأة فرعون، ولكنه نص على أن من التقطه آل فرعون بصفة عامة، وهنا يمكن أن يُفسر بامرأة فرعون، أو ابنته، أو جواريه، أو غيرهن.
- ما ورد في الكتاب المقدس محل انتقادات كثيرة، وذلك لما ورد فيه من أباطيل وتناقضات مع التاريخ والعقل والعلم، فلا يصح أن نُحكِّمَ الظني ـ الكتاب المقدس \_ في القطعي ـ القرآن الكريم ـ الذي هو الصدق كل الصدق، فهو كلام الله تبارك وتعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.



الأدلة على صدق النبوة المحمدية ورد الشبهات عنها، هدى عبد الكريم مرعي، دار الفرقان، الأردن، ١٤١١هـ/ ١٩٩١، ص٢١٦٨.

حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، د. محمود حمدي زقزوق، مرجع سابق، ص٤٩٧ بتصرف.

### الشبهة التاسعة والأربعون

## ادِّعاء أن موسى النَّكِيِّ قتل قبطيًّا لمجرد أن رجلاً من شيعته استنصر به عليه (\*)

#### مضمون الشبهة:

#### وجها إبطال الشبهة:

القبطي كان ظالمًا معتديًا على الإسرائيلي، فتدخل موسى التَّلِيُّ دفعًا للظلم عن المظلوم لا أكثر.

٢) ما وقع من موسى الكَنْ كان قبل النبوة، فلا يطعن به في عصمته باعتباره نبيًا من أنبياء الله.

#### التفصيل:

قبل الإجابة عن الشبهة نبين معنى الـوكز، والـدافع إليه، ومعنى الآيتين:

معنى الوكز: الضرب بالكف مضمومة أصابعها. وقيل: الوكز: الدفع بأطراف الأصابع. وفي

القاموس: الوكز: الدفع، والطعن والضرب بمجمع الكف، وعلى هذا فالوكز ليس من باب الضرب المؤثّر قتلًا وإهلاكًا، ومن يريد أن يقتل فإنه لا يكتفي بالوكز سبيلًا موصلًا إليه، وإنها يستخدم وسائل الضرب الأخرى، وأدواته المؤثرة مما يحقق القتل.

الدافع إلى الوكز: هو دفع ظلم هذا الذي من عدوه، فهو - كما قيل - كان يريد تسخير الإسرائيلي في حمل الحطب إلى مطبخ فرعون، وصنيع فرعون وقومه مع بني إسرائيل كان يتمثل فيه الظلم الصارخ لهم، فقد كان فرعون يستضعف بني إسرائيل، فيذبح أبناءهم، ويستحيي نساءهم كما حكى القرآن الكريم: ﴿إِنَّ فِيعَنَى مَعْلَى اللَّهِ الْمُلَهَا شِيعًا يَسْتَضْعِفُ فَرَعُونَ عَلَا فِي ٱلأَرْضِ وَجَعَكَلَ أَهْلَهَا شِيعًا يَسْتَضْعِفُ طَابَهِ فَهُ مِّ يُذَيِّحُ أَبْنَاءَ هُمَّ وَيَسْتَخِي مِنسَاءَهُمُ إِنَّهُ كَان مِن
 المُفسيدين ﴿ القصص).

## أولا. القبطي كان معتديًا على الإسرائيلي، فتدخل موسى السلاد دفعًا للظلم عن المظلوم لا أكثر:

لما شب موسى وعقل أخذ يتكلم بالحق، وينكر على فرعون أعماله فأخافوه من فرعون، فكان لا يدخل المدينة إلا وأهلها في غفلة، وذات مرة وجد رجلين يقتتلان أحدهما من بني إسرائيل، والآخر من القبط، فطلب الإسرائيلي من موسى غوثه ونصره على القبطي الذي يظلمه، ويكلّفه حل الحطب إلى مطبخ فرعون، فحاول موسى الملك كفّ القبطي عن عدوانه، لكنه عادى وقال لموسى الملك : لقد هممت أن أحمله - أي الحطب \_ عليك، فاشتد غضب موسنى الملك فوكز

ر الحديدي، مرجع سابق. ٢. عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص٣٣٧.

<sup>(\*)</sup> عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق. ١. الشِّيعة: الأتباع.

القبطي ـ الذي تعدى أولًا على الإسرائيلي، وأغضب موسى الطّيّلا ثانيًا \_ فوكزه موسى الطّيّلا فقتله، فندم موسى الطّيّلا وتضرع إلى الله، ليغفر له ذنبه إنه هو الغفور الرحيم.

إذن رأى موسى الناه نفسه إزاء معتد لا يرعوي ولا يكف عن ظلمه، فرأى أن الوكز وسيلة مناسبة لدفعه، ذلك لأنه رجل لا تنفع معه النصيحة، ولا تردعه الملامة، ولا يكفه اللين ولا يجدي معه. والوكز كما أسلفنا ليس من باب الضرب المؤثر قتلًا وإهلاكًا، ومن يريد أن يقتل إنسانًا، فإنه لا يكتفي بالوكز سبيلًا موصلًا إليه، وإنها يستخدم من وسائل الضرب الأخرى، وأدواته المؤثرة ما يحقق القتل. فها ترتب على الوكز من القتل غير مقصود، إنها المقصود دفع ظلم الوكز من القتل غير مقصود، إنها المقصود دفع ظلم أقل منها، ولا تؤدي في أصلها إلى القتل الحاصل بغير أقل منها، ولا تؤدي في أصلها إلى القتل الحاصل بغير أقصد من تزيين الشيطان الذي هو عدو ظاهر العداوة قصد من تزيين الشيطان الذي هو عدو ظاهر العداوة والإضلال، ثم تضرع موسى إلى الله المناطأل المغفرة زلته، فغفرها الله له، فإنه هو الغفور الرحيم.

## ثانيًا. ما وقع من موسى النَّيْلا كان قبل النبوة، فلا يطعن به على عصمته النَّيْلا باعتباره نبيًا من أنبياء الله:

يدل سياق الآيات على أن هذه الفعلة كانت قبل فرار موسى الطّيّلا من مصر، وهجرته إلى مدين، تلك الهجرة التي تم فيها التعرف بشيخها الكبير، في أعقاب سقايته لبنتيه، ثم اتفاقها على أن يعمل موسى الطيّلا أجيرًا عنده ثماني حجج أو عشرًا صداقًا لإحدى ابنتيه،

وأتم موسى النه الأجل ورحل بزوجه، فإذا بالنداء من شاطئ وادي الطور الأيمن في البقعة المباركة من قبل الله على يحمله الرسالة، ويكلفه بدعوة فرعون وملئه إليه على، فيذكر موسى النه أنه قتل منهم نفسًا، ويخشى أن يقتلوه به، فيؤمنه الله ويطمئنه بأنهم لن يقتلوه.

وعلى ذلك فإن ما وقع من موسى من الوكز الذي لا يقتل غالبًا، والذي كان لدفع الظلم والعدوان، فترتب عليه القتل خطأ قد وقع قبل النبوة فلا يُطعن به على موسى سواء كان خلاف الأولى أو معصية صغيرة.

وأما وصفه نفسه بالكفر والضلال في فعلته هذه في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكَ اللَّي فَعَلْتَكَ اللَّهِ فَعَلْتَكَ اللَّهِ فَعَلْتَكَ اللَّهِ مَالِكُ وَتَعَالَى: ﴿ وَفَعَلْتَكَ اللَّهِ فَعَلَنُهُمْ آ إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِينَ وَأَنتَ مِنَ الضَّالِينَ ﴿ وَأَنتَ مِنَ الْكَيْفِينِ ﴾ (الشعراء). فإن معنى: ﴿ وَأَنتَ مِنَ الْكَيْفِينِ اللَّهُ الللَّالَةُ اللَّهُ اللَّاللَّالَا الللللَّا اللَّلْمُ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الل

(الشعراء) أي الذاهلين عن أن الوكزة تأتي على النفس، أو

١. المرجع السابق، ص٣٣٨، ٣٣٩.

أن المدافعة تفضي إلى القتل، وقد يوصف الذاهل عن الشيء بأنه ضال عنه، أو من المخطئين، أي لم أتعمد القتل. ومع أن الوكز ليس ذنبًا إلا أن موسى المناه استعظمه نظرًا لعلو شأنه فاستغفر منه، واعتذر به في مقام الشفاعة يوم القيامة.

قال القرطبي: لم يزل التَّكِينَ يعد ذلك على نفسه مع علمه بأنه قد غفر له حتى إنه في القيامة يقول: "إني قد قتلت نفسًا لم أؤمر بقتلها"(١). وإنها عدَّه على نفسه ذنبًا من أجل أنه لا ينبغي لنبي أن يقتل حتى يؤمر، وأيضًا: فإن الأنبياء يشفقون مما لا يشفق منه غيرهم (٢).

#### الخلاصة:

- القبطي كان ظالمًا معتديًا على الإسرائيلي، فتدخل موسى العَيْلِيّة دفعًا للظلم عن المظلوم لا أكثر. فلم تنفع معه النصيحة، ولم تردعه الملامة، ولم يكفه اللين، فارتأى موسى إزاء معتد لا يرعوي ولا يكف عن ظلمه أن الوكز وسيلة مناسبة لدفعه. فَقَتَلَ القبطي بالوكزة دون قصد، ولا عَمْد، وندم على تلك الزلة، فغفرها الله له، فإنه هو الغفور الرحيم.
- ما وقع من موسى الكيلا كان قبل النبوة، بدليل سياق الآيات التي وردت فيه الآية "ودخل المدينة..."، فلا يُطْعَنُ بهذه الزلة في عصمته الكلا باعتباره نبيًا من أنبياء الله.

## ades.

### الشبهة الخمسون

### إنكار استنجار الرجل الصالح لموسى الطيع (\*)

#### مضمون الشبهة:

ينكر بعض المتوهمين استئجار (٣) الرجل الصالح لموسى الطَّيُّ صداقًا لزواجه من ابنته وذلك في قوله الله الموسى الطَّيِّ صداقًا لزواجه من ابنته وذلك في قوله الله الموسى أن أُريدُ أَنَّ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَى هَنتَيْنِ عَلَىٰ أَن اللهُ وَمَا تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَجٌ فَإِنْ أَتَّمَت عَشْرًا فَمِنْ عِندِكً وَمَا أَرْبِيدُ أَنْ أَشُقَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِت إِن شَاءَ اللهُ مِن الصَّكِلِحِينَ الله (القصص) (٤). ويزعمون أن هذا يخالف ما ورد في التوراة.

#### وجه إبطال الشبهة:

ما جاء في التوراة من أن الذي خدم حماه كصداق لامرأته هو يعقوب التي لا يخالف ما جاء في القرآن الكريم عن موسى التي الكنه يدل على أنها كانت شريعة مُتَّبعة في تلك العصور.

#### التفصيل:

## ما جاء في القرآن لا يخالف ما جاء في التوراة، ولكن يدل على أنها كانت شريعة متبعة.

لقد أخبر الله على في كتابه العزيز أن المدة التي قضاها موسى في خدمة الشيخ الكبير كانت مقابل أن يُنكحه إحدى ابنتيه كمهر لها، وقد جمع الرجل بين غايتين وهو يعرض على موسى أن يزوّجه إحدى ابنتيه مقابل أن

ا أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب سورة بني إسرائيل (٢٤٣٥)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه،
 كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٥٠١).

عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص٣٣٩، ٣٤٠.

<sup>(\*)</sup> هل القرآن معصوم؟ موقع إسلاميات.

www.islmeyat.com

٣. استئجار: أن يكون إنسان أجيرًا عند إنسان.

٤. الحِجَج: جمع حِجَّة، وهي السنة.

يخدم ويرعى ماشيته ثماني سنوات، فإن زادها إلى عشر فهو تفضّل منه لا يُلْزَم به، حيث أحس من نفس الفتاة ونفس موسى ثقة متبادلة، وميلًا فطريًّا سليمًا صالحًا لبناء أسرة، يقول على: ﴿ قَالَ إِنِّ أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى أَبْنَى هَنَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرُفِي ثَمَنِي حِجَيجٌ فَإِنْ أَتَمَمْت عَشَرًا فَمِنْ عِندِكٌ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَ عَلَيْكُ سَتَجِدُفِت إِن فَمِنْ عِندِكٌ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَ عَلَيْكُ سَتَجِدُفِت إِن شَكَة اللهُ مِن القصص).

وهكذا صنع الشيخ الكبير ـ صاحب موسى الكليلا فعرض على موسى الكليلا ذلك العرض واعدًا إياه ألا يشق عليه ولا يُتْعبه في العمل؛ راجيًا بمشيئة الله أن يجده موسى الكليلا من الصالحين في معاملته ووفائه، وهو أدب جميل في التحدث عن النفس وفي جانب الله... وقبل موسى الكليلا العرض وأمضى العقد، في وضوح وقبل موسى الكليلا العرض وأمضى العقد، في وضوح ودقة، وأشهد الله(١)، قال اللها عُدَوْث عَلَى وَلله عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيدًا الله عَدْوَث عَلَى وَلله عَلَى مَا نَقُولُ وَحِيدًا الله على ما نَقُولُ وهي عندهم مشروعة معلومة، وكذلك كانت في كل ملة، وهي من ضرورة الخليقة، ومصلحة الخلطة بين الناس (٢).

ولقد كان حال يعقوب الطّينين مع خاله لابان كحال موسى الطّينين مع شيخ مدين، فإنها كانا يتعايشان من رعي الغنم، وخدم يعقوب الطّينين خاله سبع سنين صداقًا لابنته الأولى لينة، وخدم سبع سنين أخرى

ومن ثم فالعجب من هولاء، فلماذا ينفون الاستئجار لموسى، ويعترفون به ليعقوب عليهما السلام؟!

أليس موسى نبيًّا مثل يعقوب؟ أم إنهم يفرقون بين أنبياء الله ورسله.

ومما يؤكد هذا الاستئجار أن موسى الطَّيِّلاً هرب من أرض مصر بلاحمال. فكيف يتزوج فى أرض غريبة بـلا مال؟!

وفي النص التواري ما يدل على ما اتفقا عليه، وهو: "فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل، فأعطى موسى صفورة ابنته". (الخروج ٢: ٢١)، إذن فعلام ارتضى موسى الكلام؟ ولماذا قال بعد الارتضاء: "فأعطى موسى صفورة ابنه"؟

وفي النص السامري: "فلما أمعن موسى في السكنى مع الرجل أعطاه صفورة ابنته لموسى زوجة "(٣). إذن فالواضح من النص أن الرجل أعطى لموسى الكليم ابنته مقابل أن يستأجره مدّة معينة محددّة.

وعلى هذا فلا اختلاف بين النص التوراي والسنص القرآني، وإن كان القرآن قد فصَّل القصة تفصيلًا دقيقًا، فهذه ميزة القرآن أنه جمع علوم الكتب السابقة المجملة وفصلها بلا غموض أو لبس، بل وزاد عليها علومًا ومعارف أخرى كثيرة لم تذكر في الكتب السابقة.

#### الخلاصة:

أخبرنا القرآن الكريم أن موسى الطّنية مكث مع

صداقًا لابنته الأخرى راحيل.

حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، د. محمود حمدي زقزوق، مرجع سابق، ص٤٩٩، ٥٠٠.

ا. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٥، ص٢٦٨٨، ٢٦٨٩ بتصرف.

الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ج١٣٠ ص ٢٧١.

الشيخ الكبير بِمَدْينَ المدة التي تم تحديدها بينها كصداق لابنة الرجل - ثهان سنوات أو عشر - وهذا الذي أثبته القرآن لا يتنافى مع ما جاء في التوراة، حيث إن المعنى المفهوم من سياق النص التوراتي يوحي بوجود هذه المدة المحددة كصداق لابنة الرجل الصالح، ويبدو أنها كانت عادة متبعة في ذلك الوقت؛ حيث خدم يعقوب المنتين خاله أربعة عشر عامًا مقابل أن يتزوج ابنته الكبرى، ثم الصغرى، وهذا لا اختلاف عليه في التوارة.

- إذن فلهاذا ينفون ذلك عن موسى، ويعترفون به ليعقوب عليها السلام؟! بيد أن هذا الأمر ليس بغريب عنهم فهذا من جملة ما درجوا عليه في التفريق بين أنبياء الله عليه.
- وإذا كان القرآن قد فصّل القصة فإن هذه من ميزاته، فقد وضّح وبيَّن ما جاء في الكتب السابقة، بل وزاد عليه علومًا ومعارف أخرى لم يرد ذكرها عندهم.

## SAGEN

## الشبهة الحادية والخمسون

# ادِّعاء أن موسى الطَّيِّةُ اعتذر عن حمل الرسالة ، وطلب من الله أن يكلِّف بها هارون الطَّيِّةُ (\*)

#### مضمون الشبهة :

يدَّعي بعض المتوهمين أن موسى الطَّيِّة قد كلفه الله بدعوة فرعون وقومه إلى عبادته سبحانه وحده، فاعتذر موسى الطَّيِّة عن حمل الرسالة، وطلب من الله أن يكلف

بها هارون، ويستدلون على ذلك بقوله الله في فَرَعُونَ أَلَا يَنَقُونَ رَبُّكَ مُوسَى آنِ الْتِ الْقَوْمَ الظَّلِلِمِينَ ( قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَنَقُونَ ( الله عَلَى الله على الله ع

#### وجه إبطال الشبهة:

موسى النا لم يطلب إعفاءه من الرسالة، وتوجيهها إلى هارون النا لله وإنها طلب من ربه أن يرسل معه أخاه هارون؛ ليكون معه رسولًا. وكان طلبه هذا مقبولًا لأمرين:

- أن فرعون ربها كذّبه، والتكذيب سبب لضيق الصدر، وضيق الصدر سبب لتعسّر الكلام على من يكون في لسانه حُبْسَة (١)، أمّا هارون الكلام فهو أفصح لسانًا.
- أن لفرعون وقومه عند موسى التَّكِينَ ذبًا، فخاف أن يبادروا إلى قتله، وحينتُذ لا يحصل المقصود من البعثة، أما هارون التَّكِينَ فليس كذلك فيحصل المقصود من البعثة.

#### التفصيل:

## هل طلب موسى الله إعفاءه من الرسالة وإعطاءها لهارون الهها الهارون الهها الهارون الهارو

يوضح د. محمد أبو النور الحديدي القول على هذا التساؤل قائلًا: إن موسى التيلل لم يطلب إعفاءه من الرسالة، وتوجيهها إلى هارون التيلا، وإنها طلب من ربه أن يرسل معه أخاه هارون فيكون كل منهها رسولًا

١. الحُبْسَة: ثِقَل في اللسان يمنع من الإبانة.

<sup>(\*)</sup> عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق.

يتعاونان في دعوة فرعون وقومه إلى الله، وإصلاح حال بني إسرائيل؛ وذلك لأن موسى كان في لسانه لُثغَةٌ (۱). قال سفيان: كان ذلك من أثر الجمرة التي وضعها في فمه وهو صغير، وكان مع هذا يُفقّه قوله (۲)، وليس كا قال فرعون \_ لعنه الله \_ فيا حكاه عنه القرآن: ﴿ أَمَأَنَا فَلَ مُورَ مَهِينُ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (١٠) ﴿ (الزحرف) مَنْ هَذَا اللّهِ يَعْلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ تعالى أن يحل عقدة لسانه ليفقه الناس قوله: ﴿ وَاَحَلُلُ عُقَدَةً مِن لِسَانِ (١٠) يَفْقَهُ واَقَلِي (١٠) ﴾ (ط،). فاستجاب الله عَلَى له ذلك فقال: ﴿ قَالَ قَد أُوتِيتَ سُؤلك فاستجاب الله عَلَى له ذلك فقال: ﴿ قَالَ قَد أُوتِيتَ سُؤلك الإبلاغ والإفهام، ولا يعقل أن يرسل الله رسولًا لا يستطيع إفهام غيره. فكان طلب موسى الإعانة بأخيه هارون \_ عليها السلام \_ طلبًا مقبولًا لثلاثة أمور:

﴿ قَالَ سَنَشُدُ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَنَا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُما ۚ بِنَايَئِنَا ۚ أَنشُا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَلِلُمُونَ ۞ ﴾ (القصص) والقول إجابة من الله لدعاء موسى الطَيْئِلا.

الثالث: لأن القوم لهم عند موسى ذنبٌ، فخاف أن يبادروا إلى قتله، وحينئذ لا يحصل المقصود من البعثة، حيث إن موسى الطيخ قد قتل من قوم فرعون نفسًا، وهو الذي وكزه فقضى عليه، ويخشى أن يقتلوه به، فلا يتحقق المقصود من بعثته: ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِحَكُم مِّنَ لَيَحَصَى أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَا ذَاتَا أُمُرُونَ ﴿ وَالسَعِرَاء)، أما هارون الطيخ فليس كذلك فيحصل المقصود من البعثة.

ومما يدل صراحة على عدم استعفاء موسى العليلا من الرسالة \_ وإنها طلب مشاركة هارون العليلا له في مهمت الصعبة \_ قوله الذي حكاه عنه القرآن الكريم: ﴿ وَأَجْعَل لَي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (الله هَرُونَ أَخِي (الله وَقَلَ اللهُ عَنْ أَهْلِي (الله هَرُونَ أَخِي (الله وَقَلَ اللهُ اللهُ عَنْ أَهْلِي (الله هَرُونَ أَخِي (الله وَالله وَاله وَالله والله وا

اللَّنْعَة: تحوُّل اللسان من النطق بحرف إلى النطق بحرف آخر؟
 كنطق السين ثاءًا.

٢. يُفْقَه قوله: يُفْهَم.

٣. العِيُّ: العجز عن التعبير اللفظي بها يفيد المعنى المقصود،
 والحصر: ضرب من العي، وهو عدم القدرة على الكلام.

٤. أُشْدُد به أَزْرِي: قوِّ به ظهري.

٥. عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق،
 ص. ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٠.

وقد ذلَّل<sup>(۱)</sup> الله له العقبة الأولى إذ أيــده بالآيــات الحسيّة الدالة على صدقه في دعوة النبوة والرسالة: ﴿ وَلَقَدْ ءَانَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَءَايَنتِ بَيِّننتِ ﴾ (الإسراء)، فقال له الله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَنْعُوسَىٰ ﴿ ۖ قَالَ هِيَ عَصَاىَ أَتَوَكَّوُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَارِبُ أُخْرَىٰ ۞ قَالَ ٱلْقِهَا يَنْمُوسَىٰ ۞ فَٱلْقَنْهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ١٠٠٠ ﴾ (طه)(٢)، وهي \_ العصا \_ في سرعتها وخفة حركتها كأنها جانٌّ: ﴿ فَلَمَّا رَءَاهَا نَهَٰتُرُ كَأَنَّهَا جَاَّنُّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ (النصص: ٣١) فناداه الحق ﷺ: ﴿ يَكُمُوسَىٰ لَا تَخَفُّ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَّى ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ (النمل: ١٠) فرجع موسى السَّيِّلا آمنًا نحو العصا فقال له الله تعالى: ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفُّ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَى ١٠٠ (طه)، فوضع موسى الطِّيِّكُمْ يـده بـين أنيابهـا فعـادت خشبة جامدة، ثم أعطاه الله آية أخرى وهي اليد البيضاء النقية من غير برص: ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوَّءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿ اللَّهِ ﴿ (طــــ)، ﴿ ٱسْلُكَ يَدَكَ فِي جَيْمِكَ تَغْرُجُ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوَءٍ ﴾ (القصص: ٣٢)، ﴿ وَأَدْخِلُ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوعِ ﴾ (النمل:١٢).

وهاتان الآيتان من المعجزات الخارقة للعادة التي أيد الله بها موسى الطِّيناة إذا ما كذبه فرعون وقومه.

وكان كليم الله موسى الله قد دعا ربه لتذليل العقبة الثانية: ﴿ قَالَ رَبِ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ۞ وَيَسَرَ لِيَ أَمْرِي ۞ وَاَحَلُلُ عُقْدَةً مِن لِسَانِي ۞ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ۞ وَاَجْعَل لِي

وَزِيرَامِنْ أَهْلِي (ا) هَرُونَ أَخِي (ا) أَشَدُدْ بِهِ اَزْرِي (ا) وَأَشْرِكُهُ فِي آمْرِي (ا) وَأَشْرِكُهُ فِي آمْرِي (ا) كَنْ شَيِحَكَ كَثِيرًا (ا) وقد طلب موسى من الله أن يحل عقدة بنابَعِيرًا (الا) وقد طلب موسى من الله أن يحل عقدة لسانه، وأن يرسل أخاه هارون معه نبيًّا؛ لما يتمتع به من فصاحة في اللسان: ﴿ وَأَخِي هَـُرُونِ مُو أَفْصَحُ مِنِي لِسَانًا فَصَاحَة فِي اللسان: ﴿ وَأَخِي هَـُرُونِ مُو أَفْصَحُ مِنِي لِسَانًا فَصَاحَة فِي اللسان: ﴿ وَأَخِي هَـُرُونِ مُو أَفْصَحُ مِنِي لِسَانًا فَا الله مَعِي رِدْءًا يُصَدِّقُونَ ۚ إِنِي أَخَافُ أَن يُكذِبُونِ (ا) ﴾ فأرا العقبة الثالثة فقد ذللها رب العالمين إذ أنول وأما العقبة الثالثة فقد ذللها رب العالمين إذ أنول وأما العقبة الثالثة فقد ذللها رب العالمين إذ أنول

وأما العقبة الثالثة فقد ذللها رب العالمين إذ أنزل السكينة على قلب موسى، ووعده بأن قوم فرعون لن يصلوا إليه، ولن يتمكنوا من قتله، وأن الله تعالى سينصره عليهم: ﴿ قَالَ سَنَشُدُ عَصُدَكَ بِأَخِيكَ وَبَحْعَلُ لَكُمَا سُلَطَنَا فَلاَيَصِلُونَ إِلَيْكُما فَيكِينِنَا أَنتُما وَمَنِ اتَّبَعَكُما لَعْمَالِبُونَ ﴿ وَالقص ).

وقد كان التكليف شاقًا، إذ طغى فرعون وبغى، وتجبّر وعلا، ونسي الجبار الأعلى. ولا بد للطاغية من رسول يبلغه كليات الله، ليهز طغيانه بالكلمة المؤثرة الهادئة، ويواجه جبروته بالحق واللين، وقد علّم الله موسى وهارون عليها السلام أسلوب الدعوة والتبليغ،

٣. ردءًا: عونًا لي.

٤. لا تَنِيَا: لا تُقَصِّرَا.

١. ذلَّل: أخضع وسهل.

٢. أَتُوكَّأَ: اعتمد عليها في المشي وحين التعب.

بيان الإسلام: الرد على الافتراءات والشبهات

المتمثل في القول اللين، وبيَّن لهما أن مهمتهما التـذكير بـنعم الله وزرع الخشية من الله في قلب الطاغية وأعوانه (١).

#### الخلاصة:

موسى الطّن لم يطلب إعفاءه من الرسالة، وتوجيهها إلى هارون الطّن ، وإنها طلب من ربه أن يرسل معه أخاه هارون ليكون معه رسولًا. وكان طلبه هذا لأمرين:

الأول: لأن فرعون ربا كذَّبه، والتكذيب سبب لضيق القلب، وضيق القلب سبب لتعسر الكلام على من يكون في لسانه حبسةٌ. وكان هارون الطّيّلا أفصح من موسى الطّيّلا، والأفصح يكون أكثر إبلاغًا وإفهامًا.

الثاني: لأن القوم لهم عند موسى الطّنِين ذنبٌ، وهو قتل نفس، فخشي أن يقتلوه به، فلا يتحقق المقصود من بعثته، أما هارون الطّنِين فليس كذلك؛ فيتحقق المقصود من البعثة.

## AND DES

## الشبهة الثانية والخمسون

## الزعم أن شريعة موسى العَيَّلَاهي أولى الشرائع للبشر <sup>(\*) ®</sup>

#### مضمون الشبهة:

يزعم بعض المتوهمين أن شريعة موسى الطّيان هي شريعة تنظم حياة البشر من زواج وغيره، وأنه لم يكن هناك شرائع قبلها؛ بدليل أن الكتاب المقدس لم ينص

على وجود شريعة قبل شريعة موسى التَلْيُكُلِّا.

#### وجه إبطال الشبهة:

القرآن الكريم الذي سَلِم من التحريف الذي وقع للكتاب المقدس هو الحُجّة والمصوَّب للأخطاء الناشئة عن تحريف الكتاب المقدس، وقد ذكر أن الله تعالى قد شرع لنوح وإبراهيم من قبل موسى عليهم السلام.

#### التفصيل:

القرآن هو الصدق كل الصدق، في كل ما جاء به من عقيدة وشريعة وقصص وأخبار، وقد ذكر أن الله تعالى قد شرع لنوح وإبراهيم-عليهما السلام-من قبل:

قال ﷺ: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ فُوحًا وَاللَّهِ مَا وَصَّىٰ بِهِ فُوحًا وَاللَّهِ مِن الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ فُوحًا وَاللَّهِ مَا إِبْرَهِمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا نَنَفَرَقُوا فِيهٌ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَللَّهُ يَجْتَبِى إِلَيْهِ مَن يَشَآهُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَن نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَللَّهُ يَجْتَبِى إِلَيْهِ مَن يَشَآهُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَن يُسَآهُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَن يُسَآهُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَن يُسَآهُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَن يُسَآهُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَن

أخبر الله و أنه قد شرع لنوح وإبراهيم ما قد شرعه لموسى وعيسى عليهم السلام من شريعة فقد أخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، عن قتادة مرحمه الله على شَرَعَ لَكُم مِن الدِينِ مَا وَصَىٰ بِهِ نُوحًا ﴾ قال: الحلال والحرام.

وأخرج ابن جرير، عن قتادة الله قال: بعث نوح الكالى، حين بعث بالشريعة، بتحليل الحلال وتحريم الحرام (٢).

وأخرج ابن المنذر، عن زيد بن رفيع، بقية أهل

١. مدرسة الأنبياء: عبر وأضواء، محمد بسام رشدي النزين، مرجع سابق، ص١٩٦، ١٩٧٠.

<sup>(\*)</sup> قناة الحياة الفضائية، القمص زكريا بطرس، الحلقة.

இ في "التشريعات التي كُلّف بها آدم" طالع: الوجه الشاني، من الشبهة الخامسة، من هذا الجزء.

أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢١/ ١٢٥)، تفسير سورة الشورى، الآية ١٣.

الجزيرة، قال: بعث الله نوحًا السّيّة، وشرع لـه الـدين، فكان الناس في شريعة نوح السّيّة ما كـانوا، فـما أطفأهـا إلا الزندقـة (۱)، ثـم بعـث الله موسـى السّيّة، وشرع لـه الدين، فكان الناس في شريعة من بعد موسى ما كـانوا، فما أطفأها إلا الزندقة، ثم بعث الله عيسى السّيّة، وشرع لـه الدين، فكان الناس في شريعة عيسى السّيّة ما كـانوا، فما أطفأها إلا الزنادقة، قال: ولا يُخاف على هـلاك هـذا فيا أطفأها إلا الزنادقة، قال: ولا يُخاف على هـلاك هـذا الدين إلا الزّنادقة،

وعدم نص الكتاب المقدس على شريعة قبل شريعة موسى الطّيّة لا يعد دليلًا على عدم وجود شرائع قبل موسى الطّيّة، وذلك لوقوع تدخلات بشرية فيه أدت إلى احتوائه على العديد من الأباطيل والأساطير و ذلك باعتراف علماء اللاهوت أنفسهم و وبهذا لا يعد الكتاب المقدس الحالي دليلًا أو حكمًا يُحتج به أو يُتحاكم إليه.

التشريع عبر الأزمان، وتخصيص في تناول قضايا الحِل والحرمة، والتعامل مع بعضهم بعضًا في الحياة العامة، أليست هذه هي الشريعة بعينها؟! والرسل عليهم السلام هم القدوة الحسنة للناس في شتَّى مناحي الحياة، فالذي يسير على منهاجهم، فقد طبق الشريعة بعينها؛ لأنه لا يفعل شيئا عن أمره، إنها هو يفعل ما أمره الله أن يفعل، ويترك ما أمره الله تعالى أن يترك، أليست هذه هي الشريعة (1)؟!

قال القاسمي: وتخصيص هؤلاء الخمسة، وهم أولو العزم بالذكر؛ لأنهم أكابر الأنبياء وأصحاب الشرائع العظيمة والأتباع الكثيرة، ولاستهالة قلوب الكفرة لاتفاق الكُل على نبوة بعضهم (٥).

ويوضح الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية: وَشَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ، نُوحًا وَالَذِى آوَحَيْنَا اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ وَمَا وَصَيْنَا بِهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ وَمَهُ وَعِيسَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا لَنْفَرَقُوا فِيهً كَبُر عَلَى المُشْرِكِينَ مَا نَدَّعُوهُمْ إِلَيْهُ اللّهُ اللّه وَلَا نَنفَرَقُوا فِيهً كَبُر عَلَى المُشْرِكِينَ مَا نَدَّعُوهُمْ إِلَيْهِ اللّهُ اللّه الله وَلَا لَنفورى النّه وَلَا الشرائع في الفروع واتخاذها في الأرض منذ آدم الله في الفرائع في الفروع واتخاذها يكن رسولًا، فلم تفرض له الفرائض ولا شرعت له المحارم، وإنها كان تنبيهًا على بعض الأمور واقتصارًا المحارم، وإنها كان تنبيهًا على بعض الأمور واقتصارًا على ضرورات المعاش، وأخذًا بوظائف الحياة والبقاء، واستقر المدى إلى نوح النّه فبعثه الله بتحريم الأمهات والبنات والأخوات، ووظف عليه الواجبات، وأوضح والبنات والأخوات، ووظف عليه الواجبات، وأوضح

١. الزَّنْدَقَة: مـذهب مَـنْ يقـول بأزليَّة العـالم، وأطلـق عـلى
 الزرادشتية والمانوية وغيرهم من الثنوية، وتُوسِّع فيه فأطلق عـلى
 كل شاكِّ أو ضالٍّ أو مُلْحِد.

٢. الدر المنثور في التفسير المأثور، جلال الدين السيوطي، مرجع سابق، ج٩، ص٥٨.

٣. المرجع السابق، ص٥٨.

النبوة والأنبياء، الصابوني، مرجع سابق، ص٢٣، ٢٤ بتصرف.

٥. محاسن التأويل، القاسمي، مرجع سابق، ج٨، ص٧٤٧.

له الآداب في الديانات، ولم يزل ذلك يتأكد بالرسل، ويتناصر بالأنبياء صلوات الله عليهم واحدًا بعد واحد، وشريعة إثر شريعة، حتى ختمها الله بخير الملل، ملتنا على لسان أكرم الرسل نبينا محمد الله فكان المعنى: أوصيناك يا محمد ونوحًا دينًا واحدًا، يعني في الأصول التي لا تختلف فيها الشريعة، وهي التوحيد والصلاة والصيام والزكاة والحج والتقرب إلى الله بصالح الأعمال، والزّلف إليه بها يرد القلب والجارحة إليه، والصدق والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة وصلة الرحم، وتحريم الكفر والقتل والزنا، والإذاية للخلق كيفها الدناءات وما يعود بخر م (۱) المروء الدناءات وما يعود بخر م (۱) المروء التيا الله على السنة مشروع دينًا واحدًا وملة واحدة، لم تختلف على ألسنة الأنبياء وإن اختلفت أعدادهم (۲).

وبهذا يتبين أن شريعة موسى الملكة ليست أول الشرائع الإلهية للبشر فقد سبقتها شرائع كثيرة منها شريعة نوح وإبراهيم -عليها السلام -، بل إن لكل أمة شريعة، وإلا فلهاذا كان يرسل الله إليهم رسلا؟ وبهاذا كانوا يأمرونهم وينصحونهم؟ فكل ما كان يبعث به النبي إلى قومه من الأوامر والحلال والحرام فهذا النبي، ويدل على هذا ما تبقى من بعض الشرائع السابقة كالذي بقي من ملة إبراهيم، مثل شعائر الحج ومناسكه التي شرعها الله الله الله النبيه محمد الشرائع صححها من مظاهر الشرك التي ألحقها الناس بها.

#### الخلاصة:

- القرآن هو الصدق في كل ما أخبر به من عقيدة وشريعة وقصص وأخبار، وقد أخبر الله أنه شرع لنوح وإبراهيم ما شرعه لموسى وعيسى عليهم جميعا السلام إذن فليست شريعة موسى الكيالة أول الشرائع.
- الله تعالى أرسل إلى كل أمة نذيرًا يدعوهم إلى عبادة الله وحده، ويبلغهم أوامر الله ونواهيه، ويعلمهم كيفية تعامل بعضهم مع بعض، ويكون قدوة حسنة لهم يسيرون على منهاجه. أليست هذه هي الشريعة؟!

## 33 EX

#### الشبهة الثالثة والخمسون

الزعم أن القرآن خالف التوراة في عدد ألواح موسى (\*)

#### مضمون الشبهة:

يزعم بعض المتوهمين أن القرآن خالف التوراة في ألواح موسى السلا فيقولون: إن موسى كتب الشريعة على لوحين لا على ألواح، وعلى اللوحين كتب الوصايا العشر فقط وليس تفصيلًا لكل شيء، وهذا يتناقض مع قوله على ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي ٱلْأَلُواحِ مِن كُلِ شَيْءٍ وَحُدُهُما بِقُوَةٍ وَأَمُر قَوْمَكَ مَوْعِظَةً وَتَقَصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذُها بِقُوةٍ وَأَمُر قَوْمَكَ مَا أَذُوا بِأَحْسَنِهَ أَسَأُورِيكُمْ دَارَ ٱلْفَلِيقِينَ ﴿ وَكَالُمُ الْعُرادِيكُمْ دَارَ ٱلْفَلِيقِينَ ﴿ وَلَا عَرَانُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ

#### وجها إبطال الشبهة:

الفظ "الألواح" يستعمل في اللغة العربية للدلالة

www.kjee.net

١. خَرْم المروءات: القدح فيها.

الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ج١٦،
 سابق، ج١١،

<sup>(\*)</sup> موقع الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة.

على الاثنين فأكثر من باب أن أقل الجمع اثنان، ومن ثم اختلف المفسرون في عدد هذه الألواح وهيئتها.

Y) نصوص التوراة - المحرفة - التي بين أيدينا الآن تثبت أن الأحكام والشرائع والوصايا التي تلقاها موسى الطيئة من ربه، كُتبت على أكثر من لوحين، فضلًا عن أنها أشارت إلى كل شيء في شريعة موسى الطيئة ، وما يحتاج لتفصيل فصّلته.

#### التفصيل:

أولا. تستخدم لفظة الألواح في اللغة العربية للدلالة على الاثنين فأكثر من باب أن أقل الجمع اثنان، ومن ثم اختلف المفسرون في عددها وهيئتها:

الألواح جمع لَوْح، وهو قطعة مربعة من الخشب، وتسمية الألواح التي أعطاها الله موسى ألواحًا من باب المجاز؛ لأن الألواح التي أُعْطيها موسى الطَّيِّين كانت من الحجارة، كما في التوراة: "قال الرب لموسى: اصعد إلى الجبل، وكن هناك، فأعطيك لَوْحَي الحجارة والـشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم". (الخروج ٢٤: ١٢)، فتسميتها بالألواح، لأنها على صورة الألواح، والذي بالإصحاح الرابع والثلاثين أن اللوحين كتبت فيهما الوصايا العشر التي ابتدأت بها شريعة موسى، وكانا لوحين، كما في التوراة، أما إطلاق الجمع عليها في سورة الأعراف فهو: إما من باب إطلاق صيغة الجمع على المثنى؛ بناءً على أن أقل الجمع اثنان، وإما لأنها كانا مكتوبين على كلا وجهيها، كما يقصه سفر الخروج: "لوحان مكتوبان على جانبيهما من هنا ومن هنا كانا مكتوبين". (الخروج ٣٢: ١٥)، فكانا بمنزلة أربعة ألواح، وأسندت الكتابة إلى الله تعالى؛ لأنها

كانت مكتوبة نقشًا في الحجر من غير فعل إنسان، بل بمَحْض قدرة الله تعالى كما يُفهَم من سفر الخروج: "واللوحان هما صنعة الله، والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين". (الخروج ٣٢: ١٦)(١).

وللمفسرين آراء في عدد وهيئة هذه الألواح، وقيل: قال بعضهم: إنها كانت عشرة ألواح. وقيل: سبعة، وقيل: تسعة وإنها كانت من زُمُرُدٍ (٢) جاء بها جبريل الكيل، وقيل: من زبرجدة خضراء وياقوته هراء، وقال الحسن: كانت من خشب نزلت من السهاء، وقال وهب: كانت من صخرة صهاء لينها الله لموسى الكيل، وأما كيفية الكتابة، فقال ابن جريج: كتبها جبريل بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهر النور.

ذكر الإمام ابن كثير: "وكانت الألواح من جوهر نفيس ففي الصحيح: أن الله كتب له التوراة بيده وفيها مواعظ من الآثام، وتفصيل ما يحتاجون إليه من الحلال والحرام، وأمره أن يأخذها بعزم، وأن يأمر قومه أن يضعوها على أحسن وجوهها وأجمل محاملها، والخارج عنها له عاقبة سيئة قال على وكتبنا له في وكتبنا له في المراقع من حكل شيء موعظة وتقصيلا ليكل شيء فخذها بِقُوق وأمر قومك يأخذوا بأحسنها أسأوريكر دار الفيسقين المناه الأعراف الأعراف.

۱. التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج ٥،
 ج٩، ص٩٦.

٢. الزُّمُرُّد: حجر كريم أخضر اللون شفاف.

٣. قصص الأنبياء، ابن كثير، مرجع سابق، ص٢٨١.

இ في "تعبير القرآن بالجمع مكان المثنى" طالع: الشبهة الحادية والخمسين، من الجزء الثاني (لغة القرآن الكريم).

ثانيًا. نصوص التوراة تثبت أن الشرائع والوصايا التي تلقاها موسى النه من ربه كتبت على أكثر من لوح، وكانت متضمنة لكل شيء يخص رسالة موسى:

يذكر الطاهر ابن عاشور أن ما كتب لموسى الطِّيَّاةُ في الألواح هو أصول وكليات هامة للشريعة التي أوحى الله بهـا إلى موســـى الطُّيِّلا ومــن ذلــك خطــاب الله لموسى الطِّيِّلاً قائلًا: "أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تصنع لك تمثالًا منحوتًا، ولا صورة ما مما في السهاء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن، لأني أنا الرب إلهك إله غيور، أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي، وأصنع إحسانًا إلى ألوف من مُحبي وحافظي وصاياي. لا تنطق باسم الرب إلحك باطلًا، لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلًا، اذكر يوم السبت لتقدسه، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلحك، لا تصنع عملًا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك المذي داخل أبوابك، لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، واستراح في اليوم السابع؛ لـذلك بـارك الرب يـوم السبت وقدَّسـه. أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلحك، لا تقتل، لا تزنِ، لا تسرق، لا تشهد على قريبك شهادة زور. لا تَشْتَهِ بيت قريبك". (الخروج ۲۰: ۳-۱۷).

واشتهرت عند بني إسرائيل بالوصايا العشر،

وبالكلمات العشر أي الجمل العشر، وقد فُصِّلَت في الإصحاح العشرين إلى نهاية الحادي والثلاثين من سفر الخروج، ومن جملتها الوصايا العشر التي كلَّم الله بها موسى في جبل سيناء، وجاء في الإصحاح الرابع والثلاثين أن الألواح لم تكتب فيها إلا الكلمات العشر التي بالفقرات السبع عشرة منه (۱).

يتضح لنا مما سبق أن التوراة تنص في الإصحاح الرابع والثلاثين على أنه لم يكتب في الألواح سوى الوصايا العشر، بيد أننا ونحن نتصفَّح كتابهم اتضحت لنا عدة أمور منها:

الأمر الأول: في الإصحاح الرابع والعشرين من سفر الخروج جاء ما نصه: "وقال الرب لموسى اصعد إلى الجبل، وكن هناك. فأعطيك لوّحي الحجارة والشريعة والوصية التي كَتَبْتُها لتعليمهم". (الخروج ٢٤: ١٣)، أخبرني بربك أيها العاقل، ماذا تفهم من صريح هذا الكلام، ألست تفهم معي حيشاركنا فيه كل العقلاء المنصفين - أن موسى الكلام تلقّى من ربه ألواحًا مكونة من:

- لوحين للعهد "لوحي الحجارة" للعمل بالتوراة.
  - عِدَّة ألواح مكتوب عليها كل أحكام التوراة.

إن المنطق والعقل السليمين يقضيان بأن أحكام التوارة \_ الشريعة والوصية \_ لا يمكن كتابتها على لوح أو لوحين، بل عدة ألواح، يؤيد ذلك قول التوراة: "فجاء موسى وحدث الشعب بجميع أقوال الرب وجميع الأحكام، فأجاب جميع الشعب بصوت واحد

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٥، ج٩، ص٩٧.

وقالوا: كل الأقوال التي تكلُّم بها الرب نفعل". (الخروج ٢٤: ٣).

الأمر الشاني: أن الله عَلَى أخبر موسى الطَّيْل بعبادة قومه للعجل، فنزل موسى النَّكِيُّلا من الجبل وكسر لَوْحَي العهد: "فقال الرب لموسى: "اذهب انزل؛ لأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر، زاغوا سريعًا عن الطريق الذي أوصيتهم به، صنعوا لهم عجلًا مسبوكًا، وسجدوا له وذبحوا له وقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر"، وقال الرب لموسى: "رأيت هـذا الـشعب وإذا هـو شـعب صلب الرقبة، فالآن اتركني ليَحْمَى غضبي عليهم وأفنيهم، فأصيرك شعبًا عظيمًا" فتضرع موسى أمام الرب إلهه، وقال: "لماذا يا رب يحمى غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة؟ لماذا يتكلم المصريون قائلين: أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال، ويفنيهم عن وجه الأرض؟ ارجع عن خُمُوّ غضبك، واندم على الشر بشعبك، اذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك، وقلت لهم: أكثر نسلكم كنجوم السماء، وأعطى نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد" فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه، فانصرف موسى ونزل من الجبل ولَوْحَا الشهادة في يده: لوحان مكتوبان على جانبيهما من هنا ومن هنا، كانا مكتوبين واللوحان هما صنعة الله، والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين وسمع يشوع صوت السمعب في هتافه فقال لموسى: "صوت قتال في المحلة". فقال: "ليس صوت صياح النصرة ولا صوت صياح الكسرة،

بل صوت غناء أنا سامع" وكان عندما اقترب إلى المحلة أنه أبصر العجل والرقص، فحمي غضب موسى، وطرح اللوحين من يديه، وكسرهما في أسفل الجبل". (الخروج ٣٢: ٧- ١٩).

ويتبين لنا من النص السابق أن الألواح لم تكن كما يدعى هؤلاء لوحين فقط، بل أربعة.

الأمر الثالث: أن الله أمر موسى بإنشاء لوحين جديدين: "ثم قال الرب لموسى: انحت لك لوحين من حجر مشل الأولين، فأكتب أنا على اللوحين الكلمات التي كانت على اللوحين الأولين اللذين كسرتها". (الخروج ٣٤: ١).

وجاء في سفر التثنية أن موسى كسر لوحين كان عليها كل أحكام الشريعة: "وأعطاني الرب لوحي الحجر المكتوبين بأصبع الله، وعليها مثل جميع الكلمات التي كلمكم بها الرب في الجبل من وسط النار في يوم الاجتماع". (التثنية ٩: ١٠).

ومن خلال النصين نستنتج أن لوحي العهد لا يمكن أن يحملا كل أحكام الشريعة التي نزلت يوم الاجتماع، بل المناسب لها ألواح بالجمع، ومنها لوحي العهد.

وتأسيسًا على ما سبق فإنه من السخف والجهل القول بأن شريعة موسى التلكة اقتصرت كتابتها على لوحين فقط، وليس هذا حكما خاليًا من الأدلة، بل الأدلة من كلام القوم وبلسان القوم.

يبقى بعد ذلك شيء أخير وهو ادّعاء القوم أن ما كتب هو الوصايا العشر فقط \_ وقد ألمحنا لذلك في الوجه الأول \_ وباقي الأحكام والشرائع لم تكتب، وفي سبيل توضيح هذا الأمر والرد عليه نقول: من خلال

قراءة النصوص السابقة التي أوردناها في الوجمه الشاني يتضح أن الألواح كتب فيها كل شيء من الأحكام.

ومن ثم فلا مجال للحكم بخطأ القرآن الكريم حين قال: ﴿ وَكَتَبْنَالُهُ, فِي ٱلْأَلُواحِ مِن كُلِ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِ شَيْءٍ ﴾ (الأعراف: ١٤٥)، ويعلق صاحب "المنار" على هذه الآية قائلًا: أي إننا أعطيناه ألواحًا كتبنا له فيها من كل نوع من أنواع الهداية موعظة من شأنها أن تؤثر في القلوب ترغيبًا وترهيبًا وتفصيلًا لكل نوع من أصول التشريع، وهي أصول العقائد والآداب وأحكام الحلال والحرام وتفصيلها، ذكرها معدودة مفصولًا بعضها عن بعض (۱).

غير أن صاحب "التحرير والتنوير" يلفت النظر إلى شيء جميل ولمحة رائعة عند تفسيره لهذه الآية، فيذكر أن التفصيل هنا التبيين للمجملات، ولعل الموعظة هي الكلمات العشر، والتفصيل ما ذكر بعدها من الأحكام في الإصحاحات (٢).

بناءً على ما سبق نستطيع القول بأن القرآن الحكيم جاء صادقًا في حديثه عن ألواح موسى الطّي وما سجِّل عليها، غير أن الخلط في عقول هؤلاء وفي كتاباتهم جعلهم يتصورون الخطأ فيه، تعالى الله أن يكون في كلامه خلط أو خطأ.

#### الخلاصة:

لفظ الألواح يُستعمل في لغة العرب للدلالة على
 اثنين من باب أن أقل الجمع اثنان؛ ومن ثم فلا خطأ ولا

ا. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ج٩، ص١٨٨.

إشكال فيها أورده القرآن عنها، فضلًا عن اعتراف التوراة بأن لوحي العهد كانا ذا وجهين. وهذا اعتراف بصحة القرآن.

- أشارت نصوص التوراة التي بين أيدينا إلى أن موسى النفي تلقّى من ربه نوعين من الألواح هما: لوحي العهد، وعدة ألواح كتب عليها أحكام الشريعة والوصية.

## AND EX

## الشبهة الرابعة والخمسون

دعوى خطأ القرآن الكريم بشأن إيمان سحرة فرعون (\*)

#### مضمون الشبهة :

يدعي بعض المتوهمين أن سحرة فرعون لم يسجدوا لإله موسى الطِّكْ، وأن القرآن الكريم أخطأ في ذلك حيث قال: ﴿ وَأَلْقِى ٱلسَّحَرَةُ سُجِدِينَ ﴿ قَالُوٓا ءَامَنَا بِرَبِّ

۲. التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٥،
 ج٩، ص٩٨.

<sup>(\*)</sup> قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، مرجع سابق.

الْعَكَمِينَ الله رَبِّ مُوسَىٰ وَهَدُونَ الله (الأعراف). وتارة يقول تعالى: ﴿ قَالُواْ ءَامَنَا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَىٰ الله (طه)، مستدلين بها جاء في الكتاب المقدس على لسان موسى وهارون عليهما السلام حينها طلبا من فرعون إطلاق بني إسرائيل، فقال فرعون: "من هو الرب حتى أسمع لقوله، فأطلق إسرائيل. لا أعرف الرب وإسرائيل لا أطلقه". (الخروج ٥: ١، ٢)، ويرمون من وراء ذلك إلى التشكيك في القرآن الكريم.

#### وجوه إبطال الشبهة:

 الباطل لا يقبله عقل، ولا يكون حجة ومعيارًا على الحق الذي ثبتت حجته وموافقته للعقل، ذلك أن سجود الملائكة لإله موسى ثابت لأنه محل الإعجاز.

القرآن يقص حقيقة السحرة مع موسى التَّلِيلَة
 وإيهانهم كاشف لزيف الكتاب المقدس.

٣) لا تباين في موقف إيهان السحرة أو سجودهم، بل إن إيهانهم وسجودهم كان لله وحده لا شريك له، لا كها زعمت التوراة التي أشركت موسى العَيْلَة بالله في الألوهية، تعالى الله عن قولها علوًا كبيرًا.

#### التفصيل:

## أولا. الباطل لا يقبله عقل، ولا يكون حجة ومعيارًا على الحق الذي ثبتت موافقته للعقل:

القرآن الكريم يقصُّ الحق، ويخبر أن موسى وهارون عليهما السلام - نبيَّان لبني إسرائيل، ويشرح رسالة موسى السفي إلى فرعون وقومه، وقصة السحرة الذين آمنوا لله رب العالمين، فالقرآن حجة ثابتة تاريخيًّا تبرز الفارق بين كلام الخلق المتمثل في الكتاب المقدس،

وكلام الخالق الموافق للعقل والمتمثل في آيات القرآن الكريم. فالتوراة تجعل من موسى إلمًا وهارون نبيَّه.

وموسى وهارون عليها السلام يدعوان فرعون إلى "إله العبرانيين"، وليس إلى "رب العالمين"، هكذا تقصُّ علينا التوراة، ولا يدعوان فرعون إلى عبادة الإله الواحد أولًا، بل إلى تخليص بني إسرائيل وفقط: "وبعد ذلك دخل موسى وهارون، وقالا لفرعون: هكذا يقول الرب إله إسرائيل: أطلق شعبي ليُعيِّدوا في البرِّيَّة، فقال فرعون: من هو الرب حتى أسمع لقوله فَأُطْلِق إسرائيل؟ لا أعرف الرب، وإسرائيل لا أطلقه، فقالا: إله العبرانيين قد التقانا". (الخروج ٥: ١ - ٣).

والطامة الكبرى أن موسى اعتذر للرب عندما طلب منه أن يكلم فرعون قائلًا: "ها أنا أغلق الشفتين، فكيف يسمع لي فرعون؟ هنا قال الرب لموسى: انظر: أنا جعلتك إلمًا لفرعون، وهارون أخوك يكون نبيك"!! موسى إله، وهارون نبي موسى!! هذه هي التوراة التي يحتجون بها.

أما القرآن الكريم فيقدم لنا موسى وهارون ـ عليها السلام ـ رسولين من رب العالمين جاءا برسالة تهدي الناس إلى الحق والحنير، هذا هو الهدف الأول، والهدف الثاني هو: إنقاذ بني إسرائيل من ذل وعبودية فرعون، قال في: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ ٱلْفُرُقَانَ وَضِيلَهُ وَلَا لَيْنَا اللهُ وَالله الله الله الله والمؤلفة والله والمؤلفة والمؤلفة

فِرْعَوْنَ فَقُولًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَلْمِينَ (١٠) ﴿ (الشعراء).

فموسى الكيلا رسول من رب العالمين بي ومعه أخوه هارون الكيلا ، رسول من رب العالمين كذلك إلى فرعون وقومه، وآمن بها من آمن من قوم فرعون من السحرة، عندما قامت الحيجة، وهم أعلم الناس بالسحر وحدوده، فوجدوا أن معجزة موسى الكيلا تفوقت على السحر: ﴿ فَالْقُواْ حِالْمُمُ وَعِصِيتَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَة فِرْعَوْنَ إِنَا لَنَحْنُ ٱلْفَلِمُونَ اللهُ فَالْقَلَ مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا فِي مَلَوْقَ مَا يَافِحُونَ اللهُ فَالْقَلَ مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا فِي مَلْقَفُ مَا يَافِحُونَ اللهُ فَالْقَى السَّحَرَةُ سَيْجِدِينَ اللهُ قَالُوا عَمَامُ فَإِذَا مَا مَا يَافِحُونَ اللهُ وَاللهُ السَّحَرَةُ سَيْجِدِينَ اللهُ قَالُوا عَمَامُ فَإِذَا مَا مَا يَافِحُونَ اللهُ وَاللهُ السَّحَرَةُ سَيْجِدِينَ اللهُ قَالُوا عَمَامُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ فَالُوا عَمَامُ اللهُ اله

إن التوراة المحرف أغفلت مهمة موسى الكليلة الأساسية الأولى وهي الهداية، ووضعتنا أمام الدوران في فلك بني إسرائيل، كما عهدناها دائها، وليتها تتحدث عنهم لهدايتهم، بل للتنفيث (۱) عن عقيدتهم، المتمثلة في الشعور بالنقص، والمذلة، والمهانة، والنقمة على الأمم، والانتقام منها. فهذه صورة حية تبرز الفارق بين كلام الخلق، وكلام الخالق.

متى كان هذا التخبط الذي لا يقبله عقل ولا دين حجة على الحق، ومعيارًا يقاس به؟!!

إن التوراة التي يتخذونها مقياسًا للحقيقة، ووصية عليها، وعلى التاريخ، تجعل من رب العالمين إلمّا لبني إسرائيل وحدهم، وهم شعبه! قال الرب لموسى: "وأنا أيضًا قد سمعت أنين بني إسرائيل الذين يستعبدهم المصريون، وتذكرت عهدي، لذلك قل لبني إسرائيل: أنا الرب، وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين، وأنقذكم من عبوديتهم، وأخلصكم بذراع محدودة

وبأحكام عظيمة، وأتخذكم لي شعبًا، وأكون لكم إلهًا". (الخروج ٦: ٥ ـ ٧).

ومع أن رب العالمين جعلهم خاصته، وجعل نفسه إلما لهم وحدهم، ونقل موسى الطيخ هذه الرسالة لهم، لكنهم "لم يسمعوا لموسى من صغر النفس، ومن العبودية القاسية". (الخروج ٦: ٩).

وعليه، فالقول الفصل هو الذي حكاه القرآن، لأنه كلام رب العالمين المنزل على خير خلقه ﷺ.

## ثانيًا. القرآن يقص حقيقة السحرة مع موسى الطَّيَّانَ وإيمانهم برب موسى:

مضى موسى الطُّيِّلاً يشرح رسالة ربه، وأخذ فرعون يتهدده؛ ويتوعده بالسجن والتعذيب، والتشريد، فقال له موسى الطَّيْكِانُ: أو لو جئتك بشيء مبين؟ فقال: وماذا عندك؟ فألقى العصا فإذا هي ثعبان مبين، وأدخل يده إلى صدره، ثم أخرجها، فإذا بها كأنها قطعة من نور الشمس تضيء، ففزع فرعون لهذا ودعا جماعته، واستشارهم فأشاروا عليه أن يجمع السحرة؛ ليبطلوا ما جاء به موسى الكيم الأنهم ظنوا أنه من قبيل السحر، فاجتمع السحرة عند فرعون، فطلب منهم فرعون أن يجمعوا قواهم، ويوحدوا هدفهم؟ ليبطلوا ـ بعزيمتهم ـ سحر موسى الكيالة، وأغراهم بالمال، والمنصب، وأن يجعلهم من خاصته فيها إذا تمكنوا على موسى النَّلِيِّلاً وغلبوه، ثم كانت النتيجة بعد تداول بين السحرة أن طلبوا من موسى النَّكِيِّ أن يلقي ما معه، أو يبدأوا هم بالإلقاء اعتزازًا منهم بالنفس واعتقادًا بالغلبة: ﴿ قَالُواْ يَنْمُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِى وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَعْنُ ٱلْمُلْقِينَ اللهِ قَالَ ٱلْقُواَ لَا فَلَمَّا ٱلْقَوْا سَحَارُوا أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرِ عَظِيمِ اللهِ وَأَوْحَيْنَا

١. التنفيث: التفريج عنها وكشفها ونشرها.

إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكُ فَإِذَا هِى تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿ ﴿ ﴾ اللَّهُ اللّ

ألقى السحرة حبالهم وعصيهم، وقالوا في غرور: ﴿ فَأَلْقُواْ حِبَالهُمْ وَعِصِيّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَةٍ فِرْعَوْنَ إِنّا لَنَحَنُ الْفَالِجُونَ الْفَالِجُونَ الشّعراء). ونظر موسى الطّيَكِمْ، وإذا بهذه الحبال والعصي، كأنها حيّات وثعابين، فهاله أمرها، وأوجس في نفسه خيفة (٢) منها، ولكن الله ثبته أمام ذلك الجمع الزاخر، وأوحى تعالى إليه ألا تخف فإنك أنت المنصور، وأمره أن يلقي العصا، فإذا هي تبتلع كل ما قذف به السحرة، من زور وبهتان: ﴿ فَأُوْجَسَ فِي نَفْسِهِ عِيفَةُ مُوسَىٰ اللهُ وَلَا يُقْلِعُ النّا كَنَ عَنْ إِنّا كَنَ اللهُ عَنْ اللهُ اللهُ السّاحِرَة وَلَا يُقْلِعُ السّاحِرُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ اللهُ

آمن السحرة، وسجدوا لله تبارك تعالى، وأقروا له بالوحدانية؛ لأنهم أيقنوا أن هذا ليس بسحر، ولا شعوذة، ولا زور ولا بهتان، وإنها هي آية من آيات الله الباهرة، أظهرها على يد رسوله موسى الطَّيْكُمْ لتكون برهانًا على صدقه، وعرفوا أن ذلك ليس بطاقة إنسان ولا قدرته، وإنها هي القوة الإلهية التي تصنع العجائب؛ فَخَرُّوا لله ساجدين وقالوا: ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَلُرُونَ اللَّهُ ﴾ (الشعراء). علم فرعون أنه لم يعجز موسى الطَّيِّلاً، ولكن موسى الطِّيلاً أعجزه، فأراد أن يستر هزيمته، ويستعيد هيبته، فقال للسحرة ـ وكان صاحب مكر وخداع: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ, لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّيحَرَ فَلَسَوْفَ تَعَلَّمُونَّ لَأُقَطِّعَنَّ أَيَّدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلَفِ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (أَنَّ) ﴾ (الشعراء) توعَّد جميع السحرة بالقتل والصلب، وتقطيع الأيدي والأرجل، واتهمهم بالتآمر مع موسى، مع أنه يعلم علم اليقين، أن موسى العَيْنَ لم يعرفهم، ولم يجتمع معهم من قبل؛ لأنه كان مقيمًا مع أهل مدين، فكيف يكون كبيرهم الذي علمهم السحر؟! ثم إن موسي الطَّيْكُلُّ لم يجمعهم، ولا عِلم باجتهاعهم، وإنها استدعاهم فرعون من أنحاء البلاد؛ ليبطلوا دعوى موسى الطَّيْلاً، ولكنه المقهور المغلوب يلتمس لنفسه العذر، وإن كان لا يغنى أمام الحق شيئًا(1).

أما السحرة فقد ثبتوا على الإيهان، ولم يبالوا بوعيد فرعون الطاغية وتهديده، بل صرخوا في وجهه صرخة الإيهان والبطولة، مُتَحَدَّين فرعون وبطشه وجبروته:

النبوة والأنبياء، محمد على الصابوني، مرجع سابق، ص١٧٧.
 أَوْجَس في نفسه خِيْفَة: وجد في نفسه بعض الخوف نتيجة المفاجأة.

٣. تَلْقَف: تبتلع وتأكل.

النبوة والأنبياء، محمد على الصابوني، مرجع سابق، ص١٧٨،
 ١٧٨

قال سعيد بن جبير: لما سجد السحرة، رأوا منازلهم وقصورهم في الجنة، تُهيّاً لهم، وتُزَخرَفُ لقدومهم، ولهذا لم يلتفتوا إلى تهويل فرعون، وتهديده، ووعيده بل صَدَعوا بالحق في وجهه، ولقد نفذ فرعون ما هددهم به، فصلبهم، وقطع أيديهم وأرجلهم، وقتلهم شر قتله، ومع ذلك لم يثنهم ذلك عن الإيهان بالله، فهاتوا شهداء أبرارًا رضوان لله عليهم أجمعين، قال ابن عباس رضي الله عنها ـ: كانوا أول النهار سحرة، فصاروا من آخره شهداء بررة.

ثالثًا. لا تباين في موقف السحرة من الإيمان بالله وحده لا والسجود له، بل إن إيمانهم وسجودهم كان لله وحده لا شريك له، رب العالمين، رب موسى وهارون، لا كما جاء في الكتاب المقدس:

حين رأى السحرة المعجزة استيقظت عندهم الفطرة الإيمانية، قال الحق على: ﴿ فَأَلْقِي السَّحْرَةُ سُجَدًا قَالُواْءَ امَنَا بِرَبِّ هَنُونَ وَمُوسَىٰ ﴿ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى المَاعِلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَل

وهناك عملية أخرى قولية هي قولهم: ﴿ عَامَنَا بِرَبِّ هَـُونَ وَمُوسَىٰ ﴿ عَامَنَا بِرَبِّ هَـُونَ وَمُوسَىٰ ﴿ اللَّهِ عَالَمُ مِنْ اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهِ عَلَى اللَّهِ مَا أَلْقُوا سَجِدًا، والذي ألقاهم هو قوة الحق؛ لمفاجأته

الفطرة؛ فانكبوا على الأرض سـاجدين دون اختيـار أو شعور، ومع أن موسى الطِّيِّلاً هو المرسل وهــارون الطِّيلاً هو العَضُد، إلا أنهم حينها سجدوا قالوا: ﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَنُرُونَ وَمُوسَىٰ ٧٠٠ ﴾ بعض الناس قد يتساءل، ماذا قال السحرة؟ هل قالوا: آمنا ب ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـُرُونَ ١٠٠٠) أم قالوا: ﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَلُونَ وَمُوسَىٰ ١٠٠٠ ﴾ (طه) ، ونحن نقول: إذا كان رؤساء السحرة سبعين فلا بدأن الأتباع يصل عددهم إلى سبعمائة أو يزيد، فهل من المعقول أن يتحدوا جميعًا في الحركة وفي القول، أم أن كل واحد انفعل بحسب مداركه الإيهانية الجديدة، فبعضهم قال: ﴿ قَا**لْوَا** ءَامَنًا بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿ إِنَّ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَنْرُونَ ﴿ اللَّهُ ﴾ (الشعراء)، وبعضهم قال: ﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَنْرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿ ﴾ (طه) فقيـل هذه وهذه، والقرآن عدَّد كل اللقطات مجتمعة؛ لأنه ليس من المعقول أن يتفق هذا العدد الضخم في الحركة وفي اللفظ؛ ولذلك نجد الواحد من خصوم الإسلام يقول: القرآن يقول عن السحرة مرة: إنهم قالوا كذا، ومرة يقول: إنهم قالوا كذا... فأيها قالوا؟ نقول له: هذه جمهرة لا نستطيع أن تحكي أقبوالهم، فكمل واحمد انفعل بها يقول؛ فنحن نستطيع أن نردّ على من يقول: إن القرآن يحكي أقوالًا متعددة عن كلام السحرة بعد إيهانهم، فأي قول قيل؟ فنقول له: هذه لقطات لمجتمع جماهيري لا تضبط حركاته، ولا تضبط كلماته، بل كــل واحد ينفعل حسب مداركه الإيهانية. فالقرآن عدّد اللقطات؛ ليقصّ كل ما حدث في القصة(١١).

ق صص الأنبياء، محمد متولي الشعراوي، مرجع سابق، ص٣٠٠، ٣٠١.

#### الخلاصة:

- الباطل لا يقبله العقل، ولا يصح أن يكون حجة على الحق، ومعيارًا يقاس به، فالتوراة المحرفة التي يتخذونها مقياسًا للحقيقة في زعمهم تجعل من رب العالمين إلمًا لبني إسرائيل وحدهم، وتجعلهم شعبه المختار، وما عداهم عبيد لهم.
- الكتاب المقدس يزيف الحقائق، ويجعل موسى الطّيّة إلمّا وهارون الطّيّة نبيًا له، وهذا لا يتوافق مع العقل السليم.
- القرآن يخبر بالحقيقة، والقرآن ثبتت حجته تاريخيًّا. وهو يحكي قصة السحرة مع موسى العَيْنَة وإيانهم بالله عندما اكتشفوا زيف سحرهم حقيقته، وإعجاز ما يفعله موسى العَيْنَة، فعلموا أن هذا ليس بسحر، وإنها هي آية من آيات الله الباهرة، أظهرها على يد رسوله موسى العَيْنَة، وعرفوا أن ذلك ليس بطاقة إنسان، وإنها هي القوة الإلهية التي تصنع العجائب، فخروا لله ساجدين، وقالوا: ﴿ قَالُوا عَامَناً بِرَبِ ٱلْعَلَمِينَ اللهِ الشعراء).
- فهذه صورة حية تبرز الفارق بين كلام الخلق المتمثل في الكتاب المقدس، وكلام الخالق المتمثل في القرآن الكريم.
- لا تباین فی موقف السحرة من الإیهان بالله
   والسجود له وحده، بل کان إیهانهم وسجودهم لله
   وحده لا شریك له، رب العالمین، رب موسی وهارون.

## 

### الشبهة الخامسة والخمسون

## دعوى مخالفة القرآن الكريم التوراة في عدد آيات موسى اليكة (\*)

#### مضمون الشبهة:

يدعي بعض المشككين تعارض القرآن الكريم مع الكتاب المقدس في عدد الآيات أي المعجزات والعلامات التي جاء بها موسى الكلي، ففي حين أنها في التوراة عشر آيات، نجد القرآن يقول: إنها تسع، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَائِينًا مُوسَىٰ قِشْعَ ءَايَنتِ بَيِّنَتِ ﴾ (الإسراء: ١٠١).

#### وجها إبطال الشبهة:

1) القرآن الكريم صاحب الكلمة الفصل في عدد الآيات التي ابْتُلي بها بنو إسرائيل؛ لأن القرآن ثبتت حجته تاريخيًّا بصحة سنده، وبموافقة المؤرخين له.

إن مفسري التوراة أنفسهم قد اختلفوا في عدد هذه الآيات، وهذا الاختلاف من شأنه أن يثبت صحة ما ورد في القرآن.

#### التفصيل:

## أولا. القرآن الكريم هو الحجة وثبتت حجته، والكتب الأخرى لم تثبت حجتها:

بداية نقول: إن ما ثبتت حجته يكون حجة على ما لم تثبت حجته، والقرآن حجة تاريخية موثقة، ويبدو أن الزاعمين لا تزيد معلوماتهم التاريخية عما جاء في

<sup>(\*)</sup> حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، د. محمود حمدي زقزوق، مرجع سابق.

الكتاب المقدس، وأن القرآن الكريم \_ وهـ و صاحب كلمة الفصل الحق \_ يذكر أن الله على آتى موسى الكلي تسع آيات بينات: ﴿ وَلَقَدْ ءَالَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ اَيَنَ بِيَنْتِ بَيْنَتِ مَنْ فَقَالَ لَهُ، فِرْعَوْنُ إِنِي لَأَظُنُك فَسْعُ لَ بَنِي إِسْرَوْمِ لَلَ إِذْ جَآءَهُم فَقَالَ لَهُ، فِرْعَوْنُ إِنِي لَأَظُنُك يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا الله (الإسراء).

أمر الله المحقق موسى أن يُعلم فرعون وقومه، بأن الله سيوقع عليهم العذاب الشديد، جزاء تكذيبهم، وامتناعهم عن إطلاق بني إسرائيل، فأرسل الله عليهم أنواعًا من العذاب وصُنُوفًا (١) من البلاء، وكانت بمثابة إنذار لهم من الله الله الله يعودوا إلى رشدهم، وأظهر هذه الابتلاءات أو الآيات التسع التي أرسلها الله على قوم فرعون، وهي:

- القحط والجدب: وهو الذي عبَّر عنه القرآن بالسنين"، وهي أعوام الجدب التي أصابتهم، حيث لا يستغل فيها زرع، ولا ينتفع بضرع.
- النقص من الثمرات: وهي قلة الثهار من
   الأشجار بسبب الجوائح والعاهات.
- الطوفان: وهو كشرة الأمطار المتلفة للزوع
   والثهار، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهها وقيل: المراد فيضان نهر النيل عليهم.
- الجراد: وقد أرسله الله على آل فرعون بشكل غير
   معهود، فكان يغطي الخضراء، ويحجب ضياء الشمس
   لكثرته، وكان لا يترك لهم زرعًا ولا ثمرًا.
- القُمَّل: وهو السوس الذي يفسد الحبوب، وقيل: هو القمل المعروف، وقيل: هو البعوض الذي أقضً مضاجعهم ولم يمكنهم من الغمض ولا العيش.

- الضفادع: وقد كثرت عندهم حتى نغّصت عليهم عيشهم، حيث كانت تسقط في أطعمتهم وأوانيهم، وتقفز على فُرُشِهم وملابسهم.
- الدم: وهو من الآيات الواضحة، فقد استحال الماء دمًا، فلا يسقون من بئر، ولا نهر إلا انقلب إلى دم في الحال.
- العصا: وكانت من معجزات موسى العَيْلَا حيث تنقلب إلى حية تسعى.
- اليد: إذ كان يضع يده في جيبه، ثم يخرجها بيضاء من غير سوء آية أخرى، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَانَيْنَا مُوسَىٰ يَسْعَ ءَايَنتِ بَيِنَتِ فَسَعْلَ بَنِيَ إِسْرَءِ بِلَ إِذْ جَآءَ هُمْ فَقَالَ لَهُ، فِرَعَوْنُ إِنِّ لَأَظُنْكَ يَنمُوسَىٰ مَسْحُولًا ( الإسراء).

فكان هؤلاء كلم شاهدوا آية أظهروا الأسف والندم، وجاءوا إلى موسى العلام يطلبون منه أن يدعو ربه ليكشف عنهم الرِّجْز (٢) والعذاب، فإذا رفعت عنهم تلك الآية عادوا إلى شر مما كانوا عليه، حتى كانت الآية الكبرى التي لم ينج منها أحد من فرعون الطاغية وجميع جنوده، ألا وهي غرقهم بجيعًا للطاغية وجميع جنوده، ألا وهي غرقهم بجيعًا في البحر، قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا عَاسَفُونَا ٱننَقَمْنَا فَيَا الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا عَاسَفُونَا ٱننَقَمْنَا فَيَا الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا عَاسَفُونَا ٱننَقَمْنَا فَيَا الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا عَاسَفُونَا ٱننَقَمْنَا فَيَمَلَلُهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا

## ثَانيًا. اختلاف مفسري التوراة في عدد هذه الآيات:

إن مفسري التوارة صرَّحوا بالاختلاف في عدد هذه

١. الصُّنُوف: جمع صنف، وهو النوع.

٢. الرِّجْز: العذاب.

٣. آسفونا: أغضبونا بكثرة عصيانهم.

النبوة والأنبياء، محمود علي المصابوني، مرجع سابق، ص١٨٠: ١٨٨.

ع، يوجد من يقول: الشبهة السادسة والخمسون

ادِّعاء أن موسى الطَّيِّة استهان بكلام الله واعتدى على نبي الله هارون الطَيِّة (\*)

#### مضمون الشبهة:

يدعي بعض المتوهمين أن موسى الله أهان كلام الله وآذى نبيه، ويستدلون على زعمهم بقوله اله الله وكنا فرَجَع مُوسَى إلى قَوْمِهِ عَضْبَنَ آسِفًا قَالَ بِنْسَمَا خَلَفْتُهُونِي مِنَ بَعْدِى أَعَا لَكُ فَرَاسِ آخِيهِ بَعْدِى أَعَرِلْتُمْ أَصَ رَبِكُمْ وَالْقَى الْأَلُواحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ آخِيهِ بَعْدِى أَعَرِلْتُمْ أَمْ إِنَّ الْقَوْمِ السَّتَضْعَفُونِ وَكَادُوايَقْنُلُونَنِي يَجُرُّهُ إِلِيَةً قَالَ أَبْنَ أَمْ إِنَّ الْقَوْمِ السَّتَضْعَفُونِ وَكَادُوايَقْنُلُونَنِي يَجُرُّهُ إِلِيَةً قَالَ آبْنَ أَمْ إِنَّ الْقَوْمِ السَّتَضْعَفُونِ وَكَادُوايَقْنُلُونِي يَجُرُهُ إِلِيتِهِ قَالَ آبْنَ أَمْ إِنَّ الْقَوْمِ السَّتَضْعَفُونِ وَكَادُوايَقْنُلُونِي فَكَا لَهُ مِنْ الْقَوْمِ الظَّلِمِينَ فَلَا تُشْعَلِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّلِمِينَ فَلَا تُشْعَلِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّلِمِينَ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَ

### وجها إبطال الشبهة:

إلقاء الألواح لا يقتضي إهانتها، وليس في الأمر
 إلا العجلة في الوضع الناشئ عن الغيرة لله تعالى.

٢) أخْدنُ موسى الطّيك بسعر رأس هارون الطّيك ولحيته ليس ذنبًا؛ لأنه لم يكن يجره إليه على سبيل
 الإيذاء، بل كان يدنيه إلى نفسه؛ ليتبين منه حقيقة الأمر

الآيات، فالآية الثانية وهي الضفادع، يوجد من يقول: إنها التماسيح، والآية الثالثة، قال بعضهم: إنها ضربة القمل، وقال بعضهم: إنها ضربة البعوض، والآية الرابعة قال بعضهم: إنها ذباب الكلب خاصة، وقيل: مطلق الذباب. وفي القرآن الكريم أن الآيات التسع فيها آية الطوفان، فقد ورد ذكره في قوله تعالى: فأرسَلنا عَلَيْمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجُرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ عَلَيْتِ مُفْصَلَتِ فَأَسَّتَكَبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا تُجَرِمِينَ اللهِ الايدان.

وهذا الاختلاف بين مفسري التوراة يؤكد أن ما جاء في القرآن هو الصواب.

#### الخلاصة:

• القرآن الكريم أخبر أن آيات موسى الطَّيِّلُا تسع، وهي: العصا، واليد، والطوفان، والجراد، والقمَّل، والضفادع، والدم، والسنين، ونقص الثمرات. والقرآن صاحب الكلمة الفصل في ذلك؛ لأنه ثبت حجته تاريخيًّا، والكتاب المقدس لم تثبت حجته تاريخيًّا، فأيادي التحريف قد عبثت به.

• لقد اختلف مفسرو التوراة أنفسهم بشأن هذه الآيات، سواء من حيث العدد أم التسمية، ففي الآية الثالثة ـ على سبيل المثال ـ نجد أن منهم من قال: إنها القمل، ومنهم من قال: إنها ضربة البعوض ؛ مما يؤكد عدم صدق هذه التوراة واضطراب ما جاءت به من أخبار.

### 200 CK

حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، د. محمود حمدي زقزوق، مرجع سابق، ص٥٠٣.

<sup>(\*)</sup> عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق.

في تلك الواقعة (عبادة العجل)، ويعرف منه كيف وقعت.

#### التفصيل:

# أولاً. إلقاء الألواح لا يقتضي إهانتها، وليس في الأمر إلا العَجَلَة في الوضع الناشئ عن الغيرة لله تعالى:

فإلقاء الألواح لا يقتضي إهانتها، إذ كان السبب في القائها غضبه على قومه الذين عبدوا العجل، كما هو واضح من الآية الكريمة: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ عَصْبَىٰ أَسِفًا قَالَ بِنْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِى ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمَى عَضْبَىٰ أَسِفًا قَالَ بِنْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمَى وَنَجَعُمُ وَالْقَى الْأَلُواحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥ وَإِلَيْهِ قَالَ أَبْنَ أُمَّ وَرَبِّحُمُ مُ وَالْقَى الْأَلُواحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ وَإِلَيْهِ قَالَ أَبْنَ أُمَّ وَلِيَحُمُ مُ وَالْقَى الْأَلُواحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ وَإِلَيْهِ قَالَ أَبْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمِ الطَّيْلِينِ فَلَا تُشْمِتَ فِي اللّهَ عَلَيْ مَعَ الْقَوْمِ الطَّلِمِينَ ﴿ الْأَعْرَافَ ). الأعراف ). الأعدل يقضي بأنه لا يستهين رسول بكلام ربه، وهو فإن الغقل يقضي بأنه لا يستهين رسول بكلام ربه، وهو الذي يدعو إلى تعظيمه، والقيام بحقه.

و ينبغي فهم إلقاء موسى الكلا الألواح على أنه لما رأى قومه على ما رأى، غضب غضباً شديدًا حمية للدين، وغيرة من الشرك برب العالمين، فعجّل بوضع الألواح؛ لتفرغ يده، فيأخذ برأس أخيه، فعبر عن ذلك الوضع بالإلقاء؛ تفظيعًا لفعل قومه الذي كان سببًا له، وليس في وضع الألواح إهانة لكلام الله تبارك وتعالى.

وعلى القول بأن بعض الألواح قد انكسرت، فلم يكن قصد موسى النفي أن تنكسر، ولا ظن ترتبه على ما فعل، وليس ما في الأمر إلا العجلة في الوضع الناشئ عن الغيرة لله تعالى (١).

ثانياً. أخذ موسى الله بشعر رأس هارون الهه ولحيته ليس ذنبا؛ لأنه لم يكن يجره إليه على سبيل الإيذاء، بل كان يدنيه إلى نفسه؛ ليتبين منه حقيقة الأمر:

فقد كان خوف هارون الناس المارون إسماقًا على موسى الناس يؤذيه، ولهذا قال هارون إشماقًا على موسى: ﴿ لَا تَأْخُذُ بِلِحَيِّ وَلَا بِرَأْسِي ﴾ (طه: ٩٤) أي لئلا يظن القوم بك ما لا يليق، والأرجح أن أخذ موسى بلحية ورأس هارون - عليها السلام - كان لشدة غضبه حين رأى قومه قد عبدوا العجل، ولظنه أن هارون ربا قصّر في نهيهم عن ذلك، ولعدم لحاقه به حين رأى قومه قد ضلُوا، ويكون إنكار موسى على هارون ون عليها السلام - لأن الواجب عليه - في نظر كليم الله موسى الناسي - أن يكف قومه عن عبادة العجل إن استطاع، أو يتبعه إلى جبل الطور إن لم يستطع كفّهم عن عبادة العجل ".

والذي يقره العقل ويؤيده النقل أن هارون النيلا لم يُقصِّر في نهي قومه عن اتخاذ العجل إلها وعبادة، وإنها بذل قصارى جهده للحيلولة دون ذلك؛ لأنه رسول مهمته الأولى الدعوة إلى عبادة الله وحده. فلا يعقل أن يسكت عن قومه، وهم ينكصون على أعقابهم مرتدين بعد إيانهم والقرآن الكريم قد حكى عنه قوله لهم: ولقد قالَ لَمُمُ هَرُونُ مِن قَبْلُ يَكَوَّمِ إِنَّمَا فُيَنتُم بِهِ وَإِنَّ وَإِنَّ مَا فَيتنتُم بِهِ وَإِنَّ وَإِنَّ مَا فَيتنتُم بِهِ وَإِنَّ مَا فَي يَعْمُ لِمَا أَنْ هارون النَّيلا لم يستجيبوا له، بل كادوا يقتلونه. وأما أن هارون النَّلا لم يركهم بعد أن جاهد لردهم عن المضلال ويتبع موسى النَّلا في فلأنه لم يرد أن يخالف أمر موسى النَّلا له

١. المرجع السابق، ص ٣٤١، ٣٤٢.

٢. المرجع السابق، ص٣٤٢.

أي الذي قلته لك حين استخلفتني فيهم، وعلى هذا فهارون الطّينة لم يُقَصِّرُ في شيء مما كان عليه أن يفعله، وساحته بريئة من الذنب في هذا المقام كأخيه موسى الطّينة.

واستغفار موسى عُقيب ما تقدم لنفسه ولأخيه عليها السلام ـ يشفقون عليها السلام ـ لأن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ يشفقون عما لا يشفق منه غيرهم، ويندمون على مخالفة الأولى، ويستغفرون منه، حيث كان الأولى به الطيخ ألا يُروع ويستغفرون منه، حيث كان الأولى به الطيخ ألا يُروع أخاه هارون الطيخ، وألا يظن به التقصير، ولكن شدة الغضب، والغيرة لله على قومه في اتخاذهم العجل جعلته يفعل هذا وهارون الطيخ خالف الأولى بتركه العجل، وكان الأولى أن يحرقه وينسفه (۱) في البحر، كما صنع موسى الطيخ: ﴿ وَانظُرْ إِلَى إِلَيْهِكَ ٱلّذِي ظُلْتَ عَلَيْهِ وَلَكُن مَا يشفع لهارون الطيخ أنه ليس بالقوة والشدة ولكن مما يشفع لهارون الطيخ أنه ليس بالقوة والشدة موسى (۱).

#### الخلاصة:

- إلقاء الألواح لا يقتضي إهانتها، ولا إهانة كلام الله تعالى، وحاشا لنبي من الأنبياء أن يستهين بكلام الله، وكيف يستهين به وهو الذي يبلغه ويدعو إلى تعظيمه فهو أولى بالتعظيم له من غيره؛ ولكنه عندما رأى قومه على ما رأى من عبادة العجل غضب غضبًا شديدًا، فعجل بوضع الألواح تفظيعًا لفعل قومه. فليس في الأمر إلا العجلة في الوضع الناشئ من الغيرة لله تعالى.
- أَخْذُ موسى برأس هارون عليها السلام ولحيته ليس ذنبًا؛ لأنه لم يكن يجره إليه على سبيل الإيذاء، بل كان يدنيه إلى نفسه؛ ليتبين منه حقيقة الأمر في تلك الواقعة، واستغفار موسى المنتخ عقب ما تقدم لنفسه ولأخيه؛ لأن الأنبياء يشفقون عما لا يشفق منه غيرهم، ويندمون على مخالفة الأولى.

# AND K

### الشبهة السابعة والخمسون

ادّعاء أن موسى وهارون لم يكونا مؤمنَيْن، وأن موسى العَيْنْ في الموسى العَيْنْ وَصَلَى قومه بسرقة المصريين (\*)

#### مضمون الشبهة :

يدعي بعض المتوهمين أن موسى وهارون عليها السلام \_ لم يكونا مؤمنين بالله، بدليل أن الله تعالى قال في التوراة لموسى الميلية: "إنكما لم تؤمنا بي ولم تقدساني على

١. يَنْسِف: ينشر.

عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، د. محمد أبـو النور الحديدي، مرجع سابق، ص٣٤٣، ٣٤٤.

<sup>(\*)</sup> الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، د. محمود ماضي، دار الدعوة، مصر، ١٩٩٦م.

عيون بني إسرائيل؛ لذلك لا تدخلان أنتها وهؤلاء الجهاعة الأرض التي أعطيها لهم"، لذا وصَّى قومه أن يسرقوا من المصريين حليهم وأُمْتِعتهم (١)عند خروجه من مصر اعتهادًا على ما ورد في سفر الخروج.

#### وجها إبطال الشبهة:

- دعوة الأنبياء قوامها الإيمان بالله على وتوحيده،
   ولا يعقل أن يدعو إلى الإيمان من لم يؤمن.
- لم يثبت عن موسى الكلي أنه وصّى قومه بالسرقة، وهذا التحريف واقع من اليهود؛ لإضفاء الشرعية على جرائمهم ضد غير اليهود.

#### التفصيل:

# أولا. دعوة الأنبياء قائمة على الإيمان بالله تعالى وتوحيده، فكيف يصبح نبيًا دون أن يؤمن بالله؟ وكيف يدعوإلى ما لم يؤمن به ويعتقده؟ (

من المعلوم أن وظيفة الأنبياء هي دعوة البشرية إلى الإيهان بالله وحده، لا شريك له، وتخليص العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد. ويظهر هذا جليًّا في دعوة موسى وهارون عليها السلام لفرعون إلى عبادة رب العالمين، فحينها سأل فرعون موسى الكيلان: من رب العالمين، فحينها سأل فرعون موسى: ربنا الذي من ربك؟ من رب العالمين؟ قال موسى: ربنا الذي خلقنا وهدانا وجعل لنا الأرض عمهدة لنتخذ فيها مسالك وطرقًا، وأنزل من السهاء ماء، فأخرج به أزواجًا من نبات شتى، ربنا رب السموات والأرض وما بينها إن كنتم مؤمنين، واستمر موسى الكليلا في تعريف فرعون والحاضرين حقيقة الألوهية، ومن هو تعريف فرعون والحاضرين حقيقة الألوهية، ومن هو

الله الذي تجب عبادته، فقال: رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون (٢).

فالله أرسل موسى وهارون لفرعون وملئه ليدعواه إلى عبادة الله وحده عبادة رب العالمين، فكيف يرسلها الله لهذه المهمة، وهما غير مؤمنين به؟! وكيف يدعوان إلى ما لم يؤمنا به، ويعتقدا صحته؟!

ونتساءل: كيف ينكر هؤلاء إيهان موسى التَّلَيَّة، وقد صرَّحت التوراة به؟!

فقد جاء في سفر الخروج ما نصّه: "والآن هو ذا صراخ بني إسرائيل قد أتى إلي، ورأيت أيضًا الضيقة التي يضايقهم بها المصريون، فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون، وتخرج شعبي بني إسرائيل من مصر"، فقال موسى لله: "من أنا حتى أذهب إلى فرعون، وحتى أخرج بني إسرائيل من مصر؟" فقال: "إني أكون معك، وهذه تكون لك العلامة أني أرسلتك: حينها تخرج الشعب من مصر، تعبدون الله على هذا الجبل" فقال موسى لله: "ها أنا آتي إلى بني إسرائيل وأقول لهم: إله آبائكم أرسلني إليكم. فإذا قالوالي: ما اسمه؟ فهاذا أقول لهم؟" فقال الله لموسى: "أهيه الذي أهيه" وقال: هكذا تقول لبني إسرائيل: أهيه أرسلني إليكم.". الحروج ٣: ٩-٤١).

فهذا نصَّ صريحٌ على أن نبي الله موسى التَّكِين دعا بني إسرائيل إلى الإيمان بالله رب العالمين، وكان ذلك هو السبب في اضطها د فر عون له و لمن آمن معه، وتعذيبه لهم على النحو الذي صرَّح به القرآن الكريم في

١. الأمتعة: كل ما ينتفع به ويرغب في اقتنائه؛ كالطعام وأثاث المنزل.

حياة وأخلاق الأنبياء، أحمد الصباحي عوض الله، مرجع سابق، ص١٨٧.

غير موضع، ومن تلك المواضع التي جمعت دعوة موسى الطُّه لله عون إلى الإيهان بالله وحده ووعيد فرعون لموسى الطُّيِّئارٌ لئن اتخذ إلهًا غيره ليسجننُّه، ثم وعيده لمن اتبع موسى ليقطِّعن أيديهم وأرجلهم من خلاف وليصلبنهم من تلك المواضع سورة الشعراء، قال الله تعالى حاكيًا ما حدث: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَكَمِينَ ﴿ ۚ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَاوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا يَنْفُمَا ۖ إِن كُنتُم مُّوقِينِينَ ۞ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥ أَلَا تَسْقِعُونَ ۞ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآيِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ٣ قَالَ إِنَّ رَسُولِكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَخْنُونٌ الله وَبُ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ الله قَالَلَهِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَنهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿ ۖ قَالَ أَوَلُو جِنْدُكَ بِشَيْءٍ مُبِينِ آنَ قَالَ فَأْتِ بِدِيدٍ إِن كُنتَ مِن ٱلصَّدِيقِينَ ﴿ أَنَّ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِنَا هِي ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿ أَنَّ وَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآهُ لِلنَّظِرِينَ ﴿ إِنَّ قَالَ لِلْمَلِا حَوْلُهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَدِحُرُ عَلِيدٌ اللهُ يُرِيدُ أَن يُغْرِجَكُم مِنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونِ اللَّهِ عَالُوٓا أَرْجِهُ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمُدَابِّنِ حَاشِرِينَ اللهُ يَا أَتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارِ عَلِيدٍ اللهَ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِيبِقَنْتِ يَوْمِ مَّعَلُومٍ اللهِ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم تُجْتَمِعُونَ اللَّهُ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَاثُوا هُمُ ٱلْفَيْلِيينَ ۗ ۖ فَلَمَّا جَأَةَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَبِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَلِيِينَ (أَنَّ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَّمِنَ ٱلْمُقَرِّبِينَ ﴿ قَالَ لَهُمْ مُّوسَىٰ أَلْقُواْ مَاۤ أَنْتُم مُّلْقُونَ اللهُ فَأَلْقُوا حِبَالْهُمُ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةٍ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْعَلِلِمُونَ اللَّهِ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (الله عَالَمْ الله عَرَةُ سَنجِدِينَ الله عَالُوا عَامَنَا بِرَبِ ٱلْعَالِمِينَ الله عَلَى الله عَلَمَ الله عَلَمُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ الله عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ الله عَلَمُ الله عَلَمُ الله عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ عَلَّا عَلَمُ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَدُونَ ﴿ كُنَّ قَالَ ءَامَنـتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّـهُۥ لَكِيثُرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأَفَطِّعَنَ ٱيْدِيكُمُ ۗ وَأَنْجُلُكُم مِنْ خِلَفٍ وَلَأُصَلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ إِنَّ قَالُواْ لَا ضَيْرٌ لِنَّا

إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿ ﴿ ﴿ الشَّمَرَاءُ ﴾ فَهَلَ يَأْتِي أَحَدَ بَعَدَ ذَلِكَ و ينكر إيمان موسى التَّيِينُ ، و لو لم يكن موسى التَّيِينُ مؤمنًا فلماذا عاداه فرعون وملؤه ؟

ثانيًا. لم يثبت عن موسى النه وصَّى قومه بالسرقة؛ فكيف يأمر بالسرقة وهو صاحب الرسالة الربانية التي تأمر بالعدل والإحسان، وتنهى عن الفحشاء والمنكر؟!

اتفق النفي النفي موسى مع بني إسرائيل على الخروج من مصر، والذهاب إلى الأرض المقدسة "فلسطين" التي كتبها الله لهم، وأعد عدته معهم، ثم سار بهم ليلا من أرض مصر مستخفين حريصين أن يكون خروجهم هذا سِرِّيًا؛ حتى لا يشعر به فرعون وقومه، فتصيبهم ألوانٌ من العذاب. فكيف يكون خروجهم بهذه الطريقة، ثم يأمر موسى النفي قومه بسرقة أمتعة المصريين وحُليهم، أليس هذا مخالفًا للعقل؟!

لقد كتب الله في الألواح التي أعطاها له ولقومه هذه الوصايا العشر وهي معظم التوراة، وعليها مدار كل

١. المرجع السابق، ص١٩٧.

شريعة، وهي الأخلاق التي دعا الله إليها موسى وهارون عليهما السلام وبني إسرائيل، وهي:

"بسم الله؛ هذا كتاب من عند الله الملك العزيز القهار ورسوله موسى بن عمران، أن سبحني وقدسني، لا إله إلا أنا فاعبدني، ولا تشرك بي شيئًا، واشكر لي ولوالديك إلى المصير؛ أحييك حياة طيبة، ولا تقتل النفس التي حرم الله عليك؛ فأضيق عليك السماء بأقطارها، والأرض برحبها، ولا تحلف باسمى كاذبًا؛ فإنِّي لا أطهر ولا أزكي من لا يعظم اسمي، ولا تشهد بها لا يَعِي سمعُك ولا تنظر عينك، ولا يقف عليه قلبك؛ فإني أوقف أهل الشهادات على شهاداتهم يـوم القيامة وأسألهم عنها، ولا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلي ورزقي؛ فإن الحاسد عدو نعمتي ساخط لقسمتي، ولا تَزْنِ ولا تسرق؛ فأحجب عنك وجهي، وأغلق دون دعوتك أبواب السهاوات، ولا تذبح لغيري فإنه لا يصعد إلى من قربان أهل الأرض إلا ما ذكر عليه اسمى، ولا تفجر بحليلة جارك فإنه أكبر مقتًا عندي، وأحب للناس ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكرهه لنفسك".

النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّلَكُمْ بِهِ لَعَلَكُمْ لَمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّه

أبعد هذا كله يحق لهو لاء أن يتهموا الأنبياء بهذه التهم الشنيعة التي لا يرضاها العقل والمنطق، فضلًا عن أصحاب العقائد السليمة والفطر القويمة؟!

#### الخلاصة:

- موسى وهارون عليهما السلام نبيان من عند الله تهل ووظيفة النبي هي الدعوة إلى الإيهان بالله وحده لا شريك له، وتوحيده الله وقبل أن يدعو النبي إلى ذلك لا بد أن يؤمن هو أولًا بذلك ويقتنع به؛ لأنه لا يعقل أن يدعو أحد إلى شيء لا يؤمن به.
- توصية موسى النالي قومه بسرقة المصريين زعم لا دليل عليه، ولا تتفق مع مقام النبوة، ومنزلة كليم الله، وواحد من أولي العزم من الرسل. فضلًا عن أنه خرج من مصر بقومه مستخفيًا، هاربًا من فرعون وقومه، فكيف يأمر بها يثير القوم، ويهيجهم؟!
- جاء في الوصايا العشر لموسى العلية من الله كل الا يسرق؛ فإن السرقة تحجب عن العبد وجه ربه،

١. المرجع السابق، ص٢٠٤، ٢٠٤.

وتغلق دون دعواته أبواب السماء فلا تُرْفَع.

# AGE:

## الشبهة الثامنة والخمسون

ادِّعاء أن موسى الطَّيْسُ كان وصيًا على محمد ﷺ وأمته (\*) مضمون الشبهة:

يدعي بعض المتوهمين أن موسى الني كان وصيًا على محمد وأمته، ويستدلون على ذلك بها حدث ليلة الإسراء والمعراج من موسى بعد ما أخبره محمد وأبيان الله فرض على أمت خسين صلاة، فأوصى محمدًا وأن يرجع إلى ربه، ويسأله التخفيف، ففعل.

### وجها إبطال الشبهة:

1) الأنبياء كلهم مبلّغون عن الله رسالته، متآخون متناصحون. وما قاله موسى النفي لمحمد الله كان من قبيل التناصح لا من باب الوصاية.

٢) محمد الله هو أفضل الأنبياء جميعًا، وقد أخذ الله الميثاق على النبيين لئن بُعث وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه، فلو أدرك موسى المنه زمن محمد الله لله وسعه إلا اتباعه.

#### التفصيل:

أولا. ما كان بين موسى الشيخ ومحمد ﷺ من ليلة الإسراء والمعراج كان من قبيل التناصح لا من باب الوصاية:

قبل كل شيء لا بدأن نوضّح أن دين الأنبياء جميعًا

واحد، وهو الإسلام، وأن العلاقة بين رسل الله قائمة على التآخي والتناصح فكلهم مبلِّغون عن الله رسالته، وهي علاقة قائمة على أساس التأكيد والتتميم، وهذا ما أبرزه النبي في قوله: "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلَّا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبين"(۱).

قال ابن عباس \_ رضي الله عنها \_: "لم يبعث الله نبيًا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بُعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته، لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه"(٢).

ولقد ضرب لنا النبي على مثلًا يؤكد على علاقة

<sup>(\*)</sup> المستشرقون والقرآن، د. إسهاعيل سالم عبـد العـال، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب خاتم النبين ﷺ (٣٣٤٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه خاتم النبين (٦١٠١).

شبهات المستشرقين حول العبادات في الإسلام، د. ناصر محمد السيد، مركز التنوير الإسلامي، القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م، ص٥٥.

الأخوة القائمة بين الأنبياء جميعًا في قوله ﷺ: "الأنبياء إخوة لعلّات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد"(١).

وانطلاقًا مما سبق نستطيع أن نفسد حديث المراجعة الذي داربين النبي على وبين موسى النيخ ليلة الإسراء والمعراج، والذي يتخذه بعض المتوهمين دليلًا على وصاية موسى التيليم على محمد ﷺ وعلى أمته، ولكبي تظهر الحقيقة جلية لا بد أن نذكر نص هذا الحديث كما روته كُتب السنة يقول النبي على: ".. ثم فُرِضت على الصلوات خمسين صلاة كل يـوم، فرجعـت، فمـررت على موسى، فقال: بها أُمرت؟ قلت: أمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عنى عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عنى عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فـأُمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت فقال مثله، فرجعت فأُمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى، فقال: بما أُمرت؟ قلت: بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كـل يـوم، وإني قـد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف الأمتك، قال: سألت ربي حتى استحييت، ولكني أرضى وأسلِّم، قال:

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ﴿ وَاذْكُرُ فِي الْحِينَ مِنْ مَرْيَمَ إِذِ النّبَذَتُ مِنْ الْمَلِهَا ﴾ (مريم: ١٦) (٣٢٥٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى الليه في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى الله ١٢٨١).

فلها جاوزت نادى منادٍ أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي"(٢). عبادي"(٢).

إن المتأمل لهذا الجزء من حديث الإسراء والمعراج، لا يجد ما يدعيه هؤلاء من أن موسى الملية جعل من نفسه وصيًّا على محمد وأمته، وإنها يشير هذا الحديث إلى نصح موسى الله للنبي الله بحكم خبرته وتجربته مع بني إسرائيل ومعالجتهم، فأشفق على أمة محمد وحمة بهم في أن يقعوا فيها وقع فيه بنو إسرائيل، قال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في تعليقه على هذا الحديث: "والظاهر من السياق أن الذي حمل موسى الملية على ما ذكر من طلب تكرار المراجعة هو رحمة أمة محمد والشفقة عليهم، فجزاه الله خيرًا".

ويقول القرطبي: الحكمة في تخصيص موسى التي المراجعة النبي المراجعة النبي المراجعة النبي المراجعة النبي المراجعة النبي المراجعة النبي المراجعة من الصلوات بها لم تكلّف به غيرها من الأمم، فثقلت عليهم، فأشفق موسى التي على أمة محمد المراجعة من مثل ذلك، ويشير إلى ذلك قول موسى التي في الحديث السابق: "وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة".

وذكر السهيلي: أن الحكمة في ذلك أنه كان رأى في مناجاته صفة أمة محمد رضي الله أن يجعله منهم، فكان إشفاقه عليهم كعناية من هو منهم (٣).

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب المعراج (٣٦٧٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات (٤٣٤)، واللفظ للبخاري.

٣. أضواء على أحاديث الإسراء والمعراج، د. سعد المرصفي،
 مؤسسة الريان، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص٧٧:
 ٧٧ بتصرف.

# ثانيًا. محمد ﷺ هو أفضل الأنبياء جميعًا، ولو أدرك موسى السلال زمنه ﷺ لما وسعه إلا اتباعه:

والمتأمل في فضائل الأنبياء الكرام، وقصصهم مع أقوامهم، كما ذكرها القرآن الكريم والسنة المطهرة يجد أنه لا خلاف أن أولي العزم من الرسل هم أفضل من غيرهم من الرسل وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد - صلوات الله وسلامه عليهم - ولا خلاف أيضًا أن محمدًا الله أفضل منهم جميعًا قال الله وأولة أَغَذْنَا مِن النّبِيّيَنَ مِيثَنقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُوج وَلِبْرَهِيم وَمُوسَى وَعِسى ابْنِ مَرْيَمٌ وَأَغَذْنَا مِنْهُم مِيمَنقًا عَلِيظًا الله والأحزاب). فبدأ في هذه الآية بمحمد الله الخاتم؛ لشرفه وكرمه وفضله عند ربه، ثم رتبهم بحسب وجودهم صلوات الله عليهم (۱).

وقد خصَّ الله محمدًا ﷺ بست لم يُعْطِهَا أحدًا من الأنبياء قبله؛ فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "فضلت على الأنبياء بست: أُعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا، وأُرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون"(٢).

والمتأمل في الفضيلة السادسة التي أُعطيها النبي ﷺ وهي كونه خاتم الأنبياء يجد أن المعنى هو: أن الله لا يبعث رسولًا من بعده يغير شرعه، ويبطل شيئًا من دينه (٢٠).

<sup>®</sup> في "طلب النبي تخفيف الصلاة كان تقديرًا كونيًّا" طالع: الوجه الثالث، من الشبهة السابعة، من الجزء الثالث عشر (العبادات والمعاملات الاقتصادية).

عمد ﷺ خير البشر وأمته خير الأمم، محمد أحمد محمد، مكتبة التراث الإسلامي، مصر، ط۱، ۱٤۱۹هـ/ ۱۹۹۸م، ص۸۸، ۸۹ بتصرف يسير.

أخرجه مسلم في صحيحه، أوائل كتاب المساجد ومواضع الصلاة (١١٩٥).

٣. الرسل والرسالات، د. عمر سليمان عبد الله الأشقر، دار
 النفائس، الأردن، ٢٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ص ٢١٩، ٢١٩ متصرف.

مما سبق نستطيع أن نقرر أن الله قد فضل محمدًا على سائر الأنبياء، وجعل شريعته مهيمنة على سائر شرائعهم، بل لقد أخذ الله ميثاق جميع الأنبياء والرسل إن هم أدركوا زمن محمد الشان يؤمنوا به وينصروه كما سبق أن أشرنا.

ومن ثم فإنه من العجيب حقًا أن يتوهم بعضهم أن موسى النه وصيًّ على محمد الله وعلى أمته، والحق الذي لا مراء فيه أن موسى النه لو أدرك زمن محمد الله وسعه إلا اتباع محمد أله قال الله الله وكان موسى حيًا مَا وسعه إلا أن يتبعني "(١)، وكذلك رُوي عن عمر بن الخطاب أنه جاء إلى النبي أنه فقال: يا عمر بن الخطاب أنه جاء إلى النبي أنه فقال: يا جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك؟ قال: فتغير وجه رسول الله قال عبد الله وراوي الحديث فقلت له: ألا ترى ما بوجه رسول الله الله وبمحمد الله وسولا، قال: فَسُرِّي من النبي الله موسى النبي الله شم قال: "والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى النبي شم قال: "والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى النبي شم قال: "والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى النبي شم قال: "والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى النبي شم قال: "والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى النبي شم قال: "والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى النبين شم وأنا حظكم من النبين "(٢).

فالرسول محمد ﷺ خاتم الأنبياء صلوات الله عليه وسلامه إلى يوم الدين، وهو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر، لكان هو الواجب طاعته، المقدم على

الأنبياء كلهم، ولهذا كان ﷺ إمامهم ليلة الإسراء لما الجتمعوا ببيت المقدس (٣).

ولا عجب في هذا، فلقد جمعت شريعته ﷺ الخاتمة محاسن الرسالات السابقة، وفاقتها كهالاً وجلالاً، وهذا ما أشار إليه القرآن في غير موضع كقول الله ﷺ: ﴿ وَنَزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَبَ بِبَيْكَنَا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (النحل: ٨٩)، وقوله ﷺ: ﴿ مَافَرَطْنَا فِي ٱلْكِتَبِ مِن شَيْءٍ ﴾ (الانعام: ٣٨).

وعليه فإن من الخطأ البين أن يوصف طلب موسى النفي من محمد المحمد موسى النفي من محمد المحمد وسؤاله له التخفيف بالوصاية؛ لأن الأمر لا يعدو كها قررنا أن يكون نصيحة من نبي لأخيه، إشفاقًا منه على أمته ورحمة وضعها الله في قلبه.

#### الخلاصة:

- إن العلاقة بين رسل الله جميعًا قائمة على التآخي والتناصح، فدينهم جميعًا واحد، وطريقهم واحد، وهدفهم واحد وهو تبليغ رسالة الله إلى الناس؛ لهذا نجد موسى العلم بحكم تجربته مع بني إسرائيل ومعالجته لهم، يطلب من النبي أن يسأل ربه التخفيف في عدد الصلوات، وهذا من باب النصح للنبي والشفقة على أمته، فقد جعل الله في قلوب أنبيائه رحمة لم يجعلها في قلوب غيرهم.
- لا خلاف أن محمدًا على هو أفضل الأنبياء جميعًا وخاتمهم إلى يوم الدين، وقد أخذ الله الميثاق على النبيين وأممهم لئن بُعث على وهم أحياء ليؤمنن به، ولينصرنه، فلو وُجد على في أي عصر لوجب اتباعه، ولو وجد أي

حسن: أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنها (١٤٦٧٢)، والبيهقي في شعب الإيان (١/ ١٩٩) برقم (١٧٦)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل (١٥٨٩).

حسن: أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكيين، حديث عبد الله بن ثابت الله بن تعلق الله بن ثابت الله بن

عمد خير البشر وأمته خير الأمم، عمر محمد أحمد، مرجع سابق، ص٠٩، ٩١ بتصرف.

نبي في عصره للزمه طاعته، لهذا قال ﷺ - كما تقدم -:
"لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني"(١)؛ ومن
ثم فلا وصاية لأحد من البشر - وإن علا قدره - على
النبي ﷺ أو على أمته.

# AGE:

### الشبهة التاسعة والخمسون

استنكار تعلم موسى الطِّيِّة من الخضر (\*)

#### مضمون الشبهة:

يستنكر بعض المتوهمين أن يكون موسى الطّيّلا قد تعلّم من الخضر؛ لأن هذا \_ في ظنهم \_ يعني أن الخضر أفضل منه، ويتساءلون: كيف يتعلم نبي يتلقى العلم من الله وحيًا دون واسطة بشرية، من بشر عادي؟!

### وجها إبطال الشبهة:

القد اختص الله الخضر بعلم لم يُعطَ لموسى التَّكَانَا،
 فأراد موسى التَّكِينَ بهمته العالية أن يـزداد مـن العلـم
 النافع، وهذا لا يعد انتقاصًا من قدر موسى التَّكِينَ.

٢) على الرغم من اختلاف آراء العلماء حول حقيقة الخضر بين كونه عبدًا صالحًا أو وليًّا أو نبيًّا، فهو على كل حالٍ ليس بشرًا عاديًّا؛ إذ إن أفعاله كلها صادرة عن وحي إلهي.

#### التفصيل:

# أولا. تعلم موسى الله الله من الخضر لا يعني تفضيل الخضر عليه:

بداية نشير في عجالة إلى أن أحدًا من المسلمين لا يستطيع أن يقدح في فضل نبسي الله موسسى الطَّيْكُلِّ، أو أن يشكك في مكانته، ويكفي أنه أكثر الأنبياء ذكرًا في القرآن الكريم، فقد ورد اسمه في القرآن (١٦٦) مرة، وذكرت قصته في ست وثلاثين سورة في القرآن، وهـو من أولي العزم من الرسل الذين أمر الله نبيه ﷺ أن يقتدي بهم، ويصبر كها صـبروا: ﴿ فَأَصْبِرَكُمَا صَبَرَ أَوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (الأحقاف: ٣٥)، وقد آتى الله موسى مقام المخلصين الذين لا سبيل للشيطان عليهم: ﴿ وَأَذْكُرْ فِي ٱلْكِنَابِ مُوسَىٰ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نِّبِيًّا 🐠 🛊 (مريم)، وقد خصه الله بمقام التكليم المباشر من وراء الحجاب؛ إذ ناداه من جانب الطور الأيمن، وقرَّبه نجيًّا، وقال له: ﴿ قَالَ يَكُمُوسَىٰۤ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَلَنتِي وَبِكُلَمِي ﴾ (الأعراف: ١٤٤)، وقــد أنــزل الله عليه التوراة فيها هــدى ونــور(٢): ﴿ إِنَّاۤ أَنزَلْنَا ٱلتَّوَّرَىٰكَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ (المائدة: ٤٤)، وكذلك نهى النبي ﷺ أصحابه أن يفضّلُوه على موسى السِّك بقوله على: "لا تخيّروني على موسى"(٣).

حسن: أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبد الله الهائد المائد الله المائد الله المائد الله المائد الله المائد المائد

<sup>(\*)</sup> مُوقع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية. موقع المعرفة. www.Marefa.org

مدرسة الأنبياء: عبر وأضواء، محمد بسام رشدي النزين، مرجع سابق، ص ١٨١، ١٨١.

٣. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الإشخاص والملازمة والخصومة (٢٢٨٠)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى الملكين (٢٠٠٢).

وإذا أردنا أن نتبع كل فضائل موسى الله كما وردت في القرآن الكريم والسنة المطهرة، لاحتجنا إلى مصنفات طوال، ولكن يكفي ما ذكرنا للتمهيد لحقيقة تعلم موسى الله من الخضر، وبيان أنها لا تعني بحال من الأحوال الانتقاص من شأن موسى الله أو القول بأن الخضر أعلى منه منزلة كما فهم بعضهم خطاً.

وبداية قصة التقاء موسى الطيلا بالخضر رواها أبي بن كعب حيث قال: سمعت رسول الله والله الله الله يقول: "إن موسى الطيلا قام خطيبًا في بني إسرائيل فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يردَّ العلم إليه، فأوحى الله إليه أن لي عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال موسى: يارب، فكيف لي به. قال: تأخذ معك حوتًا فتجعله في مِكْتَل (١)، فحيثها فقدت الحوت فهو ثمّ "(٢)(٣).

من هذه الرواية يتبين لنا أن موسى الطلق لم ينسب العلم إلى الله، أوحى الله إليه أن هناك من هو أعلم منه، وكان هذا الوحي أمرًا إلهيًّا أن يلحق موسى الطلق بمن هو أعلم منه، ويطلب العلم على يديه، فرضي موسى الطلق بيذك، وأحب أن يرداد علمًا على علمه، فسأل الله أن يدله على مكانه ليهاجر إليه، ولوطوى لأجل ذلك المسافات الشاسعة، ولوطالت

به الرحلة أحقابًا (1) مديدة: ﴿ لَا آبَرَحُ حَقَى أَبَلُغُ مَجَمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِى حُقُبًا ﴿ الله (الكهاف) ، ولا يعني أن الخضر أعلى منه منزلة؛ لأن طلب العلم أسمى ما يبتغيه الإنسان، ولا يملُّ من طلبه امرؤ عرف قدره وذاق حلاوته (٥).

وعليه فلا غَضاضة في أن يطلب موسى التَّلِيَّ العلم على يد غيره، وخاصةً إذا علمنا أن هذا العلم الذي كان عند الخضر هو مما اختص الله به الخضر كما اختص الله موسى التَّلِيُّ بعلم لا يعلمه الخضر، فالتفضيل في قوله: "أعلم منك" ليس مطلقًا بدليل قول الخضر

المِكْتَل: السلة أو القُفَّة الضخمة، تصنع من أوراق النخيل،
 يحمل فيها التمر وغيره.

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل: أي الناس أعلم؟ فيكل العلم إلى الله (١٢٢)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر المنه (٦٣١٣).

٣. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ج١١، ص.٩، ٠١.

٤. الأحقاب: جمع حِقْبة، وهي فترة زمنية طويلة.

٥. قصص القرآن، د. محمد بكر إسساعيل، مرجع سابق، ص ٢١٤ بتصرف.

٦. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ج١١، ص١٠.

٧. رام: أراد.

التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٧، ج١٥، ص ٣٧٠، ٣٧١ بتصرف يسير.

لموسى الله لا أعلمه أنا، وانك على علم علمكه الله لا أعلمه أنا، وأنا على علم علّمنيه لا تعلمه أنت" وعلى هذا فيصدق على كل واحد منها أنه أعلم من الآخر(١).

ولكن هل كان العلم الذي لدى الخضر أفضل من العلم الذي لدى موسى العلم الذي لدى موسى العلم الذي أوتيه الخضر "هو علم بالطبع لا؛ لأن العلم الذي أوتيه الخضر "هو علم سياسة خاصة غير عامة تتعلق بمعيّنين لجلب مصلحة أو دفع مفسدة بحسب ما تهيئه الحوادث والأحوال لا بحسب ما يناسب المصلحة العامة، فلعل الله يسره لنفع معيّنين من عنده، كها جعل محمدًا و رحمة عامة لكافة الناس، ومن هنا فارق سياسة التشريع العامة ".

ولهذا كان موسى الطيلا في غناء عنه بها أعلمه الله من أمور الشريعة، ولكن أراد الله أن يعلم موسى الطيلا ألا يغتر بعلمه، وأن الإنسان مهها وصل من العلم فعلمه قليل بالقياس إلى علم الله، وهذا ما قالله الخضر لموسى الطيلا كها جاء من حديث البخاري ـ رحمه الله ـ حينها جاء عصفور فوقع على حرف السفينة التي كانا يركبانها فنقر في البحر نقرة: "ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر" (٢)، ولعل مما يدل على أن العلم اللّذي الذي اختص الله به عبده الصالح الخضر لم يكن واجبًا على موسى الطيلا تعلّمه هو اشتراط العبد الصالح على موسى الطلا تعلّمه هو اشتراط العبد الصالح على موسى الطلا تعلّمه هو اشتراط العبد الصالح على

موسى أن يضبط نفسه إذا أراد صحبته، فلو كان واجبًا ما اشترط عليه الخضر، ولما فارقه لأي سبب من الأسباب.

وخلاصة ما قررناه من حقائق أن تعلَّم موسى الطَّيْنَ من الخضر لا يقدح في مكانة موسى الطَّيْنَ وفضله كما يتوهمون، كما لا يعني بحال من الأحوال أن يكون الخضر أعلى منزلة من موسى الطَّيْنَ.

# ثَانيًا. لم يكن الخضر في تصرفاته يتصرف باعتباره بشرًا عاديًا، بلكانت أفعاله صادرة عن وحي إلهي:

سبق أن وضّحنا حقيقة تعلُّم موسى الكُلُ من الخضر، ونود هنا أن نوضح أن الخضر لم يكن رجلًا عاديًّا كما يزعمون، بل كانت أفعاله كلها صادرة عن وحي من الله تعالى، وعلى الرغم من أن اسمه لم يرد صراحة في القرآن الكريم، إلا أن الله قد وصفه بأحب الصفات، ونسب له العديد من الخصال نذكر منها:

حاز شرف العبودية لله، إذ شهد الله له بقوله:
 فَوَجَدَاعَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ﴾ (الكهف: ٢٥).

٢. آتاه الله رحمة من عنده، وقد وصفه الله بقوله:
 ﴿ اَلْكُنْكُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ (الكهف).

٣. علَّمه الله علمًا لـدُنيًّا عـرف مـن خلالـه حكمة
 الأقدار والأفعال، كما جاء في وصفه: ﴿وَعَلَمْنَـهُ مِن لَّدُنَا عَلَمُنَـهُ مِن لَّدُنَا عِلْمًا إِنْ ﴾ (الكهف).

كانت أفعاله صادرة عن وحي من الله تعالى، وله قال الله وسلى الله الله والله وا

الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ج١١، ص١٠.

٢. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى المنه (٣٢٢٠)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر المنه
 (٦٣١٣).

أوتي علم الباطن (١)، وقد رجَّح ابن كثير القول بنبوته لما يلي:

- وصفه الله بالعبودية له عَلَى بقوله: ﴿ فَوَجَدَاعَبُدًا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ وهـ ذا المقام وصف الله بـه الأنبياء في القرآن الكريم فقال عن نوح الطيخ: ﴿ ذُرِيتَةَ مَنْ حَمَلُنَا مَعَ نُوجٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿ ﴿ الإسراء ﴾ وقال عن بوح الطيخ: ﴿ وَأَذَكُرَ عِبْدَا مَعَ نُوجٍ إِنَّهُ وَكَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿ الإسراء ﴾ وقال عن إسراهيم وإسحاق ويعقوب الطيخ: ﴿ وَأَذَكُرَ عِبْدَنَا وَالْمَعْمِ وَالسّحَنَ وَيَعْقُوبَ أُولِي ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَدِ ( ﴿ وَالْأَبْصَدِ ( ﴿ وَاللّهُ مِنْ اللّهِ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ عَمْدُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ عَمْدُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ وَلَا اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ وَلَا عَنْ اللهُ الله
- آتاه الله رحمة من عنده فقال: ﴿ وَالْيَنْكُهُ رَحْمَةُ مِنْ عَلَى لِسان عِندِنَا ﴾ والرحمة تأي بمعنى النبوة، كما جاء على لسان صالح الطّيّخ: ﴿ قَالَ يَنقُومِ أَرَهَ يَتُمُ إِن كُنتُ عَلَى بِيَنَةٍ مِن رَبِي وَمَالَئِينَ رَحْمَةً ﴾ (هود: ٢٨)، فالرحمة هنا النبوة، وكذلك في قول عن موسى الطّيّخ: ﴿ وَمِن قَبْلِهِ كِئْبُ مُوسَى إِمَامًا وَول عن موسى الطّيّخ: ﴿ وَمِن قَبْلِهِ كِئْبُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ (الأحقاف: ١٢) وقول عن عيسى الطّيّخ: ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ وَاللهُ عَنى النبوة أو الآيات تدل على أن الرحمة قد وردت بمعنى النبوة أو الرسالة.
- علَّمه الله علمًا من لدنه فقال: ﴿ وَعَلَمْنَاهُ مِن لَدُنَّا عِلْمًا ﴾. وقد ذكر القرآن الكريم أن الله تولى بنفسه مهمة

تعليم الأنبياء، فقال عن آدم: ﴿ وَعَلَمْ ءَادَمُ الْأَسْمَآءَ
كُلُهَا ﴾ (البقرة: ٣١)، ووصف يعقوب الطيخ بقوله: ﴿ وَإِنَّهُ وَ لِلَّهُ لِمَا عَلَمْنَكُ ﴾ (يوسف: ١٨)، وقال عن داود: ﴿ وَإِذْ عَلَمْتُكُ الْحَصَدَدُ وَ التَّوْرَئِيةَ وَ الْإِنجِيلَ ﴾ عَلَمْتُك الْحَصَدَبُ وَالتَّوْرَئِيةَ وَالتَّوْرَئِيةَ وَ الْإِنجِيلَ ﴾ (المائدة: ١١٠) وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿ وَعَلَمَكُ مَا لَمْ تَكُن تَعَلَمُ اللَّهُ مَا لَمْ تَكُن تَعَلَمُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

- إنه بعد أن فسَّر لموسى السَّكِينَ حقيقة الأحداث الثلاثة قال لموسى: ﴿ وَمَا فَعَلْنُهُ مَنْ أَمْرِى ﴾ ، وهذا أقوى دليل على نبوته ؛ إذ إن الأنبياء والمرسلين لا يتصرفون في شيء إلا بأمر الله ، إن يتبعون إلا ما يوحى إليهم من الله ، كما جاء في القرآن على لسان نبيه محمد على المَّن أَتَبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَى اللهِ عَمْد عَلَيْ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ
- أضف إلى ما سبق أن ما أقدم عليه الخضر من أفعال، وخاصة قتل الغلام، يخالف نصوصًا إلهية أنزلها الله على موسى الكيلا، فلو لم يكن نبيًّا يتصرف عن وحي الله لكان عقابه القتل وفق ما أنزل الله، وليس عجبًا أن يوحي الله إليه بأن يقتل الغلام لحكمة يعلمها الله، فقد ورد أن الله أوحى إلى إبراهيم بأن يذبح ولده إساعيل عليها السلام (٢).

وبعد عرض هذه الحقائق نستطيع أن نقول: إن موسى الطّنِين لم يتلق العلم على يد بشر عادي كما يزعمون، بل هو وإن افترضنا أنه ليس نبيًّا فهو عبد صالح لا تصدر أفعاله تبعًا لهواه، بل إن أفعاله كلها صادرة عن وحي إلهي كما قلنا.

ولكن لا ينبغي أن يظن أحد أنه أفضل من

١. مدرسة الأنبياء: عبر وأضواء، محمد بسام رشدي الزين،
 مرجع سابق، ص٢٥٥ بتصرف يسير.

٢. المرجع السابق، ص٢٦٠: ٢٦٢ بتصرف يسير.

موسى الطِّيِّكُمْ؛ لأنه وإن كان عبدًا صـالحًا فموسى الطِّيِّكُمْ نبي ورسول، وإن كان نبيًا فموسى اللَّيِّل أفضل منه كذلك؛ لأن موسى اللك رسول وصاحب شريعة بل هو من أولي العزم من الرسل<sup>®</sup>.

#### الخلاصة:

- لا يستطيع مسلم أن يشكك في فضل نبي الله موسى الكليل، فهو كليم الله، ومن أولي العزم من الرسل، وقد أنزل الله عليه التوراة فيها هدى ونور، وقد أثنى الله عليه في كثير من آيات القرآن الكريم.
- إنّ تعلّم موسى الكلي من الخضر لا يقدح في منزلة موسى الكيالة فقد أراد الله أن يعلم موسى أن علم الإنسان مهم اللغ فهو قليل إلى علم الله، وقد أراد موسى النَّالِينَا أن يزداد من العلم والخير ويقابل من قيل عنه: "أعلم منك". وليس في هذا انتقاص لموسي التَّلِيَّةُ ولا لقدره.
- لقد اختص الله الخضر بعلم لم يكن يعلمه موسى، واختص موسى بعلم لم يكن يعلمه الخضر، وعليه فقد كان كل واحد منهما أعلم من الآخر فيها
- لم يكن العلم الذي أُختص به الخضر أفضل من العلم الذي أُختص به موسى السِّكاة، فقد كان علم الخضر هو سياسة خاصة تعود بالنفع على أفراد مُعَيَّدين لجلب مصلحة لهم أو دفع مفسدة عنهم، بخلاف علم موسى الكي العام الذي يهتم بمصالح الناس كافة في

® في "حقيقة الخضر وذي القرنين بين نسص القرآن وأقوال

الجزء الحادي عشر (سلامة القرآن الكريم).

زمان ومكان أمته المبعوث لهم.

 اختلف العلماء في حقيقة الخضر، فمن قائل: إنه عبد صالح، ومن قائل: إنه ولي عنده علم الباطن، ومن قائل: إنه نبي، وعلى كلِّ فهو بشر غير عادي، فقد كانت أفعاله صادرة عن وحي إلهي لا هوي شخصي كما يزعمون.

### الشبهة الستون

# توهم وقوع موسى الكنية في المعصية ، لعدم وفائه بشرطه مع الخضر (\*)

#### مضمون الشبهة:

يدَّعي بعض المتوهمين أن موسى الطِّيِّلا قد وقع في المعصية حينها خالف الشرط الذي أخذه عليه الخضر، وتعهد بالوفاء به، وهو أن يضبط نفسه فلا يسأل عن شيء ابتداءً حتى يبيَّنه له الخضر من غير سؤال، ولكن ما إن ركبا السفينة وخرقها الخضر حتى اعترض عليه موسى الطِّينَا اللَّهُ عَائلًا: ﴿ أَخَرَقُنَهَا لِلْغُرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِنْتَ شَيَّنًا إِمْرًا الله الله الكهف)، وكذلك قال له عندما قتل الغلام: ﴿ أَقَلَلْتَ نَفْسًا زَكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسِ لَقَدْ جِنْتَ شَيْئًا أَكْرًا ٧٠٠ (الكهف) على الرغم من أن أفعال الخضر لم تكن منكرة بل كانت أفعالًا نافعة. كما يتساءلون: كيف يصف موسى الكلا نفس الغلام بأنها زكية وهذا محالف للواقع؟!

<sup>(\*)</sup> عصمة الأنبياء والردعلي الشبه الموجهة إليهم، د. محمد المفسرين "طالع: الوجه الأول، من الشبهة الحادية والثلاثين، من أبو النور الحديدي، مرجع سابق.

### وجها إبطال الشبهة:

تصرّفات الخضر مع موسى التلك يُوهِمُ ظاهرها أنها تسمطدم بالمنطق العقلي، وما أنزله الله على موسى التلك من شرع، فلا عجب أن تُشير استنكار موسى التلكي.

Y) صدور الاعتراض من موسى الكلانابع من غيرته على الدين، وعدم سكوته عن المنكر، ولانتفاء علمه بالحكمة الربانية من وراء هذه التصرفات، إذ إن السكوت على مشل هذه التصرفات المتوهم خطؤها يتنافى مع كونه نبيًّا مرسلًا مأمورًا بالنهي عن المنكر والأمر بالمعروف.

#### التفصيل:

# أولا. تصادم تصرفات الخضر مع المنطق العقلي، ومع شريعة موسى النه الله الله الله الله المالة ال

قبل بيان حقيقة مخالفة موسى الطيخ الشرط الذي أخذه عليه الخضر قبل اصطحابه ليتعلَّم منه، لا بد أن نشير إلى حقيقة مهمة، وهي أن الله تعالى قد اختص الخضر بعلم لم يُطلع عليه موسى الطيخ، واختص موسى بعلم لم يطلع عليه الخضر، وهذا ما قاله الخضر بعلم لم يطلع عليه الخضر، وهذا ما قاله الخضر لموسى الطيخ كما جاء في حديث البخاري: "إنك على علم علمكه الله لا أعلمه أنا، وأنا على علم علمنيه لا تعلمه أنت "(1)، وهذا دليل على أن كل واحد منها كان أعلم من الآخر فيها يعلمه.

والحقيقة الثانية التي نود توضيحها وهي مبنية على الحقيقة السابقة، أن هذا العلم الذي اختص به الخضر وسأل موسى الني أن يتعلمه هو من العلم النافع الذي لا يتعلق بالتشريع الذي أُنزل على موسى الني ، بل قد يتعارض معه ويخالفه؛ فتشريع موسى الني عام يُراعي المصلحة العامة لمن تُشرع لهم في كل زمان ومكان، بينها علم الخضر علم خاص يراعي مصلحة أفراد معينين، ولا يجوز الاعتهاد عليه في الأحداث المختلفة التي تتعرض لها الجهاعة.

وتأسيسًا على ما سبق ذكره نستطيع أن نقول: إن موسى العَنِينُ لسًا كان من الأنبياء الذين أقامهم الله تبارك وتعالى لإجراء الأحكام على الظاهر، فلا عجب أن يستنكر ما يشاهده من تصرفات للخضر تختلف مع الشريعة التي ألزمه الله تعالى بها؛ لهذا توقع الخضر أن يَضِيق ذَرْع موسى (٢) العَنِينُ عن قبول ما يبديه إليه؛ لأنه علم أن ما يصدر عنه من أفعال ظاهرها المنكر وباطنها المعروف؛ لهذا قال لموسى العَنِينُ في بادئ الأمر: ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبّرًا ﴿ الله على من أبعته من أبيا مناه على ما يستقبله منه حتى يقدم على متابعته من خطورة أعاله وغرابتها في المتعارف بحيث لا تتُحمل (٢).

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى الشي (٣٢٢٠)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر الشي
 (٦٣١٣).

٢. يَضِيق ذَرْعًا: لم يحتمل.

التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٧، ج١٥، ص٧٦ بتصرف.

# ثانيًا. صدور الاعتراض من موسى الطَّيِّة نابع من غيرته على الدين، وعدم سكوته عن المنكر:

بعد أن بينًا أن تصرفات الخضر كانت من التصرفات التي يصطدم ظاهرها مع أحكام العقل، ومع أحكام شريعة موسى الكيلا، نبين الآن الأسباب الحقيقية التي دفعت موسى الكيلا إلى أن يستنكر الأفعال التي صدرت من الخضر، ويمكننا تفصيل ذلك في النقاط الآتية:

 إن مخالفة موسى الطّين للشرط في أول مرة حينها خرق الخضر السفينة، فاعترض عليه قائلًا: ﴿ أَخُرُقْنُهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِنْتَ شَيْئًا إِمْرًا ٧٧) ﴿ (الكهـف)، عــلى الرغم من أنه خرقها لمصلحة لا يعلمها موسى \_كانـت بسبب نسيان موسى الكيلة لشرط الخضر، يقول الله ا ﴿ قَالَ لَا نُوَاخِذُنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ (الكهف: ٧٧)، والنسيان جائز على الأنبياء في غير التبليغ والشرع(١)، وسِرُّ نسيان موسى الطِّيني لما قاله الخضر، ولما أخذه على نفسه من عهد هو أنه وجد نفسه أمام تصرف عجيب لا مبرر لــه في نظر المنطق العقلي ولا مسوِّغ له في شريعته، فإن هـذا التصرف من الخضر يعرِّض السفينة وركابها لخطر الغرق وتؤدي بهم إلى شر كبير، فلا عجب أن يسأل موسى الخضر: لماذا يقدم على هذا الشر الكبير الذي فيه مفسدة عظيمة حسبها يرى؟ بل العجيب حقًّا أن يرى موسى منكرًا \_وهو نبى \_فيقره ولا يغيره، ومما يـدل على أن موسى العَيْنَ إنها حمله على المبادرة بالإنكار الثورة والحمية للحق، أنه قال حين خَرق الخضر السفينة: ﴿ أَخَرَقْنُهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ (الكهف: ٧١) ولم يقل: لتغرقنا،

فنسي نفسه واشتغل بغيره، في الحالة التي كل أحد فيها يقول: نفسي نفسي، لا يلوي على مال ولا ولد، وتلك حالة الغرق، فسبحان من جبل أنبياءه وأصفياءه على نصح الخلق والشفقة عليهم والرأفة بهم (٢).

• أما قول موسى العَيْلُ للخضر عندما قتل الغلام: 
وَ أَمَا قُول موسى العَيْلُ للخضر عندما قتل الغلام: 
فزع من هذا القتل الشنيع المخالف \_ بحسب الظاهر \_
لشرع الله الذي أنزل على موسى في التوراة "أنه لا يجوز أن تُقتل نفس بغير حق"، وإذا كانت الأولى خرق سفينة واحتهال غرق من فيها، فهذه قتل نفس، قتل عمد لا مجرد احتهال، وهي فظيعة كبيرة لم يستطع موسى أن يصبر عليها على الرغم من تذكره لوعده... فليس ناسيًا في هذه المرة ولا غافلًا، ولكنه قاصد، قاصد أن ينكر هذا الفعل المؤثم في شريعته، والذي لا يصبر على وقوعه ولا يتأول له أسبابًا (٣).

أما حكمه الكلام على الغلام بأنه نفس زكية، وهذا خالف للواقع؛ فلأنه حكم عليه حسبها يراه من الظاهر؛ فإن ظاهر أمر الغلام عدم ارتكاب ذنب، قال ابن حزم: وتكلم موسى الكلام على ظاهر الأمر، وقدّر أن الغلام زكي، إذ لم يعلم له ذنبًا، وكان عند الخضر العلم الجلي بكفر الغلام واستحقاقه القتل، فقصد موسى الكلام في ذلك وجه الله تعالى والرحمة بالغلام (ئ)، وعليه "فلو كان الأمر موكولًا إلى العلم البشري وعليه "فلو كان الأمر موكولًا إلى العلم البشري

عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق، ص٣٤٨ بتصرف.

عاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، مرجع سابق،
 ح٧، ص٥٨.

٣. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٤، ص ٢٨٠.
 ٤. عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، د. محمد أبو

عصمة الانبياء والرد على الشبه الموجهه إليهم، د. محمد ابـو النور الحديدي، مرجع سابق، ص٣٤٩.

الظاهر، لما كان له إلا الظاهر من أمر الغلام، وما كان له عليه من سلطان، وهو لم يرتكب بعدُ ما يستحق عليه القتل شرعًا، وليس لغير الله ولمن يُطلعه من عباده على شيء من غيبه أن يحكم على الطبيعة المغيبة لفرد من الناس، ولا أن يرتب على هذا العلم حكمًا غير حكم الظاهر الذي تأخذ به الشريعة وهذا ما فعله موسى.

وقد يسأل سائل: لماذا لم يحترز موسى لنفسه، ويظن أنه قد لا يصبر على شرط الخضر؟ بل جزم بأنه سيصبر بقوله: ﴿ قَالَ سَتَجِدُ فِي إِن شَاءَ اللهُ صَابِرًا ﴾ (الكهف: ٦٩).

والحق أن المتأمل لقول موسى الطبيخ للخضر لا يجد فيه هذا الجزم المزعوم، بل لقد علَّق موسى هذا الصبر على مشيئة الله على مشيئة الله على ولم يجزم به كها توهموا، وفي هذا ما فيه من الاحتراز من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الإنسان قد يتصور المعنى الكلي المجرد (التصور النظري)، ولكنه عندما يصطدم بالتطبيق العملي لهذا المعنى والنموذج الواقعي منه يستشعر له وقعًا غير التصور المجرد، فالطبيعة البشرية تلتقي كلها في أنها تجد للتجربة العملية وقعًا وطعمًا غير التصور النظري، ولا تدرك الأمور حق إدراكها إلا إذا ذاقتها وجربتها أن نبي حتى ولو كانت هذه الطبيعة طبيعة نبي مرسل، بل نبي من أولي العزم من الرسل هو موسى الطبيخ.

وعليه فلا يصح نسبة المعصية لموسى الطَّيْقَالَ في موقفه من الخضر بأي حال من الأحوال.

#### الخلاصة:

• لقد اختص الله تعالى الخضر بعلم لم يُطِلعُ عليـه

موسى الطّيخة، وهو علم خاص نافع لا يتعلق بالتشريع الذي أُنزل على موسى الطّيخة، بل إنه يصطدم معه، كما يصطدم بالمنطق العقلي؛ لهذا استثار إنكار موسى الطّيخة واعتراضه.

• إن سبب مخالفة موسى الكليلا لشرطه مع الخضر هو أنه رأى تصرفات عجيبة لا مبرر لها في نظر العقل، ولا مسوِّغ لها في السريعة؛ فالتصرف الأول يعرِّض السفينة وركابها لخطر الغرق وهذا شر كبير، والتصرف الثاني جريمة شنيعة فهي قتل نفس بغير حق، فلم يستطع موسى أن يصبر على هذا، وهو نبي مرسل مأمور بإحقاق الحق وإنكار المنكر.

#### AGEN KY

# الشبهة الحادية والستون

# ادّعاء أن موسى العَيْلَة تعدى على ملك الموت بلطمه، وَهَقا عينه (\*)

#### مضمون الشبهة:

يدَّعي بعض المتوهمين أن موسى الكلي لم يطع أمر ملك الموت حين أرسله الله إليه ليقبض روحه، وتعدَّى عليه بلطمه، وفقاً عينه؛ ويستدلون على ذلك بها جاء في الصحيح من طريق طاوس عن أبي هريرة هم موقوفًا قال: "أُرسل ملك الموت إلى موسى الكي فلها جاءه صكَّه (٢) فرجع إلى ربه، فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت. قال: ارجع إليه، فقل له يضع يده على متن ثور،

١. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٤، ص٢٢٧٩.

<sup>(\*)</sup> عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، مرجع سابق. ٢. صكَّه: دفعه بقوة وضربه.

فله بها غطت يده بكل شعرة سنة، قال: أي رب، شم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن... الحديث"(١).

### وجها إبطال الشبهة:

١) موسى الكيالا ما كان يعلم أن الذي لطمه كان ملك الموت؛ لأنه جاءه على صورة إنسان ودخل عليه بلا استئذان، فكان فعله دفاعًا عن نفسه.

٢) كان لطم موسى لملك الموت لأنه لم يخبره، وقد ثبت أن ملك الموت لم يقبض نبيًّا من الأنبياء إلا بعد إخبار الله تعالى له.

#### التفصيل:

أولا. موسى الطّيخ ما كان يعلم أن الذي لطمه كان ملك الموت ؛ لأنه جاءه على صورة إنسان ودخل عليه بلا استئذان فكان فعله دفاعا عن نفسه:

إن الله على لم يبعث ملك الموت لموسى التي وهو يريد قبض روحه في المرة الأولى، وإنها بعثه إليه اختبارًا، وموسى التي ما كان يعلم حين لطمه أنه ملك الموت؛ لأنه جاءه على صورة إنسان فلها رأى موسى إنسانًا يريد الاعتداء عليه دافعه، حيث إن الإنسان مأمور بدفع من يعتدي عليه.

وقد جاءت الملاثكة إلى إبراهيم وإلى لوط عليها السلام في صورة آدميين فلم يعرف هم ابتداء، ولو عرفهم إبراهيم الطّيّلاً لما قدم لهم المأكول، ولو عرفهم لوط الطّيّلاً لما خاف عليهم من قومه.

قال الخطابي: إن موسى النَّكِينَ دفعه عن نفسه لما رُكِّبَ فيه من الحدة، وإن الله رد عين ملك الموت؛ ليعلم موسى النَّكِينُ أن الذي جاءه من عند الله، فلهذا استسلم حينئذ.

# ثَانيًا. كان لطم موسى الطِّيِّة لملك الموت لأنه لم يخيّره، فقد ثبت أنه لم يُقبَضْ نبي حتى يخبره الله تعالى:

كان لطم موسى الطلك الموت وفَقَّ عينه؛ لأنه لم يخيِّره بين الموت والحياة؛ لأن هذه سنة الله تشك في في قبض أرواح الأنبياء؛ فعن أم المؤمنين عائشة \_رضي الله عنها \_قالت: "كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يخيَّر بين الدنيا والآخرة"(٢).

فلهذا ليًا خُيِّر موسى الطَّيِّ في المرة الثانية أَذْعَن (٣) واستسلم لأمر الله ﷺ.

ويرجح د. أبو النور الحديدي الجواب الأول لأنه يستبعد من موسى النيلا أن يلطم ملك الموت حتى ولو أراد قبض روحه من غير أن يخبره، لأنه يعلم أن ملك الموث لا يقبض روح إنسان إلا بأمر الله تعالى، ولو كان موسى النيلا يعلم أنه ملك الموت لقال له: كيف تقبض روحي، أو أنى قبل أن تخيرني والأنبياء لا يقبضون إلا أن يخيروا؟

فالأصح أنه لم يعلم في المرة الأولى أنه ملك الموت، ومن حق الإنسان مدافعة المعتدي، بدليل استسلامه لـه لما عرف أنه ملك الموت جاء لقبض روحه (2).

<sup>1.</sup> أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب من أحب الدفء ليلا في الأرض المقدسة أو نحوها (١٢٧٤)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى المناهل (٦٢٩٧).

٢. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي رفات وفاته (١٧١٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة رضي الله عنها (٦٤٤٨).

٣. أَذْعَن: خضع.

٤. عصمة الأنبياء، د. الحديدي، مرجع سابق، ص٠٥٣.

#### الخلاصة:

- موسى الطّيّلا ما كان يعلم حين لطم ملك الموت أنه ملك الموت؛ لأنه جاءه على صورة إنسان، وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم وإلى لوط عليها السلام في صورة آدميين فلم يعرفاهم ابتداء، وما فعله موسى من لطم الملك كان دفاعًا عن نفسه، إذ إن الإنسان مأمور بدفع من يعتدي عليه.
- كان لطم موسى لملك الموت عليهما السلام ـ
   لأن ملك الموت لم يخير موسى بين الحياة والموت، وسنة الله تعالى في قبض أرواح الأنبياء هو تخييرهم.

### الشبهة الثانية والستون

توهُّم وقوع الخلط في القرآن بشأن قصة قارون (\*)

#### مضمون الشبهة:

يتوهم بعض المشككين أن القرآن يخلط في قصة قارون بين قارون وكروسوس ملك ليديا (٥٦٠ ـ ٤٦ ٥ ق. م) الذي هو عَلَمٌ على الغني عند العرب وغيرهم، وقورح الذي ورد ذكره في التوراة في زمن موسى الكيك، ويستدلون على ذلك بالتشابه الواقع بين قصص الأشخاص الثلاثة.

#### وجوه إبطال الشبهة:

١) قارون الذي ذكره القرآن ليس كروسوس ملـك

ليديا، ولا قورح الذي ورد ذكره في التوراة؛ وذلك بناء على ما أكده المؤرخون بخصوص نسب قارون الذي يختلف عن نسب هذين الرجلين.

٢) الحكمة من القصص القرآني هو استخلاص العبرة والعظة، لا ذِكْرُ الأنساب والأسماء، والقرآن يكتفى بها يفيد توصيل العبرة والعظة.

٣) وردت قصة قارون في القرآن واضحة متماسكة، بل فصَّلها الذكر الحكيم تفصيلًا بحيث لا تلتبس بأي قصة أخرى.

#### التفصيل:

# أولا. قارون الذي ذكره القرآن ليس كروسوس ملك ليديا، ولا قورح الذي ذُكر في التوراة:

كروسوس الذي يقولون عنه إنه ملك ليديا، قد ذُكر التاريخ الذي وجد فيه (٥٦٠ ـ ٥٤٦ ق. م) كما حُدِّد المكان الذي عاش فيه وهو ليديا، وقد وردت قصة قارون بتهامها في سورة القصص دون أن يحدد الحق الحق رمان وقوعها ولا مكان حدوثها.

كما أن كروسوس هذا الاسم ليس هو اسم قارون وليس له علاقة به لا من جهة المعنى ولا المبنى، وإن كان هناك علاقة بين الاسمين؛ فلماذا لم يأتوا بالأدلة العلمية الواضحة التي تثبت هذه العلاقة؟! فمن أين \_ إذن \_ يأتي لهم الزعم أن القرآن يخلط بين كروسوس؟ وقورح في قصة قارون، وهم لا دليل لهم على ذلك؟!

كها أن الأدلة العلمية تثبت أنه ليس قورح، وإن كان لا بد من معرفة نسبه وإلى من ينتهي هذا النسب، فالراجح بالأدلة العلمية أنه يصهار عم موسى الخيلا إذ جاء في قاموس الكتاب المقدس، ص١٠٧٧: "يصهار:

<sup>(\*)</sup> من إعجاز القرآن، رؤوف أبو سعدة، دار الهـلال، القـاهرة، ١٩٩٣م.

اسم عبري معناه يضيء أو يشرق".

وجاء في تفسير القرطبي والرازي، وجاء في قصص الأنبياء كذلك أن قارون كانت كنيته في قومه المنور؛ لوَضاءته وجماله وحسن صوته بالتوراة.

كها أن الجذر العبِري "قر ن" معناه: "أنار وأضاء وأشع، واشتُّقَّ منه: قارون بمعنى الأوار المنور". (١) ويقول أكثر المؤرخين وأهل العلم: إنـه كـان ابـن عـم موسى التي التي فهو قارون بن يصهب بن قاهث بن لاوي، وموسى هو ابن عمران بن قاهث بن لاوي بـن يعقوب(٢). وقيل: إنه يصهار عم موسى الذي ورد ذكره في التوراة، فضلًا عن أن اسم قارون يحمل معنى آخر، وذلك الفعل "يقر" العبري هو الفعل "وقر" العربي، وكلاهما يفيد معاني الثقل والعظمة والمال، فالوقر يعني الحمل الثقيل والوقار من معانيه العظمة، وحينها اشتق القرآن الكريم من "يقرون" اسم قارون لم يبعد كثيرًا عن قواعد اللغة العبرية؛ حيث يشتق من "يـشرون" اسـم "شـارون"، فاختيـار القـرآن لاسـم "قارون" كان إعجازًا لفظيًّا، إذ يتهاشي مع قواعد اللغة العبرية، وفي نفس الوقت يعني المنير، وهو نفس اسم "يصهار"، كما أنه يتضمن الحمل الثقيل، وفيه إشارة إلى كنوزه التي كانت مفاتيحها من الثقل، بحيث يعجز عن حملها الرجال الأشداء.

مما سبق يثبت أن قارون هو يصهار أو يصهر ـ كما ورد في التفاسير ـ بن قاهث بن لاوي بن يعقوب الحيالا،

وليس كروسوس ولا قورح.

ثانيًا. ليست الحكمة من القصص القرآني ذكر الأسماء والأنساب، وإنما هي استخلاص العبرة والعظة، بغض النظر عن الزمان والمكان و الأسماء والأنساب:

فالأسلوب القرآني المعجز \_ يهتم بها يفيد في توصيل العبرة والعظة؛ لذا نراه هنا يكتفي بذكر أن قارون كان من قوم موسى؛ ليعلم أهل البغي والضلال أن النسب لا يغني عن صاحبه شيئًا، إن جاءه بأس الله في الدنيا، وحلَّت به نقمته، "فمن بطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه" كها قال الرسول الله الله الم

فقد كان قارون من قوم موسى، وكان ممن سمع منه التوراة ولازمه مدة طويلة، ولكنه لم ينتفع بعلمه، ولم تؤثر فيه مواعظه، فنافق قومه، وحسد موسى على ما آتاه الله من فضله، وتمنى أن يكون رسولًا مثله، كما تمنى ذلك كثير من أثرياء مكة، وكبراء الطائف، ورؤساء اليهود؛ ظنًا من هؤلاء القوارين - جمع قارون - أن النبوة والشرف، والعزة، تنالُ بالثراء والغنى قال وَ وَقَالُوا النبوة لَوُلَا نُزِلَ هَلَا القُرْءَانُ عَلَى رَجُلِ مِن القروته، فضرب (الزخرف). أي: عظيم في نسبه وجاهه وثروته، فضرب الله لهم قارون مثلًا يستبينون به حالهم، ومآلهم ويعرفون به أقدارهم، ومنازلهم بين الناس؛ فيعلمون من خلال هذا المثل أنهم ليسوا على شيء، وأن العزة ليست لهم، وإنها هي للمؤمنين، وأن العاقبة يوم القيامة للمتقين أنا من هذا المتل أنهم ليسوا على شيء، وأن العزة ليست لهم، ومناذهم من هذا المثل أنهم ليسوا على شيء، وأن العزة ليست لهم، وأن العرة المتقين الناس المؤمنين، وأن العاقبة يوم القيامة للمتقين من هذا المثل النهم ليسوا على الله أن اهم القيامة للمتقين الناس القيامة للمتقين الناس المؤمنين، وأن العاقبة يوم القيامة للمتقين من هذا المثل المؤمنين، وأن العاقبة يوم القيامة للمتقين الناس القيامة للمتقين الناس القيامة للمتقين الناس القيامة للمتقين الناس المؤمنين، وأن العاقبة يوم القيامة للمتقين الناس المؤمنين، وأن العاقبة يوم القيامة للمتقين الناس التوجيه وسنا الله أن اهمتام القرآن بالتوجيه المؤلفة المثل الناس المؤمنين، وأن العاقبة يوم القيامة للمتقين الناس المؤلفة المؤلف

٣. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة،
 باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (٧٠٢٨).

٤. قصص القرآن، محمد بكر إسهاعيل، مرجع سابق، ص٢٣٩.

١. المرجع السابق، ج٢، ص٧١.

قصص الأنبياء، محمد متولي الشعراوي، مرجع سابق، ص٣٤٥.

والإرشاد، واستخدامه الأسلوب الصالح لكل زمان ومكان \_ يبرر عدم تحديده لزمان هذه القصة، ولا مكانها، كما يبرر عدم ذكره وتفصيل نسب "قارون" والقرآن بهذا الأسلوب لم يترك فرصة لأعدائه لأن يتصيدوا عليه أي عيب أو خلط؛ فلا يرمي هذا القرآن بعيب إلا سفيه غاب عنه فقه الأسلوب القرآني المعجز.

# ثالثًا. وردت قصة قارون في القرآن واضحة متماسكة، يفهمها الصغير والكبير، والمسلم وغيره:

فقد يعرف شخص ما بصفة من الصفات كالغنى، وغيرها، لكن هذا لا يمنع غيره أن يكون مثله أو أكثر منه، وقد عرف حاتم الطائي \_ مثلًا \_ بين العرب بالكرم، فهل منع اشتهاره بالكرم مِنْ أن يضاهيه غيره في هذه الصفة؟!

وما المانع - كذلك - أن تكون نهاية ومصير هؤلاء - الذين يشتركون في صفة أو صفات ما - واحدة؟ فكثير عن كذبوا الرسل أخذتهم الصيحة، وكثير أخذتهم الرجفة... إلخ.

وقورح هذا الذي يزعمون أن القرآن يخلط بينه وبين كروسوس - هو ابن يصهار الذي هو "قارون". وقد ثار قارون على موسى الطليخ في سيناء، وقد ذكره القرآن فقال ون على موسى الطليخ في سيناء، وقد ذكره القرآن فقال تعالى: ﴿إِنَّ قَدُونَ كَانَ مِن قَوْمِمُوسَىٰ فَبَعَىٰ عَلَيْهِمُ مُّ فقال تعالى: ﴿إِنَّ قَدُونَ كَانَ مِن قَوْمِمُوسَىٰ فَبَعَىٰ عَلَيْهِمُ مُّ فقال تعالى: ﴿إِنَّ قَدُونَ كَانَ مِن قَوْمِمُوسَىٰ فَبَعَىٰ عَلَيْهِمُ مُّ فقال لَهُ مِن الْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَنَا نُوا أَلْقُومِينَ ﴿ القصص ) فَالَ لَهُ مَوْنَ اللهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا وَكَانت نهايته الحسف: ﴿ فَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ اللّهِ وَمَا كَانَ مِن فَلَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَمَا كَانَ مِن الْمُنتَصِرِينَ ﴿ القصص ) .

ولعل ما حدث من خسف أموال "قارون" كان لــه

أثر عميق في نفس قورح؛ إذ فقد المال الذي كان يُمَني نفسه بالتمتع به بعد أن يئول إليه، ولكن ها هي آماله قد ضاعت، فخرج من مصر مع موسى؛ إذ لم يعد هناك شيء يربطه بمصر إلا الأسف على هذه الثروة الضائعة، ونقّت عا في دخيلته فيها بعد بالثورة على موسى وهارون، وكان مصيره أن خسف الله به الأرض هو الآخر في سيناء كها خسفت الأرض بأبيه من قبل في مصر.

فهل هناك ما يمنع من أن يكون مصير الابن كمصير أيه (١)؟!

#### الخلاصة:

- ثبت أن القرآن محكم متهاسك بأسلوبه المعجز؛ إذ هو من عند الله، لا ريب فيه، ولا خلط، ولا اضطراب، وقصة قارون التي ورد ذكرها في القرآن على قمة التهاسك والإحكام، ولا خلط فيها بين قارون وكروسوس وقورح؛ إذ إن قارون الذي ذكره القرآن ليس كروسوس ملك ليديا، ولا قورح الذي ورد ذكره في التوراة، وإنها هو يصهار بن قاهث بن لاوي بن يعقوب الكلاك كها ثبت هذا بالأدلة العلمية.
- الحكمة من القصص القرآني هي استخلاص العبرة والعظة، والتوجيه والإرشاد؛ لذا لا يعطي كل اهتامه لتحديد الزمان، والمكان، أو الأسهاء، وتفصيل نسبها، وقد حقق هذا الأسلوب القرآني المعجز ما سعى إليه؛ حيث رسم لنا لوحة كاملة لهذا الرجل الذي أنعم

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج ١١، ص١٨٦. قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، مرجع سابق، ص٣٣٣ وما بعدها.

الله عليه، فبغى في الأرض، وتكبر ومنع حق الله؛ فكان مصيره أن خسف الله به وبداره الأرض.

• هذا المصير الذي آل إليه قارون لا يمنع من أن يصير إليه غيره؛ فقد كان لابنه نفس المصير، وهذا لا يعني وجود الخلط في القصة التي يشبهها غيرها.

## 200 EX

### الشبهة الثالثة والستون

# ادِّعاء أن القرآن أخطأ في ذكر عقيدة ذي القرنين (\*)

#### مضمون الشبهة:

يدعي بعض المتوهمين أن القرآن الكريم أخطأ في ذكر عقيدة ذي القرنين، ويستدلون على زعمهم بقول ذكر عقيدة ذي القرنين، ويستدلون على زعمهم بقول تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَلِحًا فَلَهُ مِجَزَآةً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿ اللّهِ فَا اللّهِ عَلَى اللّه الله الله تبارك وتعالى، في حين أن جميع مؤرخي الإغريق يجمعون على أنه كان من عبدة الأوثان!

#### وجها إبطال الشبهة:

١) لقد كان ذو القرنين ملكًا عادلا صاحًا، بلغ ملكه المشارق والمغارب، وقد أعطاه الله على القدرة على السير في الأرض شرقًا وغربًا لنشر الإسلام في ربوعها، ومن ثم فالقرآن لم يخطئ في ذكر عقيدته حين أخبر أنه

(\*) شبكة بلدي لمقاومة التنصير. www.balady.net

كان مؤمنا بالله موحدًا.

٢) جمهور المؤرخين وكبار المفسرين على أن ذا القرنين المذي ذُكر في القرآن الكريم، ليس هو الإسكندر الأكبر المقدوني، الذي لُقِّبَ بذي القرنين تشبيهًا له بالأول بعدما قضى على مملكة فارس، ودانت له المالك شرقًا وغربًا، ومن هنا حدث الخلط بينها عند بعض الباحثين.

#### التفصيل:

# أولا. ذو القرنين ملك من الملوك العادلين بلغ ملكه المشارق والمغارب على نحوما جاء في القرآن:

لقد ذكر الله تعالى ذا القرنين هذا وأثنى عليه بالعدل، وأنه بلغ المشارق والمغارب، وملك الأقاليم وقهر أهلها، وسار فيهم بالعدل التام، والسلطان المؤيد المظفر المنصور القاهر المقسط، والصحيح أنه كان ملكًا من الملوك العادلين، قال إسحاق بن بشر عن عثمان بن الساج، عن خفيف، عن عكرمة، عن ابن عباس حرضي الله عنها من قال: كان ذو القرنين ملكًا صالحًا عمله، وأثنى عليه في كتابه، وكان منصورًا، وكان وزيره الخضر، وذكر أن الخضر السلام كان على مقدمة جيشه، وكان عنده بمنزلة المشاور الذي هو من الملك بمنزلة الوزير في إصلاح الناس اليوم، وقد ذكر الأزرقي وغيره أن ذا القرنين أسلم على يدي إبراهيم الخليل، وطاف معه بالكعبة المكرمة هو وإسماعيل عليها عليها عليها

ورُوي عن عبد الله بن عمير وابنه عبد الله وغيرهما أن ذا القرنين حج ماشيًا، وأن إبراهيم الله للسمع بقدومه تلقاه ودعاكه ورضاه، وأن الله سخر لذي

القرنين السحاب يحمله حيث أراد(١).

وقد اختلف في كونه نبيًّا أم ملكًا أم عبدًا صالحًا، فقد جاء عن أبي هريرة 🐗 أن النبي ﷺ قـال: "لا أدري ذو القرنين كان نبيًّا أو لا"(٢٦)، وذكر وهب في "المبتدأ" أنه كان عبدًا صالحًا، وأن الله بعثه إلى أربع أمم: أمتين بينها طول الأرض، وأمتين بينها عرض الأرض، وهي ناسك ومنسك وتأويل وهاويل، وعن أبي الطفيل قال: سمعت ابن الكوّا يقول لعلى بن أبي طالب الله: أخبرني ما كان ذو القرنين؟ قال: كان رجلًا أحب الله فأحبه، بعثه الله إلى قومه فضربوه على قرنه ضربة مات منها، ثم بعثه الله إليهم فضربوه على قرنه ضربة مات منها، ثم بعثه الله فسُمِّي ذا القرنين. ورغم ضعف عبد العزين أحد رواة الحديث إلا أنه توبع على أبي الطفيل، أخرجه سفيان بن عيينه في جامعه عن ابن أبي حسين عن أبي الطفيل نحوه وزاد: "وناصح الله فناصحه"، وفيه: لم يكن نبيًّا ولا ملكًا، وقيل: كان ملكًا من الملائكة حكاه الثعلبي، وهذا مروي عـن عمـر ﷺ أنه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين، فقال: تسميه بأسماء الملائكة، وقيل: كان من الملوك، وعليه الأكثر (٣).

واختلف العلماء والمفسرون في اسمه، فقيل هو الصعب ابن ذي يزن الحميري من ولد وائل بن حمير،

وبه جزم كعب الأحبار، وذكره ابن هشام في التيجان عن ابن عباس \_ رضي الله عنها \_ أيضًا، وقال أبو جعفر بن حبيب في كتاب "المحبر": هو المنذر أحد ملوك الحيرة، وأمه ماء السهاء ماوية بنت عوف بن جشم، قال: وقيل الصعب بن القرن بن حمال من ملوك حير، وأما قول ابن إسحاق الذي حكاه ابن هشام عنه من أن اسم ذي القرنين مرزبان بن مرديه، فقد صرح بأنه الإسكندر، لذلك اشتهر على الألسنة لشهرة السيرة لابن إسحاق.

قال السهيلي: والظاهر من علم الأخبار أنها اثنان أحدهما كان على عهد إبراهيم الطيخ، ويقال إن الخليل إبراهيم الطيخ تحاكم إليه في بئر السبع بالشام فقضى لإبراهيم، والآخر كان قريبًا من عهد عيسى الطيخ. ثم يقول ابن حجر: "لكن الأشبه أن المذكور في القرآن هو الأول بدليل ما ذُكر من ترجمة الخضر، حيث جرى ذكره في قصة موسى قريبًا أنه كان على مقدمة ذي القرنين، وقد ثبتت قصة الخضر مع موسي، وموسى كان قبل زمن عيسى قطعًا"(2).

واختُلف في سبب تلقيبه بذي القرنين، فقيل: لأنه بلغ قرن الشمس من مغربها وقرن الشمس من مطلعها، رواه الزبير بن بكار عن الزُّهري، وقيل لأنه ملكها، وقيل لأنه رأى في منامه أنه أخذ بقرني الشمس، وقيل لأنه كان له ضفيرتان تواريها ثيابه، وقيل لأنه عُمَّر حتى فني في زمانه قرنان من الناس، وقيل غير ذلك(٥).

٤. المرجع السابق، ج٦، ص٤٤٢، ٤٤٣ بتصرف.

٥. سُبُل الهدى والرشاد في هَدْي خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ٧٠٥ هـ/ ١٩٨٦م، ج٢٢، ص٤٦٤.

۱. البدایة والنهایة، ابن کشیر، دار التقوی، القاهرة، ۲۰۰۶م،
 ۲، ص۲۰ ۵۱، ۴۵۰ بتصرف.

٢. صحيح: أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الدخان (٣٦٨٢)، ووافقه الذهبي في التلخيص.
 ٣. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ٧٠٤هـ/ ١٩٨٦م، ج٦، ص٤٤٢،
 ٤٤١ بتصرف.

وقد أخبر الله تعالى عنه أنه مكّن له في الأرض فقال: ﴿إِنَّا مَكّنَالَهُ فِي الأَرْضِ وَ النِّينَهُ مِن كُلّ شَيْءِ سَبّا ﴿ النَّهِ فَى الْبَلاد، وأعطيناه من آلات المملكة ما يستعين به على تحصيل ما يحاوله من المهات العظيمة، والمقاصد الجسيمة، قال قتيبة، عن أبي عوانة، عن سيّاك، عن حبيب بن حِمَاز، قال: كنت عند على بن أبي طالب هم، وسأله رجل عن ذي القرنين كيف بلغ المشرق والمغرب؟ فقال له: شُخّر له السحاب، ومُدّت له الأسباب وبُسِط له في النور، وقال: أزيدك؟ فسكت الرجل وسكت على هم.

وعن أبي إسحاق السبيعي، عن عمرو بن عبد الله الوادعي سمعت معاوية الله يقول: ملك الأرض أربعة: سليمان بن داود النبي \_عليهما السلام \_وذو القرنين، ورجل من أهل حلوان، ورجل آخر، فقيل له الخضر؟ قال: لا. وقال الزبير بن بكار: حدثني إبراهيم بن المنذر، عن محمد بن الضحاك، عن أبيه، عن سفيان الثوري قال: بلغنى أنه ملك الأرض كلها أربعة: مؤمنان وكافران: سليمان النبي وذو القرنين، ونمرود وبختنصر، وهكذا قال سعيد بن بشير: سواء، وقال إسحاق بن بشر، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة عن الحسن قال: كان ذو القرنين مَلَك بعد النمروذ، وكان من قصته أنه كان رجلًا مسلمًا صالحًا، أتى المشرق والمغرب، مدّ الله له في الأجل ونصره حتى قهر البلاد، واحتوى على الأموال، وفتح المدائن، وقتل الرجال، وجاب(١) في البلاد والقلاع، فسار حتى أتى المشرق والمغرب، فذلك قــول الله تعــالى: ﴿ إِنَّا مَكَّنَا لَهُ. فِي ٱلْأَرْضِ

وَءَانَيْنَهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبِّنَا (١٠)

فهل يعطي الله كل هذه الأسباب لرجل مشرك، شم يمدحه بعد ذلك في القرآن؟!! ولقد رأينا كيف أن الله على الله الذين يخالفون أوامره ويصدون العباد عن عبادته وحده كفرعون والنمروذ وغيرهم.

وبهذا يتبين لنا أن ذا القرنين هو ذاك الملك المسلم، الذي كان في زمن سيدنا إبراهيم الملك، وأنه حقق العدالة ورفع الظلم، ودعا إلى عبادة الله الله في كل البلاد التي فتحها. فكيف يدّعون أن القرآن أخطأ في ذكر عقيدته؟!!

وما كان هذا الخطأ إلا نتيجة خلطهم بين ذي القرنين الملك الصالح، وبين الإسكندر الأكبر المقدوني الذي تؤرخ به الروم، وهذا ما سنوضحه في الوجه الآتي:

# ثانيًا. ليس الإسكندر الأكبر المقدوني هو ذا القرنين المذكور في القرآن:

لقد فرق العلماء وأصحاب السير بين ذي القرنين المذكور في القرآن، وبين الإسكندر الأكبر المقدوني اليوناني، يقول ابن كثير:

فأما ذو القرنين الشاني - أي الإسكندر الأكبر المقدوني - فهو إسكندر بن فيلبس بن مضريم بن هرمس بن هردس بن ميطون بن رومي بن لنطي بن يونان بن يافث بن نونة بن سرحون بن رومة بن ثرنظ بن توفيل بن رومي بن الأصفر بن اليفز بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، كذا نسبه ابن

البدایة والنهایة، ابن کثیر، مرجع سابق، ج۱، ص٤٥٣، ۲۵۶ بتصرف.

۱. جاب: طاف.

عساكر في تاريخه، المقدوني اليوناني المصري باني الإسكندرية الذي يؤرخ بأيامه الروم، وكان متأخرًا عن الأول بدهر طويل، كان هذا قبل المسيح بنحو من ثلاثهائة سنة، وكان أرسطوطاليس الفيلسوف وزيره، وهو الذي قتل دارا بن دارا، وأذل ملوك الفرس وأوْطأ (۱) أرضهم. وإنها نبهنا عليه؛ لأن كثيرًا من الناس يعتقد أنها واحد، وأن المذكور في القرآن هو الذي كان أرسطاطاليس وزيره، فيقع بسبب ذلك خطأ كبير، وفساد عريض طويل كثير، فإن الأول كان عبدًا مؤمنًا صالحًا، وملكًا عادلًا، وكان وزيره الخضر، وقيل إنه كان نبيًا على اختلاف في ذلك.

وأما الثاني فكان مشركا، وكان وزيره فيلسوفًا، وقد كان بين زمانيهما أزيد من ألفي سنة. فأين هذا من هذا؟ لا يستويان ولا يشتبهان إلا على غبي لا يعرف حقائق الأمور(٢).

ويؤكد ما ذهب إليه ابن كثير ما قاله ابن القيم في "إغاثة اللهفان":

ومن ملوكهم الإسكندر المقدوني وهو ابن فيلبس، وليس بالإسكندر ذي القرنين، الذي قص الله على نبأه في القرآن، بل بينها قرون كثيرة، وبينها في الدين أعظم تباين، فذو القرنين كان رجلًا صالحًا موحدًا لله تعالى، يؤمن بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وكان يغزو عبًاد الأصنام، وبلغ مشارق الأرض ومغاربها.

وبنى السد بين الناس وبين يأجوج ومأجوج، وأما هذا المقدوني، فكان مشركًا يعبد الأصنام هو وأهل ملكته، وكان بينه وبين المسيح نحو ألف وستمائة سنة، والنصارى تؤرخ له وكان أرسطاطاليس وزيره، وكان مشركًا يعبد الأصنام (٣).

ومما يؤكد ذلك ما قاله الفخر الرازي في تفسيره: إن في كون الإسكندر ذا القرنين إشكالًا قويًّا، وهو أنه كان تلميذ أرسطا طاليس الحكيم وكان على مذهبه، فتعظيم الله إياه يوجب الحكم بأن مذهب أرسطاطاليس حق وصدق، وذلك مما لاسبيل إليه.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر \_ رحمه الله \_ عدة قرون بين ذي القرنين العبد الصالح الذي ذُكر في القرآن الكريم، وبين الإسكندر الأكبر المقدوني اليوناني، فقال: الأكثر على أنه \_ أي ذا القرنين الصالح الأول \_ كان من الملوك الصالحين، وفي إيراد المصنف ترجمة ذي القرنين قبل إبراهيم المنت السارة إلى توهين قول من زعم أنه الإسكندر اليوناني؛ لأن الإسكندر كان قريبًا من زمن عيسى وبين زمن إبراهيم وعيسى عليها السلام \_ أكثر من ألفي سنة، والذي يظهر أن الإسكندر المتأخر لقب بذي القرنين تشبيهًا بالمتقدم لسعة ملكه، وغلبته على البلاد الكثيرة، أو لأنه لما غلب الواسعتين الروم والفرس فلُقّب ذا القرنين لذلك، والحق أن الذي قص الله نبأه في القرآن هو المتقدم، والفرق بينها من أوجه: أحدها ما ذكرته، وثانيًا: قول والفرق بينها من أوجه: أحدها ما ذكرته، وثانيًا: قول

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ج٢، ص٢٦٣.

١. أَوْطَأَ: دخل.

البدایة والنهایة، ابن کثیر، مرجع سابق، ج۱، ص۲۵۶ بتصرف یسیر.

الفخر الرازي في تفسيره: كان ذو القرنين نبيًا على اختلاف في ذلك، وكان الإسكندر كافرًا، وكان معلمه أرسطاطاليس، وكان يأتمر بأمره وهو من الكفار بلا شك. وثالثًا: كان ذو القرنين من العرب، وأما الإسكندر فهو من اليونان، والعرب كلها من ولد سام بن نوح باتفاق، واليونان من ولد يافث بن نوح على الراجح فافترقا(1).

ثم يدلل ابن حجر على عروبته بذكر بعض الأبيات من كلام العرب، قيل: والذي يقوي أن ذا القرنين من العرب كثرة ما ذكروه في أشعارهم، قال أعشى بن ثعلمة:

والصعب ذو القرنين أمس ثاويًا

بالحنو في حدث هناك مقيم

قال الربيع بن ضبيع: والصعب ذو القرنين عُمِّر مُلْكُه

ألفين أمسى بعد ذاك رميما

ويقول قس بن ساعدة:

والصعب ذو القرنين أصبح ثاويا

باللحدبين ملاعب الأرياح

وقال تبع الحميري:

قد كان ذو القرنين قبلي مسلمًا

مَلِكا تدين له الملوكُ وتـحشد

من بعده بلقيس كانت عمتى

ملكتهم حتى أتاها الهدهد

ويؤخذ من أكثر هذه الشواهد أن الراجح في اسمه الصعب، ووقع ذكر ذي القرنين أيضًا في شعر امرئ

القيس وأوس بن حجر وطرفة بن العبد وغيرهم (٢).

ويؤكد كلام ابن حجر ما قاله الشيخ تقي الدين المقريزي في "الخطط": اعلم أن التحقيق عند علماء الأخبار أن ذا القرنين الذي ذكره الله ولله والقرآن اسمه الصعب بن الحارث، وساق نسبه إلى قحطان بن هود بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح المليلة، وأنه ملك من ملوك حمير وهم العرب العاربة، ويقال لهم أيضًا العرب العرب العرب، وكان ذو القرنين تبعًا متوجًا، ولما تولى الملك تجبّر، ثم تواضع لله تعالى، وقد غلط من ظن أن الإسكندر هو ذو القرنين الذي بنى السد، فإن لفظة "ذو" عربية، وذو القرنين من ألقاب ملوك اليمن، وذلك يوناني رومي ".

ومن خلال تتبعنا لأقوال علماء المسلمين، سواء أكانوا مؤرخين أم مفسرين أم محدّثين، فإننا نجد أن ما قرروه من ضرورة التفرقة بين ذي القرنين الذي ذُكر في القرآن، وذي القرنين الذي هو الإسكندر المقدوني اليوناني - يؤكده ما ذكره المؤرخون في سيرة هذا المقدوني اليوناني؛ فقد ذكروا أنه كان قائداً عظيمًا، وذا قدرة كبيرة على التخطيط والبراعة في الأداء والقيادة، ولكنه كان قاسيًا وبلا رحمة في أوقات أخرى. ومن المعروف أنه كان سكّيرًا لدرجة أنه في إحدى المرات قتل صديقه كليتوس في نوبة غضب، وقد ندم كثيرًا على ذلك الأمر، وقبل موته بفترة وجيزة، جعل اليونان تعبده بوصفه إلماً؛ وذلك بسبب طبيعته كإله جعل اليونان تعبده بوصفه إلماً؛ وذلك بسبب طبيعته كإله كما كان يقول عن نفسه... وقد انتهى هذا الأمر بموته،

١. مفاتيح الغيب، الرازي، مرجع سابق، ج ٢١، ص١٧٢.

٢. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني،
 مرجع سابق، ج٦، ص٠٤٤، ٤٤١ بتصرف.

٣. سبل الهدى والرشاد في هدي خير العباد، محمد بن يوسف
 الصالحي الشامي، مرجع سابق، ج٢، ص٤٦٥.

وقد استطاع أن يؤسس عام ٣٣٢ مدينة الإسكندرية عند نهاية نهر النيل، والتي أصبحت بعد ذلك المركز الثقافي والعلمي والتجاري للعالم اليوناني. وكان أرسطو هو معلم الإسكندر، وقد أعطاه تدريبًا كبيرًا في علم البلاغة والخطابة والأدب، وحث اهتهامه بالعلوم والطب والفلسفة.

ومما يدل على أن هذا الملك اليوناني كان سييء الخلق، ولا يصح أن يُطلق عليه وصف القرآن الكريم، ومدحه بالعدل والقسط والإيهان بالله وكان قد سلم بعد أن سقط مريضًا بحوالي أسبوعين، وكان قد سلم الخاتم الخاص به لقائد جيشه، وهو على فراش الموت، وطلب من الجنود زيارته في فراشه، ويبدو أن المحيطين به في تلك الفترة كانوا متآمرين عليه نظرا لتصرفاته وسلوكياته الغريبة، حيث إنه في أواخر أيامه طلب من الإغريق تأليهه في الوقت الذي كان فيه عنيفًا مع الكثيرين، بالإضافة إلى إكثاره في شرب الخمر، كل هذه العوامل جعلت البعض يتربصون به ويحاولون الفتك العوامل جعلت البعض يتربصون به ويحاولون الفتك به. وقد مات مسمومًا كها ذكرت بعض المصادر التاريخية.

وهذا ما أكده د. جواد علي حيث قال: وأورد أريان في كتاب قصة أخرى، خلاصتها: أن العرب كانوا يتعبدون لإله ين هما: أورانوس، وديونيوس وجميع الكواكب وخاصة الشمس، فلما سمع الإسكندر بذلك أراد أن يجعل نفسه الإله الثالث للعرب(1).

فهل يُعْقل أن مَنْ يريد أن يجعل نفسه إلمَّا من دون

الله يذكره الله في كتابه ويثنى عليه خيرًا؟!!

إن هذه الحياة التي يصورها لنا المؤرخون والمفسرون عن هذا الرجل - الإسكندر المقدوني - من كفر وسكر ومكر في معاملة قواده - لتؤكد الفرق الكبير والبون الشاشع بين هذا الذي ذكره القرآن، وبين المقدوني اليوناني.

#### الخلاصة:

- ذو القرنين ملك من الملوك الصالحين العادلين، الذين رفع الله بهم الظلم عن العباد، وقد أعطاه الله القدرة على السير في الأرض لنشر دينه شي في ربوع الأرض، وقد زوده الله بالعلم والمعرفة والتقوى.
- لم يخطئ القرآن في ذكر عقيدة ذي القرنين، لأنه
   كلام الله الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه
   ﴿ وَمَنْ أَصَدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ (النساء: ١٢٢).
- سُمّي الإسكندر الأكبرالمقدوني بـذي القرنين تشبيهًا بالأول الذي ذُكر في القرآن، لأن ممالك المشرق والمغرب دانت له بعد أن قضى على الفرس، وذلك سنة (٣٣٦ ق. م)، ومن هنا جاء الخلط بينهها.
- فرق العلماء والمؤرخون بين ذي القرنين الذي ذكره الله في القرآن وبين الإسكندر الأكبر المقدوني، فالأول كان ملكًا صالحًا مؤمنًا يدعو إلى الله ويعمل على نشر دينه، والثاني كان كافرًا مشركًا بالله يعبد الأصنام هو وقومه. والأول كان في زمن إبراهيم الطيخ وحج معه، والثاني كان قبل بعثة عيسى الطيخ بثلاثمائة وست وثلاثين سنة، أي أن بينهما ما يزيد على ألفي عام، والأول على أصح الأقوال كان عربيًّا، ويبدو هذا من ذكر بعض الشعراء العرب له في أشعارهم، والثاني كان

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، جامعة بغداد، العراق، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ج٢، ص٦ بتصرف.

شبهات حول الأنبياء والرسل (١)

يونانيًّا مقدونيًّا انحدر إلى الـشرق بعدما استولى على أملاك الدولة الفارسية؛ فكيف يتشابهان أو يتقاربان كما قال ابن كثير وابن حجر ؟!!

كان الإسكندر الأكبر المقدوني قائدًا عظيًا، فتح.
 البلاد شرقًا وغربًا، إلا إنه كان سِكِّيرًا يشرب الخمر،
 وكان أحيانًا يبطش بقواده، وهذا كان سببًا في حقدهم

عليه ومحاولتهم للتآمر عليه، على خلاف ذي القرنين المذكور في القرآن، الذي كان عادلًا صالحًا يخدم الناس، ويقوم على مصلحتهم، وقد بنى السد بينهم وبين يأجوج ومأجوج.



#### المصادروالمراجع

- آراء يهدمها الإسلام، د. شوقي أبو خليل، دار الفكر، بيروت، ط٥، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
  - الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٨٧ م.
- الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، القرافي، تحقيق: د. بكر زكي عوض، دار ابن الجوزي،
   القاهرة، ٢٠٠٤م.
  - أحكام القرآن، الجصاص، دار إحياء التراث، بيروت، د. ت.
- الأدلة على صدق النبوة المحمدية ورد الشبهات عنها، هدى عبد الكريم مرعي، دار الفرقان، الأردن، الأددن، ١٩٩١هـ/ ١٩٩١م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمود العمادي، دار إحياء التراث، بيروت، د. ت.
- أسئلة العصر المحيرة، محمد فتح الله كولن، ترجمة: أورخان محمد علي، دار النيل للطباعة، القاهرة، ط١، اسئلة العصر المحيرة، محمد فتح الله كولن، ترجمة: أورخان محمد علي، دار النيل للطباعة، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
- أساقفة كنيسة إنجلترا وألوهية المسيح، أحمد ديدات، ترجمة: محمد مختار، رمضان الصفناوي، علي عثمان، كتاب المختار، القاهرة، ١٩٩١م.
- استحالة تحريف الكتاب المقدس، القمص مرقص عزيز خليل، كنيسة القديسة العذراء، والشهيدة دميانة
   المعلقة، مصر، ٢٠٠٣م.
  - أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح، جون هك، ترجمة: نبيل صبحي، دار القلم، الكويت، ١٩٨٨م.
  - الإسلام دين الهداية والإصلاح، محمد فريد وجدي، دار الجيل، بيروت، ط١،١١١هـ/ ١٩٩١م.
    - الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي، عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، د. ت.
    - الإسلام والغرب، روم لاندو، ترجمة: منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٢م.
  - أصول العقيدة الإسلامية دراسات وبحوث، د. محمد سلامة أبو خليفة، مكتبة دار الهاني، القاهرة، ٢٠٠٥م.
    - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٩٩٢م.
- أضواء على أحاديث الإسراء والمعراج، د. سعد المرصفي، مؤسسة الريان، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- أضواء على المسيحية: دراسة تحليلية للكتاب المقدس، أحمد ديدات، ترجمة: د. عادل جلول، دار القارئ،
   بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
  - إظهار الحق، قساوسة وعلماء مستشرقون أشهروا إسلامهم، محمد عبد الحليم عبد الفتاح، القاهرة، ٢٠٠٥م.
    - إعدام الإله بين المسيحية والوثنية، علاء أبو بكر، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٥م.

- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م
  - البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، مطابع النصر الحديث، الرياض، ١٩٥٤م.
    - البداية والنهاية، ابن كثير، دار التقوى، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- بنو إسرائيل من التاريخ القديم وحتى الوقت الحاضر، د. محمد الحسيني إسماعيل، مكتبة وهبة، القاهرة،
   ۲۲۲هـ/ ۲۰۰۲م.
  - البهريز في الكلام اللي يغيظ، علاء أبو بكر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.
- البيان في تحليل وتوجيه الإشكالات التي تثار حول قصص القرآن، د. عاطف قاسم المليجي، مكتبة اقرأ، القاهرة، ٢٠٠٤م.
  - بين الإسلام والمسيحية، أبو عبيدة الخزرجي، تحقيق: د. محمد شامة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٩٧٥م.
    - بين الدين والحياة في رحلة قطار، د. عبد الحليم حفني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.
      - التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون، تونس، د. ت
      - تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، دار الفكر، بيروت، ١٩٧١م.
        - تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، أخبار اليوم، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م.
      - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: هاني الحاج، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د. ت.
        - تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط٢، د. ت.
        - تفسير النسفى، عبد الله بن أحمد النسفى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ت.
- تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء، أبو الحسن علي بن أحمد السبتي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار
   الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
  - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
  - الجنة والنار، د. عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
    - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة، د. ت.
  - الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح، الألوسي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار الجيل، بيروت، د. ت.
  - جولة نقدية في نصوص الرواية التوراتية، محمد صالح توفيق، دار الهاني، القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، د. محمود حمدي زقزوق، المجلس الأعلى للمئون الإسلامية،
   القاهرة، ط٢، ١٤٢٥/ ٢٠٠٤م.
- حياة وأخلاق الأنبياء، د. أحمد الصباحي عوض الله، مكتبة مدبولي، القاهرة، دار اقرأ، بيروت، ط١،
   ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- دائرة معارف الفقه والعلوم الإسلامية، محمد متولي الشعراوي، دار أخبار اليـوم، القـاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
  - الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.
- دراسات في العقيدة الإسلامية، د. محمد أحمد الخطيب، د. محمد عوض الهزايمة، دار عهار، الأردن، ط٥، ١٩٩٧م.
  - دراسات لغوية مقارنة، د. محمد صالح توفيق، مطبعة الزهراء، القاهرة، د. ت.
  - دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي، دار المعارف الأمريكية، د. ت.
  - دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، محمد الغزالي، نهضة مصر، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٢م.
- الرد الجميل على المشككين في الإسلام من القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، عبد المجيد صبح، دار المنارة
   للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢، ٣٠٠٣م.
- رد القرآن والكتاب المقدس على أكاذيب القمص زكريا بطرس، إيهاب حسن عبده، مكتبة النافذة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥هـ/ ٢٠٠٥م.
  - الرد على كتاب "أخطاء إلهية في القرآن الكريم"، مجموعة علماء، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
    - الردود الجلية على من اتهم المسيح بالألوهية، جمع وترتيب: أبو بصير، دار الفرقان، القاهرة، ٧٠٠٧م.
- الرسل والرسالات، د. عمر سليمان عبد الله الأشقر، دار النفائس، الأردن، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
  - روح المعاني، الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.
  - الرياضيات المسلّية، بيريلهان، ترجمة: د. إبراهيم محمود شوشة، دار أمير للطباعة والنشر، موسكو، ١٩٧٧م.
    - زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ٤٠٤ هـ.
- سُبُل الهدى والرشاد في هَدْي خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ٧٠٤ هـ/ ١٩٨٦م.
  - سقوط الغلو العلماني، د. محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٣٩هـ/ ١٩٩٥م.
  - سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٩٩٥م.
    - سلسلة القصص القرآني، د. حمزة النشرتي وآخرون، مؤسسة الأهرام، القاهرة، د. ت.
- شبهات المستشرقين حول العبادات في الإسلام، د. ناصر محمد السيد، مركز التنوير الإسلامي، القاهرة،
   ۲۲۱هـ/ ۲۰۰۲م.
  - شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، شرح ابن العثيمين، دار ابن الجوزي، الرياض، ط٣، ١٤١٦هـ.

- الشرق الأدنى القديم، عبد العزيز عثمان، كلية الآداب، جامعة دمشق، سوريا، ١٩٦٢م.
  - شائل المصطفى رقي الرحيلي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
  - صيحات تحذير من دعاة التنصير، الشيخ محمد الغزالي، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- العالم الإسلامي والمكائد الدولية، فتحي يكن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- عصمة الأنبياء، فخر الدين الرازي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، د. محمد أبو النور الحديدي، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٣٩٩هـ/
  - العصمة النبوية، محمد فتح الله كولن، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ط٣، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.
- العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي، د. أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الزغبي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٩٩٨م.
  - عيسى ليس المسيح الذي تفسيره المسيا، علاء أبو بكر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.
- عيسى ومريم في القرآن والتفاسير، مجموعة مؤلفين، إشراف: يوسف قزما خوري، المعهد الملكي للدراسات الدينية، دار الشروق، الأردن، ط١، ١٩٩٦م.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
  - فتح القدير، محمد بن على الشوكاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.
  - فقه السيرة، محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الدعوة الإسلامية، القاهرة، ط٧، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
    - في الطريق إلى الله: التوكل، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١،٦١٦هـ/ ١٩٩٥م.
      - في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١٤٠٧، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
      - القرآن ونقض مطاعن الرهبان، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط١، ٧٠٠٢م.
    - قصة الهداية، د. عبد الله ناصح علوان، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥م.
      - القصة في القرآن، محمد قطب، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠١م.
  - قصص الأنبياء، ابن كثير، تحقيق: محمد عبد الملك الزغبي، دار المنار، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
    - قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ١٩٨٥ م.
      - قصص الأنبياء، محمد متولي الشعراوي، دار القدس، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.
    - قصص القرآن، د. محمد بكر إسهاعيل، دار المنار، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
      - الكشاف، الزمخشري، طبعة البابي الحلبي، القاهرة، د. ت.

- لا يأتيه الباطل، محمد سعيد رمضان البوطى، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- اللقاء بين الإسلام والنصرانية، مناظرة بين الشيخ أحمد حجازي السقا، والأنبا غريغوريوس، دار البشير للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٤م.
- مؤلفات أحمد ديدات: المجموعة الثالثة، الشيخ أحمد ديدات، ترجمة: محمد مختار، رمضان الصفناوي، علي عثمان، مطبعة كتاب المختار، القاهرة، د. ت.
  - ما فرطنا في الكتاب من شيء، د. أحمد شوقي إبراهيم، دار الفكر العربي، مصر، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
  - المائة الأعظم أثرًا في التاريخ، ميخائيل هارث، ترجمة: على الجوهري، مكتبة القرآن، القاهرة، د. ت.
    - مجموع الفتاوى، ابن تيمية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١، ١٣٩٨هـ.
    - محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- محمد ﷺ خير البشر وأمته خير الأمم، محمد أحمد محمد، مكتبة الـتراث الإســـلامي، مــصر، ط١، ١٤١٩هــ/ ١٩٩٨م.
  - محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، إبراهيم خليل، دار المنار، القاهرة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
  - محمد والأنبياء في المصادر اليهودية والمسيحية، السيد سلامة غنمي، مطابع الوليد، مصر، ٣٠٠٣م.
    - مدرسة الأنبياء: عبر وأضواء، محمد بسام الزين، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
  - المستشرقون والقرآن، د. إسهاعيل سالم عبد العال، رابطة العالم الإسلامي، مكة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- المسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها، د. عبد المنعم فؤاد، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
  - مشكل الحديث وبيانه، ابن فورك، تحقيق: د. موسى محمد علي، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.
    - المصطفون الأخيار، عطية صقر، دار مايو، القاهرة، ١٩٩٧م.
    - مع الأنبياء والرسل، د. عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٩٠م.
      - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٩٧م.
      - مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.
  - المفترون: خطاب التطرف العلماني في الميزان، فهمي هويدي، دار الشروق، مصر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
  - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، جامعة بغداد، العراق، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
    - من إعجاز القرآن، رؤوف أبو سعدة، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٣م.
- المناظرة الكبرى مع القمص زكريا بطرس حول ألوهية يسوع، علاء أبو بكر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١،
   ٢٠٠٥هـ، ٢٠٠٥م.

- مناظرة بين الإسلام والنصرانية لمناقشة العقيدة الدينية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء
   والدعوة والإرشاد، الرياض، دار الحديث، القاهرة. ط۲، ۱٤۱۲هـ.
  - مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه، د. عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، مصر، ٢٠٠٥م.
- موجز دائرة المعارف الإسلامية، فريق بحث من المستشرقين، ترجمة نخبة من الأساتذة، مركز الشارقة للإبداع الفكرى، الشارقة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- الموسوعة الإسلامية العامة، إشراف: د. محمود حمدي زقزوق، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة،
   ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
  - موسوعة القرآن العظيم، عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.
    - النبوات، ابن تيمية، مكتبة فياض، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.
    - النبوة والأنبياء، محمد على الصابون، دار الصابون، مكة المكرمة، ١٣٩٠هـ.
  - النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م.
  - هذا هو الحق، رد على مفتريات كاهن الكنيسة، ابن الخطيب، المطبعة المصرية، مصر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٧م.
    - الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، د. محمود ماضي، دار الدعوة، مصر، ١٩٩٦م.



# وموسوعة

# بيان الإسلام

الرد على الافتراءات والشبهات

القسم الأول: القرآن

المجلد السادس ج ٩ شبهات حول الأنبياء والرسل (١)



العنوان: موسوعة بيان الإسلام الرد على الافتراءات والشبهات القسم الأول: القرآن المجلد السادس (ج٩، ج١٠)

> إشراف عام: داليا محمد إبراهيم

#### جميع الحقوق محفوظة © لدار نهضة مصر للنشر

يحظر طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي صريح من الناشر.

الترقيم الدولي: 0-14-4243-977 رقم الإيداع: 2010/10896 الطبعة الأولى: يتاير 2011

تليفسون: 33466434 - 33472864 02 هاكسس: 33462576 02

خدمة العملاء: 16766

Website: www.nahdetmisr.com E-mail: publishing@nahdetmisr.com



أسسها أهمد محمد إبراهيم سنة 1938

21 شارع أحمد عرابي -المهندسين - الجيزة